

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة النور مدنية وهي أربع وستون آية﴾

(وهي ثلاثة أقسام)

(القسم الأول) في أحكام القذف والزنا وبراءة أم المؤمنين وما يتبع ذلك من المواضع من أول السورة إلى قوله - لهم مغفرة ورزق كريم -

(القسم الثاني) من قوله - بأيتها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا - الى قوله - وموعظة للتيقن - وذلك في آداب للعاشرة وآداب الرجال والنساء

(القسم الثالث) في عجائب السموات والأرض وأحوال الكفار والمؤمنين وما يتبع ذلك من الآداب الواجبة العاتية من قوله - الله نور السموات والأرض - إلى آخر السورة

(الفِئِمَةُ الْاَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ اَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَاَنْزَلْنَاهَا فِيهَا آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ لَكُمْ تَذَكُّرُونَ • الزَّانِيَةُ
وَالزَّانِي فَاجِدَا وَاَكُلْ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْ كُفْرَهُمَا رَأْفَةً فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَتَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا
زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ • وَالَّذِينَ
يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً

أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ • إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَسْلَمُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ •
وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ
بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ • وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ • وَتَدْرُوْا
عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ • وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ
عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ • وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ •
إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ • لَوْلَا إِذْ
سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ • لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ
بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ قَالُوا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ • وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَكُنْتُمْ فِي مَا أَقْسَمْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ • إِذْ تَلَقَّوْنَهُ
بِالسِّنِّكُمْ وَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ •
وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ •
يَعْظُمُكَمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ • وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ • إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ • وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَهِيمٌ
رَحِيمٌ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ
فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالنُّكْرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ • وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ
يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحْسِنُونَ أَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ • إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْفَاحِشَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ • يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • يَوْمَئِذٍ يُوفَّقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ •

الْحَيْثُ ثَاثٌ لِلْخَيْثَيْنِ وَالْخَيْثُ ثَوْنٌ لِلْخَيْثَاتِ وَالطَّيْنُ ثَوْنٌ لِلطَّيْنَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ •

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذه (سورة أنزلناها وفرضاها) وأوجبنا ما فيها من الأحكام والزنا كم العمل بها وكذلك من بعدكم الى يوم القيامة (وأنزلنا فيها آيات بينات) واضحات (لعلكم تذكرون) لكي تتعلموا بالأمر والنهي فلا تخطئوا الحدود

﴿ حكم الزنا ﴾

(الزانية والزاني) فيها فرضنا أو فبا أنزلنا حكم الزانية والزاني ويصح جعل الزانية والزاني مبتدأ خبره (فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلده) الجلد ضرب الجلد فلا ينبغي أن يصل الى اللحم وهذا فرض على الأمة كلها يقوم مقامهم الامام لتعذر اجتماعهم وهذا الحكم لمن استوفى الشروط في وجوب الحد وهي البلوغ والعقل ويجب أن يفرق عما عند الشافعي لثبوته في السنة . وكل أبو حنيفة أمر بالغريم لراي الامام ويجب على العبد والأمة نصف الحد ولا رجم عليهما وهذا حكم غير المحسن . أما المحسن فيزيد على ما تقدم أن يكون حرا مسلما متزوجا بنكاح صحيح وقد دخل بها والاسلام ليس بشرط عند الشافعي محتجا برجه عليه الصلاة والسلام يهوديين وحكم المحسن الرجم . ويرى مالك في غير المحسن كما يرى الشافعي ولكن المرأة لا تقرب . ويرى الحنفية أن التغريب المروي في الحديث منسوخ كما نسخ الحبس والأذى في قوله - فاسكوهن في البيوت - وقوله - فاذوهما - بهذه الآية (ولأن أخذكم بهما رافة) رجة ورقة فتعطلوا الحدود أو تخففوا الضرب بل يكون في الزنا أشد من الفرية وفي الفرية أشد من حد الشراب أو يخفف في الأخير ويشدد في الأولين على الخلاف في المذاهب وقوله (في دين الله) أي في حكم الله • روي انه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ لو سرق فاعلمة بنت محمد قطعت يدها ﴾ • وروي أن عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجلها فقال له ابنه ولأن أخذكم بهما رافة في دين الله فقال يابني إن الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت ، ومعنى قوله (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أن المؤمن لآخذ الزافة اذا جاء أمر الله أي اذا كنتم تؤمنون فلا تتركوا إقامة الحدود (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) وذلك ليزيد التشكيل والطائفة أقلها ثلاثة وقيل رجل أو اثنان والمراد حصول التشهير فقد يكون التفضيح أكثر تعذيبا من التعذيب . ولما كانت الاشكال تمنع الى اشكالها وكان ضعة المهاجرين قد هموا أن يزوجهوا بغايا يكرهن أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية نزل قوله تعالى (لزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) لتقارب الأشكال واتلاف الأخلاق (والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) فهو مكروه كراهة تنزيه لما يلزم فيه من التشبه بالفاسق والتعرض للثمّة والتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك ويجوز أن يراد بالتحريم انصراف النفس عن ذلك فان الزناة يألفون والسلحاء كذلك . فهذا تحريم يرجع للطبع والعادة والشرع لا يمنع زواجهن • وقيل ان نكاحهن كان محرما ثم نسخ بقوله تعالى - وأنكحوا الأيما منكم - ولذلك قال عليه السلام لما سئل في نكاح المساكات ﴿ أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال ﴾

﴿ فصل في حكم القذف العام وفي حكم قذف الرجل زوجته وفي الملاعة ﴾

اعلم أن من قذف محصنا أو محصنة بالزنا فقال له يازاني أو يازانية أو زنت فعليه جلد مئتين جلدة إن كان القاذف حرا وكان المقذوف محصنا أي مسلما بالغا عاقلا حرا عفيفا من الزنا ولا فرق بين الذكر والأنثى ويكون الضرب هنا أخف من ضرب الزنا ولا تعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لأبي حنيفة ثم اذا كان القاذف عبدا

يجلد أربعين وإن كان المذنب غير محصن فعلى القاذف التعزير وهو يكون برأى القاضى . ومن زنى وتاب وحسنت توبته وقذف لا يجب فى قذفه إلا التعزير وهكذا القذف بغير الزنا مثل يافاسق ويشارب الخمر وهذا قوله تعالى (والذين يرمون المحصنات) اللاتى استوفين الشروط الخمسة المتقدمة وكذلك الرجال بهذه الشروط وخص النساء بالذكر لشناعة أمرهن إذا قذفن وقوله (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) أى يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلده) أخف من جلد الزانى (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) المحكوم بسقمتهم فاقذف إذن من الكبار فلذلك سعى مرتكبه فاسقا (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) من بعد القذف (وأصلحو) أحوالهم وهذا استثناء من الفاسقين وسيأتى إيضاحه والخلاف فيه (فإن الله غفور رحيم) يفر ذنوبهم ويرحمهم (والذين يرمون أزواجهن) يقذفون زوجاتهم بالزنا (ولم يكن لهم شهادة إلا أنفسهم) أى لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به الخ (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا (و) الشهادة (الخامسة) أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (ويدروا عنها العذاب) ويدفع عنها الحد (أن تشهد أربع شهادات بالله إنه) ان الزوج (لمن الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (والخامسة) بالرفع والنصب (أن غضب الله عليها إن كنت من الصادقين) فى ذلك (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنهم الحد باللعان

﴿ فصل فى قصة الإفك ﴾

ولما ذكر حكم القذف العام وقذف الرجل زوجته أتبعه سبحانه بالكلام على الإفك فى أمر عائشة أم المؤمنين والإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء (وحصل القصة) ما ذكرته رضى الله عنها قالت (فقدت عقدا فى غزوة بنى المصطلق فتخلفت ولم يعرف خلواهلودج خلفنى فلما ارتحلوا أناخ إلى صفوان بن العطل بعيره وساقه حتى أتاهم بعد ما نزلوا فهلك فى من هلك فاعتلت شهرا وكان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف أنت ولا أرى منه لطفًا كنت أراه حتى عثرت حالة أبى أم مسطح فقالت تعس مسطح فأنتكرت عليها فأخبرتني بالإفك فلما سمعت ازدددت مرضا وبت عند أبوى لا يرقد لى دمع وما أكتحل بنوم وهما يظنان أن السمع فائق كبدى حتى قال عليه الصلاة والسلام أبشرى بإجراء فقد أنزل الله براءتك فقلت بحمد الله لا بحمدكم اه وهذا قوله تعالى (إن الذين جاؤا بالإفك) وهو الصرف لأنه قول مافوك مصروف عن وجهه (عصبتكم) جماعة منكم وهى من العشرة إلى الأربعين وكذلك العصاة منهم عبد الله بن أبى وزيد بن رفاعه وحسان ابن ثابت ومسطح بن أثانة وحة بنت جحش . ثم استأنف سبحانه الكلام مخاطبا رسول الله ﷺ وأبا بكر وعائشة وصفوان رضى الله عنهم قائلا (لا تحسبوه) أى الإفك (شرا لكم بل هو خير لكم) لكم فيه نواب ورثقاء الأنفس وظهور الكرامة بإزال ثمان عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وفيه أيضا تهويل وتشديد على من تكلم فيكم وثاء على من ظن خيرا (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم) أى جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به (والذى تولى كبره) معظمه (منهم) من الثمانين وهو عبد الله بن أبى قحافة هو الذى بدأ به لأنه يحكى أن صفوان مر بهودجها عليه وهو فى ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نحب منه ولا نجا منها (له عذاب عظيم) أى جهنم . ثم أخذ يوضح العصة فقال سبحانه (ولا) هلا (إذا سمعتموه) أى الإفك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) أى هلا ظن المؤمنون والمؤمنات الذين سمعوا الإفك خيرا بعائشة وصفوان اللذين هما من المؤمنين الذين هم جميعا كنفس واحدة فاذا ظنوا بهما خيرا فقد ظنوا بأنفسهم وهذا من أبلغ ما يكون فى التلطف من حيث اتحاد المؤمنين (وقالوا هذا إفك مبين) كذب بين لاحقيقة له (ولا) هلا (جاؤا عليه) على ما زعموا (بأربعة شهداء) يشهدون بذلك (فألم يأتوا

بالشهاده فأولئك عند الله) في حكمه وشرعته (هم الكاذبون) القاذفون لأنهم ليس عندهم أربعة شهود (ولولا فضل الله عليكم ورحته في الدنيا والآخرة) فضله في الدنيا بالنعم الكثيرة ومنها إمهالك للتوبة ورحته في الآخرة بنعم كثيرة منها العفو والمغفرة (لكم) عاجلا (فما أنضمت فيه) خضمت فيه (عذاب عظيم) فأجلد واللوم مستغفران بالنسبة له (إذ) متعلق بمحکم (تلقونه بالسلك) يأخذنه بضمك من بعض بالوأل (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أى يقولون بأنفسهم من الألفك ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه هينا) سهلا لاتبعة له (وهو عند الله عظيم) في الوزر . فهذه (ثلاث خصال) التلق والتحدث والاستغفار للذنوب مع عظمتها (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) ما يصح لنا (أن نتكلم بهذا) في أمثال هذه الأمور لاسيما ما يختص بابنة الصديق (سبحانك) تزيها بها من أن تكون حرم نبيه ﷺ فاجرة فان لجورها بخل بمقصود الزواج (هذا هتان عظيم) لأن البهوت عليه عظيم (يعظمكم الله) كرامة (أن تعودوا للملأ أبدا) مادمت أحياء مكلفين (إن كنتم مؤمنين) وهذا تفرع وتوخيخ فان الإيمان يمنع من القبايح (وبين الله لكم الآيات) الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب تعلما لكم (والله عليم) بصفوان وعائنة وبكل الأحوال (حكيم) في تدبيره هذا العالم ومن حكمته أن يجعل زواجه ﷺ طاهرات لأنه يكرم أوليائه . ومن حكمته أنه برأ عائنة وحكم على القاذفين بالحد (إن الذين يحبون) كمد الله بن أبى وأصحابه (أن تشيع الفاحشة) أى يظهر الزنا (في الذين آمنوا) لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) فيعذبون في الدنيا ويدخلون جهنم الأخرى (والله يعلم) ما في الضمائر (وأنتم لاتعلمون) فليكن عقابكم لهم على ما تعلمون من الظواهر في الدنيا وهو يعاقب على ما يعلم من حب الشاعة وعقابه في الآخرة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم) بكم لعاجلكم بالعقوبة والخطاب لسطح وحسان بن ثابت ورحته وكرره لئلا يترك المعالجة بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لاتتعوا خطوات الشيطان) باشاعة الفاحشة (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) الفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع (ولولا فضل الله عليكم ورحته) بأن شرع التوبة ووقفكم لها فتمحى ذنوبكم وأزّل الحدود وهي كفارات لذنوبكم (مازك منكم من أحد أبدا) أى ما ظهر ولا صلح فانه بفضل الله ورحمته شرع التوبة وقبلها وأزّل الزواجر وحكم بها ووقفكم لما يمحوا الذنوب إما بأعمالكم الصالحة وأما بما تصابون به من الرزايا فانها مكفرات (ولكن الله يركى من يشاء) بتوفيقه للتوبة وحله عليها وقبولها منه وبإقامة الحدود وإزال ما يخفف من الحوادث المؤلمة (والله سميع) لمقالتهم (عليم) بنياتهم . ولما حلف أبو بكر رضى الله عنه أن لا ينق على سطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين نزل قوله تعالى (ولا يأتل) أى لا يحلف (أولو الفضل منكم) في الدين (والسعة) في المال (أن يؤثروا) على أن لا يحسنوا الى المستحقين للإحسان الموصوفين بأنهم من (أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) وإن كانت بينهم وبينهم شحنةا لجناية أقرقوها . ويصح أن يقال « ولا يقصر أولوا الفضل الخ » ثم قال (وليغفوا) أى وليستروا (وليصفحوا) يعرضوا وليتجاوزوا عن الجفاء ويعرضوا عن العقوبة (الأنحجون أن يغفر الله لكم) فليغفوا عنهم ما يرجون أن يفعل الله بهم مع كثرة ذنوبهم (والله غفور رحيم) فتخلقوا بأخلاق الله وتأدبوا بأدابه . ولما قرأها النبي ﷺ على أبى بكر قال بلى أحب أن يغفر الله لى ورد الى سطح فنفقه (إن الذين يرمون المحصنات) العفاف (العافلات) عما قذفن به (المؤمنات) بالله ورسوله كعائنة رضى الله عنها وغيرها من كل سليمة الصدر تقية القلب لادهاه عندها ولا مكر لأنها لم تجرب الأمور (لنعوا في الدنيا والآخرة) ولم عذاب عظيم) فهو لا الذقة ملعونون في الدارين ولم عذاب عظيم في الآخرة إن لم يتوبوا فيعذبون (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) بما أفكروا أو بهتوا إذ تظهر آثار الأعمال على تلك الأعضاء وهو أبلغ من نطق اللسان فالغتابون والقاذفون وأمثالهم تظهر صور أعمالهم بحسمة يراها المذنب وتشاهدا

وتشاهدها الناس حوله والملائكة بصورة قيصة بشعة تشعر بالمهانة والذلة ولا مانع من التعلق اللفظي وهو معنى قوله تعالى - ووجدوا ما عملوا حاضرا - وقوله - كفى بنفسك اليوم عليك حسبا - وذلك حاصل بعد الموت بلا توان فيظهر الانسان بظهوره الحقيقي وهذا قد أظهره الكشف الحديث فان علماء الأرواح لما استحضروها أخبرت بما يفيد أن أخلاق الانسان وصوره الباطنة تلازمه ولا تفارقه ويؤد لو يتخلص منها وتستقيم حاله فلا يقدر بل تكون له كالمهوى يحيط به أينما حل - ويقولون إن جسم الانسان بعد الموت عبارة عن صورة طبق الأصل أى مطابقة لهذا الجسم المادى ويسمى ذلك الجسم «الجسم الأثيرى» أى المنسوب للأثير وهى المادة اللطيفة التى هى أخف وألطف من الهواء والعالم كله مغفور فيها وهذه الصورة تمثل الأخلاق الباطنية للانسان ويؤد لو ينخلع منها اذا كانت قيصة قال تعالى (يومئذ يوفيه الله دينهم الحق جزاءهم المستحق (ويعلمون) علم معاينة رآ أن الله هو الحق المبين) العادل الظاهر عدله ولذلك ينتم من المظالم لظالمه (الحيثيات للحيثين والحيثون للحيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أى الحيثيات من النساء للحيثين من الرجال والحيثون من الرجال للحيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبى والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والعكس يعنى عائشة ورسول الله ﷺ وهذا عام فان الطيور على أشكالها تقع واذا كانت عائشة زوج رسول الله ﷺ فهى مبرأة لأنها مع الطيب وهذا قوله تعالى (أولئك مبرؤن مما يقولون) أى أصحاب الافك (لهم مغفرة) عفو لذنوبهم (ورزق كريم) أى الجنة وقد خصت عائشة بأن جبريل نزل بصورتها فى راحته وقال هى زوجتك ولم يتزوج ﷺ بكرا غيرها وقبض ﷺ فى حجرها وفى يومها ودفن فى بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهو معها فى اللحاف وزلت براءتها من السماء وهى ابنة الصديق وخلقت طيبة وورعت المغفرة والرزق الكريم . انتهى التفسير اللفظي وهنا «أربع لطائف» ١

(١) فى قوله تعالى - ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم -

(٢) وفى قوله تعالى - أن تشهد أربع شهادات بالله - الخ

(٣) وفى قوله - ولولا فضل الله عليكم ورحته ما زكى منكم من أحد أبدا - الى قوله - سميع عليم -

(٤) وفى قوله - الخيئات للحيثين - الخ

«اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم -»

(١) ومقتضى هذه الآية أن القاذف اذا تاب تقبل شهادته ويؤزل عنه اسم الفسق سواء أ كان قبل إقامة الحد أو بعده لأن الاستثناء راجع الى رد الشهادة الى الفسق وهذا قول عمر وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاووس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهرى ومالك والشافعى

(٢) لاتقبل شهادته أبدا بعد التوبة ولكن يزول عنه اسم الفسق وهذا لأن الاستثناء راجع الى الفسق

عند النسخى وشرح

(٣) لآرد شهادته بنفس القذف مالم يحد عند أصحاب الرأى

(٤) هو قبل الحد شر منه حين يحد لأن الحدود كفارات فكيف تردونها فى أحسن حاله وتقبلونها فى

شر حاله وهذا هو اعتراض الشافعى على أصحاب الرأى بل قال ان حد القذف يسقط بالتوبة وأن الاستثناء يرجع للكل كما تقدم

(٥) لايسقط الحد بالتوبة إلا أن يفر عنه المذنب فيسقط كالتقصص يسقط بالعفو ولايسقط بالتوبة

وهذا مذهب عامة العلماء وقوله - أبدا - أى مادام مصرا على القذف وذلك على مذهب من يقول بقبول شهادته بعد التوبة وتكون الأبدية فى كل شئ بحسبه فالتأذيب أبديت حتى يتوب وأبدية الكافر حتى يؤمن

أى لا تقبل مادام على كفره

(اللطيفة الثانية - شهادة أحدهم أربع شهادات بالله - الى آخر الآيات)

فقوله - انه لمن الصادقين - معناه على انه من الصادقين خفف الجبار وكسرت ان وعلق العامل باللام تأكيدا . روى عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمر الجبلي جاء الى عاصم بن عدي فقال لعاصم أرأيت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقضه فقتلوه أم كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله ﷺ فقال لعاصم رسول الله ﷺ عن ذلك فكره رسول الله ﷺ المسألة وعابها حتى كبر على عاصم فسمع من رسول الله ﷺ فلما رجع عاصم الى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ فقال لعاصم لعويمر لم يأتني بخبر فقد ذكره رسول الله ﷺ المسألة التي سألت عنها فقال عويمر والله لا أنتهي حتى أسأله عنها فلما جاءه عويمر رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقضه الى آخر ما تقدم فأخبره رسول الله ﷺ بالعان فتلاعنا فلما فرغا من التلاعن طلقها عويمر فلما قبل أن يأمره رسول الله ﷺ قال مالك قال شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين . هذا ملخص ما جاء في الصحابين ومثله ما جاء في البخاري في مسألة هلال بن أمية لما قذف امرأته بشريك بن سماعة وذكر أن جبريل نزل بالآية بعد أن قال هلال وليزلي الله ما يبرئ ظهري من الحقد فقام هلال بن أمية فشهد والنبي ﷺ يقول الله يعلم أن أحدا كاذب فهل منك تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال انها موجهة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا أفصح قومي سأثر اليوم فضت فقال النبي ﷺ انظروها فان جاءت به أكل العينين سابغ الاليتين خدج الساقين فهو لشريك بن سماعة فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن . وخدج الساقين مثل الساقين غليظهما

(اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكناكم من أحد أبدا -)

يقول علماؤنا رحمهم الله تعالى في هذا المقام انه شرع الحدود وشرع التوبة والتوبة من نوع التهذيب والعقوبة من نوع التعذيب . فانظر كيف كان التهذيب مع التعذيب سببين لزكاة الناس وطهارتهم . ومعنى هذا أن الله فضله عم الناس ولولا فضله ورحمته لم يطهروا وعليه أصبح كل هم وغم ومصائب وأمراض كل ذلك مما يزيك ويظهر وأيضا كل علم وكل حكمة وكل خلق شريف كل ذلك مطهر . فالطهرات التي أنزلها الله في الأرض نوعان التهذيب والتعذيب فأوضحت المدارس التي في الأرض للتطهير (قسمين) قسم الموادئ التي تصيب الناس وقسم المرقبات للعقول الانسانية وقد شرحت هذا في أماكن كثيرة في هذا التفسير

(اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - الخبيثات للخبيثين - الخ)

اعلم أن هذه الآية تشرح الغرائز والأخلاق والطباع وبهجتها وبجائيتها وتبين أن هذا الانسان بل هذا الوجود لا تلازم فيه إلا بالتناسب ولا اتحاد لإبصاف متناسبة فكرة الأرض متجاذبة الأجزاء هكذا ككرة الهواء وكرة النسيم فكل جزء من أجزاء هذه المواد لاحقة بأصلها مطبوعة لمجموعها ذلك للتناسب والتشابه في الصفات هكذا أخلاق الناس انهم اذا تشاكست صفاتهم اتفقوا واذا اختلفت تفرقوا وهكذا يوم القيامة فالتاس لا يجتمعون إلا حيث يتفقون ولذلك تفرق السالمون اليوم للجهل الذي فشا بينهم ولولا تناسبوا في العلوم والمعارف لجمعهم ووحدهم ولكنهم جهلوا فالجهل فرقهم والله هو الولي الجيد

ثم اعلم أن هذه الحكمة ألهمها الله للأمم وثبتها في العقول فطعت بها الألسنة وكتبت في الكتب وذاعت في الأمم وانتشرت في الأقطار قديما كما ترى في كتاب (كليات ودمعة) فقد جاء فيه ما منه

(حكاية العابد والقارة)

حكى أن عابدا قتل فأرة ثم ندم على ما فعل وحزن حزنا شديدا على هذا الذنب ولم يجد سبيلا الى التوبة

في نظره إلا أنه يعلق الفأرة في عنقه مدة ثم دعا الله أن يحببها فتصير بنتا فأجاب الله دعاءه فصارت بنتا ورباها
 وترعرعت وأن زمن الزواج فساءها أي الأزواج تختار فقالت أختار أقوى الأزواج فقال لها إذن تختارين
 الشمس قالت . كلا . فالسحاب أقوى من الشمس لأنه يحجبها قال إذن أزوجهك للسحاب قالت . كلا .
 فالريح أقوى منه لأنها ترفعه وتحمله إلى الجهات قال فلا زوجك للريح قالت . كلا . فلجليل أقوى منه لأنه
 يصدّه ويمنعه قال فلا زوجك بالجليل قالت . كلا . فالأقوى من الجبل لأنه يحفره ويفتح فيه حجرا يعرف
 عند ذلك أنها لا ترغب إلا فيمن هو على شاكلتها فدعا الله فرجعت فأرة وتم الأمر وهذا قول الشاعر
 * إن الطيور على أشكلها تقع * وقوله تعالى - الخبيثات للخبيثين - الخ . انتهى الكلام
 على القسم الأول من السورة

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا
 ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ
 لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَيْسَ
 عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
 تَكْتُمُونَ * قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَيْضَاتٌ مِّنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا أَرْوَاجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنْ أَلَّفَ
 خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَفْضُلْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
 زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى خُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
 أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي
 إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْوَاحِ مِنَ الرِّجَالِ
 أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ
 زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَمَّا كُنْتُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنكُمْ
 وَالْمَالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ *
 وَلْيَسْتَفْهِمِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ
 مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ
 وَلَا تَكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ نَحْمُسًا تَتَخَوُّهُنَّ الْحَيَاءُ الذُّنُوبُ وَمَنْ يُكْرِهِنَّ
 فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلَقَدْ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ آيَاتُ مِثْنَاتٍ وَمَثَلًا مِنْ

الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ •

(التفسير اللغوي)

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) التي تسكنونها فليس مؤجر الدار ولا الذي أعارها لها حق الدخول إلا بإذن فالمدار على السكنى لأعلى الملك (حتى تستأمنوا) تستأمنوا أي تستعملوا . يقال آنس الشيء أبصره وصح أن يكون من الأنس على وزن تفرأ هل نفع انسان (وتسلوا على أهلها) فتقولوا لهم • والسلام عليكم أ أدخل ثلاث مرات ، فان أذن له دخل والا رجع (ذلكم) أي ما ذكر من الاستئذان والتسليم (خبرلكم) من أن تدخلوا بقتة ومحبو تحية الجاهلية فتقولوا • حينئذ صباحا • حينئذ مساء • وربما أصاب الرجل مع امرأته في خلاف لعدم الاستئذان وانما أنزل عليكم هذا إرادة أن تذكروا وتعملوا بما هو أصلح لكم وهذا قوله (لعلكم تذكرون •) فان لم تجدوا فيها أحدا) يأذن لكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى يأتي من يأذن لكم (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ولا تلحوا (هو أركم لكم) أي الرجوع أظهر لكم من الإلحاح والوقوف على الباب فذلك مناف للرؤية (والله بما تعملون عليم) فيعلم ما تأتون وما تفرون فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) كالأربطة والحانات والحوانيت (فيها متاع) منفعة (لكم) كابواب الأمتعة بالحوانيت وكاتقاء الحر • والبرد في المنازل المبنية للسابلة وكالدخول في بيوت التجار والحوانيت في الأسواق بدخلها الناس للبيع والشراء • فهذه كلها ليس فيها استئذان (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون •) قل للؤمنين يضوا من أبصارهم عما لا يحل النظر اليه (ويحفظوا فروجهم) - إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم - (ذلك أذكى لهم) أنفع لهم وأظهر لها فيه من البعد عن الرية (إن الله خير بما يصنعون) لا يخفى عليه ما يقصدون من استعمال الأبصار وكل جارة من جوارحهم فليحذروه (وقل للؤمنات يفضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) عما لا يحل لهن • روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة بنت الحرث إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد أمرنا بالحباب فقال رسول الله ﷺ احتجبا منه فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله ﷺ أفضيا وإن أتتا ألسنا تبصرانه . رواه الترمذي وأبو داود ثم قال تعالى (ولا يبدن زينتهن) أي ولا يظهرن لغير المحرم الزينة الخفية مثل الخلل والخصاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلادة في العنق فلا يجوز للمرأة إظهارها كسائر الخلق والياب والأصابع فضلا عن مواضعها فلا تبدن منها شيئا (إلا ما ظهر منها) عند مزاوله الأشياء كالتياب والخلام والكحل والخصاب في الكف وكألوانه والقدمين في ستره هذه الأشياء حرج عظيم فان المرأة لا تجد بدا من مزاوله الأشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها لأسباب في مثل تحمل الشهادة والمعالجة والمتاجرة وما أشبه ذلك وهذا كله إذا لم يخف الرجل فتنة فان خافها غض بصره أيضا (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الخرج خمار أي ليضعنها وذلك كما تقول ضربت يدي على الحائط إذا وضعتها عليه أي ليقين بمقانعهن على مواضع الجيب وهو التحر والصدور ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن • ولقد كانت جيوبهن واسعة تبدن منها صدورهن وأحوالها وكن يبدن الخمر من وراءهن فتتقن مكشوفة فأمرن أن يبدن من قدامهن حتى تغطيهن (ولا يبدن زينتهن) هذا بيان لمن يحل لهم الإبداء فيرون الزينة الخفية منها ومواضعها كالصدر والساق والرأس ونحو ذلك (إلا بعلوتهن) لأنهم المقصودون بالزينة فيجوز لهم النظر الى جميع البدن ويكره النظر للفرج (أو آبائهن أو آبائهن أو آبائهن أو آبائهن أو آبائهن أو آبائهن أو آبائهن أو آبائهن) لأن الطباع تنفر من عمسة القرباء فلمن أن

ينظروا منهم إلى ما عدا ما بين السرة والركبة . ومثل المذكورين الآباء والأبناء والاخوة وبنو الاخوة وبنو الاخوات من الرضاع . ثم قال تعالى (أولئکه) أى المؤمنات من أهل دينهن فيجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تعبرد من ثيابها عند الفتية أو الكافرة (أو ما ملكت أيمانهن) من الاماء والعبيد فينظر العبد من سيده ما عدا ما بين السرة والركبة كالامة فهو كالخادم وكالنساء المسلمات وهذا ظاهر القرآن وحديث أنس (إذ ذهب النبي ﷺ فاطمة عبدا وكان عليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها واذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك أو غلامك) . وقال سعيد بن المسيب هو كالأجنبي معها ومحمل الآية على الاماء دون العبيد ثم قال تعالى (أولئکه يعين غير أولی البریة من الرجال) أى الذين يتبعونكم ليعيدوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء كالبهائم الذين لا يعرفون شيئا من أمر النساء والشيوخ والصلحاء وكالعائنين والخمى والمختن والمجبوب . وفى حديث مسلم انه كان يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث وكانوا يعتونه من غير أولى الإربة فدخل رسول الله ﷺ يوما وهو عند بعض سائمه وهوينت امرأة قال اذا أقبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فأمر ﷺ أن لا يدخل عليهن وأخرجوه إلى البياض يدخل كل جمعة ليظلم . وأراد بالأربع أن لها في بطنها أربع عكن فهي تقبل اذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الأربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن ثم قال تعالى (أو الطفل الذین لم یظهروا على عورات النساء) أى لم يعرفوا العورة من غيرها لمصرهم وعدم باوغهم حد الشهوة والظهور والاطلاع والطفل جنس وضع موضع الجمع والوصف يدل عليه (ولا یضربن بأرجلهن لعل ینضحن من زینتهن) لیتقهق خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وهذا أبلغ من النهي عن اظهار الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت . وقد كانت المرأة اذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها فنهى عن ذلك . ثم قال تعالى (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) وانما نهى على التوبة هنا لأن آداب هذه السورة لا يتخلو أحد من التفریط فيها (لعلکم تفلحون) بعادة الدارين لأن النفس الانسانية أشبه بماء نهر النيل مثلا والقوى الانسانية من الشهوة والغضب والعقل أشبه بمجداول تجري من ذلك النهر والشهوة والغضب أشبه بالبحر الأبيض المتوسط يصب ماء النهر فيه سهلا بلا قفدة والكف عن الشهوات كخض البصر وتجنب النساء وقلة الافراط في الشهوات حلالا أو حرما وما أشبه ذلك أشبه بالسدود والجسوس والقناطر الموضوعة في مجرى النيل وسقى الأرض من الجداول النيلية في الوجهين القبل والبحرى وخروج النبات والأشجار والحدائق الغناء والأشجار والأزهار والبهجة والنعاء أشبه بتصرف عقولنا في أنواع العلوم والحكم وازدهار الآراء وجمال النفوس واشراق القلوب فكل ما حفظناه من قرائننا رجع إلى قوة العقل وكل ما أضعاه من قوى النفس في المبصرات والمذوقات والملموسات وجيع اللذات قص من قوة العقل والفلاح يكون بالقوة العقلية والغلبة بالتمادى في القوة الشهوية . وبهذا عرفت الحكمة في غش البصر والكف عن المحرمات . فانه تعالى وضع هذه القوى أمانة عندنا فإذا صرفناها في أسفل الامور سفلنا وإذا صرفناها في أعلاها علونا . وهذه اللذات المذكورة ونحوها لم تخلق إلا لبقاء النسل فهي مقتمات وللمقتمات نتائج إذ لا عقول إلا لمولود ولا ولادة إلا بهذه الشهوات . فاذا جعل الانسان حياته مقصورة على المقدمات صار آلة ضائعة كما يضيع ماء النيل في البحر الأبيض واذا حفظها سقى بها حقول العلوم وبساتين المعارف وجنى ثمار اللذات العقلية والثناء العاجل والثواب الآجل بل الأمر فوق ذلك فان أعلى الجنة لأولى الأبواب والعلم أعلى لذة في الجنة كما هو أعلى لذة للأنبياء والحكماء في الدنيا . فتعجب كيف كان هذا التحريم مقصودا به رقى عقولنا والعامة لا يهيمون مثل هذه الامور وما يبقونها إلا الحكماء الذين فكروا في الدنيا وخلقها . فالعامة يحافون من عذاب يوم القيامة وحده واغصاة يحافون منها ومن عذاب الدنيا بلجمالة وتنص القوى العقلية

ويرون الثواب والعقاب أمامهما في هذه الحياة مقدمة لما سيرونه بعد الموت فيكون قوله - لعلكم تفلحون - معروفا لهم في هذه الحياة يقرؤنه في قوسهم وفيمن حولهم ويرون الزناة والمسرفين وأمثالهم قد طوّحت بهم طوائف المهر وقلب المهر لهم ظهر الجفن وأنزل بهم العذاب المون كما أنزل عقوبهم فعذابهم معجل في هذه الحياة وإن كانوا لا يصدقون أنهم معذبون ويسجنون وهم لا يصدقون أنهم مسجونون . ولما فرغ من الكلام على انتهى عما يفضي إلى السفاح الخلل بالنسب المؤدى إلى انقطاع الألفة وذهاب الأسرات أعقبه بما يكون سببا في بقاء النسل وهو المقصود فقال (وأنكحوا الأيامى) مقلوب أيامم كيتامى جمع أيم وهو العزب ذكر أكان أو أنثى بكرة كان أو ثيبا • قال الشاعر

فإن تنكحى أنكح وإن تتأخى • وإن كنت أخفى منك أنأخى

أى زوجوا من كان أعزب من الرجال والنساء البنات والاختوات والبنين والأخوان (منكم والصالحين) للنكاح (من عبادكم) عبيدكم (وامائكم) وهذا الخطاب للأولياء والسادة وهذا الأمر للنسب

(١) فيستحب لمن تأقت نفسه إلى النكاح ووجد أهبة أن يتزوج

(٢) ومن لا تنوق نفسه إلى النكاح وهو قادر عليه فالتدخل للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعي

(٣) والنكاح أفضل له عند أصحاب الرأي

(٤) تزويج الأيامى خاص بالأولياء وتزويج العيود والاماء خاص بالسادات عند أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم كعمر وعلي وعبد الله بن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعائشة وسعيد بن المسيب والحسن وشريح والنخعي وعمر بن عبد العزيز والثوري والأوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحق

(٥) يجوز للمرأة أن تزوج نفسها عند أصحاب الرأي

(٦) إن كانت دنيئة جاز لها أن تزوج نفسها وإن كانت شريفة لم يجز عند مالك

ولما كان الناس عادة يتركون الزواج ويخاصونه خيفة الفقر إذا كان الخاطب والمخطوبة في فقر أردفه بما يفيد أنه سبحانه وتعالى يفيهما عند الزواج إما بالقناعة والرضا وإما بالمال وإما بهما معا فقال (إن يكونوا فقراء يفتهم الله من فضله) فضل الله يسهما والمال غاد ورائح

وكم يسر آتى من بعد عسر • وفرج كربة القلب الشجي

وورد في حديث ﴿ اطلبوا الفتي من هذه الآية ﴾ ثم قال تعالى (والله واسع) ذو سعة إذا انتهت لفضله ولا حد لقدرته فهو يسع الزوجين وجميع الناس (عليم) يسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه الحكمة (وليستخف الذين لا يجدون نكاحا) ليجهت في العفة وقع الشهوة من لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة مثل أن يصوم الشاب إذا لم يجد المال لحديث ﴿ يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فليصم فإنه له وجاء ﴾ ومعنى الباءة النكاح أى أسباب النكاح والوجاه رضوان الله عليه فليستخف هؤلاء (حتى يفتهم الله من فضله) فيجدون ما يتزوجون به

﴿ فصل في المكاتب ﴾

للمكاتب أن يقول الرب لمملوكه كاتبك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدي ذلك في مجمين أى موعدين أو نجوم في كل نجم كذا فإذا أدت ذلك فأنت حر وقبيل العبد ذلك فإذا أدى العبد ذلك المال متى وصير العبد أحق بمكاتبته بعد الكتابة . ومتى عتق بأداء المال فما فضل في يده من المال فهو له وبقية أولاده الذين حساوا في الكتابة في العتق . وإذا هجر عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ ويرده إلى الرق وما في يده من المال فهو لسيده وهذا قوله تعالى (والذين يبتغون الكتاب) المكاتب (بما ملكت أيما نكح) عبدا كان أو أمة (فكاتبوهم)

(١) والأمر للوجوب عند عطاء وعمرو بن دينار * وقد روى أن سيرين أبا محمد بن سيرين سأل أنس ابن مالك أن يكتبه وكان كثير المال فأبى فأطلق سيرين إلى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فأبى فضربه بالذرة وتلا قوله تعالى - فكانبوهم - الخ

(٢) أولئذ يندب وهو قول أكثر أهل العلم

(٣) والكتابة تجوز إلى نجم واحد وحالة واحدة عند أبي حنيفة ولا تقل عن نجمين عند الشافعي وقوله تعالى (إن علمتهم فيهم خيرا) أى مالا أوقوة على الكسب أو صدقا وأمانة أو لا كسب مع الأمانة وهذا رأى الشافعي . وأن يكون بالفا عاقلا . ويجوز أبو حنيفة مكانة الصبي المراهق . وقوله (وأتوهم من مال الله الذى آتاكم) يقول الله آتوا أيها السادة المكاتبين شيئا من مال الله الذى آتاكم فليس لكم فيه فضل فإن الله ربكم ورب عبيدكم وأموالكم ملكه . وكذلك أعطوا أيها الحكام المكاتبين سهمهم من الصدقات العامة المذكورة في قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء - فإن عتق الرقاب داخل في الصدقات وهذا الأمر عام لكل امرئ فهو يحض جيع المؤمنين على عتق الرقاب . واعلم أن السيد لاحد للقدار الذى يحطه والخط واجب وقدره بعضهم بالربع وهو قول على وقال ابن عباس يحط الثلث وأنت خير أنه لاحد للخط

(فصل في عدم إكراه الاماء على الزنا)

روى انه كان لعبد الله بن أبى ابن سائل المنافق جاريان يقال لهما مسيكة ومعادة وكان يكرههما على الزنا لضربة يأخذها منهما . وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون إماءهم فلما جاء الاسلام قالت معادة لمسيكة إن هذا الأمر الذى نحن فيه لا يخلو من وجهين فإن يك خيرا فقد استكثرنا منه وإن يك شرا فقد آن لنا أن ندعه ويقال إن إحدى الجاريتين جاءت يرد وجاءت الأخرى بدينار فقال لهما ارجعا فارزنا فقاتلتا والله لا أفضل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فأنتا رسول الله ﷺ وشكنا اليه فأئزل الله قوله (ولانكروها فتيانكم على البغاء) الزنا (إن أردن تحصنا) وذكر هذا الشرط لأنه على مقتضى السبب الذى نزلت لأجله الآية والا فلا إكراه عتقوا سواء أردن التحصن والعفة أم لم يردن ذلك على أن الإكراه لا يمكن إلا إذا أردن العفة فأما التى لا تريد العفة فليس بمكرهة على الزنا بل هى راغبة فيه . يقول الله - لانكروها فتيانكم على البغاء - (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أى لتطلبوا كسبهن وبيع أولادهن (ومن يكرههن) على الزنا (فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) يعنى بالمكروهات والوزر على المكروه . وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية يقول (هن والله هن والله) (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) من الحلال والحرام (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أى مثلا من أمثال من قبلكم أى قصة محببة من قصصهم كقصة يوسف زهير . وهى قصة عائشة رضى الله عنها (وموعظة للفتين) ما وعظه من الآيات والمثل . ولقد جاء هناك من العظات البالغات ما فيه مزدجول ذكر كقوله تعالى - ولولا إذ سمعتموه قلتم - الخ وقوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم - الخ وقوله - ولا يأتى أولوا الفضل منكم - الخ انتهى التفسير اللفظي للقسام الثانى . وههنا لطائف

(اللطيفة الأولى في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الخ)

عن قتادة أن الاستئذان (ثلاثة الأول) يسمع الحى (والثانى) ليتأهبوا (والثالث) إن شاؤا أذنوا وإن شاؤا ردتوا فانهم في أول مرتبة بما منهم بعض الأشغال من الاذن وفى المرة الثانية ربما كان هناك ما يمنع أو يقضى المنع أو يقضى التساوى فإذا لم يجب في الثالثة يستدل بعدم الاذن على مانع فيسن له الرجوع ويجب أن لا يكون الاستئذان متصلا بل يكون بين كل واحدة والأخرى وقت فاما قرقع الباب بمنف والصياح صاحب النار فذلك حرام لأنه يتضمن الإيذاء وكفى بقصة بنى أسد زاجرة وماتزل فيهم من قوله تعالى - إن الذين ينادونك من وراء الأبواب أكثرهم لا يعقلون - وقد كان ﷺ لا يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن

من ركنه الأيمن أو الأيسر فيقول السلام عليكم مرتين ومن جامع الرسول لاجتماع الاستئذان وكذلك من جرت العادة له بإباحة المخول فهو غير محتاج الى الاستئذان ويستأذن الانسان على أخته وأمه لقوله ﷺ رجل وقد سأله في ذلك « أحب أن تراها عريانة »

واعلم أن الاستئذان مشروع (ثلاثة أمور) المخول في منزل الغير والنظر الى المحرم شرعا والاطلاع على ما يكره الانسان الاطلاع عليه . فاذن دخول ملك الغير بغير إذنه محظور والاطلاع على المحرمات محظور شرعا هكذا فليكن محظورا على الانسان المخول على أمه وأخته وزوجته وأمه للخصلة الثالثة فانهم ربما كن في حال لا يحين اطلاع أحد عليها فأن نجا من المحرمات مع هؤلاء بالنسبة لتحريم النظر وحظر المخول في ملك الغير فليكن ذلك للأمر الثالث وعليه صار الاستئذان على جميع الناس قريبا وبعيدا ومحارم وزوجات وهذا هو المعنى بقوله ﷺ « أحب أن تراها عريانة »

(اللطيفة الثانية)

قال ﷺ (تزوجوا الولود الودود فاني مباح بكم الأم يوم القيامة) وقوله تعالى - وأنكحوا الأباي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم - قد أخذ منه بعض العلماء كما في تفسير البيضاوي « انه يجب تزويج المولية والملكوك وذلك عند طلبها » ويقول عمته السلف (إن النكاح مسبب لمن تأقت نفسه الى النكاح ووجد أهبة) كما تقدم . فقلت من هذا انه قد أوجب بعض العلماء على السيد تزويج عبيد موأته في حال خاصة . ومن المعلوم أن الانسان اذا خاف الفتنة ولم يجد سبيلا لمرئها وجب عليه النكاح . واعلم أن هذا الزمان الذي نكتب فيه هذا التفسير قد تغيرت فيه طباع أهل المدن فترى الشبان المتعلمين يفسدون ويروحون وقد أسكرهم الصبا وخامرهم الجهل وأحاط بهم الشيطان فأسلل عليهم حجابا من الخزي والعار فترك بعضهم الزواج اكتفاء بالزنا واستخفافا بالدين فأصبح المسلمون المتعلمون في الأمصار أشبه بأهل باريس الذين يفسدون الخلعة على الزواج . ولما رأيت هكذا حكومة الترك سفت قانونا بحجر فيه الشاب الذي لم يتزوج بعد السنة الثامنة عشرة أن يدفع مالا للحكومة لتفتق على أبناء المتزوجين . ولقد بلغنا أن الأمة الروسية التي أصبحت اليوم (بلشفية) أي انها تجري على حكم الأكثرية تأمر الفتيان والفتيات بالتزويج بعد الثامنة عشرة فان لم يتزوج الفتاة قبل هذا السن زوجها لمن يريدون هم . واعلم أن هذا الأمر يجب على علماء الاسلام أن يفكروا فيه فاذا رأوا خلعة منشرة وفسوقا واضحا فلا حرج عليهم اذا أفتوا بما يحفظ الأعراض ويشغل الأرحام بالأجنة والدكور بالغة والنساء بترية الأولاد وليكن ذلك بحكمة وتفكر . ولقد نرى أئمتنا المتقدمين رضوان الله عليهم قد نظروا في ذلك من عدة وجوه تارة من حيث التخلل للعبادة بترك النكاح وتارة بغير ذلك كما تقدم فلينظر اليوم علماء الاسلام الى الخطر المحدق بالمسلمين وليعلموا أن الله خلق الذكور بقدر الاناث قريبا ودليل ذلك تعدد المواليد فانك تراه متعادلا تقريبا في جميع الكرة الأرضية . واذا كان التعادل جائزا ليكون الموائع لاعتائل لمن يجد من يمولن . فاذا تزوج جميع الصالحين للنكاح لم يبق هناك نساء لاعتائل لمن فاذا نفذ قانون على هذا الوضع وحسم على كل صالح للنكاح أن يتزوج صالحة للنكاح فذلك لا يمنع منه ديننا فان قوله تعالى - وأنكحوا الأباي منكم والصالحين - إلخ قد قال بعض العلماء بجعله للوجوب في مسألة الاماء والعبيد ولم يبق إلا أن نعمه فيكون للجميع . واذا صح ذلك أصبح الزواج فرضا لازما للصالحين له كفرض الصلاة والصيام . واذا قلنا ينعمه الفقر فالحكومات اليوم أصبحت تساعد التي لازوجة له فقد زال هذا المنافع واذا كانت فيه عاهة فينظر في أمره . واني لست أقطع في هذه المسألة . وانما أقول ان الجهال فيها متسع وديننا صالح له . فهنا أمر بقوله - وأنكحوا الأباي - وفي الحديث . والترغيب في النكاح كثير في الشرع واذا كانت ألمانيا وتركيا والروسيا يحرم من على أكثر نوع الانسان . ويفرض الزواج عند البعض على كل

صالح له وصالحه . فهل هذه الأمم تكون أحسن على اكثار النسل من الاسلام . كلا . قالنبي ﷺ يقول
 (تزوجوا الولود الودود فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة) ولعل في قوله تعالى - ان يكونوا فقراء بفهم الله
 من فضله - رمز الى ما خلفه دولة تركيا اليوم من تفريم الأعزب واعانة المتزوج والنظر الى امبراطور ألمانيا
 (غليوم) الذي كان السبب في الحرب كيف كان يحرض قومه على اكثار النسل وكيف أمر العلماء فاخترعوا
 صوراً للزوجة وصوراً للأعزب الناس يدخلون فيرون رجلاً أشعث وامرأة شعثاء متزويين في ركن
 المنزل قد آذاهما البرد وهما منكشيان وآخرين معهما أولادهما هذا يعمل وذلك يلعب وهذه تطبخ وهذا
 يصنع الخبز وهذه ترتب البيت وهكذا الأبوان مستبشران فرحان فيرغب الناس في النكاح وإنلك صارت
 ألمانيا نحو (٧٠) مليوناً . أما فرنسا فانها صارت أقل من أربعين مليوناً . فالمسلمون أولى باكثار
 النسل . واعلم أن التمسك المذكور في الآية لا يكون إلا حيث يتخلى قوم عن الزواج لهوا ولعبا أو فقرا .
 فأما اذا أمر الناس جميعاً بالزواج فلا تعتمد إلا اندرا جدا . واعلم أن التمسك اليوم في الاسلام لا يزيد على ثلاثة
 أو خمسة في المائة فإذا تم ما ذكرته قص التمسك بل ينعدم وأمة الاسلام قابلة لذلك لأنه اذا كان كل امرأة
 لرجل والله قد جعل العدد على هذا النوال ولم يخلق إلا بقدر خلق الذكر على عدد الاناث كما تقم فيكون
 التمسك إذن نادراً جداً بل يكون خارجاً عن العدل لأنه اذا كانت عندك امرأة سالحة للنكاح فكيف تحجبها
 عن رجل صالح للنكاح ويكون قوله تعالى - فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة - الخ مقرباً لذلك لأنه اذا كان
 خوف عدم العدل بين الزوجتين يمنع التمسك فليكن خوف حرمان الأعزب من امرأة سالحة للنكاح غير
 عدل . واعلم أن هذه المباحث أوردتها ولم أعط فيها رأياً . ولكن عرضتها لبحث العلماء وتفكير الحكماء
 ومراعاة مقتضيات الأحوال وتكون الفتيا على حسب الأحوال وهذا يحتاج الى إجماع أهل الحل والعقد في
 الممالك الاسلامية فما أجعوا عليه بعد البحث والتروي يصبح ديننا ومباحثي هذه مقتضات لمباحثهم المستقبلية
 إن شاء الله تعالى وسيكون في الأمة الاسلامية من قراء هذا التفسير من ينشرون هذه المباحث . وستكون
 مباحثهم اجاميه فما استقر الرأي عليه فلاخلاف فيه . اللهم اهد أممتنا الاسلامية الى سواء الصراط . انتهى
 الكلام على القسم الثاني من السورة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
 الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ
 زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
 الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي يَتُوبُ أَدْنَى اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرُ فِيهَا أَنْتُمْ
 يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْأُدْنُ وَالْأَصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
 وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا
 وَتَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ
 بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فُوفَاءَ حِسَابًا وَاللَّهُ

تَرِيحُ الْحِسَابِ • أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَنْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ
 ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ بَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَحْمِلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا قَا
 لَهُ مِنْ نُورٍ • أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ
 عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ • وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ
 • أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَعَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
 خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ
 يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ • يَغْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي
 الْأَبْصَارِ • وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى
 رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • أَفَئِذَا
 أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ
 وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ • وَإِذَا دُعُوا
 إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ • وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا
 إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ • أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ
 أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ • إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ
 يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ • وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ • وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَعْدًا أَيْمَانِهِمْ أَنْ يَفُرُّجَنْ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةَ
 مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ • قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ
 مَا جُمِلَ وَعَلَيْكُمْ مَا مَحْمَلٌ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ • وَعَدَ اللَّهُ
 الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا
 يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ • وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
 وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ • لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ

النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَقْذِرْكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظُّهُورِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ حَلَاةٍ عَلَيْكُمْ تَغْفِرَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَقْذِرُوا كَمَا اسْتَقْذَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ • وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ • لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَنفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِكُمْ أَوْ يُوْتُوا آبَائِكُمْ أَوْ يُوْتُوا أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ يُوْتُوا إِخْوَانِكُمْ أَوْ يُوْتُوا أَخَوَاتِكُمْ أَوْ يُوْتُوا أَعْمَامِكُمْ أَوْ يُوْتُوا عَمَّاتِكُمْ أَوْ يُوْتُوا أُخُوَالِكُمْ أَوْ يُوْتُوا خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُنَّ مَفَاحِشُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ • إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ • لَا تَحْمِلُوا دُءَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَمَا دُءَاءَ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَكُمْ لِيُذَاقُوا عَذَابَ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • أَلَا إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَتَوْمَ يُزْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْجَبُهُمْ يَوْمَ هُمْ مَحْمُولُونَ • وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ •

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (الله نور السموات والأرض) مزين السموات بالنجوم والأرض بالنبات والمياه ومزور قلوب أهل السموات والأرض من الملائكة والمؤمنين (مثل نوره) نور الله في قلب المؤمن (كشكاة) كصفة مشكاة وهي الكوة غير النافذة . ويقال أيضا الأنبوبة في وسط القنديل (فيها مصباح) سراج مضمخ ثاقب (المصباح في زجاجة) في قنديل من زجاج (الزجاجة كأنها كوكب دري) نجم مضىء من هذه الأنجم الخمسة

زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وهذه هي الأنجم النارية منسوبة للدر في الصفاء (يقود) المصباح
أو توقد الزجاجة أى مصباحها (من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية) أى أخذ دهن هذا القنديل
من شجرة الزيتون بفلاة لا يصبها ظل الشرق اذا غربت الشمس ولا ظل الغرب اذا طلعت الشمس بل هي
مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وغروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من
الأمريين فيكون زيتها أصوا وأصفى أولانابة في شرق المصورة ولاغربها بل هي في الشام وزيتونه كما يقال
أجود الزيتون (يكاد زيتها يضيء) من وراء قشرها (ولولم تحسه نار) فلازيت لصفائه وتلاؤه يكاد يضيء
من غير نار وباجتماع المشكاة الجامعة للنور والزجاجة المقوية له والمصباح المتقد والزيت الصافي يكون النور أقوى
فلولا المشكاة لتفرق في الجهات الست ولولا صفاء الزيت لم يكن الضوء باهرا ولولا الزجاجة لم يكن متضاعفا
وهذا معنى قوله تعالى (نور على نور) وقوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء) لنور المعرفة ودين الاسلام
ونور البصيرة وهذا النور الثاقب (ويضرب الله الأمثال للناس) قريبا لأفهامهم ليعتبروا (والله بكل شئ عليم)
فبين كل شئ بالطرق التي يعلم انها توصل اليه . وقوله (في بيوت) أى تلك القناديل المدلول عليها بالمشكاة
والمصباح والزجاجة والزيت معلقة في مساجد (أذن الله أن ترفع) أمر الله أن تعظم فلا يدكر فيها الخ من
القول وتظهر من الانحسار والأقدار (ويذكر فيها اسمه) يتلى فيها كتابه ويبحث في أحكامه وأفعاله (يسبح
له فيها بالغدو والآصال) يصلح له بالعادة صلاة الفجر والآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين ووحيد الغدو
لأن صلاته واحدة وفي الآصال صلوات وهي جمع أصل ككتب جمع أصيل وهو العشي وقوله (رجال) فاعل
يسبح ومن قرأ - يسبح - بالبناء للجهد فيكون مسندا لقوله - له - ورجال فاعل لما دل عليه يسبح
أى يسبح له رجال (لأنهم تجارة) لا تشلهم تجارة في السفر (ولا بيع) في الحضر (عن ذكر الله) باللسان
والقلب (واقام الصلاة) أى وعن إقامة الصلاة وحضور المساجد لذلك (ولإيتاء الزكاة) المفروضة (يتحافون
يوما تنقلب فيه القلوب والأبصار) أى هؤلاء الرجال وإن بالفوا في الطاعات من الصلاة والزكاة وذكر الله
وخالون خائفون لأنهم يعلمون انهم ماعبدوا الله حق عبادته وما قدره حتى قدره ويخشون يوما تضرع فيه
وتتغير القلوب فتفقه مالم تكن تفقه وتبصر الأبصار مالم تكن تبصر وتخشى الهلاك وتقطع في النجاة (ليجزئهم
الله أحسن ما عملوا) يقول اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزئهم الله أحسن ما عملوا وهي
الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها . وأما غير الأحسن وهي المساوي فهو يغفرها لهم أو يجازيهم جزاء
أحسن من أعمالهم من عشرة الى سبعمائة ضعف (ويؤتيهم من فضله) فهو لا يقتصر على مكافأتهم على أعمالهم
(وإن الله يرزق من يشاء بغير حساب) لكلال قدرته وسعة إحسانه وفضله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) وهو
ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب أى يجرى على وجه الأرض كأنه ماء يجري (بقية) جمع
قاع وهو الأرض المستوية (عسبه الظمان ماء) يظنه العطشان ذلك (حتى اذا جاءه) أى جاء الى ما نوه
انه ماء (لم يجده شيا) كما ظنه (ووجد الله) أى جزاء الله (عنده) عند الكافر (فوفاه) أعطاه (حسابه)
جزاء عمله وأفيا كاملا (والله سريع الحساب) لا يشغله حساب عن حساب . روى انها نزلت في عتبة بن ربيعة
ابن أمية تعبد في الجاهلية والخص الذين فلما جاء الاسلام كفر . وقوله (أو كظلمات) عطف على - كسراب -
يقول الله ان أعمال الكفار إن كانت حسنة فهي كسراب الخ وإن كانت سيئة فهي كظلمات (في بحر الخي)
ذى لج أى عميق والبحر معظم الماء (يشاء) يشي البحر (موج من فوق موج) أى أمواج مترددة متراكبة
(من فوق) من فوق الموج الثاني (سحاب) غطى النجوم وحجب أنوارها هذه (ظلمات بعضها فوق بعض)
أى ان البحر يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورة الماء فاذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق
الأمواج سحاب بلغت الظلمة حدا لا يطاق (اذا أخرج يده) وهي أقرب ما يرى اليه (لم يكديراها) لم يقرب أن يراها

ففسلا عن رؤيتها (ومن لم يجعل الله له نورا) ومن لم يوفقه لأسباب الهداية (فأله من نور) وأما الموفق
فله نور على نور كما تقدم في مثل المشكاة . واعلم أن الآيات المتقدمة قد اشتملت على ﴿ نخلين ﴾ النخلة الأولى
تسبيح الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله في مثل المشكاة ﴿ والنخل الثاني ﴾ السحاب المنبج
في مثل أعمال الذين كفروا إذا كان فوق الأمواج الهائجة في البحر اللجج الخ لتلك أخذ يذكر ما يناسب الأول
قائلا سبحانه أن كل من في السموات والأرض يسبحون له وخصص نوعا منها بديع الصنع عجيب الوضع
والإحكام وهي الطير حال كونها صافات باسطات أجنحتها في الهواء مع تقلل أجسامها فبالحكمة ارتفاعها
وبالنظم البديع طيرانها مخالفة لساير الدواب الأرضية إذ قويت على مخالفتها ومغالبة القوة الجاذبة الأرضية فقلت
إلى الجوز وعاشت في الهواء الطلق فدلائها على المبدع الحكيم أقرب وابداعها أحكم كل واحد مما ذكر (قد
علم) الله (صلاته وتسبيحه) دعاء وتزنيه وذلك إما باختياره كالإنسان وإما بطبعه كساير الحيوان والطير
فأنها وإن لم تصل كماله الإنسان فإن غراتها المستمدة من النور الأعلى تستمد الرزق والأحوال من المبدع
وهذا الاستدداد والطلب في معنى الدعاء بالفرزة والطبع وهي بما ركب فيها من دقائق الصنعة وبدائع الحكمة
وما حليت به من الريش اللامع البهج المحرف الخفيف والناقير المكددة للمساعدة على التهوض في الهواء . بذلك
كأنه تدل على حكمة نظمها وحكم أبداعها . ألم تر أنها كيف كتب الجلل والارضاع على ذوات الأربع ولم تحمل
هي الملائكة لها به بل حكم عليها أن تبيض ولم تحمل أذى الجلل والارضاع خيفة أن يعيقها عن الطيران
وخف ريشها وكان محقوقا ولم يكن لها كرش ولا أمعاء واستغنى عن ذلك كله بغيره من الخوصلة والقنافة . كل
ذلك إبداع واتقان لئيم أمر الطيران بخفة الأجسام - فتبارك الله أحسن الخالقين - (والله عليم بما يفعلون)
ونه ملك السموات والأرض) فهو يشملهما بعلمه ويملكهما بقدرته . فبالعلم يقدر المصالح والقدرة يفعل ما
يقضيه العلم من الحكمة فلذلك كان تديرها محكما بحيث خصص كلا بمخسة لا يشركه فيها سواه (والى الله
المصير) المرجع . ثم أخذ سبحانه يذكر ما يلائم ﴿ النخل الثاني ﴾ فقال (ألم تر أن الله يزيح السحابا) يقول
الله بعد أن ذكر في المثل الثاني أن السحاب فوق الأمواج المتراكمة يزيد الجوقلعات ويوقع الراكب في حيرة
ألم تر أن الله يسوق السحابا (ثم يؤلف بينه) أى يضم بعضه إلى بعض (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق
بعض (فترى الدوق) المطر (يخرج من خلاله) من فوقه جمع خلل كجبال في جبل (ويترك من السماء)
من الغمام وكل ما علاك فهو ساء (من جبال فيها) من قطع عظام تشبه الجبال في عظمتها وألوانها (من برد)
من للتبقيض والتتان قبلها لا ابتداء أى انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها . وذلك أن الأبخرة إذا
تصاعدت فلبثت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمعت وصارت سحابا فإن لم يشتد البرد تقاطر
مطرا وإن اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل لثجا والاز نزل بردا وقد يبرد الهواء بمافيها
من البخار بردا مفرطا فينقبض وينتقد بخاره سحابا وينزل منه المطر أو الثلج . وهذا المقام قد أوضحته فيما تقدم
في ﴿ سورة الرعد ﴾ ويتضح قريبا (فيصيب به) بالبرد (من يشاء ويصرفه عن يشاء يكاد سنا برقه)
ضوء برقه (ينهب بالأبصار) بأبصار الناظرين إليه من فرط الاضاءة وذلك من الهباب أن السحاب الذى
ضرب به المثل في تقوية الظلمة يكون منه نور يكاد يذهب بالأبصار فهذا قد اشتق النور من الظلام والهداية
من الضلال . فالسحاب الذى ذكر مثلا لظلمة أعمال الكافرين أسماء الجوق بنور وأشرق في سائر الأقطار
وكاد يخطف الأبصار ولذلك أعقبه بما هو من قبيله فقال (يقب الله الليل والنهار) بالمعاينة بينهما وبأن
ينقص من أحدهما ما زاد في الآخر ويتغير أحوالهما نورا وظلمة وحرا وبردا وغير ذلك كما كان السحاب
ظلمة واشتق منه نور البرق الذى يهر الأبصار (إن في ذلك لعلوة لأولى الأبصار) لدلالة أهل العقول والبصائر
على قدرة الله وحكمته

(فصل في علم الحيوان)

اعلم أن الله تعالى لما ذكر مثل المؤمنين بالشكاة ومثل أعمال الكفار بالسراب وبالظلمات وذكر منها السحاب ثم جعل ذلك السحاب موضوع نظر وبحث وبين نظامه وهما به وأن الماء ينزل منه أنبه سبحانه يذكر الحيوانات لأنها من الماء النازل من السحاب . وذلك أنه ما من حيوان إلا وهو مركب من مواد أهمها الماء قلنا نزل من السحاب وجزى في النهر وفرقت من أجزاء فسخت في جسم كل حيوان (١) فمن الحيوان ما يتكاثر بالانقسام بمعنى أنه إذا بلغ أشده انقسم إلى اثنين كل منهما إلى اثنين وهكذا على التعاقب

(٢) ومنه ما ينقسم الحيوان منه إلى عدة حيوانات

(٣) ومنه ما إذا بلغ أشده انفجر فخرج منه حيوانات صغيرة تموت وتناسل ويموت هو

(٤) ومنها ما ينقسم بالتبرعم وذلك أنه ينبت على جسم الحيوان تنوء كالبرعم ثم يبلغ فينفضل ويصير حيوانا مستقلا

(٥) ومنها ما ينقسم بالبيض إذ يتكوّن الجنين في البيضة كما يحدث في ذوات الفقرات . فنه ما يخرج فيه البيضة من الأتى قبل بلوغ الجنين وتم حضانتها في الخارج كالطيور وبعض السمك . ومنها ما تبقى البيضة في الرحم ويتكوّن الجنين فيه ثم يولد كاملا كالإنسان وذوات الأربع من البهائم والوحوش والسباع وما أشبه ذلك . فكل هذه تلد الجنين بعد أن يتربى في بطنها وهذه الحيوانات على اختلاف أنواعها مكونة من الماء مختلطا بغيره مختزجا به متحدا معه وهي

(١) إما حيوانات فقرية ذات عظام ودم وهي (أ) الإنسان (ب) وذوات الأربع (ج) والطيور (د) والسمك (هـ) والزواحف كالحيات (٢) ولما حيوانات حلقية قد تركب جسمها من حلقات (١) وهي الحشرات كالنمل وأبى دقيق من كل ماله ستة أرجل (٢) والعنكب وهي ذوات ثمانية أرجل (٣) وباله أكثر من ٤٠ رجلا (٤) وقارض الخشب (٥) والسرود

(٣) ولما حيوانات قشرية ليس لها عظام ولادم ولا حلقات تركب منها جلدها وإنما جسمها هلامي قد يحفظ في قشر يحيط به وذلك كالقروقة وغيرها مما تقدم شرحه في هذا التفسير (٤) ولما حيوانات شعاعية تظهر على شواطئ البحار كالحيوان المسمى (سمك النجم) وغيره مما تقدم شرحه موضعا ولعلها تتنح بأوسع من هذا قريبا

هذه هي أقسام الحيوانات وقد علمت أنها كلها خلقت من ماء أى أن الماء داخل في تركيبها . فتجب كيف ذكر الله السحاب في مثل أعمال الكفار ثم شرح السحاب وعجائبه ثم ذكر الحيوان المتخوف من الماء من حيث تركيبه منه وكذلك أكثر الحيوانات يتولد من نقطة وإنما قلنا أكثر لأن بعضه قد رأيت أنه يتولد من تنوء في الجسم أو بالانقسام . فهذا ليس تولده من نقطة بل ذلك بالانقسام - وربك بخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحانه الله وتعالى عما يشركون - وإذا فهمت هذه المقتمة عرفت أيها الذكر قوله تعالى (والله خلق كل دابة) حيوان يلد على الأرض (من ماء) وهو جزء ملاذته أوماء مخصوص وهو النقطة وقد علمت شرحه وأقيا كاملا (فمنهم من يمشی على بطنه) إشارة إلى الزواحف التي هي من ذوات الفقرات كالحيات (ومنهم من يمشی على رجلين ومنهم من يمشی على أربع) وذلك كالطيور وكنوزات الأربع كما تقدم (يخلق الله ما يشاء) مما ذكر وما لم يذكر ومنه ذوات الحلق وذوات القشر والحيوانات الشعاعية وما يمشی على ستة أرجل وعلى ثمانية أرجل وعلى أربعين رجلا . وهذه تقدم أنها من ذوات الحلق (إن الله على كل شئ قدير)

وهو بقدرته نوع الحياة فلم يخص بها ذوات القفريات ولا ذوات الحلقات ولا الحيوانات ذوات القشريات جسمها رخوفتاه جعل الحياة سارية عامة فلا يعجبها فقد العظم ولا فقد اللحم ولا فقد الحلقات ولا فقد القشر . وترى البودة العارية التي لا عظم لها ولا جلد عائشة فرقة . وترى نوع الحشرات وحده كالنمل والنبات والبوض والناموس والجنادب والخنافس والنحل والبعسلان ودود القز ونحوها أصنافا كثيرة ربما زاد عندها على مجموع سائر أصناف الحيوانات من البود الى الانسان . ولقد وجدوا أن الخنافس وحدها نحو (٨٠٠٠٠) صنف ولذلك يفترون الحشرات المعروفة بنحو (٢٠٠٠٠٠) ويتوقعون أن تبلغ بما يكشفونه من أنواعها الصغيرة مليون صنف . وهذه الحشرات كلها ما علم منها وما لم يعلم يمر في دور التكوين على ثلاث درجات فهو يكون دودة لدنة للمس تنسل بين التراب أو الأعشاب ثم تصير جنديا صلب القشر يرب وتنام ثم يصير فراشة ذات أجنحة تتلألأ بالألوان الزاهية . وقد تأكل في دورها الأول التراب فتهضمه وتصبح في دورها الثاني لاتهمض إلا أوراق العشب السدية . ومنها دود الحرير فهو يكون دودا فشرقة ففراشة ثم تبيض الفراشة بزورا والبزور تصير دودا والسود يفرز لعابا واللعب يصير خيوطا وهو الحرير يصنع به غلافا يكمن فيه وهي الشرقة ثم يخرج من الشرقة فراشا بأجنحة يتزاوج ويبيض . ومنها النباب الاعتيادي فهو يلقي بزورا صغيرة بيضاء تصير دودا أبيض وهو السود المعروف الذي يشاهد في اللحم المتبخر والجبن والمش القديم ثم يتحول ذلك السود الى جناب نذب لا أجنحة لها ثم يتحول الى فراش يطير ومنه القباب الفارسي فانه يكون في السود الأول دودا ثم يخلع ثوبه ويصير جنديا يذب تحت الماء يتسلق الأعشاب المائية وله قوائم قصيرة بلا أجنحة ولا يعيش إلا في الماء أو الأوحال فاذا جاء أجل انتقاله الى فراش تسلق أوراق العشب وخلق ثوب (الجندية) فاذا هو خارج من تحتها ذا أجنحة صغيرة جيلة وبعد قليل تصير كبيرة يطير بها الى حيث يشاء . وكان الناس قبلا يظنون أن كل دور من هذه الأدوار حيوانا مستقلا فالسودة غير الجندب والجندب غير الحشرة الطائرة وهكذا . واعلم أن الناس يأكلون الجبن واللحم ويرون فيها السود ولا يحظر بياضهم أن هذا السود هو عين النباب الذي يطير على وجوههم وطعامهم أنه هو وهذا السود هو الذي يصير جنديا أو شرقة ثم يصير حشرة طائرة وهي التي تبيض ويبضا يصير دودا . ومن ذلك الناموس فانه يضع بزورا في الماء تصير دودا فيه وذلك السود يصير شرقة وهي تصير ناموسة وهكذا . والطريقة لإبادة الناموس ردم المستنقعات والآجام أو تغطية سطوحها بالسائل المسمى بقرول . وهذه الأدوار الثلاثة لهذه الحشرات مختلفة . فالسودة لا عمل لها إلا الاغذاء كالأطفال في بني آدم فهي تموت وتزيد ثم تنكس كما نرى دودة الحرير وقد تنكس ثوبا تنسجه على نفسها من خيوط فهي حينئذ الشرقة وهي بكثة محبطة ملفوفة بالأكفان ثم لانبت أن ترى الحياة أخذت نذب في تلك الجثة رويدا رويدا حتى تبث من مرقدها وتخلع أكفانها وقد لبست ثوبا جديدا زاهي اللون من أزرق أو أخضر أو أحر أو ذهبي أو عقيق أو بنفسجي . فتجذب من حشرة بهجة اللون بدبعة التركيب منقشة مرقنة نشأت من رمة شجاة لا يظهر للحياة فيها أثر . ومن هذا نشأ تقيديس المصريين القدماء للبعسلان (جمع جعل) فانها نشأت من رمة مائة فرمزوا بها للحياة والنسب وأكثروا من رسمها في كتاباتهم ونقشوها على الحياكل وصنعوا لها التماثيل بأقدار مختلفة وكانوا يصلون لها . فاعجب لصنع الله وكيف خلق هذه الهباب ولون الألوان وأبدع الأشكال وحبر الأبواب حتى جعل علم الحشرات مدهشا . وقد تقدم بأوسع من هذا في آخر (سورة الحج) ولعمري ان المسلمين أحق الأمم بفهم هذه الهباب

أي عنبر المسلمين في جهالتهم . يقول الله في هذه الآيات - فمنهم من يعيش على بطنه ومنهم من يعيش على رجلين ومنهم من يعيش على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - . فانظر كيف قال انه يخلق ما يشاء وقال انه على كل شيء قدير مشيرا بذلك الى الاختلاف وحسن الصنع الذي رأيناه

وكيف كانت الحشرات موضع الحب للآثم حتى قدس المتقدمون من الأمم منها لأن علماءهم لم يدينوا لهم عجائب إلا عجائبها ولوانهم فتحوا لهم باب العلم على مصراعيه كما فتحه القرآن لم يقفوا في العجائب عند حد الجعلان فقدسوه بل التقديس لصاحب الصنعة الذي زين وقش وزخرف وأبهج صنعه وأبدع اتقانه وجعل دودة ريمًا هضمت الطين فتصير فراشة لاتهمض الطين ولأن آكله بل تأكل ماهو أल्प . إن هذا العالم عجيب - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون - وههنا رب لطائف

(١) في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - الى قوله - كشكاة فيها مصباح - الخ

(٢) وفي قوله - والله يرزق من يشاء بغير حساب -

(٣) وفي قوله - والطير صافات - الخ

(٤) وفي قوله - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الى قوله - يكاد سنا برقة يذهب بالأبصار -

﴿ الطيفة الأولى في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كشكاة فيها مصباح - ﴾

اعلم أن هذه السورة قد بين الله فيها أحكام الزانية والزاني وجلدهما وبين حكم من ربي زوجته بالزنا وعقابه وبين حكم الملاحنة وكيف يتفرق الزوجان بها ثم قصة الأفك وكيف خاض الناس فيه وجعل هذا الحديث كحديث مريم ابنة عمران في عفتها وانها أحصنت فرجها . ثم أبان كيف يجب أن يعفو الانسان ممن ظلمه كما امتثل أبو بكر الصديق رضي الله عنه فعفا عن مسطح . ثم أمر الرجال والنساء بفض الأبصار وحرم عليهن أن يظهرن زينتهن لغير المحارم ثم بين حكم النكاح والمكاتبة تسكيناً للنسل في الأول وحفظاً للفرج وعتقا للعبيد الذين هم عباد الله وبين انه يجب أن ينفق من المال في سبيل العتق فإن المال مال الله والخلق عباده فتحا لباب الحرية لأن نبينا ﷺ أرسل رجة للعالمين ومن رحمة لهم أن يكون دينه فاتحاً لباب الحرية والطلاق العبيد من رقهم . ثم ختم ذلك بأن هذه آيات مبينات ومواعظ للعتيقين . ولما كانت هذه الأحكام إنما أتت بها لتعليم الأخلاق والآداب وحفظ المجتمع مما يقوض دعائمه وتقويه بما يكثر النسل فيه وكان ذلك مقتماً لما هو أعلى مرأى وأجل وأعظم وهي المعارف والعلوم أردفه بقوله - الله نور السموات والأرض - كأنه تعالى يقول أيها الناس لاتلهمكم الأحكام الشرعية من الحلال والحرام وأحكام الزنا والنكاح والقذف وما أشبه ذلك لاتلهمكم عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كما قال في آية أخرى - يا أيها الذين آمنوا لاتلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله . - فههنا كأن الله يقول لاتلهمكم أيها الناس أحكام النكاح والقذف والعتق وحده والزنا وعقابه عن عظامهم الأمور وجلالته . أيها الناس ارضعوا رؤسكم الى أعلى . انظروا الى جلال ونوري في شمس وفي قمر وفي النبات والزهر والنهر . أنا لم أخلقكم في هذه الأرض لتكونوا فيها ظالمين وإنما خلقتكم لتعيشوا آمين أمداً ثم أنقلكم الى دار أجل من هذه ولن تنالوا تلك الدار الجيلة إلا اذا نظرتم جلال وفهمتم بعض حكمي وابتدأ ذلك بقوله - الله نور السموات والأرض - الخ

واعلم أن الله جعل هذا المثل نبراساً للعالم المشرقة . ضربه بمناشده كل يوم في مساجدنا . يقول الله أي عبادي أتريدون أن أعرفوا حكمتي في خلق . انظروا القناديل المعلقة في مساجدكم . انظروها ألا ترون أنبوبة فيها زيت أحاط بها زجاجة اشتعلت فيها نار فأضاءت المساجد وأتم تصلون فيها . فهذا نظم مركب تركيباً أنتج هذا النور الذي أشرق على أعيانكم فأضاء لكم مساجدكم هكذا نوري المشرق في عجائب خلق . وههنا أخذ الناس يفكرون في ذلك الثبيل فقوم خصوه

(١) فقالوا ذلك ثبيل محمد ﷺ

(٢) وقوم قالوا لا يراهم عليه الصلاة والسلام

(٣) وقوم قالوا ذلك لك كل مؤمن فعضوا

(٤) وقوم قالوا . كلا . بل هو لكل انسان أى لقواه السراكة

(٥) وقوم قالوا بل هو لقواه العاقلة

(٦) وقوم قالوا هو للقرآن

اختلفت أنظار العلماء في هذا التمثيل على مقدار فهمهم ومقتضى نظرهم ومقامهم في العلم فمن كان لا يعرف إلا الايمان قال به . ومن كان مضمورا في نور النبوة قال بها . ومن كان ذا نظري السموات والأرض والعالم عجم المثل فتارة أرجحه لنفس الانسان وتارة لقواه العاقلة وتارة لقواه العاقلة وهذا أعم الأقوال لأن الانسان يشمل الأنبياء والايمان القائم بالقلوب . واعلم أن هذا المثل اللفظي الذي جعل مشا كلا لجذاب أجسامنا وعقولنا وادراكنا أشبه بما نصبه الله في الأرض من الأجسام الانسانية إذ أحكم صنعها ونظام أعضائها وخلق وسوى وقطر وأحكم جعلها العلماء تمثيلا لامور وهي

(١) كالسيفنة تركها الروح في بحر الحياة اللحي حتى تصل الى شاطئ الموت

(٢) أو كالمداري فيها السكان المختلون من القوى السراكة وأعضاء الحس وأعضاء الحركة والمأخضة والمصورة والغاذية وما أشبه ذلك وفيها أمتعة كالصفراء والسم والبلغم ونحوها

(٣) أو كاللوح والنفس تنقش فيها وترسم وتعلم حتى اذا علت ما تطيقه رمت باللوح وراحت الى ربها كما ان الطفل يقرأ في اللوح ويتعلم حتى اذا عرف القراءة المطلوبة ترك اللوح وذهب الى ما يريد

(٤) أو كالدينة والروح ملكها والأعضاء منازلها الخ

(٥) أو كالديكان والروح صاحبها والأعضاء الباطنة متاعها والأعمال تجارتها والريح والخسارة في آخرها وهكذا . هكذا هذا المثل وهو قديلا المسجد

{ الوجه الأول من الوجوه السابقة }

إن هذا التمثيل لنور محمد ﷺ فللمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة تودد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد ﷺ وأمره يتبين للناس ولولم يتكلم به انه نبى كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولولم تحس نار

{ الوجه الثاني }

المشكاة جوف محمد ﷺ والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لاشرقية ولاغربية ليهودى ولانصراني - تودد من شجرة مباركة - وهو ابراهيم عليه السلام - نور على نور - نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد ﷺ وهذان الوجهان متقاربان

{ الوجه الثالث }

المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد ﷺ . سمي الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم لأن أكثر الأنبياء من صلبه - لاشرقية ولاغربية - يعني ابراهيم لم يكن - يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما - لأن اليهود تصل الى الغرب والنصارى تصل الى الشرق

{ الوجه الرابع }

انه لكل مؤمن وهذا أرقى مما قبله وأوسع مدى على حسب ارتقاء النظر واتساع الفكر فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح الايمان في قلبه والقرآن يوقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده وهذا التمثيل وإن كان أعم مما قبله فهو قاصر على قوم مختصين

{ الوجه الخامس }

إن هذا تمثيل لما منح الله به عباده من القوى السراكة الخمس التي بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي

تدرك بها المحسوسات بالحواس الخمس . والقوة الخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العاقلة متى شئت ثم العاقلة التي تدرك الحقائق الكلية وتستنتج . ثم القوة القدسية التي تجل فيها لوائح القيب الخاصة بالأنبياء فهذه مثلها بالشكوة والإبجاجة والمصباح والشجرة والزيت . ألا ترى رعاك الله أن المشكوة بمعنى الشكوة قد شابهتها محال الحواس التي قد وضعت فيها ووجهها إلى الظاهر والإدراك ماوراءها كالعين فأنها لا تدرك ما خلفها ولكن تدرك ما أمامها ثم انك تعلم أن الانسان اذا أدرك المحسوسات وصورت في نفسه صارت في القوة الخيالية كما يحس به كل انسان فأننا اذا أغمضنا أعيننا فأننا ندرك في أنفسنا تلك الصور التي رأيناها فهذه القوة التي حفظت تلك الصور نسميها الخيالية فهي كالزجاجة تقبل صور المدركات وتضبطها ثم إن قوتنا المفكرة أكبر من هذه القوة الخيالية فإن هذه القوة الكامنة فينا تنصرف في الصور التي في قوة الخيال فتقول هذا حسن وهذا قبيح وتستنتج فهي كالمصباح . فأما القوة العاقلة فهي كالشجرة المباركة لأنها تؤدي إلى ثمرات لانها لها . فأما كونها زيتونة لاشرقية ولاغربية فذلك انها تجرد للمعاني عن الصور وتخزع القضايا الكلية التي لا تخص شياً بعينه أى لاتعبد بالجزئيات . فاذا أدركت أن الكل أكبر من الجزء وأن الشئين المساويين لشئ واحد متساويان فلم يكن هذا المعنى خاصاً بشئ دون شئ فهو لاشرق ولاغربي بل هو عام . فأما الزيت فهو كالقوة القدسية الخاصة بالأنبياء فهي لشدة صفاتها تكاد تضيء بالمعارف من غير تعليم ولا تفكر

﴿ الوجه السادس ﴾

إن هذا تمثيل للقوة العاقلة وحدها . فهي في بدء أمرها خالية من العلوم ثم تنقش فيها العلوم بالحواس الخمس فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للألوان ثم تعرف العلوم بفكرها كالشجرة الزيتونة أو بالمحسوسات كالزيت أو بقوة قدسية كالتي يكاد زيتها يضيء فأنها تكاد تعلم وإن لم تتصل بها العلوم . فان اتصلت بها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شئت فهي المصباح فاذا استحضرتها كان نوراً على نور

﴿ الوجه السابع وهو أسهلها ﴾

قال ابن عباس ﴿ هذا نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعلم بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور ﴾

هذه هي الوجوه السبعة التي ذكرها العلماء . وأنت ترى أن الآلة صالحة لها جميعها لأن الأنبياء ونوع الانسان والعقول كلها تشابه تلك القناديل المعلقة في المساجد . وكأن الله يقول لعباده بهذا المثل انظروا إلى هذه القناديل المعلقة في مساجدكم التي نورت أرضها وحيطانها . هكذا أنا أرت قلوبكم وقلوب أنبيائكم وعقولكم وحواسكم وأنعمت عليكم بنعمة الحواس والخيال والعقل والقوى المدركة ، فأبراهيم ومحمد والمؤمنون ونوع الانسان وحواسهم وعقولهم وخيالهم وقواشهم العاقلة . كل هذه أنوار مثلت لها بهذه القناديل . اني نور السموات والأرض . أرت السموات بالكواكب والشموس وأرت السبل والطرق بالنجوم وجعلتها علامات لكم وجعلت كل شئ بحساب ونظام وجعلت هذا القنديل مثالا لكم وأنتم تصلون في مساجدكم فهذه القنديل أذكركم بنوري في سمواتي بالكواكب والشموس والأقمار . وهو مثال أيضاً للأتولر المشرقة في نفوس أنبيائكم كمحمد وإبراهيم وقواكم العاقلة والحاسة والخيالية ومجانب قوسكم . إن نوري مشرق في العالم العلوي والسفلي

﴿ عجائب القرآن في قوله تعالى أيضاً - الله نور السموات والأرض - ﴾

انظر إليها الذي إلى نظم القرآن وعجائبه . انظر وتجب . انظر كيف أتى بعد آيات العتق والنكاح والقذف والملاعنة بآيات النور . يقول الله أيها المسلمون . إياكم أن يشرككم أحكام الشرع وإقامة الحدود ونظام

الأسرار والزواج والعق والمكاتب وأحكام الحرام والحلال عن النظرات المجانب خلقى . إياكم أيها المسلمون أن يصرنكم صارف عن مجانب صنئ . إياكم أن يصدكم علم الفقه عن علم الكائنات . انظروا إلى السراج الموضوع أمامكم في كوة المسجد . انظروا . إن سمواتي فيها سرج من الشمس والأقمار والسيارات . إن حقولكم فيها سرج . إن حواسكم وقواكم الداخلات فيها سرج . إن دينكم سراج . إن أنبياءكم سرج . إن المؤمنين سرج . إني أضأت كل شئ بأنوارى وعلوى ظاهرا وباطنا . إن مساجدكم يسبح فيها قوم بالقدوس والأصايل فلا تلهيهم بحجارة ولا بيع . هكذا لا يشغلكم ما تقدم من علوم الفقه في هذه السورة وغيرها عن النظر إلى مجانب صنئ . هذا هو الذى فهمته أيها الذكرى من هذه الآية وقوله - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - الخ

اللهم إني أسألك أن تقدرنى على اتعلم تفسير القرآن وأن تنشره بين المسلمين . اللهم إني أسألك أن تثير بصائرهم كما أثيرت السموات والأرض وأشرق الأرض بنورك . اللهم ابث فيهم رجالا منهم يرشدونهم إلى مقاصد القرآن فترتنى الأمة إلى سبل النجاة وطرق الفلاح

(إضاح الكلام على التبديل والمشكاة في المسجد)

تبين لك فيما تقسم أن الله عز وجل علم قبل أن ينزل القرآن ضف النوع الانساني وأن المسلمين بعد القرون الأولى سيمضون قاصرين على الأحكام الشرعية وهم فيها غير ملبومين ولا مذمومين ولكن اليوم والهم إنما يتوجه إليهم لتصويرهم واقتضاهم على الأحكام الشرعية . لذلك تراه في (سورة البقرة) لما ذكر الحليض والرضاع والنفقات والطلاق والعدة والرجعة وما أشبه ذلك فأجاب المسلمين بقوله - حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين - ولقد بينا هذا القول هناك فأرجع إليه كأنه يقول للمسلمين إياكم أن تشغلكم القضايا والشهود والطلاق والعدة والمهر والنفقة والعدة وسائر الأحكام الشرعية عن التوجه لله فإن هذه أمور لحفظ نظامكم وارتقاء مدنكم وإسعادكم في الحياة الدنيا . فأما ارتقاء العقول فأنما يكون باتجاه النفوس إلى خالق الكون وذلك بالمحافظة على الصلاة والتوجه إلى الله فيها . هذا ما كان هناك . ولكن اسمع ما هو أهم هنا . هناك ذكر الصلاة وهنا أتى بما هو أعظم مقاما وأبعد إحكاما . لم يكنف بالصلاة بل ذكر المقصود الأعظم من الصلاة ومن جيع هذه الحياة إذ عبر بالنور الذى عم السموات والأرض نور الشمس ونور القمر ونور السراج . ومأنور السراج إلا أثر من آثار أنوار الشمس . ألا ترى إلى الزيت كيف كان في الشجر والشجر كيف كان عناصر أرضية والعناصر الأرضية كانت ملذة ساذجة لا صورة فيها والمادة قبس من نور العقول المجردة فاضت من ذلك العالم الأقدس بالنظام الأكل فذكر نور السموات والأرض بالكواكب ومثل بالسراج الذى هو أثر من آثار النور العام مثل به لما هو أنم وأكل وهو نور العقول والباطر . وإيضاحه أن تقول . أعلم أن العقل عند الحكماء كأرسطاطاليس وأفلاطون وسقراط والفارابى وابن سينا والغزالي والرازي وابن رشد وأضرابهم إما عقل بالقوة وإما عقل بالفعل وإما عقل مستفاد وإما عقل فعال وهذه هي التي ضرب لها مثل المشكاة على حسب الحقيقة وما تقدمت إنما هو أجمال وهذه البياض لا يعقلها إلا الحكماء . ولكنى سأضرب لك مثلا يوضح المقام لك حتى تطلع على مجانب الحكمة وبدائع العلم وتقف على السر المصون والجوهر المكنون فأقول

تصور شابا ذكى الفؤاد رائع الفكر قوى الذهن مستعدا للتجارة فهذه حال أولى وهو في صفره ثم إن هذا الشاب تعاطى التجارة وأخذ يقبض المال ليعمد إلى فتح فكسب ألفا وبالألف كسب ألفا أخرى وبهما كسب ألفين وهكذا فهذه حال ثانية . ثم انه اذا اجتمع عنده آلاف ونال الثنى على مقدار طاقته بحيث لا يقبل الزيادة وأخذ يقبض المال كله مرة بعد أخرى فهذه حال ثالثة . فهذه الأحوال الثلاثة يمكن أن نسميها على الترتيب

غنى بالقوة وغنى بالفعل وغنى مستفاد فهو قبل أن يملك شيئاً غنى بالقوة أى انه فى امكانه أن يكون غنياً ومضى ملك شيئاً بعد شئ يقال انه غنى بالفعل بالنسبة لما ملكه وبالقوة بالنسبة لما يملكه فإذا تم غناه يقال انه غنى بالفعل ولم يبق هناك ما هو بالقوة بالنسبة له فإذا قلب المال مرة بعد أخرى يقال ان هذا غنى مستفاد . هذا مثال أول (المثال الثانى) شاب ذكى كالتقدم هو ابن ملك فهو قبل أن يملك يقال له ملك بالقوة فإذا ملكه أبوه ولاية يقال له قد ملك بالفعل شيئاً وبالقوة شيئاً آخر فإذا مات أبوه وولى مكانه قيسل انه ملك بالفعل فإذا أتى الأوامر مرة بعد أخرى قيل ملك مستفاد مثلاً . هذان المثالان اذا عقلتكما أدركت ما سأوضحه لك الآن فأقول . اعلم أن العقول الانسانية فى أول أمرها مستعدة لاقتناص الصور من هذه المادة التى نعيش فيها فكل امرئ فى أول حياته ينظر ويستمع ويشم ويفرق وليس وهذه الذوقات والشمومات والملموسات والمسموعات والمبصرات صفات المادة وصورها وهذه الصور جلايب لمادة وقد عطاها الحكاء فكانت (٣٧) كالألوان والأصوات الخ . فهذه الجلايب التى كسبت بها المادة خلق العقل ليكتسب بها ويلبسها فان الطفل نراه مستعداً لفهم ما حوله ودراسة فهو قبل فهم الأشياء عقلها بالقوة لا بالفعل أى انه مستعد لتعلق قل إذا عقل صورة بعد صورة وعلمنا بعد علم يقال انه قد عقل شيئاً بالقوة وشياً بالفعل فصار عقله بالمثل وما لم يقبله صار عقله بالقوة فإذا انتهت معلوماته بأن درس جميع العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والسياسة والأخلاقية بحيث وصل الى ما يليق نوع الانسان يقال ان له عقلاً بالفعل فإذا استحضرت هذه المقولات التى خزنها عنده بعد أن صارت بالفعل يقال ان هذا العقل مستفاد . هذه هى المراتب الثلاث التى تقتبست فى مثال التاجر وفى مثال ابن الملك . فهذا العقل المستفاد فى نوع الانسان الذى لا يكون إلا لأكار الحكاء له نظير فى عالم غير عالمنا وهو العقل الفعال . ومعنى العقل الفعال العقل الذى لم يقتصر علومه من المادة بل علومه مغروسة فيه بطورته فان المادة قد كسبت الصور اللاحقة بها من ذلك العقل ورسم فيها ما كان مرتباً فيه وجميع الأحوال القائمة به ترسم فى المادة مقسمة عليها . وذلك العلوم فى العقل الفعال غير منقسمة فيه لكنها منقسمة فى المادة موزعة عليها فزاهى جمعت بين الزرع والمحرو والنهر والكوكب الخ . ولكن العقل الفعال جمع هذا كله غير مفروق ولا منقسم كما ان عقولنا تجمع هذا . وهى غير منقسمة ولا مجزأة بل هى واحدة منزهة عن التقسيم كما هو مبين عليه فى كتب الحكمة . وهذا العقل الفعال نسبته الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا . فإذا كانت أبصارنا مستعدة للإبصار . ومعنى كونها مستعدة انه لو أشرق نور فى الهواء وعلى قرينة العين وعلى حسيبها وأحضر الصور على شبكيته أدركته ووصلته للعين فهكذا عقولنا اذا أشرق العقل الفعال عليها اشراقاً معنوياً كاشراق الشمس فى الهواء وفى العين فان المعانى تتشبه فى عقولنا كما رسمت الصور الصورية القوة الباصرة فالعقل الفعال كالشمس والعقول كالبصير واشراق العقل الفعال المعنوى كاشراق الشمس الحسى . فحصل الصورى العقول كحصول المراتب فى أبصارنا . فإذا حصلت للمقولات فى نفوسنا واستنبتنا بها علومنا أخرى وهكذا فانه يقال إن العقل عندنا بالفعل بالنسبة لما عرفناه وبالقوة بالنسبة لما نعرفه . فإذا ارتسمت العلوم فى نفوسنا يقال انها عندنا بالفعل ثم يكون العقل المستفاد ثم إن العقل بالقوة كأنه مادة للعقل بالفعل والعقل بالفعل كأنه مادة للعقل المستفاد والعقل المستفاد كأنه مادة للعقل الفعال والعقل الفعال كأنه صورة له وعلى ذلك يكون هذا الوجود مرتباً فى عقولنا من الأدنى الى الأعلى فالتا فترك البساط ثم المركبات ونترك الصور المحسوسات التى هى أخس من المقولات ثم نترك الكليات ثم تتم عندنا وتكمل وتكون عقلاً مستفاداً فأما فى العقل الفعال فان العلوم فيه تنزل من الكليات الى الجزئيات بلزيمان بل هى فيه هكذا أبداً وهى تكون فى المادة من الأدنى للأعلى

(الصورة والمادة والمعاني والعقول)

إليك أن تظن أن المعاني التي تنقش في عقولنا مثل الصور التي في المادة سواء بسواء . كلا . إن الصور التي في المادة منقوشة فيها . ولقد اعتاد الناس أن يقولوا إن الصورة غير المادة . الا ترى أن نقش الخاتم شيء والمعدن الذي نقش عليه شيء آخر كما إن الانسان شيء واللباس الذي يلبسه شيء آخر فها هنا ليس كذلك فان المعاني التي تقتبسها عقولنا من المادة تصبح هي نفس عقولنا . وكما انك اذا رأيت صورتك في المرآة لم يكن هناك شيء غير الصورة فالصورة هي عين المصور (بالفتح) إذ لامادة هناك فالصورة والمصور شيء واحد هكذا عقولنا . فكل معنى عقلنا أو فضاءا اقتبسناها فهي هي عقولنا . فانه أخرجنا من بطون أتهاتنا لانهم شيا وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة فاقنتنا من المادة معلومات وتلك المعلومات أصبحت نفس عقولنا لاشئ وراءها فليست صفات لعقولنا بل هي نفس عقولنا كما ان صورنا في المرآة ليست شيا سوى الصورة فاذا نحن عقلنا أنفسنا فلعقل الذي عقلنا به هو نفس العقول . فاذا يكون عقلنا عقلا وعقلا وعقلا فاذا تعقل الانسان نفسه فلعقل هو العاقل وهو العقول إذ ليس هناك شيان متبايران كالجسم واللباس عليه وكلامادة والصورة بل هما شيء واحد . هذا هو السر الذي تراه في ثنايا الكتب الفلسفية قد أوضحت لك على قدر الامكان وبه تعرف كيف انتقل الناس من أدنى الامور الى أعلاها . فبيناهم ينظرون الألوآن والأصوات اذا هم يرتقون الى السكيات اذا هم يفكرون في العقول وقد استكملت علومها اذا هم يقولون بالعقول المستفادة التي تحضر العقول متى شامت اذا هم يرتقون الى العالم الأعلى أى الذي ليس في مادة ويقولون اذا نحن قدرنا هنا في الأرض أن نكون عقولا بمجرد الاطلاع على هذه المادة وأخذ صورها والتصرف فيها واننا نلبس ملابسها وتصبح حللا لعقولنا ونذهب بها الى عالم آخر فأخبرنا أن نقول ان هناك عوالم لم تكنسب علومها من المادة بل علومها فيها كمنة . واذا كنا نقول ههنا مادة فيها صور تعلنا منها وأخذنا العلم عنها وهي حاضرة أمامنا وأصبنا علمين بها فإبانا ننكس على أعقابنا ولا نقول ان هذا العقل الذي كسبناه منها على منوال العقل الذي أكسبها هذه الصور ولذلك نرى أنفسنا نحضر حذوه فتطبع بهذه الصور التي طبعها ذلك العقل في المادة وهذه العقول التي غرست فينا واستمكت لدرس هذه المادة مستمدة من ذلك العقل الفعال والعقل للفعال قد جعل هذه المادة كروح تفرقه نفوسنا فتقلده وتدرس ماخطه في لوح الطبيعة وتحوحو العقل للفعال لأننا نرى أن الأبناء يسبون على طبيعة الآباء . فلذا كنا نرى جميع صفات الحيوان تتبع في نظامها وسيرها نظام آباؤها ووجدنا عقلنا لما كان عقلا بالقوة أخذ يسي سعيها حيثما حتى استكمل العقولات فها الذي يمنعنا أن نقول ان العقول الانسانية تحتذى حذو عقل ليس في مادة وتقلده وتستكمل العلم لتبلغ شأوه أو تقرب من ذلك الشأوكا كان صفات الحيوان ينبعث آباءه من وأن ذلك العقل الفعال فيه النظام غير مستحصت من المادة لأنه لا يحتاج اليها . أما عقلنا فهو اليها محتاج وعليها يقول ولقد أوضحت لك لتقام والله هو الولي الجيد أفلا تنظرونه كيف ذر الله قنديل المسجد ونور الكواكب وأشار بنور القنديل الى أوار القلوب والى ما ينقش في العقول من المعاني وكيف انتقلنا من مقام الى مقام حتى وصلنا الى عالم الملائكة . ولعمري ما ضياء القنديل في المسجد إلا لظواهر المحيطان والسقف والأرض وأن الحقائق في العقول لتتصل تفصيلا وتعرف تحقيقا وقد بين الله ما هو أجل بما هو أقل لأن ما هو أقل أعرف عندنا وما هو أجل مجهول لدينا . وهما نحن أولاد وصلنا من هذا للعالم الملائكة - والله من ورائهم محيط - • وقال الشاعر

على نفسه فليكن من ضاع همره • وليس له منها نصيب ولا سهم

(قطرة ماء في ضمير قوله تعالى أيضا - الله نور السموات والأرض -)

اعلم أن الناس اعتادوا أن يعرفوا عظمة هذه الدنيا بالنظر في السموات والأرض . والقرآن طامع بذلك

وهذا التفسير قد عني بهذا أشد عناية . الله أكبر . جلّ العلم . فهل لك أن أحدّثك حديثاً جليلاً هيباً في هذه الدنيا التي نعيش فيها تطبيقاً على هذه الآية ومن هذا الحديث يتجلى لك أن العلم الحديث أظهر أن جميع ذرات هذه العوالم تفسير هذه الآية وأن هذه الدنيا كلها نور خلقه الله وأن هذا العالم كله نور واثنا نعيش في وسط النور وأن ما نراه من حيوان ونبات وساء وأرض وحجر ومطر . كل هذا مالم إلا نور متجمد كما يجمد الماء فصار ثلجاً . فهذه العوالم التي شرحنا الأهم كلها وذكر مجملها القرآن تدخل في هذه الآية . ومتى سمعت ما أقوله لك الآن وتحققت انشرح صدرك وتثبت أن ترى هذا النور عياناً وأن تعجب هناك هذه الدنيا ومصورها الزائفة وتنتج بمجال نهاية له . فهناك اسمع ما يقوله العالم (هنشو) الذي يكتب في (مجلة هاربر) الأمريكية في سنة ١٩٣٩ وهذا القول نشر في مجلات أخرى فأريد أن أسمّك ملخص ما يقوله ولكني أحافظ على الحقائق العلمية وللقادر عظاماً وأورد القول بإيضاح يناسب هذا التفسير حتى تعرف نور الله وجهه الذي أشرق في الأرض اليوم وأصبحت علوم الأمم في الشرق والغرب مفسرات للقرآن وهم لا يشعرون . يقول (هنشو) إن بعض قطرات الماء قد يكون قطرها ثلث سنتيمتر . ولا جرم أنك أيها الذكر تعرف هذا المقياس فهو مشهور لأن السنتي جزء من مائة من المتر قال فلنذكره

(١) وأخذ يذكره تصديراً مراراً حتى أوصل قطره الى (١٥) سنتيمتراً . يقول ومتى صارت قطرة الماء هكذا أصبحت كثيرة الارتجاف وظهرت عليها ألوان قوس قزح

(٢) وإذا كبرناها حتى صار قطرها (١٧٠) متراً زال ظهور قوس قزح ولا نرى فيها إلا الماء لا غير
(٣) وإذا كبرنا قطرة الماء فصار مائة ميل . قال حينئذ تظهر جواهر الماء الصغيرة ويكون كل جوهر صغير من الماء قد صار مثل (الجوزة) حجماً وقياس قطره سنتين ونصف ومعنى هذا أن جوهر الماء المذكور لا يمكن قسمته الى قسمين كل منهما ماء بل لا يمكن التحليل الى العناصر التي تتركب منها . فهذا هو الجوهر المائي في حده الأدنى الذي لا يقبل القسمة الى قسمين مائتين بل يهبط الى عناصره الأصلية التي لا تسمى ماء وهما الأكسجين والهيدروجين . وهذا الجوهر المائي الذي كبرناه وقلنا أنه لا يقسم اذا أسكنناه فرضاً وجدناه أشبه بالجهر صلابته بالعدد الأكسجين والهيدروجين اتحاداً قوياً جداً لا يمكن انفصاله إلا بأعمال كيميائية لأجل ذلك نراها ولكن هذا الجوهر المذكور يجب علينا أن نعرف ما فيه لأن العلم لأجله وحقوق النفس لأننا به - وفوق كل ذي علم عليم - فما أشوقنا الى أن ندخل هذا الجوهر الصغير من النقطة كما دخلنا النقطة وتفرجنا عليها ونحن راكبون في سفينة تجري في ذلك البحر اللجج . قال حينئذ نكبر النقطة مرة رابعة

(٤) ففعل قطرها مائة ألف ميل فيصير قطر كل جوهر مائي من النقطة المذكورة أكثر من أربعين قدماً بعد أن كان سنتين ونصفاً . ولكن هذا التكبير لا يفسدنا إلا أمراً واحداً وهو أننا نرى كل جوهر مائي مؤلفاً من (ثلاثة جواهر) أحدها وهو الأكسجين في الوسط والآخرون واحد عن يمينه وواحد عن يساره وهما من الهيدروجين . وهذه الثلاثة جواهر فردة أي أنها لا تنقسم ومعنى أنها لا تنقسم أنها اذا حلت لا تكون أجزاءها أكسوجينا وأدروجينا بل أشياء أخرى متعلّما . هذه الجواهر الثلاثة أشبه بخلا ومساغلت لا غير لامادة فيها وجوهر الأكسوجين الذي في الوسط عبارة عن قنديل في المركز تحيط به ست دوائر تبعد عنه (٢٠) قدماً وهذه الدوائر هي سطحه والجوهران اللذان من الهيدروجين حوله مائهما إلا دائرتان من النور قطر كل منهما سبعة أقدام تدوران حول مركز من النور . إذن نحن الآن نعرفنا الجوهر المائي أولاً وما كبرناه وجدناه مركباً من أشياء ليست ماء ولكنها أشياء أخرى في علم الكيمياء يهبط للماء إليها في جميع المدارس في العالم وتكون عبارة عن مواد أشبه بالهواء وهذا معلوم مستفيض ولكن النفس لا تزال تريد الزيادة في العلم كما قال تعالى - وقول رب زدني علماً - وقال ابن سينا في قصيدة النفس

أسرع برد جواب ما أنا باحث • عنه فتار العلم ذات تشعشع
حيث أن نعرف ما هذا الاكسوجين وما هذا الادروجين بعد أن عرفنا نقطة الماء وعرفنا أجزاء
كل جوهر منها

(٥) إذن تكبر نقطة الماء المذكورة مرة خامسة ألف مرة أخرى فتصير أكبر من فلك الأرض حول
الشمس وحيث يصير قطر الجواهر المائي التي حدثتاك عنه وقلنا انه مركب من الجواهر الثلاثة المذكورة الفردة
ثمانية أميال • فإذا نرى إذن • نرى أن البوائ التي حدثتاك عنها في الاكسوجين والادروجين ماهي إلا
خطوط وهمية من النور ترسمها نقطة صغيرة من النور تدور حول مركزها في الثانية الواحدة ستة آلاف مليون
مليون دورة وهذه النقطة الدائرة هي (الكهر باء السالبة) ومركزها النوري يسمونه (الكهر باء الموجبة)
وهذه البوائ التي رسمتها النقطة في الاكسوجين والادروجين ماهي إلا كالبوائ التي رسمها شعلة تحركها عن
بسرعة فتدور دائرة بحسب نظرنا نحن وفي الواقع لا شيء سوى الشعلة • وبهذا البيان عرفنا أن الجواهر المائي
رجع الى اكسوجين وأدروجين • وهذان الجوهران الفرديان رجع كل منهما الى تقطعتين من النور نقطة
يسمونها (سالبة) تدور حول أخرى يسمونها (موجبة) وهذه التي تدور حول الأخرى تكون أكثر من
واحدة وتكون البوائ على مقدار تعدد النقط الدائرة • إذن الأمر واضح لوجود الاالنور فلا اكسوجين
والادروجين نقط من النور لا غير وبالنور السريع صار كل منهما غازا وبالاتحاد بينهما صار ماء والحقيقة
واضحة • ماذلك كله إلا نور • بقي علينا أن نعرف عدد الجواهر المائية التي في النقطة الواحدة من الماء •
يقول الصلابة (هنشو) المذكور ان في النقطة من الماء عدد (خمس) وأمامه عشرون صفرا أى خسبائه
ألف ألف ألف ألف ألف ألف وهو العدد العظيم من النقط المائية ليس مندجا • كلا • ولا مصمتا
فهناك أعداد شاسعة كالأعداد التي بين الكواكب والشمس والأرض بالنسبة لأحجامها فإذا أضق بعضها بعض
لم تملأ إلا جزأ من مائة ألف ألف ألف جزء من النقطة • إذن قطرة الماء المذكورة عبارة عن نقط من
النور وهذه النقط تدور بعضها على بعض وبشدة السرعة ترى مواد غازية وهذه باتحادها تكون ماء وهناك
فضاء بينها بحيث تكون النقط بالنسبة للفضاء أشبه بالنجوم في مداراتها مع البعد الشاسع بينها كالذي بين
الأرض والشمس وليس هذا خاصا بالماء وأجزائه • كلا • بل جميع الأجسام من جبل ونبات وحيوان وأنوار أو
كهر باء متحركة في شكل عناصر متعددة قد بلغ عددها (٩٢) في وقتنا الحاضر مركبات من نقط النور المذكورة
إذن جميع علمنا نور وأى قطرة من الماء أو أى قطعة من حديد أو حجر أو طين ماهي إلا نقط من النور تدور في فضاء
ترسم دوائر من النور الخ • فقطرة للماء مثلاً أشبه بالمشكاة وهكذا كل قطعة في المادة ودوائر الأنوار الحادثة داخلها
بسرعة جرى النقط النورية في عناصرها أشبه بزجاجة المصباح والمصباح أشبه بالنقط النورية التي في مركز كل من
الاكسوجين والادروجين فيما تقدم وهكذا بقية العناصر • فهنا ظهرت المشكاة وظهرت الزجاجة وظهر المصباح
وبقي ما يوقد منه المصباح فجعله يوقد من شجرة مباركة زيتونة لشرقية ولاغربية الخ • وهذا هو الذي غاب
عن الناس الآن • نعم ان وصف شجرة الزيتون بأنها لشرقية ولاغربية ربما يغيب انها ليست من علمنا
الأرض بل من العالم الإلهي الذي لا نعرفه • اللهم ان قطرة من الماء أصبحت نورا وقطعة من الحجر أصبحت
نورا وهذا النور ما أشرق إلا من نورك ولا ظهر إلا من جالك ولكنك أريته لنا غير نور قد حبسنا في حواسنا
فراة الجهال غير جهال ولا سبيل لنا إلا أن نعرض جالك الظاهر في عالم الطبيعة الذي يحبسنا عنك ولعلنا اذا فارقناه
نرجع لعالم النور ونشاهد جال وجهك المحتجب عنا وساء كالك وبهناك التي توارى بمحجبات الحس ونكون
- في مقعد صدق عند مليك مقتدر - فنشاهد تلك المناظر الحسنة البهجة إذن هذا العالم ماهو إلا نور متراكم
وجال احبب وسعادة اخفت ولا سبيل الى السعادة إلا بإدراك الحقائق وذلك بالعلم • ولقد استبان من هذا

البحث أن قوله تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين - قد وصل هنا إلى قرار مكين ، فالكبرياء الموجبة والكبرياء السالبة المذكورتان كل منهما زوج وهما زوجان كالكبرياء والألوهية وهذان الزوجان اتحدا كالكبرياء والالوهية من الحيوان والنبات . وهذا السر الذي ظهر الآن هو الذي ظهر في الدين المجوسى قبل دخول الخرافات عليه كما تقدم في (سورة الأنبياء) إذ جاء فيه أن الله خلق أصابن وهما الخير والشر . وليس يقوم العالم إلا بهما . ثم جاء المتأخرون منهم فجعلوا الخير والشر لإلهين لا لواحد كالتقدمين وهكذا طبع الصد زوج وفرد . ولم الحساب جمع وتفرق والعالم مركب من التنافر والمحبة . فكل هذه عبارات ترجع إلى معنى واحد وهو الذى جاء في قوله تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون - فن علماء اليونان من قال أصل العالم الصد . ومنهم من قال الكراهة والمحبة . هذا ما فتح الله به في هذا المقام والحمد لله رب العالمين

(النور قديما وحديثا في أرضنا)

(١) المشاعل

(٢) مصابيح الزيت

(٣) فتاديل الشمع

(٤) زيت البترول المعروف

(٥) الغاز الذى هو خلاصة الفحم المحترق الجارى في الأنابيب لآبار المدن

(٦) خلاصة المادة الكحولية المسماة (اسيرنو) أى بخارها الذى ينفث عادة بنشاء يحفظ ضوؤه

(٧) ضوء الكبرياء الذى عمّ الأقطار الآن أيام كتابة هذا التفسير . انتهى الكلام على الطيف الأولى

(الطيف الثانية) في قوله تعالى - والله يرزق من يشاء بغير حساب - انظرها في (سورة آل عمران)

(الطيف الثالثة في قوله تعالى - والطير صافات - وهى جوهرتان)

(الجوهرة الأولى في تسبيح الطير)

إن مقام تسبيح الحيوانات وغيرها قد تقدم في (سورة الاسراء) عند قوله - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن - وهكذا في (سورة هود) واستبان هناك أن التسبيح والتحميد من المخلوقات لا يرفعان إلا بقراءة جيع العالم ومن ذلك دراسة الألوان التى وضعت في (سورة المؤمنون) ومسألة نفث الأشجار في (سورة الرعد) وبيان أن التسبيح والتحميد لئلا يوجد وفيهما مسألة الخير والشر . وأن المجوس تخلصوا منها بأن العالم لإلهين والاسلام أرجعها للتسبيح والتحميد . وبيان أن المسيح والحامد وهو جاهل كالشجرة المستدفقة بلزهر للقمحة للشجر ولا علم لها . وبيان أن هذه الانسانية اليوم جاهلة هذا الوجود . وبيان أن الصوفية الذين يتبعهم أكثر المسلمين ينهونهم عن العلم فأرسل الله على لسان الشيخ الخواص وهو منهم ما يفيد أن الجاد يعقل وأن الأشجار تتعاطى وقد ظهر في الكشف الحديث ووضح في هذا التفسير فتأشى الأشجار أما ان الجاد يعقل فهذا لم يصل له عقولنا . ثم عقولنا عرفت أن النبات يحس . ويتحرك كالحيوان كما أنه العالم الهندى بصرو تقدم في (سورة الحج) أما كونه يسبح وكون الجاد يعقل فهذا لم يصل له غاية الأمر أن الأمم اليوم تعرف أن كل جاد متحرك حركات سريعة تعد بمئات الألوف في ثانية . وقد استبان فيما تقدم لماذا ظهر هذا على ألسنة الصالحين من المسلمين وأن حكمة ذلك اقامة الحجة على الصوفية في زماننا إذا هم قصروا في معرفة العلوم التى هي فروض كفايات . وبيان أن المفتوح عليه منهم نادر وهم كالمبتدئين من أهل الهند البوذيين الذين رفعوا أنفسهم عن الشعب (انظره هناك في سورة الاسراء) انتهت الجوهرة الأولى

(الجوهرة الثانية في الطيور الرحلة . مترجم عن الانجليزية)

إن الطيور على (نوعين) نوع يصرف حياته في مكان واحد ولا يفارقه ولا يبرز شجرته أو المستنقع

الذى يبنى فيه بيته ويعيش فيه أكثر من خطوات معدودات إلا نلوا جدا . ونوع آخر لا يلو جهدا فى الخط والترحال مدة الحياة وفى جميع العصور فيكون فى مكان بضعة أشهر ثم يرحل آلاف من الأميال ليصرف بقية السنة فى ملكة أخرى . وهذه الطيور تسمى (طيورا رحلة) لأنها دائما على هذه الحال وهذا النوع طائفتان طائفة تألف رحلة الشتاء وأخرى تألف رحلة الصيف . فالأولى تسكن البلاد الحارة وترحل الى الباردة شيلا والثانية تسكن البلاد الباردة وترحل للحارة جنوبا طلبا لحرارة الشمس . إن الانسان عند سفره يدفع أجرة السفينة فى البحر أو القطار فى البر . ولكن الطيور الرحالة لا يعوزها إلا أجنتها . فلا أجرة تدفعها ولا سفينة تقلها ولا قطار يحملها فى البر . ففراها أسرابا تطير فى جوف السماء مارة بالبحار والاممالك المختلفة . إن ارعجل الطيور من أعجب الجائبات العظيمة للدهشة فى هذه الدنيا وبدائعها وعجيب نظامها . فى فصل الربيع من كل سنة فى يوم معين يصل الى أوروبا طواقي من الطيور تبتدى قتبى أعشاشها فى الأمكنة التى بنت فيها فى السنة الفائتة وقد يبنى العش طير صغير على الطريقة التى بنى أبواه بها العش الذى ترى فيه هو فى العام السابق بحيث يكون قريبا منه . وقد يقوم بعض الناس بتجارب لمعرفة بعض عادات هذا الطير فيصعدون منها جاعة ثم يعلمونها بعلامات خاصة كدوائر وغيرها ليعلموا هل هذه هى التى تصل فى العلم القابل . وقد ثبت لحم بهذه الطريقة أن الطائر للسمى (الخطاف) بالرية و(سوكو) بالانجليزية الذى يصرف زمن الشتاء بالقرب من (بحيرة تشادو) فى أواسط افريقيا يبنى أعشاشه لتربية صغاره سنة بعد سنة فى حائط من منزل مخصوص فى قرى الفلاحين ببلاد الانجليز . إن طرق السفن البحرية الرئيسية فى البحر الأبيض من أوروبا الى افريقيا (ثلاثة) مبتدئة من شبه جزيرة اسبانيا وإيطاليا واليونان . والمسافرون فى هذه الطرق على السفن بالبحر الأبيض المتوسط زمن الخريف غالبا يرون أسرابا كثيرة من (الطيور الرحالة) طائرات جنوبا الى بلاد الجزائر وبلاد تونس وبلاد مصر

(ماسبب رحلة الشتاء والصيف)

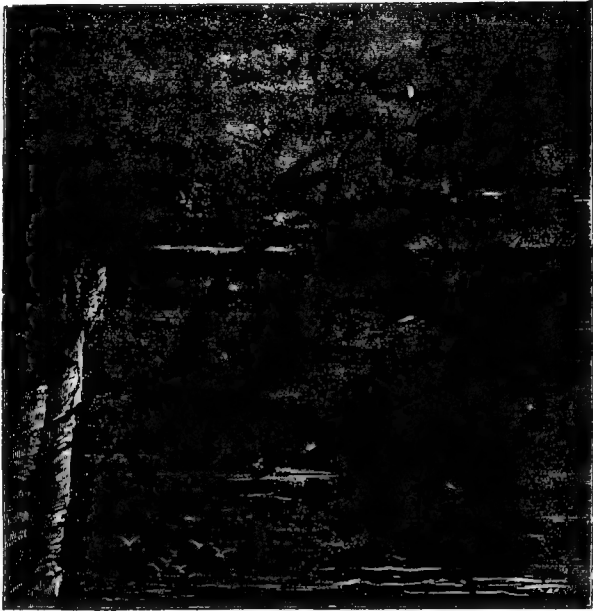
وهنا يرد هذا السؤال فيقال لم رحلت هذه الطيور . ولقد أجاب على هذا السؤال علماء الحيوان الذين هم أقرب الى العلم بأحواله من سائر الناس فقالوا ان تلك الأقطار التى يرحل لها ذلك الطير أوفى الى تربية صغاره وتغذيته بالأغذية الموافقة لها . وهذا السبب ذهبوا اليه لأنهم لم يعرفوا الحقيقة يبعث أوفى وطريق أقرب فليس من الناس من يعرف السر فى ذلك على حقيقته والله أعلم . انتهى (ترجم من الانجليزية)

(حكمة)

إن سفر هذه الطيور الأوروبية الى افريقيا وسفر الطيور الافريقية الى أوروبا أشبه بسفر الناس من إحدى الجهتين الى الأخرى اريدادا لطلب الرزق وجدا فى طلب العلم وذلك كله مما يعلم الانسان أن الأرض كلها منزل واحد وقد عرف هذه الحقيقة الطير فعمل بها وقال لى رحلتان رحلة الشتاء ورحلة الصيف . ولكن الناس يقاتل بعضهم بعضا على الأمكنة وقائم بل جهلوا انهم أسرة واحدة وسيعرفون هذه الحقيقة فى مستقبل الزمان حينما تم الرحلة أهل الأرض (انظر شكل ١) و (شكل ٢)



(شكل ١ - صورة الخطاف)



(شكل ٢ - صورة ورود الطيور المهاجرة من كتاب « علوم للجميع » المسمى (ساينس فورال)
تأليف العلامة (روبرت برون)

وهنا (فاندتان * الفائدة الأولى)

(أسرع المخلوقات الحية)

كشفت منذ مدة قصيرة الدكتور (تشارلس تونسن) البحاث الأمريكي الشهير حشرة غريبة في البرازيل تسمى أسرع المخلوقات الحية لأنها تقطع ٨١٥ ميلا في الساعة أو نحو ١٤ ميلا في الدقيقة و ٤٠٠ ياردة في الثانية فتكون سرعتها نحو من نصف سرعة رصاصة البندقية التي تحتاز ٩٠٠ ياردة في الثانية بينما الطائرة لا تحتاز أكثر من ١٣٠ ياردة في الثانية وأسرع انسان لا تحتاز ١١ ياردة في الثانية . أما اسم هذه الحشرة فهو (سفنوميا) وهي موجودة في أمريكا الجنوبية والشمالية وبعض أنحاء أوروبا . والى الآن لم يتمكنوا من معرفة مصدر سرعتها الحقيقي وقد قلروا أن جناحيها يدوران عدة آلاف من المرات في الثانية بينما أسرع طائرة لا يطور دولابها الأمامي أكثر من ٢٠٠٠ مرة في الدقيقة . وقد قال الدكتور (تشارلس تونسن) للذكور ما يأتي : (لو أتيتح للانسان أن يطير بسرعة هذه الحشرة لتمكن من الدوران حول الأرض في ١٧ ساعة فقط فانه يترك (نيويورك) الساعة الرابعة زوالية صباحا ويظهر فوق (ريو) ثم يحتاز (باكين) ويتناول الشاي

فوق (الاستانة) والفناء فوق (مدريد) ووصل (نيويورك) الساعة التاسعة زوالية مساء وهذا ميعاد دخول الاوبرا) وقد سرك اكتشاف هذه الحشرة اهتمام المهندسين والمخترعين وأخذوا يتحدثون مسائلين ولماذا لا تعمل الفكرة فنصنع طائرة بسرعة هذه الحشرة أو أسرع ، وعسى أن يحقق اهتمامهم رغبتهم هذه فيقوموا للإنسانية بخدمة جليلة لا تقدر ولا تخمن

(مقاييس السرعة)

نظم القائد (ارنولد) الأمريكى قائمه بمقاييس السرعة وهى كما يلى

(١) أعظم سرعة للإنسان الراكض ٢١ ميلا فى الساعة

(٢) سرعته على الزجلة ٢٢ ميلا فى الساعة

(٣) أعظم سرعة للحصان ٣٩ ميلا فى الساعة

(٤) أعظم سرعة للدراجة (بيسكيت) ٧٥ ميلا فى الساعة

(٥) أعظم سرعة للدراجة البخارية ١١٢ ميلا فى الساعة

(٦) أعظم سرعة للقطار الحديدى ١٢٥ ميلا فى الساعة

(٧) أعظم سرعة للطيارة ٢٨٨ ميلا فى الساعة

(أسرع طيارة فى العالم لاجناح لها ولا مرواح)

صنع المسيو (شبالدين) وهو مهندس فرنسى شهير نموذج طيارة بلا جناحين ولا مروحة فى مقدمتها ومع هذا فهى تطير . ويعتقد هذا المخترع أن الطيارة التى تصنع على نخط نمودجه هذا يمكنها أن تقطع من سبعائة الى ألف ميل فى الساعة . فهى والحالة هذه تسبق الشمس اذا بارتها فى شوط بين باريس ونيويورك . وقد قال المخترع ضاحكا : انه يتسنى لركاب طيارى أن يتناولوا الفداء فى الجرائد بولفارد دياريس ويشربوا الشاي فى برودواى بنيويورك)

والمسيو (شبالدين) مقتنع بأن طيارته التى أسماها (جيو بتر) ستكون طيارة المستقبل القريب . وقد أبدى النموذج الذى صنعه لهذه الطيارة أقواله بكيفية مذهشة . و يبلغ طول نمودجه هذا نحو عشرين قيراطا ولا يزيد ارتفاعه على قدم واحد وهو يحاكي الطيارات العادية فى هيكلها . وعلى كل من جانبيه دولاب كرف البواخر النهرية أو كالتى كانت مستعملة لبواخر البحار فى أول عهد البواخر . وكان يقتضى لهذا النموذج محرك تكون قوته ١ من ٧ حصان ووزنه أوقية وربع . ولما كان محرك كهذا معصوم الوجود جهز المخترع نمودجه بمحرك كهربائى وأوصل اليه التيار بأسلاك لينة من ديجو صغير وضعه على المائدة وماكاد يوصل التيار به حتى أخذ فاساها يدوران بسرعة ٧٠٠٠ دورة فى الدقيقة وأخذت تلك الطيارة الصغيرة ترتفع وتصور فى الهواء . وقد جعلت مفاتيح مضبوطة حول أعطية الرقاسين تستخدم لتحريك مقدم الطيارة الى أعلى أو الى أسفل . ومبدأ المخترع فى طيارته هذه العجيبة هو من قبيل مبدأ المركبة الألمانية السماء (روكن) فالرقاس فى الطيارة التى نحن بصددنا يقوم مقام المروحة التى تكون فى مقدمة الطيارة العادية وهما اللذان يدفعان الطيارة ويسيرانها . ويقول المخترع : (إن سرعة هذه الطيارة يمكن أن تزداد اذا استعمل الفزاهالك الذى يناسب من المحركات على مبدأ الصاروخ) . ولهذه الطيارة ميزة أخرى كما يقول مخترعها وهى ان رافعيها ولقطبتها تقوم مقام المظلة الواقية (الباراشوت) فى حالة إصابة المحرك بسطل فتتزل الطيارة الى الأرض ببطء بقيا خطرا الاصطدام الشديد ولا يخفى لهذا الاختراع من الأهمية الكبيرة فى عالم الطيران . انتهت القائمة الأولى

(القائمة الثانية)

جاء فى الأنباء البرقية فى ١٥ يونيو سنة ١٩٣٧ ما نصه

﴿ ارتداد القطب الشمالى ﴾

عند الكائن (جورج ولكنس) بعد ما ضل ضلbat المارة للمتجدة الشمالية وردة على أعقابها وترك وراءه إحدى طياراته وسط التلوج للمتجدة فى ساحل (الاسكا) الشمالى وقد قال ﴿ إن دليله جواهم طار فى ٢٨ مايو الى اباته فى جرينلند ومن هناك الى مستودع الوقود والمؤنة فى رأس بارو ليعاود حل المسألة الفاصلة عن مهاجرة الطيور الى أقصى الشمال وينتبت مما اذا كانت قارة الانتيك التي ورد ذكرها فى الأساطير موجودة فى مكان لم يصل اليه بنو البشر ولكن البعثة عثرت عنها الآن كما عثرت فى السنة الماضية من جواء القطب الشبب الشكف وطبقات الثلج المسترة والطيارات يطيران فى عالم كده ضلbat لا يحترق ﴾ انتهت القائمة الثانية وانما قلت لك هذا الخبر البرق لتطلع على غرام الأمم التي يعيش معها المسلمون أولئك الذين يظلمون بأنفسهم ويعرضونها للهلكة فى سبيل العلم . وأى علم هو . هو علم الطيور فى مهاجرتها . تلك الطيور التي ذكرها الله فى القرآن انها مسبحات مصليات فكان على المسلمين أن يشقوا العلم ليعرفوا محابب صنع ربهم وليتجهوا بالجبال والبهاء والحكمة والنور . فهل الأمم التي تدرس كل علم كالأم القائمة . يقول الله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب - ويقول - أفلم يسعروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تسمى إلا بأصابع ولكن تسمى القلوب التي فى الصدور -

﴿ اختراع الطيارات ﴾

فى سورة (المائدة) فى آية الفراق وفى (النحل) عند قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - تقدم الكلام على البالون والطيارات ورسم بعضها فى سورة النحل اه

﴿ القطبية الرابعة فى قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ ﴾

لقد ذكرت لك فيما تقدم فى (سورة الرعد) ما يناسب قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - من أمر الثلج . وذلك أنك ترى هناك أشكالا منظمة عجيبه مستترة الشكل مرسومة فى القرن الماضى بهجة المناظر حسنة الأشكال . ولكنى هنا أريد أن أريك ما يناسب هذا المقام من محابب العلم فى هذه الآية ﴿ أولا ﴾ أيين لك ما كان يصله علماء القرن الثانى عشر الهجرى من أم الاسلام إذ كان العلم لديهم قليلا وقد جاء على لسان صلحاتهم ما يناسب كشف العصر الحاضر ﴿ ثانيا ﴾ أذكر لك الجبل الثلجى من كتاب علوم البحريج تأليف العلامة (روبرت براون) الانجليزى ومقلا لغيره فى ذلك ﴿ ثالثا ﴾ أذكر ما أبدعه صديقنا مصطفى بك منير فى الجمعية الجغرافية أمام ٢٥٠ عالما من علماء أوروبا قضيا لهذه الآية . فهذه ﴿ ثلاثة أصول ﴾

﴿ الفصل الأول فيما جاء فى أقوال علماء الاسلام فى القرون المتأخرة ﴾

قد ذكرت سابقا فى هذا التفسير أن الشيخ أحمد بن المبارك الذى عاش فى القرن الثانى عشر الهجرى كان عالما من أكابر علماء الاسلام وقد لقي الشيخ عبد العزيز البليغ لقي لم يدرس ولم يتعلم وأن الأول قد أدهشه الثانى بطله . فلا سمحك ما أجاب به فى هذا المقام وأقدم لك مقدمة فأقول

لقد ذكرت فى هذا التفسير أن العلم الهنئى فى الاسلام يجب أن يكون علمه أوسع من علم النيق وهما فيه الجدللة الآتية تبين لك كيف كان الناس فى العصور المتأخرة يسألون علماء الاسلام فى أغوار وأجيب يسألون الطبعة المخرجة من قنطرة كيف تستل من المبركة للذكور فى ذلك . وكيف بهجته من الجواب فى كلام الخلافة الاسلاميين وعلماء الحديث وغيرهم فلم يجد طلبه ثم كيف سأل الشيخ البليغ فأجابه بما لم يصله إلا لعلماء العصر الحداث . فهذه البيان وهذا هو السؤال الذى ورد عليه

(١) الحمد لله . سادتنا الأعلام . آدم الله بكم النفع للأنام (١) جوابكم في الثلج ما أمه (٢) هل ينزل كذلك من محله منقدا (٣) وماله الذي ينزل منه ؟ (٤) ولأى شئ خصت بالبلاد الشديدة البرودة ؟ (٥) ولأى شئ خصت بالجبال (٦) ولماذا نراه تارة مجتمعا مع المطر وتارة وحده وهو الأغلب (٧) ولأى شئ خصت الجبال وعلو الأرض بالبرودة دون السهل (٨) وأيضا الصاعقة لاتنزل إلا في البلاد الباردة والجبال ومواقع الشجر بخلاف الأرض المستوية الحارة مثل الصحراء فإن أهلها يقولون إنها لاتنزل فيها فلماذا ؟ هذا ملخص السؤال . فلما أخذ يبحث في كلام علماء الاسلام رأى ما يأتي

(أولا) أن أهل السنة والجماعة لم يغفلوا في هذا فائدة . قال إنه قرأ كتب التفسير والحديث وعلم الكلام فما عثر على شئ فيها . ومن هؤلاء الحافظ السيوطي مع علو درجت في الآثار لم يتعرض لتلك لآي كتابه المسمى (المبة السنية في المبة السنية) وقد وضعه في علم المية لأمثل هذه المسألة ولأى حاشيت على البخاري ولأى (الدر المنثور في تفسير القرآن للمأثور) ولأى كتبه لأخرى مع أنه أكثر فيها من الكلام على الرد والصواعق والمطر والسحاب والرق . وأيضا لم يتكلم على الثلج والبرد ولأى سببهما . قال وإنما رأيت ذلك في كلام البيضاوي نقله عن الحكماء . وملخص ذلك أن البخار لما أتى إذا وصل إلى الطبقة الباردة صار سحابا وزلت الأجزاء المائية فهي على أحوال إما أن يكون بردها قليلا فتكون مطرا وإما أن يكون بردها شديدا فإن جدت قبل الاجتماع فهي ثلج وإن جدت بعد الاجتماع فهي البرد . ولما قل كلامه كله اعترض على البيضاوي في نقله كلام الفلاسفة . هذا هو الذي رآه ابن المبارك في كلام المتقدمين . ثم رجع إلى الشيخ الدباغ فعلمه وأجاب بما يأتي

(١) لأن الثلج ماء عقدته الرياح وأصله غالبا من ماء البحر المحيط . وهنا أخذ يشرح ارتفاع البخار في الجو وأنه يصير مثل الهباء ثم تجتمع أجزاءه لأجل ما فيه من الندوة وينزل على هيئة الصوف أحيانا وعلى هيئة أخرى أدق منها أحيانا . فهذا أصل الثلج . أما البرد فإن المسافة بين انقذاده وزواله غير طويلة وهو من مياه البحور والضميران وله أهان ينزل على هيئة الطعام المنقول للفظ وإنما غلظ لأجل مصادمة الرياح له فراجت أجزأؤه في الهواء تحت أبدي الرياح مثل روجان أجزاء الطعام تحت أبدي المرأة في الصفحة فحصل فيه قتل مثل ما يحصل في الطعام . قال ولو أنه تأخر زواله ودامت المسافة لانهقت أجزأؤه وصار ثلجا . فهذا بيان أصل الثلج وبيان الموضع الذي ينزل منه وبيان البرد

(٢) وأما قولكم (لأى شئ خصت بالبلاد الشديدة البرد الخ) لجوابه أن للثلج لازال على انقذاده حتى يطرأ عليه مانع والمانع يجعله مطرا وذلك المانع هو الأجزاء البخارية الصاعدة من الأرض الحاملة للحرارة فلذا تبت الثلج كسرت برودته فصار مطرا وهذا البخار الحار يكثر في البلاد الحارة والسهول ولذا لا يرى فيها ثلج . ولو فرض أنه رقى ذلك لاطول مكنه بخلاف البلاد الباردة والجبال المرتفعة فانه لا مانع فيها من رجاء الثلج على انقذاده

(٣) فأما كونه ينزل مع المطر أو وحده فذلك لما يأتي . إما فو بان بعض أجزأؤه بالأجزاء البخارية المذكورة فينزل الذي لم يذب ثلجا والذي ذاب مطرا وذلك يكون المطر التارل معه في الغالب ضعيفا رفعا مسحوقا مثل الثلج . ولما أنه زل قبل تمام انقذاده فإن الرياح تحمل ماء فينقد ثم تحمل ماء آخر فادا زلا نزل الأول ثلجا والثاني مطرا

(٤) وأما اختلاص الجبال وعلو الأرض بالبرودة دون السهل . لجوابه أن ذلك لقرب الجبال والأرض العالية من الجوى الذي هو في غاية البرودة . فأما السهل فهي بعيدة منه

(٥) وأما الصاعقة التي ذكرتموها فإن القول بعدم نزولها في الأرض السهلة المستوية الحارة غير صحيح

فاتها نزلت بيلاد (سلجمانية) وهي أرض مستوية سهلة كانت صحراء . ولما أتم الجواب قال واعلم أن هذا أخبره من عين الأمر على ما هو عليه من أرباب البصرة الخ (يريد الشيخ الديباج) وقد سألت الشيخ الديباج أيضا قائلا : هل في السماء جبال من برد كما قاله بعض المفسرين ؟ أجاب ليس فيها ذلك . والمراد البناء في الآلة ماعلاك فكأنه يقول من جهة العلو وجبال البرد تكون في جهة العلو بحمل الريح لها من الأرض إلى الجهة المذكورة . انتهى الفصل الأول

(الفصل الثاني في مقال بعض علماء الطبيعة في عصرنا وما دعيه العلامة (روبرت براون) الانجليزي)

في كتابه علوم الجميع)

قد جاء في كتاب « الفلسفة الطبيعية » في تعريف البرد انه قطع من الجليد متفاوتة الحجم فنها ما هو أصغر من الحصى . ومنها ما هو بقدر البرتقال . ومنها ما هو بين هذين الحجمين . ولا يعرف كيف يتكون . والظاهر انه يحدث من هبوب ريح شديدة البرد وتتخللها ريح أخرى أحو منها جدا وهي مشبعة برطوبة تقريبا ولكن تليل هذه الرياح الباردة عسر وغير معروف . فانظر إلى علماء الطبيعة في عصرنا الحاضر كيف تحيروا في تليل البرد ووازن بين هذا وبين كلام (الشيخ الديباج) الذي قال ان السماء ماعلاك وأن البرد ما هو إلا ماد حرجته الرياح من المواد المائية ولم يزل زمنه وشرح شرحا طويلا ضافيا . فلننض القول في مسألة الثلج والبرد من كتاب « علوم الجميع » فنقول

اعلم انني قد مت لك في (سورة الرعد) عند الكلام على الثلج انه عند القطبين يكون دائما ويأخذ في الارتفاع شيئا فشيئا . ومعنى هذا أن الثلج دائم في جميع أنحاء الدنيا غاية الأمر أنه مرتفع عند خط الاستواء وهو على الأرض عند القطبين وما بينهما يكون بالنسبة لهما ارتفاعا وانخفاضاً . فافكر ما ذكرته هناك ثم انظر هنا ما يقوله فسرى عجبا عجبا . سرى ما قاله الله في القرآن يشاهد عيانا (و بعبارة أخرى) سرى ما بهز عنه غول العلماء سابقا وانما شرحه (الشيخ الديباج) الذي لم يتم . قد ظهر له بالمعانية . سرى أيها الذي ما جاء في القرآن من أن هناك جبالا فيها من برد حقا وصدقا . ومعنى هذا أنك الآن ستشاهد صورة الجبال الثلجية المرتفعة فوقاً وتجب من المسلمين الذين تركوا جميع الصلوات وجهاوها حق الجهل . وإذا قرأ المتعلم هذه الآية تحير وقال في نفسه هل السماء فيها جبال من برد . وإذا كان المطر ليس من نفس السماء فكيف يكون البرد منها . وكيف تكون هناك جبال فوقنا من برد . كل هذا كان يحيرني أنا ولم أعرف تمام هذه المعاني إلا من إصاح (الشيخ الديباج) ومشاهدة المناظر التي سترها الآن وهي منقولة من الكتاب الانجليزي المذكور . أفلمست بعد ذلك أيها الذي توقن أن ذلك المسلمين اليوم اتما جاء لجهلهم الفاضح وانهم معاقبون في الدنيا والآخرة على هذه العلوم . فاسمع إذن كلام ذلك العلامة . قال (إن الثلج يظهر في أعلى الجب في كل مكان في الأرض وعند كل خط من خطوط العرض غاية الأمر أن ذلك الثلج قد يتوب قبل نزوله إلى الأرض إذ يقابل الطبقات المنخفضة الحرارة فهذه الحرارة تذيبه . إذن ملين بقعة في الأرض إلا وفوقها تلج . فنه ما ينزل اذا لم تقابل الحرارة في الأسفل المنخفضة . ومنه ما ينزل) وهذه صورته (شكل ٣)



(شكل ٣ - صورة الثلج في الأقطار العالية من الجبّو قد غطتها أشعة الشمس)

. ويقول المؤلف قبل ذلك في صفحة ١٧٩ مانصه ﴿ إن جسم الثلج لطيف جدا حتى انه يشغل مساحة أكبر من المساحة التي يشغلها الماء (٢٤) مرة . أما حتى الثلج فان الماء الذي يكون منه لا يشغل إلا عشرين جزءا من الثلج . فاذا كان مقدار الثلج عشرون جزءا فهذا المقدار لا يعادل إلا بوصة واحدة من الماء ﴾ هذا كلامه لأن بهذا عرفنا السر في أن الثلج مرتفع في أهل الجبّو . ذلك لأنه خفيف جدا فارفع . وهذا من عجب أن الشيخ عبد العزيز الدباغ المتقدم ذكره يقول فوق ما تقدم في صفحة ١٣٩ من الكتاب المذكور مانصه ﴿ ولم مرة أنظر الى طرف الماء الموالي للجبّو الذي فيه الرياح فأرى فيه جبلا من الثلج لا يبلغ قدر عظمتها إلا الله ﴾ ونرجع الى ما نحن فيه فنقول . ثم إن هذا الثلج الذي رأيته في الشكل المتقدم معرض لأن ينزل الى الطبقات المنخفضة الحارة فيرجع بخارا . فاذا فصل الله لحفظه . خلق له الجبال حتى صادف ذلك جبل

مرتفع احتفظه وضه اليه ورسا فوقه حتى لا ينزل ويبقى ثلجا دائما فوق الجبل وهذه صورته (شكل ٤)



(شكل ٤ - هذه صورة هضبة (موت بلانك) من جبال الالب والجبال المتصلة بها والثلج الدائم المنصفي لها)
(جبال الالب تمر بإيطاليا وفرنسا وسويسرا وهذه الهضبة بالآخيرة)

ولمك تقول عرفنا أن الثلج مرتفع وهو كالجبال . وعرفنا أن الجبال تحفظه ولكن ما فائدة هذا الثلج وما فائدة حفظه . أقول لك . فائدته أن يحيا الانسان والحيوان والنبات بذلك الثلج الذي نزل من الجبل على الجبل ومن الجبل نزل الى النهر ثم ذاب ويروي وهذه صورته (انظر شكل ٥ في الصفحة التالية)
هذه هي معاني الآية . فالثلج شاهدته وشاهدت نظام الله وحفظه له ثم انزله في النهر . أليس هذا معنى قوله تعالى - سفيرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وقوله - ثم إن علينا بيانه - وقوله - وكل الحد لله سيركم آياته فتعرفونها - اللهم إنا نحمدك فقد أرينا الآيات وعلمتنا على مقدار درجاتنا الأرضية التي خلقتنا فيها فلك الجهد ولك الشكر . كل ذلك أبها الذي جاء في الثلج ولكن الآية لم يذكر فيها الثلج بل المذكور فيها هو البرد . فأين البرد إذن . تقول . قد علمت مما تقدم أن الماء يكون مطرا ويردا وثلجا . فهذه الثلاثة متجولة وغاية الأمر أن البرد يكون نزوله أسرع . قد علمت أن أمر البرد من الصعوبة بمكان . فليست فيه القوم حيرة شديدة فتارة تراهم

(١) يقولون إن الفكرة الأولى في ذلك أن يقال كما ان نسبة الصقيع الى الندى كنسبة الثلج الى المطر هكذا يقال ان البرد ماهر إلا يمثل لصقيع المطر (وعبارة أخرى) هو مطر منخفض

(٢) ثم تراهم يتميقون في البحث فيقولون إن البرد لا يكون مباشرة من نفس المطر . ذلك لأنهم رأوه عبارة عن كرات صغيرة جدا من الجليد الصلب منسوجة متجانسة مصمتة ذات سطح أملس وقد علموا بذلك بأن المطر كان أولا في طبقة حارة من الجو الأعلى ثم سقط فجاء إلى جو أدنى منه فيه تيار شديد المبرودة فالتصق به



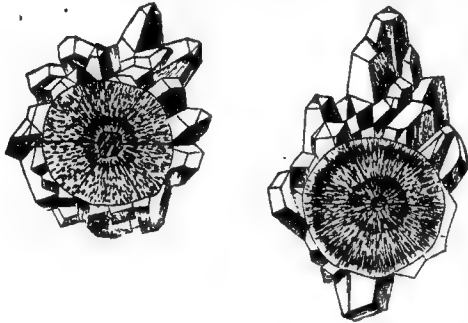
(شكل هـ - صورة الطرف الأدنى من الجرف الثلجي في (الردن) بجاني (زركا) منحدرًا إلى رأس واد من الأودية حيث يتدفق منه النهر)

فتكثوره مرات جليدية ثم تسبح نسجا كما تقسم

(٧) ثم انهم شاهدوا أنواعا من البرد بهيئات حبوب بيضاء غير شفافة أى انها لا ترى ما وراءها كأنها صور صغيرة لسكرات الثلج لا أنها صور قطرات المطر وهذه تشاهد كثيرا نازلة مع قطرات المطر والقطعة من البرد إذ ذلك المركبة من حبات صغيرة منه بحيث لا يزيد قطر الواحدة منها عن عشر الروسة أى محور ربع سنتيمتر وقد غطيت بقلقة من الجليد . وقد عللوا ذلك بأن البرد أولا كان ألواحا ثلجية في أعلى الجوف الذى اشتدت برودته ثم نزل الى جوف حار فأخذ يذوب فيه وقيل أن يتم ذوبانه نزل الى جوف بارد قرب الأرض . هنالك جد فصار بردا ولكن آثار الثلج لا تزال ظاهرة في خلال أجزائه . هذا آخر ما ذكروه . إذن يكون الأمر دائرا بين هذه الأحوال . مطر جدد فصار ثلجا . مطر جدد فصار جليدا . والجليد اجتمع فصار بردا متجانسا الأجزاء الماخلة فيه . للثج تكون ثم ذاب ثم برد ثانيا قبل تمام ذوبانه فصار بردا . هذا ملخص ما جاء في كتاب (علام للجميع)

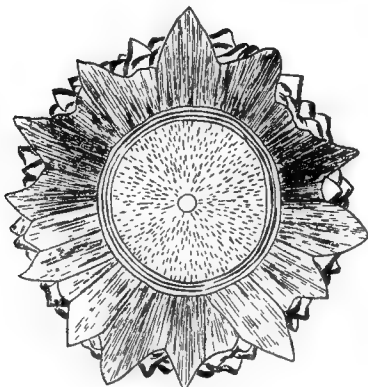
والمليل على أن الرد كان أولا ثلجا ماستره في هاتين الصورتين الجليتين الحسنى الشكل البهجنى للنظر

للتألفين الشرقيين اللتين هما من أعاجيب آيات الله تعالى اللتين رأهما المسر (هـ . ابك) الروسي المقيم بالعلم وقد زلّا في أثناء عاصفة قوية في جبال (أزبلك) بالقرب من (مجاوى كبتسك) في القوقاز بالقرب من (تفليس) في (جورجيا) في التاسع من شهر يوليو سنة ١٨٦٩ فرسهما ونشرهما في المجلة الهندسية العلمية في تلك السنة ونقلهما العلامة (روبرت براون) الانجليزى ومنه نقلهما . وقد قال في وصفهما انهما صورتان بلوريتان هندسيتان مرسومتان بشكلهما في الطبيعة وهما ربما كما بالهيج وأكثر تأثرا في النفس من كل ما رآه الناس من أنواع البرد على الأرض الى اليوم (انظر شكل ٦) و (شكل ٧)



(شكل ٦ وشكل ٧ - صورة البرد الجوى البلورى الشفاف الذى سقط على الأرض في ٩ يوليو سنة ١٨٦٩ م بالقرب من تفليس)

ثم قال : إن هاتين الصورتين قد ركبنا من جزأين القلب والغلاف . أما القلب أو النواة فهو عبارة عن مادة تلجئة قضاقت واجتمعت بهيئتها المسدسة . وأما الغلاف الخارجى فليس بشئ كالأول وإنما هو جليد بلورى الشكل طويل الحجم بهيئة صورهندسية منظمة جيلة جدا . وكثيرا ما ترى لها صافيا صغيرا من الجليد المسطح الهيمى في داخل البلورات الخارجة . وهاتان القطعتان المرسومتان قد سقطتا في إناء من الحديد والتقطنا وأخذت صورتهم فوراً وهما معتمتان في النواة الداخلية وفي الغلاف الخارجى فأما ما بينهما فانه جليد شفاف ذو خطوط مست منقطعات على هيئة ست زوليا كل زاوية ستون درجة وهذه الخطوط تنعكس عند التقائها بالقلب الداخلى وعند اتصالها بالغلاف الخارجى ويحيط بكل منهما أهمية مستدسات متتية بأجسام منشورية الشكل ذات زوليا مختلفة وأضلاع يساوى كل اثنين متقابلين بها . وهناك قطعتان برديتان أخريان جيلتان . أما أولاهما فقد رسمها الضابط (الكابتن ديكسكو) الأستاذ الفرنسى في الهندسة سنة ١٨١٩ ونشرها في ذلك التاريخ في المجلة العلمية الأستاذ (اراجو) وهذه صورتها (شكل ٨)



(شكل ٨ - صورة الرسم الهندسي الذى أبان قطعة من البرد الصخرى البورى الذى سقط فى

كورة (مديرية) من كورات فرنسا الغربية فى الرابع من شهر يوليو سنة ١٨١٩)

ولما سقط ذلك البرد الصخرى فى تلك المديرىات كسر سقف المازل والشبايك وأضر بأغصان الأشجار ودمر مزارع الحقول وقتل الحيوانات وهى ترى فى مراعيها . وهذه القطعة البردية الحجرية مركبة من جليد أبيض غير شفاف متضام بهيئة بلورية الشكل ذات نواة صغيرة يحيط بها حجم كبير أزرق ذو خطوط لامعة تمتد من المركز الى محيط الدائرة وفوق ذلك يحيط بها طبقات متضامات وهذه الطبقات الخارجية المحيطة ذات أشكال هندسية ظريفة متحلات بأشكال صغيرة بارزات بينهما . أما ثانيتهما فهى مركبة من طبقات بعضها فوق بعض كطبقات الصلابة طبقة زرقاء صافية تليها طبقة بيضاء غير شفافة من الجليد وهذه الطبقات المتعاقبات وصفها العالم الألمانى فى الفواهر الطبيعية (كيمتز) بأنها من جليد ونلج وتحيط بها طبقة من الجليد . وهذه صورتها (شكل ٩)



(شكل ٩ - صورة البرد الصخرى ذى الطبقات المتحدات المركز المركبات من جليد أزرق

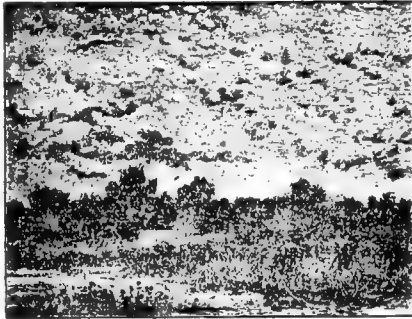
صاف وأبيض غير شفاف الذى رسمه العلامة (ابك) المتقدم ذكره وتاريخ رسمه)

(بهجة العلم فى البرد الصخرى)

قال المؤلف المذكور أيضا (إن بعض القطع البردية التى رآها الناس كانت تزن ثلاثة أرطال انجليزية تقريبا) ثم قال فى صفحة ٢٩٤ من المجلد الثالث (وقد قيل إن بردا صخريا سقط فى (كازورنا) فى بلاد

اسبانيا سنة ١٨٢٩ كان وزنه أربعة أرباط ونصف اجليزية تقريبا) وقال العالم الألماني بالظواهر الطبيعية (كيمز) (ان قطعة من البرد سقطت سنة ١٨٥٢ فكانت مساحتها (٣٩) بوصة من ناحيتين وسماها (٢٨) بوصة) انتهى

ولذ فرغت من الكلام على جبال الثلج وعلى البرد فهناك نصير الآية بالصور الطبيعية المرسومة فيها تقدم والتي سترسم الآن . قال الله تعالى - ألم تر أن الله يري سحابا ثم يؤلف بينه - هذه صورته (شكل ١٠)



(شكل ١٠ - صورة السحاب المتجمع من قطع منفصلة . منقولة من كتاب روبرت براون)
وقوله تعالى - ثم يجعله ركاما - هذه صورته (شكل ١١)



(شكل ١١ - صورة السحاب المركوم منقولة من الكتاب المذكور)
وقوله تعالى - فترى الودق ينحدر من خلاله - هذه صورته (شكل ١٢ انظره في الصفحة التالية)



(شكل ١٢)

وقوله تعالى - وينزل من السماء من جبال - انظر في شكل (٣) و(٤) و(٥) فهناك جبال الثلج الدائم في شكل ٣ ونزلها على جبال الأرض من السماء أى أعلى الحق شكل ٤ وهذه الجبال تحفظها واستمداد الأنهار منها تراه في شكل ٥ إذ يخرج منه نهر الرين . وقوله - فيها من برد - انظره في شكل ٦ و٧ و٨ و٩ فهناك أشكال البرد المذكور وقوله - فيصيب به من يشاء - الخ قد تقدم كيف كان البرد يفتك بالهائم في مراعيها ويكسر الشبايك وسقوف المنازل والزارع وقوله - ويصرفه عن يشاء - هذا هو الأعم . وأما قوله تعالى - يقلب الله الليل والنهار - الخ فهو ظاهر فيما تقدم في التفسير . وهنا جوهرتان

(الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد -)

قد قدمت لك أن العقول لا تقبل أن يكون في السماء جبال . وأزيدك على ذلك اني حينما كنت أقرأ هذه الآيات أقول لعل الجبال جعلت مجازا عن السحاب . أما الآن فقد ظهر أن جبال الثلج دائمة في الجوف واسكن الجب أن يقول - فيها من برد - فلم يقل جبلا من البرد لأن الحقيقة أن الجبال المتقدمة من الثلج لأن البرد والبرد كما تقدم داخل في الثلج كما شرحه العلماء وأوضحه العالم الألماني في الظواهر الطبيعية فيما تقدم آنفا إذن قوله تعالى - فيها من برد - لم يتضح إلا في هذا العصر لأن جبال الثلج إنما يكون البرد محولا عن بعضها لا سلكها . إذن ذكر - من - في الآية قد ظهر سره الآن . انتهت الجوهرة الأولى

(الجوهرة الثانية)

اللهم لك أنت ذو الجلال وذو الجلال . خلقت الانسان من الجبال على الجبال في الجبال فعلمنا سلكه جبال ولكنتنا غافلون . فإذا يفعل الله معنا . هو برحيم . فتح لنا أبوابا كثيرة وهدانا الى كل سبيل عسى أن نرى ذلك الجبال . أذكر أني بعدما كتبت هذا الموضوع خرجت للرياضة مساء على شاطئ النيل فلمسحت السراري الحسان لامعات في جفوة السماء ترقص وهي في جلايب لازوردية مشرقة اللون . فإذا خطرتى قلت في نفسي محبا وألف محب . أنت يا الله حكيم ورحيم . أحطنا بكرة سمينها سماء وكلها مرصعة بالسراري وهي آمن من الدرف فلم ندرك الجبال وأغلبننا غافلون فأخضت فتحت لنا أبواب النظر . ومنها أنك عمدت الى بخار الماء في الجوف لجمعه بالبرودة وصنعت منه حجارة لامتصينها بردا وأخذت تكسر بها الشبايك والسقوف في

المنزل وتقتل بها البهائم في مراعيها . لماذا هذا . لأنك لم تخلق هذا العالم إلا للبحث والعلم . هذا نتيجة هذه الدنيا . وإذا خربت بيوت ومائت نفوس وهلك حقول فذلك باب للعلم . لولا هذه الزمجات ماتت البيوت للناس لهذه الحوادث ولذلك رسمها العلامة (ابك) الروسى سنة ١٨٦٩ والصابط (ديكوكوز) الفرنسى سنة ١٨١٩ وبقي ذلك للناس ليدركوا . أهلك البرد بعض ماينفع الناس في الأرض ليوصلهم فإذا رسموا هذه الصور كما رأيت فقد أتوا يعلم دائم نشره القوم في أوروبا ونحن هنا نضربه القرآن . إذن كل هذه العوالم إنما يراد بخلقها في النهاية العلم ولاحادثة تحدث في الأرض إلا لها قسم صدق في العظة والاعتبار والاعتبار هنا أكثره علمي كما عرفت والحمد لله رب العالمين

(انعام الجبال في هذا المقال)

لقد تبين في هذا المقال وفي مواضع كثيرة من هذا التفسير أن جبال الثلج تكون على الأرض عند القطبين وكلما تباعد الانسان عن القطبين واقرب من خط الاستواء ارفعت تلك الجبال فأعظم ارتفاع لها يكون عند خط الاستواء أى ان جبل الثلج الذى تقدم انه كالقطن المنسوف وشاهدت رسمه يكون بعيدا عن سطح الأرض جدا ولا يزال يقترب منها حتى يكون على سطحها عند القطبين فأريد الآن أن أزيد هذا المقام جبلا فأقول

ورد في كتب الجغرافيا الحديثة أن تكون الشواطئ الشمالية القصوى من آسيا وأوروبا وأمريكا أشبه بتاج حول القطب الشمالى . ولقد اتجه العلماء لكشف تلك الأقطار من ابتداء القرن السادس عشر الميلادى الى الآن ولم ينالوا من العلم بها إلا قليلا لأن التاج الذى نحن بصدد الكلام عليه يصعد السائحين أو يهلكهم وغاية الأسرآن (دافيس) كشف البوغاز المسى باسمه في القرن السادس عشر وفي القرن السابع عشر كشف (بفان) بوغاز (لنكاستر) ولكن التلوج قامت عبة في طريقه فأرشد الى أوروبا . وفي القرن التاسع عشر توجه (جون فرانكاين) الى القطب الشمالى ومات . وهكذا قصدت بعثة القطب عن طريق (بوغاز بهرنغ) فهلكت بين التلوج . وفي سنة ١٨٦٩ قصدته بعثة أخرى على سفينة ألمانية خطمت التلوج السفينة وألقت العناية الإلهية بركابها الى ظهر جزيرة سابعة من الجليد سارت بهم حتى ألقتهم على شواطئ جرونلند الجنوبية سالين . وفي سنة ١٨٧٢ كشف (واير) و (تايرخت) جزائر (فرانسوا جوزيف) ولم يقدرا أن يجتازا أكثر من البرجة (٨٢) والدقيقة (٥) . وقصد (كان الأمريكى) القطب سنة ١٨٥٨ فصادفته المصاعب فرجع وقال (هناك بحرسائل في القطب الشمالى) . والدكتور (هيس) قصد القطب في مركبات تجرى على الثلج سنة ١٨٧١ فات عند البرجة (٨٠) والدقيقة (١٦) فرجع أصحابه بعد ما حطمت سفينتهم فتلقتهم جزيرة من الجليد عائمة فلبثوا عليها ستة أشهر وهى سابعة حتى صادفتهم سفينة على شواطئ (البرادور) فنزلت بهم اليها وقد كادوا يهلكون . وفي هذه الأقطار يرى البحر ذا بياض ناصع لكثرة التلوج وترى سطحه مغطى بقطع تلجة مختلفة الأشكال وقد يكون شكل جبال بمفاوזה ومضائقها ووديانها وقممها . ومنها ما هو على شكل سهول واسعة لامعة . وفي الصيف قد يبلغ سطح بعض هذه التلوج مئات من الكيلومترات المربعة وارتفاعها ينوف على مائة متر وجهها جلة آلاف آلاف آلاف من الأمطار المسكبة ويضطرها ثقلها أن تنطس في الماء . وقد يكون المختفي منها في الماء ثلاثة أمثال ما على ظهره . وتأفى الرياح والتيارات بهذه الجبال الثلجية الى بلاد المنطقة المعتلة فيشاهد بها سكان الأرض الجديدة بأمريكا (٤٥) درجة وغيرهم والبرمغى بالتلج كالبحر هناك . فترى الرياح تأتى مشبعة بخار الماء من البحار فيتكاثف بخارها فينزل على الأرض كأنه نديف القطن فيجتمع ويصير جليدا . ومن الجانب أن هذه الأقطار إذا كان الليل فيها (ومعلوم أنه ستة أشهر كالنهار) تلطف حاستا السمع والبصر فتظهر للمعين مناظر غريبة كالسراب والمالات والشموس

والأقمار الكاذبة والشفق الشمالى المتقدم ذكره ورسمه فى (سورة الكهف) ويكون لهذا الشفق كما تقدم هناك ألوان بهجة وأشكال عجيبة فيظهر كأنه زينة فى الأفق أبواب من نور فتح فى السماء . فأما قوة السمع فإنها تكون عجيبة فإذا سقط حجر كان له صوت كصوت المدفع وإذا تسكلم انسان سمع صوته وفهم كلامه على مسافة ألف متر . وليس هناك أبهج من شروق الشمس والتمتع فتنظر أنوار الشمس أولا شققا ثم تعظم بالتبريح ولا تعالو الأفق بل تدور حوله والقمر يظهر نوره جليا جدا حتى يستطيع الانسان أن يرى على مسافة (كيلومتر) وسكان تلك الأقطار يحتفلون بظهور الشمس فيوقدون النيران و يقيمون الأعياد . وأما القطب الجنوبى فإن المعروف عن أرضه قليل جدا . وأهم الرحلات الى القطب الجنوبى كانت فى القرن الثامن عشر فكتشف ثلاثة من الفرنسيين بعض الجزائر . وتبعهم (كوك) وكشف جلة أرضين . وأثبت أن هناك قارة عظيمة . وآخر درجة وصاوا لها (٧٨) والدقيقة (٩) والثانية (٣٠) (١٨٣٩ - ١٨٤٣) وقطع الجليد أضخم وضخامة الطبقة الثلجية أكثف فيه والصاب هناك يحجم دائما . والقول العام أن هناك أرضا بالقرب من القطب الجنوبى واستنتجوا من بعض الظواهر أن هناك جبالا ورأوا بعض براكين . وكل ذلك يدل على قارة جنوبية كما عرف علماء طبقات الأرض أن الأقطار الشمالية المتقدمة فيها مناجم للفحم الحجرى مما يدل على أن الغابات كانت فى قديم الزمان موجودة بهذه الأصقاع

(بهجة العلم وظهور سر من أسرار القرآن فى قوله تعالى - ألم تر أن الله يزجى سحابا - الخ)
خرجت من المنزل صباحا للريضة منذ شهر هذه السنة ١٩٢٨ م وكانت المطبعة لم تصل فى طبع التفسير إلا الى (سورة الاسراء) فوقفت على شاطئ نهر النيل بالقرب من (جزيرة النيل) وكان نظرى مبتهجا بالألوان الشمسية للشرقة على سطح ماء النهر المنعكسة على الشاطئ القريب من سطح الماء فكنت أرى الضوء المنعكس وقت الصباح يعطى ضوء الشمس الأصل ضوا أظهر بياضا وأحسن اشراقا . فأما فكرى فقد كان مبتهجا بمسألة (المحار) وتناوله فى البحر وأن (المحارة) تلد آلافا من صغارها بلا ذكر وهذه المسألة تناسب مسألة المسيح وأمه . فبينما أنا كذلك إذ قابلنى هناك صديقى مصطفى بك منير ذاهبا الى ديوان التنظيم فسألنى قائلا . فيم تفكر . فأجبت بما ذكرته فسر وقال هذا أمر لم أسع من تفكره من قبل . هنالك أخذنا نتجاذب أطراف الحديث من قديم وحديث فأخذ يقص لى قصصا عجيبة . قال (لقد اجتمع سنة ١٩٢٥ أى منذ ٣ سنين بيلادنا المصرية باسم الحكومة المصرية نحو (٢٥٠) علما من علماء الأمم الأوروبية كلهم أعضاء الجمعية الجغرافية التى أنا من أعضائها . ولما التأم جمعهم وتكامل وانتظم الاحتفال ألقى كل واحد منهم خطبة فى موضوع جليل جليل . ولما كنت أنا منهم ألقىت موضوعى فى أمر النيل وخروجه من خط الاستواء وأن آية - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ منطبقة على نيل مصر انطباقا تاما

- (١) ألم تر أن الله لم يخلق نهرا مبدؤه يمر به خط الاستواء إلا النيل
- (٢) ألم تر أن تلك الأقطار الاستوائية لاقتأ أنواع البرق تتلأأ فيها بهيئة فوق المعتاد تمتاز عن برق الدنيا كلها بحيث تكاد تخطف الأبصار وتبهرها مدة عشرة أشهر فى السنة
- (٣) وأيضا هناك أخاديد فى الأرض غائرة ينزل فيها ماء غزير جدا لا يدرى الناس أين يذهب وهكذا
- (٤) يخرج البخار من المحيط الاطلسيى والمحيط الهندى أى من جانبي افريقيا فيلتقيان فى الجوف فيمطران فى خط الاستواء . وللاول الاشارة بقوله تعالى - يقلب الله الليل والنهار - ومعلوم أن ذلك التقلب فى خط الاستواء لأن حركة الشمس هاك . وللتانى - يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار - وللتالث - يصيب به من يشاء ويصرفه عن يشاء - والرابع بقوله - ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه - الخ . قال وكانت الخطبة لكل خطيب لا تتجاوز (٢٠) دقيقة فلما سمعوا هذه الخطبة أثنوا بالاجماع على قولى واعتبروا هذا نورا

اسلاميا . فقلت له أيها الصديق كيف تقول ان نهر النيل هو الوحيد الذي يمر منبعا بخط الاستواء مع أن هذه المنطقة ينبع منها أنهار كثيرة . فقال تنبع أنهار ولكن ذلك ليس من نفس خط الاستواء أي ان نهر النيل هو الوحيد الذي يمر في خط الاستواء فعلا بمنبعه . أما غيره فيجبل قليلا أو كثيرا ثم تبسم وقال لانس أن هؤلاء علماء الجغرافيا الذين يفتنون لكل ما يقال على علمهم . فقلت له فإذا عملوا بعد ذلك قال لما رأوا انطباق نهر النيل على الآية وقد كنت رسمت خريطة رسميا بحسب ما بحث صارت الخريطة أطول من ثلاث حجرات على الأرض وقد رسمتها بحسبة وجبالها مرتفعة وبحيراتنا منخفضة وكل ذلك بألوان . وهاهي ذه أريكها الآن في دار الجمعية الجغرافية التي مفتاحها بيدي فأخذني إليها وتفرجت عليها ودهشت لخريطة عظيمة مرتفعة عن الأرض بقوائم مستطيلة ضخمة وليست في حجرة بل هي في جهو المكان فقال انظر فظنرت السقف ومنه تدخل أشعة الشمس فقال ان علماء الجغرافيا الذين أتوا من جميع ممالك أوروبا كما أخبرتك هم الذين نقلوها بأنفسهم من الداخل الى هنا اعظاما لها وجعلوها ملاقة لأشعة الشمس اشارة لأنها مناط العلم والتقدس وسموها (الخريطة المقدسة) وذلك لأن لها آية في كتاب مقدس وهو القرآن . قال وقد فرحوا فرحا عظيما . فقلت له يسبحان الله . أليكون هذا في بلدي وعلى مقربة من منزلي ثم اني أجهله مع انك أنت صديقي . إن هذه أحسن فرصة أن أقص هذا القصص في التفسير وأن رسم هذه الخريطة لي مع بعض المعلومات معها فتفضل ورسمها وأرسلها لي فشكرته على صنعه ورسمتها هنا وذكرت ما كتبه على مقتضى ما أفاد به علماء الجغرافيا . ومن عجب أن يجتمع في هذه السورة (ثلاث عجائب) الخريطة المقدسة هنا . ثم خطبة صديقي الاستاذ (جاد المولى) في شرف الدين الاسلامي في جمع حافل من عظماء علماء أوروبا وقد أقرؤوه ولم يناقضوه وذلك عند قوله تعالى - وكذلك أنزلناه آيات ميقات - فساد كرها هناك لأن هذا من التبيين الذي نزل به القرآن . ثم ما كتبت الجمعية الآسيوية الفرنسية على الدين الاسلامي بمناسبة كتابي (نظام العالم والأمم) فلا بدأ بالخريطة المقدسة وان كان مافسر به ليس على النهج الذي قدمناه ولكنني أردت أن يقف الناس بعدنا على آراء أهل عصرنا

(الخريطة المقدسة)

لما أرسلها لي صديقي مصطفي بك منير قال بعد الديباجة . وبعد فرسل مع صورة لوحة (خريطة منابع النيل) التي أبصرتموها في دار الجمعية الجغرافية ومعها نسخة من مختصر المحاضرة التي ألقيتها في الجمعية على أساندة المدرس والله يحفظكم ويهدينا الى العمل بارشاداتكم المخلص . مصطفي منير أدهم وهذا نص الخطبة المذكورة

(القرآن الكريم و منابع النيل)

من ألفت الخارطات المعروضة في دار الجمعية الجغرافية الملكية المصرية لوحة بحسبة تمثل منابع النيل عند خط الاستواء . فترى جبال (رفنزور) الشاهقة التي ارتفاعها (٥٥٠٠) متروفي جنوبها جبال (اريزي) وارتفاعها (٤٥٠٠) متر . وفي شرقها (جبال الجون) وارتفاعها (٤٣٠٠) متر وقد كساها البرد طيلسانا أبيض حتى اذا ما أزعج السحاب وتآلفت أجزاؤه وتراكمت خرج الطرمن خلالها وزل من السماء من تلك الجبال الشاهقة بلعان له يريق بخرط الأبار . وترى على هذه الجبال تجاوير الماء وقد انحدرت منها وجرى الى مجار فتصبى الى بعض البحيرات وتنصرف عن الأخرى ، ترى بحيرة (فيكتوريا نيازرا) ومساحتها (٦٠٠٠٠٠) كيلومترا مربعا وارتفاعها عن البحر (١١٤٥) مترا وقد أصابها ماء تلك الجبال لأن البحيرة وقعت بينها . وترى بعض هذا الماء وقد انصرف من جبال (رفنزور) و (اريزيمي) الى بحيرات (تنجانيقا) وارتفاعها (٦٧٣) مترا و (كيبو) وارتفاعها (١٤٥٠) مترا و (ادولرد) وارتفاعها (٩١٥) مترا والبرت ومنسوسها

كنسوب بحيرة (ادوارد) ، وكذلك انصرف بعض ماء (جبال الجون) الى بحيرة (رودلف) وترى الماء في بحيرة (فيكتوريا) يجري شمالا الى بحار تصب في بحيرة (كيبوا) وارتفاعها (١٠٣٠) مترا ويخرج من هذه البحيرة نهر فيكتوريا فيصب في بحيرة البرت . ثم ترى نهر البرت وقد خرج من بحيرة البرت وانتهى الى أول مجرى النيل السعيد . وتجعد فوق اللوحة خط الاستواء حيث يستوى الليل والنهار مارا بالجزء الشمالي من بحيرة (فيكتوريا نيازرا) قاطعا جنوب جبال الجون الواقعة شرقي البحيرة وجبال (روفزور) و (اريزمي) التي في غربها . اختارت الجمعية لهذه اللوحة أحسن مكان عندها فوضعتها تحت روشن قاعة المحاضرات الكبرى فترى أشعة الشمس وقد سقطت عليها نهارا فأكسبتها هبة ووقارا . ويحيل الى الناظر إليها كأنه في طيارة عالية عند خط الاستواء ونحوه تلك الجبال الشاخعة وقد كساها الثلج وتراكت عليها السحب وخرج من خلالها المطر وزل من أعلاها بلعانه المجيئ الذي يحطف بالأبصار منتها الى بعض الجهات ومنصرفا عن الأخرى بحسب ما هيأه له يد القدرة من مرتفعات ومنخفضات وأخاديد كانت غامضة علينا لولا أن كشفها أخيرا المستر هرت مدير مصلحة الطبيعات سنة ١٩٢٧

هذا المنظر المائل بل السر الإلهي العظيم يستمر على هذه الحال عشرة أشهر في العام . وضع بطليموس سنة ١٥٠ ق.م خارطة النيل الموجودة صورتها في دار الجمعية الجغرافية ورسم عليها منبعا واحدا للنيل خصب ثم جاء بعده بنحو اثني عشر قرنا الادريسي ذلك الجغرافي الشهير وقال ان النيل يخرج من بحيرتين تصبان في بحيرة ثالثة وهو أقرب الى الحقيقة ومطابق للوصف المبين على لوحة منابع النيل المذكورة

هذا ما أمكنني على قدر طاقتي أن أصفه لك أيها القارئ الكريم عن هذه اللوحة وإخالك ملئت وصفي وان كان قرب لك على قدر الامكان تصوير اللوحة . ولكن انظر إذن الى ما وصفها الله تعالى به منذ ١٣٤٧ عاما في كتابه العزيز فقال تعالى وهو صدق القائلين - ألم تر أن الله يري سبحانه ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق (المطر) يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار . يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار -

لم تترك هذه الآية الكريمرة قطعة واحدة من وصف اللوحة وما يحصل عند النيل من العوامل الطبيعية من أول ما يري السحاب الى أن يجري ماءه في النيل إلا وذكره . ولا سيما ما يحصل من الليل والنهار المناسبة مصادقة خط الاستواء لمكان تلك المنابع وما ينصرف من الماء الى تلك الأخاديد التي كشفها المستر هرت وما يحصل لأهل اقليم (فيكتوريا نيازرا) من تأثير لمعان البرق على أبصارهم . وهذا الوصف لا ينطبق على منبع أي نهر آخر غير النيل السعيد قال تعالى - ما فرطنا في الكتاب من شيء - ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرأ انتهى خطابه (انظر شكل ١٣ في الصفحة التالية)

(شكل ١٢ - صورة الخريطة المقدسة لنيل مصر رسم معطى بك نيرأهم)



﴿ مقال عام في هذه الآيات من قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - الى قوله تعالى

- يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - ويان أن هذه الآية هي سر

ملخص ديانات الأمم القديمة لاسيا دين قسما المصريين ﴾

انظر أولاً في دين الصابئين وهم عباد الكواكب وتعجب لما في لغة العائلة (الآرية) أو الهند الجرمانية فان الله عندهم هو النور أو الشمس وتعبد اللفظة الأصلية للنور (ديف) ومعناها النور أو الالامع ويشق منها هند الشعوب للذكورة ألفاظاً للدلالة على الله . ففي لغة (السنسكريت) (ديفاس) أو (ديواس) أو (ديوا) ويعبرون عن السماء بلفظة (ديوس) وعند اليونان (ذيرس) وعند اللاتين (دووس) أو (ديوفيس) ثم قالوا (جوفيس) ومنه (جوبتر) وفي الألمانية القديمة (ذير) وفي السلان (ديواس) ولفظة (تير) المشتقة منها معناها إله الحرب عند أم الشمال والفرنسيون يعبرون عن الخالق (ديو) مترجمة والإيطاليون (ديو) والإسبانيون والبرتغال (ديوس) وكلها مشتقة من أصل واحد . ولاجم أن نار الفرس ذات علاقة بالنور فتري هذه الأمم في مبدل أمرها لما بهرهما من جمال النجوم عشقت مبدعها وعبدته وسمته باسم النور على مقتضى تعاليم أنبيائهم ثم طال عليهم الأمد فنسوا تلك التعاليم فبدوا العوالم المنظورة للضئمة ثم عبدوا الأصنام انتهى من كتابي ﴿ أصل العالم ﴾ مع إيضاح آتم

فانظر لتعاليم القرآن وكيف أنزل الله هذه الآية ليدلنا على أصل فطرنا . إن فطرة الانسان كلها عاشقة للنور لأن النور جيل والنور مبدأ الحياة . فلولا أنوار السماء والحرارة المنبعثة من الشمس لم يكن على وجه الأرض نبات ولا حيوان . لذلك كان الناس مغرمين بالأنوار سواء أعرفوا الحقيقة أم لم يعرفوها . فاذا أسموا الله بالنور فهي تسمية أقرب الى الفطرة . فانظر جميع أديان الصابئين التي ذكرتها لك فانها ترجع الى النور المذكور في هذه الآية فهي آية جمعت ديانات الأمم الفطرية التي تلائم عقول الناس جميعاً ثم اعتراهما يعترى كل حي من البوار فاختلطت تلك الديانات وعبدوا الشمس والكواكب ثم الأصنام ثم ذهبت وحل محلها الاسلام . ذلك دين الانسانية جميعها . فانظروا يجب لهذا الدين . نبي أمي في جزيرة العرب تنزل عليه آية - الله نور السموات والأرض - ونفس هذا المعنى هو ملخص كل دين نزل على نبي قبله . وإياك أن يصدك عن هذا المعنى أن الأديان ضالة أو خاطئة أو منسوخة . كلا . ثم كلا . فهذه الديانات كلها كانت في أول أمرها حقا صحيحة والله عز وجل أشرق نوره العلمي على كل طير وكل دابة وكل حشرة وهكذا على الأمم الانسانية . الله لم يستن من رحمته أحدا وكيف يستن وهو نور السموات والأرض . هو رحم كل مخلوق ورسم الأمم السابقة وأسبغ النعم عليها ظاهرة وباطنة . ولكن كما اختلط دين وصل أهله أرسل رسولا آخر حتى جاء الاسلام فشرح كل دين وقال الله فيه - الله نور السموات والأرض مثل نوره كشكاة - الخ أي فلا ننظروا أن الله هو الشمس أو الكواكب . كلا . بل هذه ضرب أمثال ثم ضمن حفظ هذا الكتاب وبقاءه باللغة العربية ثم خلط أمم الشرق بأمم الغرب وقال لهم أيها الناس لا تخافوا من الضلال فكل من حصل له شك في دينه فوجدته غير معقول عنده . فها هو ذا حصن وهو القرآن فاقروه أيها الناس في هذه الأرض . ولقد كنت أرسلت آلافا من الأنبياء ومئات من الرسل فغيرتم أديانهم - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك - لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ولسجدوا لله الذي خلقهن - وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً وأنه كان يقول سفيها على الله شططا -

﴿ الكلام على دين قسما للمصريين وظهر أسرار هذه الآية فيه ﴾

اللهم انك قد سحرت بجمالك الذي أشرق في الآفاق عقول العقلاء من جميع الأمم وابه يظهر لي أن الله أناسا في كل جيل وأمة يحثون اليه ويظربون لنظر جماله الذي أشرق في هذا الكون العظيم . اللهم ان

نجومك الجيلة وشمسك المشرقة وأقارك الباهرة وعلمك الساحرة وبهجتك الساطعة قد امتلأت بها قلوب وقلوب فظهر على ألسنتهم وصف ذلك الجبال . اللهم إن هذه الدنيا كلها مشهد عرس وموسم أفراح قد نصبت فيه القريات المشرقات وهن يرقصن بتلاؤن ويتواجدن بترغ حتى إن أرضنا في الحقيقة لازال راقصة آتاء الليل وآتاء النهار فهي كمن قال الله فيهم من الملائكة - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - فهي لا تنهد ولا تنفر عن الجري بما حلت على ظهرها حول الشمس وحول نفسها فرقصها مزدوج كأنها في عرس دائم وفرح هائم . تصور الدورين على نهائ الراقصات الحسان من كواكب السماء وهي فرحة بما حلت به من ثلج كالس في قطبيها وجبال منه كأنها القطن المنذوف في جوها وفوق أعلى جبالها فهي حسناء وشمت بالباس والجواهر من جيع جوانبها قد كملت آنا فآنا بقوس قزح والأزهار الجيلة وأريج الزهر وبهجة السحاب ولطف الهواء زينة وبهاء . الكون كله في عرس متى لحظه العقلاء . كله نور عند من يعقلون . ليس يشهد هذا العرس من الناس إلا قليل أولئك هم الذين يقولون لمخلقوا ويشركون نعمة من جبال مبدع هذه الكائنات لتلك ترى جميع الديانات بحسب حقائقها ترجع إلى هذا المبدأ الذي وصفناه ولذلك قال الله تعالى - قل ما كنت بدعا من الرسل - فهذا الدين شأنه شأن الديانات الحققة السابقة قبل تبديلها . انظر ماذا ترى في دين قدماء المصريين فإنه قبل أن يشتد فيه التبديل جاءت أناشيد على منبج هذه الآية - الله نور السموات والأرض - فانظر ما نقلت لك عنهم في (سورة البقرة) من كتاب (الأدب والدين) عند قدماء المصريين المترجم حديثا عن كتب الأوروبيين وذلك في أواخر السورة عند قوله تعالى - مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة - الخ فهناك وصف الله بأنه قد أشرقت شمس في الأرجاء وتبع ذلك وصف الشمس ونورها وبهجة الحيوان بها إلى آخر ما هناك . هذا ما كتبت هناك فافرقه تجد العجب . وأقول هنا قد جاء في الكتاب المذكور ما نصه (ومن رأى بعض المؤرخين أنه لم يكن اعتقادهم أن نوت هو الشمس نفسها بل هو الجواهر الذي لا شكل له وهو أصل كل شيء والذي أنزل المحبة على الأرض . وقد مثلوا (نوت) على شكل قرص الشمس) انتهى

أقول . إذن هؤلاء أصل دينهم كديننا فآنا نقول إن الله مقس عن كل الحوادث ولكن هم جعلوا الشمس ضرب مثل له وآتون اسم من أسماء الله عندهم وقال في صفحة ٩٢ (وقد وصفوا آتون بالرحمة والشفقة وحب الخير والملاطفة مع خلقه وأنه أب لهم عطوف جيل يملأ السموات والأرض بالخير والبركة ولطيف بخلاقه بأسرهم بمحبه ويلطف بالطفل بالرحم وفي المهد ويعطف على الفريخ في البيعة وأجرى النيل وأنزل الأمطار وعهم المنافع لسائر البلاد وجميع العباد) اه وجاء فيه أيضا في صفحة ٩٧ (إن قدماء المصريين وإن عبدوا الآلهة قد وحدوا فعلا أيام الملك مينا فآله في مدينة (عين شمس) آتوم وفي مدينة منفيس (فتاح) وفي مدينة الاشموين (تحت) وفي مدينة طيبة (أمون) . وفي الأقصر (حورس) وفي جزيرة اسوان (خنوم) وهذا كان سبب تعدد المعبودات عندهم والا فالأصل هو التوحيد) انتهى

وجاء في هذا الكتاب صفحة ٩٧ ما ملخصه

(من هنا يتضح أن معبود الجميع في الحقيقة إله واحد وما هذه الأسماء إلا رموز ومظاهر للإله الحقيقي الواحد الجامع في ذاته كل الصفات الإلهية) وإلى القارئ أنشودتان من أناشيد أهل طيبة للمعبود (أمون) ومنها يتضح حقيقة عقيدتهم في إله الفرد الصمد وهما

(الأنشودة الأولى)

(إله العظيم سيد جميع الآلهة (عل) اتصد جميع الملائكة) أمون رع الأزلي الحق الواحد الخالق كل

شيئ السيد المسيطر الذي لم يكن قبله شيء بل هو الموجود قبل كل شيء وكان منذ الخلقه هو قرص الشمس الذي يحيا جميع البشر بظهوره (ترجت من كتاب (نافيل)

(الأنشودة الثانية)

(الإله الذي أوجد المشب للحيوان وثمار الأشجار للإنسان ويسرقوت الأسماك في البحور وهيا الغذاء للطيور ووضعه الروح في البيضة وأطعم البرغوث والبعوض وحنانه شامل لكل ملتجئ إليه . حتى الضعيف من القوى وهو المجدد المحبوب في السماء والأرض والبحار وتخضع له الآلهة (أقول أي الملائكة) لجمده تعظيما لحاقيهم ويتنهج بقر بهم منه وتمجده الحيوانات الضاربة في قباني الصحراء . بهر جالك العقول وخطب القلوب (ترجت من كتاب أرمن الألمانى) انتهى ما أردته من الكتاب المذكور

أفست ترى أن هذا الهيام وهذا الحب والفرام يجمع هذا العالم ناشئ من قلوب أدركت جلاله في هذا الوجود ورجته الشاملة . فالأوصاف في هاتين الأنشودتين ترجع للجمال الظاهر الذي أبرزوه بهية الشمس والجمال الباطن الذي يرجع للرحمة الشاملة لما في الأرحام ولكل من على الأرض . ومن عجب أن آية - الله نور السموات والأرض - وماتبعها من أن الطير صافات تسبح لله وتصلى له فيها كثير من معاني هذه الأنشودة بل فيها جميع معانيها لأنه ذكر ما عصى على رجلين وما عصى على أربع وما عصى على بطنه بعد ما ذكر الطير في هذه الآيات معاني هذه الأنشودة والأنشودة التي ذكرتها في (سورة البقرة) لغناها تقرب معانها ولولا خوف التكرار لذكرتها هنا ولكني أقول انهم فيها (أولا) وصفوا الليل وظلامه وأن الله يحفظ أرواح الناس وهم نائمون (وثانيا) وصفوا طلوع الشمس وفرح الناس به فيتوضئون ويلبسون ملابسهم ويرفعون أيديهم الى السماء (وثالثا) ذكروا أن المواشي تستقر في مرعائها والأشجار تزدهي والطيور ترفرف تعجيدا لك وتنهض الحيوانات على قوائمها (ورابعا) أن الشمس اذا أشرقت تسبح الأفلاك في بحارها وترجح الأسماك في لججها وتتلألأ الأنوار على صفحات الماء (وخامسا) ذكروا تصوير الأجنة كما تقدم وأرضاع الأم لمن بعد الولادة ثم تعليمهم اللغات . ثم ذكروا انه خلق سائر البلاد لامرر وحدها وهكذا ذكروا النيل الذي يحيا به المصريون ونزول الأمطار على الجبال وتقسيم الفصول بأضواء الشمس . وانتهى النشيد بهذه العبارة (خلقت الأرض لأبنائك (يريد عبادك) ومنى أشرقت علينا تشخص العيون لجالك) انتهى

فهذا المعنى الذي تضمنته ذلك النشيد يرجع الى النور والى الحياة والى الحيوان والطير وانه كله مسبح بحمده . إذن هذه الآيات تضمنت هذه المعاني . وهذا عجب أن تبعه الأفتدة في الأمم قديما الى المعاني التي نزل بها الوحي حديثا على خاتم الأنبياء ﷺ لهذا ولغيره قال الله له - قل ما كنت بدعا من الرسل - ثم اعلم أن هذه المعاني التي تنشر بها قلوب عقلاء وحكماء الأمم غذاء لهم وبهجة في الحياة الدنيا بل هي السعادة العظمى . اللهم ان أمثال هذه البدائع والدر والجواهر نعم مجلت لأناس أنت اصطفيتهم في الدنيا بحبوك حبا جيا وقلوبهم واله بك وامقة لك بهجة بأنسك مشربة للقاتك ترى الدنيا عروسا أنت جلوتها وكؤسا أنت أدرتها ونورا أنت أبدعته وعرسا أنت أفتته وزينة أنت نصبتها . سبحانك اللهم جعلت هذه الدنيا دارا تجمع بين حاليين حال الجنة وحال النار . فأما الأمم والبول والممالك وأكثر الناس فكل هؤلاء يكتنون بنارها في احتدام وخلم وجدال وحسد على متاع قليل . وأما الحكماء الذين اصطفيتهم فوائدهم مع الناس بأجسامهم وظواهرهم وهم الآن في جنة المعارف . فهم في الدنيا معك في أنس وحبور وجمال وبهاء . بك يأنسون وبقر بك يفرحون وشموسك وأقمارك ونجومك بهم يطوفون . هؤلاء هم صفوة الانسانية ومقر الأنوار الالهية . فهم مع الناس في شقاء بظواهرهم ومعك في جنة بباطنهم . إن الحسد والحقد والفيظ والعداوة والطمع والحرص قد أحاطت بالناس فلبت بهم السعادة . فأما هؤلاء فانهم غلبت عليهم

تلك الأنوار المشرقات فزادت قلوبهم . فهم في جنة يحبسون . وهؤلاء وحدهم هم الذين يتقنون قولك - لله نور السموات والأرض -

﴿ بهجة العلم في تفسير قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - الخ ﴾

اللهم انك أنت الممجد على نعمة العلم والعرفان وجمال الاتقان وأبداع النظم . هذه الآيات أثبت لنا ﴿ جلالين ﴾ جلالاً يدرك سببه بالابصار وجمالاً يدرك سببه بالباطر . فأما الجبال التي يدرك سببه بالابصار فهي هذه الأنوار المشرقات من الكواكب المحيطة بأرضنا كما أوضحناه . فهذه نذكر أسبابها أبصارنا وهي التي ضربها الله لنا مثلاً للأنوار الباطنة التي مصدرها هوالله بلا واسطة هذه المشرقات . وأما الجبال التي يدرك سببه بالباطر فهو ذلك الأبداع التي ظهرت آثاره في جمال الوجوه واتقان الصور والخلق والخلق والرافة والرحمة والهام الحشرات والأمهات وخلق الأجنة في البطون والرحمة التي لاحد لها والتي قد وضعت في هذا التفسير أيما وضوح وهذه هي التي ضرب الله المثل لها . فالشمس والكواكب وأنوارها ضربت مثلاً للنفحات الباطنة والإلهامات الجبية وإحسان التصوير والنقش والأبداع . فقوله - مثل نوره - الخ هو الذي ضرب به المثل . وذكره الطبرصاقت وإجزاء السحاب والتأليف بينه وجعله ركناً وانزال الودق منه وكذلك البرد وتقلب الليل والنهار وخلق البواب كلها وتقسيمها الى من يمضي على بطنه ومن يمضي على رجلين ومن يمضي على أربع . كل هذا التدبير لاتصلح الشمس ولا الكواكب لاحداته . كلا . إذن الشمس والنجوم والكواكب أسباب الأنوار الظاهرة . فأما ذلك التدبير والأبداع فأساببه خفية تركها العقول والأفهام . ولقد ذكرت لك أننا أن قماء المصريين ذكروا الآخرين معاً أمر الأنوار الظاهرة في أناشيدهم من اشراق الشمس وظهور الحركات الحيوانية بها . ومن ظهور اللطف والرافة والتدبير في خلق الأجنة في الأرحام وأريد عليه الآن بأنهم لم يكتفوا بذلك النشيد بل انهم فوق ذلك أبدعوا رقصاً دينياً في معابدهم . وذلك الرقص ليشتبهوا بالكواكب الجاريات حول الشمس لأن أظهر الأنوار مآرأه العيون من الكواكب فإذا تشبهوا بها فقد نسجوا على المنوال الرأى في نظرم وذلك ليكون ذكر الله قولاً بالأناشيد وعمل بالرقص الديني وهذا (مع وجود الفارق) كما أننا ذكر الله بالسنن ونصله بحركاتنا في القيام والقعود والصلاة أقوال وأفعال فهم كذلك أقوالهم النشيد وأفعالهم ما يشبه الرقص . ولا يخفى هل ذلك كان عن أنبياء مثل سيدنا إدريس (سيروستريس) وغيره أم من اختراع علماءهم استناداً على دينهم ونصوص أنبيائهم . وسأني إيضاح هذا الرقص في (سورة الفرقان) عند قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء رجلاً - ولقد عرف الناس الآن أن تاريخه يرجع الى (٥٠٠) سنة . جاء في كتاب ﴿ الأدب والدين ﴾ المتقدم أن ذلك لم يكن خلاصة وشهوة بل جملة نموذجاً للحركات الفلكية وتميلاً للأنعام الموسيقية . ونقل في هذا الكتاب عن (كستيل بلاذ) أن تعجيد الخالق عند قماء المصريين أدكاهم الى انشاد الأناشيد المقتسة واحداث الرقص اظهاراً لسرورهم وأفراسهم وقياماً يشكر النعم واظهاراً للصمود والخضوع لقام الربوبية حتى اعتبر قماء الشعوب أن الرقص جزء جوهرى من ديانتهم بل اعتقد المصريون انه من التعاليم للآلهة . انتهى ملخصاً

ثم انظر لماذا جرى في الأمم الاسلامية في هذا المقام فانك تجد الرئيس (ابن سينا) في كتاب الاشارات يقول ملخصه ﴿ إن مما يشق النفوس الانسانية في الحضرة الالهية ويجذبها اليه العشق العفيف والصوت اللطيف والعبادة مع الفكر ﴾ وقال شراحه إن المراد بالعشق عشق الشرائع لآعشق الصور فإن عشق الصور موجب للفسوق والهيام بالمحسوسات . أما عشق الشرائع فهو الذي يدعوى الى الجلال الالهي . وأضرب لك مثلاً الآن فأقول : اننا نرى الزهرة والشجرة والكواكب فلا تبيح شهواتنا وترفق طبعاً بين هذه وبين الصور الجلية الانسانية . فلزهرة نحبها ولكننا لاتتبر شهواتنا مباشرة بخلاف منظر النساء فانه مثيل للشهوات مباشرة

حسنا للشمال يقولنا أشبه بحسنا للزهرة المبصرة . ثم إن الصوت اللطيف الذى ذكره (ابن سينا) شرحه العلامة الفزالي في الاحياء في «كتاب السماع» في الجزء الرابع منه فأبلغ السماع ولم يحرمه ولكنه شرطه شروطا سلكها ترجع الى أمر واحد وهو أن لا يثير الشهوات فقد ذكر شروطا في السماع وشروطا في المغنى وشروطا في نفس القول المسموع وأبان أن السماع لا يكون فنى يحتاج بالسماع وأن المغنى اذا كان امرأة هيح الشبهة وأن القول اذا كان فيه خلاعة كذلك . وقد أطال في ذلك واصله تفصيلا فارجع اليه . ومن عجب أن العلامة (ابن الطفيل) في محو القرن الخامس على ما أذكر في كتابه (حى بن يقظان) الذى لحسته لك في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - أولم تؤمن قال بلى - الخ قد ذكر أن (حى بن يقظان) لما ترعرع في الجزيرة ونظر الكواكب مشرقة مغربة أدهشه جلالها وقلمها في حركاتها ودورانها وصار يدور على نفسه تشبها بها حتى يفتنى عليه لأنه لم يجد من يقتدى به في حباقله وعبادته لإلهذه السيارات الجاريات ودورانها حول الشمس هو عين عبادتها لله . وهذا التخيل جعله يقلدها في القرب من ربه . أفلا تعجب منى أبها الذى كيف رأينا علماءنا السابقين قد بحثوا في العالم العلوى والسفلى ودققوا وكتبوا لنا آراءهم فلم ينفروا بها من أبواب العلم إلا ولجوه وبحثوه . وانما كتبت لك هذا لتعلم أن آباءنا لم يكونوا تأمّن وأن سلسلة العلم قد انقطعت بيننا وبينهم وآراءهم قد خبئت في كتبهم وأن قراء هذا التفسير وأمثاله سيحدثون للشرق نهضة لم يحدث مثلها من قبل . ثم انظر قول العلامة (ابن سينا) «ان العبادة مع الفكر عند الفلاسفة موازية للعثق العفيف والصوت اللطيف» وذلك في أواخر كتاب الاشارات وكيف كان الناس اذا لم يجدوا نبيا يعلمهم العبادة قلدوا الكواكب كما حصل لحي بن يقظان . هذا ما أردت ذكره في هذا المقام استطرادا

﴿ الأنوار الظاهرة والأنوار الباطنة التى ازدادت بها أرضنا ﴾

قد ذكرت في هذا المقال أن أرضنا قد أحاطت بها أنوار الكواكب والشمس والقمر وهكذا الهواء اللطيف والتلج والبرد والسحب . ثم أقول أيضا هناك أنوار الماء المتلاثة في البحار الاستوائية التى تلعم أنوارها بأشكال كالقمر وهائه والبرق وأنواره المشرقة بمائها لك من الفسفور المتحلل من الحيوان البحرى وهذه هي الأنوار الظاهرة التى صارت مناطق تنطقت بها أرضنا

أما مناطق الأنوار الباطنية فهى الحيوانات والنباتات التى أحاطت بالأرض من جميع جهاتها كما فى (شكل ١٤) و (شكل ١٥) و (شكل ١٦) و (شكل ١٧)

هذه الأشكال الأربعة وما يليها الى شكل (٢٦) منقولة من «الأطلس الحديث» المقرر فى المدارس المصرية تأليف الاستاذين (ليب أفندى للصال) و (محمد أفندى جدان)



(شكل ١٦ - نبات افريقية)

(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها)

ففي شكل ١٤ مناطق فيها أسماء النبات حول الأرض وهي (ثلاثة أقسام) نبات في المناطق القطبية ونبات في المناطق المعتدلة ونبات في المناطق الحارة . وفي شكل ١٥ مناطق فيها أسماء الحيوان حول الأرض وهذه تقسم الأقسام السابقة بعينها . والشكل السادس عشر فيه صور وأسماء نباتات افريقيا . والشكل السابع عشر فيه صور وأسماء حيوانات (افريقيا) . وسأتي في أشكال (١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) صور وأسماء نباتات وحيوانات أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية والجنوبية وإستاليا

فانظركيف زين الله أرضنا (بريتين) زينة أهم أسباب أنوارها ظاهرة وهي الكواكب السماوية وهي الثلوج والسحب والأنوار وهكذا . وزينة أهم أسباب أنوارها باطنة وهي صور الحيوانات والنباتات التي أحدثت مناطق حول الأرض زينة لها . وانما قلت ان السحب والثلوج وأمثالها أهم أسبابها ظاهرة لأن حرارة الشمس سبب لها ولكن هناك إحكام في الصنع ونظام في الوضع أسباب خفية فلاشبه عليك . ثم ان المناطق الحيوانية والنباتية التي جعلها الله عظمة بأرضنا زينة لها بديعة . فظاهرها جيل ولكن باطنها أجل لما فيها من التدبير والاحكام في ادراكها ومنافعها فضلا عن صورها والاحكام في تعقلها أمور معاشها وتدبير ذريتها مما ظهر كثير منه في هذا التفسير . وفي هذا المقام (خمس فصول)

(الفصل الأول) في ذكر أنواع الحيوان بطريق أوسع وبيان أجل نهجا على طريق تقسيمه في الآية

(الفصل الثاني) بهجة العلم . إن الانسان محبوس في عاداته تاركاً عقله كما حبس الحيوان في غرائزه وهو في ذلك أقسام على منهج القرآن الكريم

(الفصل الثالث) في عجائب هذه الحيوانات وآثارها في الانسان . وأن الأرض كواقعة بما حلت حول الشمس

(الفصل الرابع) في أن الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة . وفيه بيان نعم الحرية وحجيم الاستعباد

(الفصل الخامس) في أن ما كتبناه هنا نسجناه على طريقة أكابر المتقدمين

(الفصل الأول في ذكر أنواع الحيوان بطريق أوسع وبيان أجل نهجا على منهج التقسيم في الآية)

هائت ذا أيها الذكي رأيت بعض صور الحيوانات في افريقيا وأمريكا وتقسيم عليها ماسواها . سبحانه اللهم أنت ضربت نور القناديل أماننا مثلاً لنورك الذي أشرق على قلوبنا وعلى كل حيوان ونبات وسماه وأرض ثم قلت - ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم - . نعم أنت تعلم كل شيء لأنك تعلم ما خلقت . أما نحن فانك تضرب لنا الأمثال وليس ضرب الأمثال قاصراً على ماضيه لنا في القرآن . كلا . إن اليوم التي نراها مشرقة في أكناف السماء والقمر والشمس لم نر حقائقها وانما رأيناها مصفرة جداً . فكوكب الجوزاء الذي نراه في السماء أصغر من البرتقالة أكبر من شمسنا (٢٥) مليون مرة والكواكب الثابتة كلها كبيرة كشمسنا أو أكبر أو أقل . فهذا الذي نراه في الجوّ المحيط بنا ليس نفس الكواكب بل هو ضرب مثل لها . فاذا كان القنديل في مساجدنا ضرب الله به المثل لنوره فكم ضرب لنا مثلاً لمخلوقاته بتصغير صورها في أعيننا . ذلك لأنه يقول - وما أوتيت من العلم إلا قليلاً - والعلم بضرب الأمثال علم قليل . فاذا قيل لنا فلان كالبدر فليس في هذا معنى إلا أن وجهه مشرق ولم نعرف صفاته . ولقد قرب الله عز وجل العلم للناس اليوم بما كثره ضرب الأمثال بالصور للشمسية مثل الصور التي رأيتموها (شكل ١٥ و ١٦ و ١٧ الخ) فما هي إلا الصور للفردي وعجل البحر والغز الأمريكي والبيضاء وأضرابها ولكنها لا تعطينا إلا ضرب مثل وهو علم قليل فقله تعالى - ويضرب الله الأمثال للناس - يفتح لنا باب الكواكب والحيوانات والنباتات التي ترسم لنا صورها في عصرنا . ذلك المصغر الذي امتاز بأثر الله برينا آياته فيه إذ قال - ويربك آياته فأى آيات الله

تسكرون - وقال - وقل الحمد لله سبريكم آياته فتعرفونها - فنحن الآن مأمورون أن نحمد الله لأنه أرانا آياته بالعلوم المنتشرة اليوم . ولامعنى للحمد إلا بالعلم بالمحمود عليه بقدر طاقتنا . فلنقرأ علوم هذه الحيوانات والنباتات ولنحجب من تقسيم الحيوان الى ماش على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع . وهذه الطريقة هي التي سار عليها علماء الطبيعة في عصرنا إذ يقولون ان الحيوان أدناه خلق قبل أعلاه . فالماشى على بطنه قبل الطيور والطيور قبل ذوات الأربع

(تفصيل الكلام على الأقسام الثلاثة الماشى على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع)

لما وصلت الى هذا المقام حضر صديقي العالم المدقق الذي اعتاد أن يحاورني في المسائل الهامة في هذا التفسير فاطلع على هذا فقال ماهذا التطويل . أريد أن يجعل هذه الآية كتابا ضخما . فهاذا الاكثر . إن هذا يورث السآمة والملل . فقلت له أنا أسألك في قوله تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة - فهل تجد في القرآن تفصيل الصلاة والزكاة - . قال لا . قلت فمن الذي فصلهما . قال النبي ﷺ فقد بينت السنة الصلاة فقال ﷺ (صلا كما رأيتموني أصلي) وهكذا بين الزكاة فقال (في كل أربعين شاة واحدة) وهكذا . قلت ألم يؤلف علماء الاسلام في ذلك كتابا شتى . قال بلى ولوجعت كتب المذاهب من الشيعة وأهل السنة في الصلاة والزكاة وحدها للمئات مكاتب عظيمة تملأ مساحات واسعة . قلت الصلاة والزكاة فرض عين وعلم الحيوان والنبات يكونان فرض كفاية بحيث يكون في الأمة من يكفيها بحيث يضارعون في علمهم بهذه العلوم في كثيرتهم من يعلمون هذه العلوم في أوروبا والصين واليابان وأمريكا أو أكثره . هذا من جهة (ومن جهة أخرى) لا يقتصر الوجوب على الوجوب الكفائي بل هناك وجوب عيني على كل قادر متفرغ لذلك للتوحيد وللشكر . فشكر الله واجب وكل يشكر على مقدار وسعه لانكاف نفس إلا وسعها . ولامعنى للشكر بغير علم بنعمة المشكور . إذن هذه العلوم تجب وجوبا كفائيا على مجموع الأمة وعينها على أفراد ممتازين ذكاه وفراغ بال لمعرفة الله ولشكره ومعرفة الله بهذه العلوم وهكذا شكره وازدياد المعرفة واجب كازدياد الشكر قال تعالى - وقل رب زدني علما - فهذا من ازدياد العلم الذي يجب علينا بنص الآية لأننا أمرنا أن ندعوا الله بالازدياد ولامعنى للدعاء . بأمر نحن لاناطلبه ولا نتوجه اليه فنحن أمرنا بالاستقامة قال تعالى - فاستقم كما أمرت ومن تاب معك - وأمرنا بالدعاء بالاستقامة قلنا - اهتدنا الصراط المستقيم - وأمرنا بالعلم قال تعالى - اعلموا أن الله يحيي الأرض - الخ وهكذا آيات كثيرة . فقال صاحبي هذا القول موضع في مواضع أخرى من هذا التفسير ونحن سلطنا به ولكني أقول اني أخاف سآمة القارىء . فقلت قد ذكرت لك أن الصلاة والزكاة واجبان . فالصلاة على الجميع والزكاة على من عنده مال فمن ليس عنده مال لا تجب عليه الزكاة هكذا من ليس عنده قدرة على دراسة علم الحيوان لا تجب عليه . فأما القادر على الدراسة فعليه التعلم للشكر . إذن فلماذا نرى المسلمين ملؤا خزائهم بالعلوم العملية ولم يملؤوها بالعلوم العلمية التي عليها يبني أصل العقيدة وأصل الحياة الدنيا . فهذه العلوم تنفع من جهة ثبات العقيدة وازدياد الشكر (ومن جهة أخرى) أنها تزيد الناس ثروة وغنى وسعادة في الحياة الدنيا . وقد قال امام الحرمين وبعض العلماء (إن هذه العلوم أفضل من علوم فروض العين لأن نفعها أعم) فلماذا اقتصروا المسلمون على ما ينفع نفعا خاصا وتركوا ما ينفع نفعا عاما الصلاة تنفعني وحدي والزكاة تنفعني في الآخرة وتنفع أناسا فقراء محدودين في الدنيا . أما هذه العلوم فانها تنفع الأمة كلها . وعليه يكون قول امام الحرمين ومن يحا نحوه وجبها ويكون بعض المسلمين هم وحدهم الأمة المقصرة الناتجة الجاهلة الغافلة المسكينة الفارقة في بحر الحلى من الجهالة وهم ساهون فقال صاحبي إن هذا القول حق وأحسن بما تبار في نفسي منه . ولابد من نتائج له تحصل في الاسلام . قلت إذن لا يسأم الانسان من بيان الحيوان . ولماذا لم يسأم من معرفة أركان الصلاة وتبيان الزكاة . قال انه لم

يسأله لأنه يسمع ذلك من النبوة . فالتبى ﷺ وأصحابه هم الذين شرحوا الصلاة والزكاة ونحوهما فلذلك أقبل الناس عليها وألفوا كتباً فيها . قلت والبيع والابرة والرهن والقضايا . قال كذلك فهذه قد نقل الناس أحاديث عن رسول الله ﷺ فيها فرغوا وحققوا ودققوا . أما هذه العلوم فلم يجحدوا فيها نوصوا . قلت له قال الله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون - ألم يقل الله تعالى في القرآن - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر - . قال بلى . قلت إذن الله لم يوجب علينا أن نقتصر على قول النبي ﷺ وأصحابه في كل شئ بل في الشرائع وحدها . أما النظر في هذه الدنيا فهذا علم عام . ألم تسمع قوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - فنحن ننظر وإذا جهلنا سألنا أهل العلم . ألم تذكر ماقلته لك في (سورة البقرة) عند آية النسخ أن النبي ﷺ أخذ بقول سلمان الفارسي في حفر الخندق ولم يبال بأخذ العلم عن الجحوش لأن حفر الخندق إنما كان من عمل الفرس . فهاهوذا رسول الله ﷺ يعمل بعمل عباد النار وسمع كلام أهل العلم بالحرب في واقعة خاصة . أفلا يسعنا مايسع رسول الله ﷺ ونفوس هذه العلوم وتأخذهم عن أربابها مادامت ليست شرائع كما أن حفر الخندق ليس من الشرائع . قل - فما يجب علينا الأخذ عن أهل العلوم في كل علم وهم أهل الذكرفيه . قلت وأيضاً يقول الله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون أقوال فينبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب - . إذن المؤمنون المبشرون هم المسلمون بعدنا الذين يقرؤون علوم الأمم وينبعون أحسنها وهؤلاء هم أولوا الألباب وهم المهذبون وهؤلاء يكونون أرق من المسلمين الذين في زماننا وفي القرون المتأخرة فقال نعم هذا حق . قلت إذن فلنفصل هذا المقام بعض التفصيل بحيث لا يكون مكرراً مع ما تقدم في علم الحيوان من هذا التفسير

﴿ أقسام الحيوان ﴾

إن الآية كما قدمنا جعلت الحيوان (ثلاثة أقسام) (١) ماش على بطنه (٢) ماش على رجلين (٣) ماش على أربع . إلى أذكر كأيها الذكر بما تقدم في (سورة الحج) عند قوله تعالى - إن الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً - الخ فقد تبين هناك أن النباية بدراسة جسمها أمكن تقسيم الحيوان إلى قسمين قسم له دم وعظم وهي الحيوانات الفقرية . وقسم لادم له ولاعظم وهي الحيوانات الحلقية والمفصليّة والرخوة والنباتية . فقال صاحبى ليس هذا عين ما هناك بل هنا بعض تضيير في اللفظ . فقلت له إن القول هنا سيكون أوضح . إنما أحب أن تقرأ ما هناك ثم تقرأ ما هنا ليحصل عندك من جبال العلم ما به ينشرح صدرك . فقال سأفعل إن شاء الله . فقلت إذن الحيوانات هكذا

(١) فقريّة (٢) حلقية (٣) مفصليّة (٤) رخوة (٥) نباتية



(شكل ١٨ - نبات أوروبا)

(وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنت من أعتاب والزيتون والرمان مشبهها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أغروينه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)



(شکل ۱۹ - حیوان اوروپا)

(ومن الأنعام حوله وفرشواكلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)

الحيوانات القريبة فيها الأقسام الثلاثة هي الآية من يمشى على أربع وعن يمشى على رجلين وعن يمشى على
 بطنه . فهذا القسم استوفى أقسام الآية . قال وكيف ذلك . فقلت إن فيه ١٢ قسما (الأول) الحيوانات
 ذات اليدين وهو الانسان الذي قسموه الى الصنف القوقازي وهو الأبيض والى الصنف المغولي وهو الأصفر والى
 الصنف الافريقي وهو الاسود والى الصنف الأمريكى وهو الأحمر والى الصنف (الأيبيري) وهو ساكن القطب
 الشمالى الاسكىمو (القسم الثانى) ذوات الأربع الأيدي وهي القرود وهي أصناف (الحيون والاورانج أوتان
 والفوريلا والشمبانزى) (القسم الثالث) الحيوانات آكلة اللحوم وهي تشمل الحيوانات الكاسرة كالأسود
 والنمور ولها أسنان ثاقبة وهي القواطع والأنياب والأضراس (والقسم الرابع) الحيوانات الثديية البحرية
 وأطرافها قصيرة ولها أرجل قصيرة كفيها كأنها المجاديف تعينها على السباحة وغذاؤها اللحوم وتخرج الى
 الشاطئ للراحة ورضاعة أولادها . وهذه (نوعان) العجول البحرية والبق البحرى (القسم الخامس)
 الحيوانات ذوات الأيدي الجناحية وهو حيوان واحد وهو الخفاش يرضع أولاده وهولبلى ويتغذى بالحشرات
 وهو يطير بسبب غشاء عريض يمتد بين أطرافه للقفزة وللؤخرة وكذا أصابعه المستطيلة على شكل أجنحة
 يطير بها ويقضى الشتاء وهو تائم (القسم السادس) الحيوانات الثديية آكلة الحشرات ومنها القنفذ والنار
 الفيطى وغذاؤه الحشرات ولها أنياب وأضراس (القسم السابع) الحيوانات الثديية . القرادنة لا أنياب لها
 وأضراسها كحجر الطاحون مفرطة وتعيش فى الأشجار وتتغذى بالنبات والفخار وهي تشمل ذوات الترقوة
 كاليربوع والسنجاب والكاستور وهذه تنسلق على الأشجار . وبالأزرقولة له ومنه حامل الشوك والأرانب
 وهذه لا تنسلق على الأشجار (القسم الثامن) الحيوانات الثديية عديدة الأسنان ومنها آكل النمل والكسلان
 وأم قرفة وهو نوع منطى بصفايح كقشور السمك وبضه له درع مثل (التاتو) (القسم التاسع) الحيوانات
 التى لا أطراف لها ذات الجلد الثخين وتتغذى بالنبات وهي (١) ذات الظلف الواحد كالفرس والحمار وحمار
 الوحش والغريرت (٢) وذوات الأرجل المشقوقة وأطرافها تنتهى بأصابع من اثنين الى أربعة مثل الخنزير
 وجاموس البحر (٣) وذوات الخرطوم وهو الفيل (القسم العاشر) الحيوانات المجتررة . ليس لها ترقوة
 وتتغذى بالحشائش والنبات من غير مضغ ومعدتها أربعة أقسام تقسم رسمها وشرحها فى (سورة النحل)
 وليس لها قواطع فى الفك العلوى ولا أنياب لها إلا حيوان المسك الذى يتميز ذكره عن أنثاه بنباتين طويلين
 فى الفك العلوى وتحمل تحت بطنها كيسا فيه مسك وعدد الأضراس ستة من كل جهة لطحن الغذاء والفك
 يتحرك حركات جانبية وبعض هذه معدة خامسة لخزن الماء كالجلل واللاما . ويدخل فى هذا القسم الجاموس
 والبق والغنم والماعز والزرافة وحيوان المسك والمها واللاما



(شكل ٢٠ - نبات آسيا)

(وهو الذي أنشأ جات معروشات وغير معروشات والخلج والزرع مختلفا أسكه والزيتون والمان
مسابها وغير منسابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المرففين)



(شكل ٢١ - حيوان آسيا)

(مامن دابة إلا هو أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم)

(القسم الحادى عشر) الحيوانات القيطسية وهى حيوانات بحرية تنفس فى الهواء آنا فآنا وتضع أولادها أحياء وهى إما أن تتغذى بالنبات مثل اللامتين . وإما أن تتغذى بالبحوم مثل القيطس والكشالو والدلفين أما القيطس فهو الذى يستخرج منه زيت يصنع منه شمع شفاف وهو يتغذى بصغار الحيوان ويصعد الماء من أفوه كالنافورة . وأما الكشالو فهو كالقيطس ورأسه مقدار ثلث أو نصف جسمه ويستخرج منه الصبر السجاني وهو فى الأعور فى هذا الحيوان . وأما الدلفين فهو الدرفيل المشهور يتغذى بالسماك والحكومات حرمت صيده لأنه ينقذ الناس من الفرق (القسم الثانى عشر) الحيوانات ذوات الرجين وهى فى (هونلافه الجديدة) وهى تضع أولادها وهى أجنة لاتتحمل أحوال الجؤ فتضعها فى جيب خاص فى مؤخر البطن والتدى أمام هذا الجيب واللبن يسيل من ذلك التدى بغير اختيار لتغذية الصغار وبعد أممعلوم تترك أولادها ذلك الجيب وترجع اليه متى رأت خطرا . ومن هذه الحيوانات (القنقر) وهو كالأرب الكبير إذا جلس معتدلا وهو فى استراليا ونساجيا . هذه أنواع الحيوانات الثديية التى هى قسم من أقسام خسة للحيوانات ذوات الفقرات

(القسم الثانى من الحيوانات ذوات الفقرات الطيور)

وهى (١) إما دجاجة مثل السجاج والطاوس والحجل والسمان والحمام والجمام (٢) وأما ذوات أرجل كفية مثل البط والأوز والبعج (٣) وأما شاطئية مثل أبى قردان والقلقى وأبى مغازل والنعامه والبشاروش (٤) وأما دورية مثل البلبل والعنديل والمطاف والقنبر والغراب والمدهد (٥) وأما متسلقة مثل البيغاء وتغار الحشب (٦) وأما جارحة مثل النسور والحداة واليوم والمصاص والعقاب والصقر

(القسم الثالث من ذوات الفقرات الزواحف)

وهى السلاحف والورل والثعابين . فالسلاحف لها درق على جسمها والورل مستطيل له ذيل وأر بع قوائم قصيرة والثعابين مستطيلة اسطوانية عديمة الأطراف . ومن الثعابين ذوالجرس إذ له آلة رنانة فى ذنبه يعيش فى أمريكا وهو سام . ومن الثعابين مالا سم له مثل (البوا) وهو كبير جدا ويتغذى بالحيوان بالضغط والازدراء ومثل الثعبان ذى الطوق وهو يتغذى بالسماك والبرود والحشرات

(القسم الرابع) من الحيوانات ذوات الفقرات الضفادع

(القسم الخامس) السمك . انتهى قسم الحيوانات ذوات الفقرات

هأنت ذا أيها الذكى اذا تأملت فى هذا النوع من الحيوان تجده مرسوموا أمامك والرسم مثل من الأمثال التى ضربها الله لنا فتجد فى حيوانات أمريكا الجنوبية مثلا الغم وهى من ذوات الأربع والأفنى وهى من التى تمشى على بطنها والبيغاء وهى من التى تمشى على رجلين و بقية الحيوانات الفقرية المتقدمة ملحقة بهذه



(شكل ٢٢ - نبات أمريكا الشمالية)

(وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقاه لبلد ميت فانزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموقى لعلكم تذكرون * والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصراف الآيات لقوم يشكرون)



(شكل ٢٣ - حيوان أمريكا الشمالية)

(والأنعام خلقها لكم فيها دفاً ومنافع تأكلون * ولكم فيها جبال حين تربحون وحين
تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشق الأخرى إن ربكم لرموفرحيم)

(القسم الثاني) من أنواع الحيوان (الحيوانات الحلقية) ومنها ما يسكن البحار وما جاورها مثل السريل له خياشيم ذات ألوان زاهية ومثل (الساييل) وهو يسكن أعجار الشواطئ ويعيش فرقا . ومثل (الامفريت) ومثل (السكولوبندر البحري) وهو الذي يبحث عنه الصيادون ليستعملوه طعاما للسماك . ومثل (دودة) (دودة السباخ) وتسمى دودة الأرض أيضا يميل للحمرة لماع لمعانا معدنى . ومثل (دود العلق) يسكن في المياه العذبة ويقرب من هذا السود (١) السود الذي يعيش في أجسام الخنازير والأرانب والإنسان وهكذا (٢) والسود السكوى وهو يعيش متغفلا على الحيوانات المختلفة وفي كلا الإنسان . وهكذا أنواع كثيرة من السود التي تسبب أمراضا مختلفة كما وضع كثيرا في هذا التفسير فكلها من أنواع البهتان وكلها من الحيوانات الحلقية كالتي تحدث (البلهارسيا) و (الانكستوما) وغيرها . انتهى القسم الثاني من أقسام الحيوانات العامة وهي الحلقية . وهذا القسم دمه إما أحمر أو أصفر أو أخضر وهي خنثى فلكل حيوان عضوا التذكير والتأنيث معا وبعضها يحتاج لجماع متبادل . ومنها ما يتوله بطريق الأزوار كأزوار النبات

(القسم الثالث . الحيوانات المنصلية) وهي العنكبوتية والقشرية وذوات الأرجل الكثيرة والحشرات فالأولى منها العنكبوت والقرب وأبو شيت والقراد وحيوان الجرب . والثانية منها أبو جملبو والسرطان والجبرى فلكل منها (٨) أرجل وهيكلا صلب وتعيش في الماء . والثالثة لها أرجل كثيرة وتعيش على الأرض . ويدخل في هذه ذات المائة رجل وأربعمائة وأربعين وذات الألف رجل . وأما الحشرات فهي معروفة في هذا التفسير وتقتمت كثيرا فلانريد الكلام عليها فانظرها في آخر (سورة الحج) وغيرها



(شكل ٢٤ - نبات أمريكا الجنوبية)

(هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون • ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الفرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)

(شكل ٢٥)



حيوان أمريكا الجنوبية

(شكل ٢٥ - حيوان أمريكا الجنوبية)

(والحيل والبغال والحير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون • وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين)

ومن الحشرات ما لا جناح له . ومنها مستقيمة الأجنحة كالصرصار والجراد وقرس النبي والحفار . ومنها نصفية الجناح كالنحل والقط . ومنها ما أجنحتها غشائية مثل النحل والزنبور الأصفر والأحمر وزنبور الطين . ومنها غمدية الأجنحة مثل الجحان وخفص الفول . ومنها ما لها جناحان فقط مثل البعوض والزقزقة . انتهى الكلام على القسم الثالث وهي الحيوانات المفصلة

(القسم الرابع الحيوانات الرخوة) مثل المحار وصفد اللؤلؤ وأم الخلول وبعض هذه مشروح شرحا وافيا في (سورة مريم) في أولها (شكل ٢٦)



(شکل ۲۶ - نبات و حیوان استرالیا)

(والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستواعل ظهوره ثمذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنالي ربنا لتقلبون)

(القسم الخامس الحيوانات النباتية أو الشاعية) ومنها الزبوفيت وتقدم شكلها في آخر (سورة الحج) بهيئة خمسة أشعة منتظمة جيلة . انتهى الكلام على أقسام الحيوان

وبدراسة هذه الحيوانات يعلم المسلمون معنى قوله تعالى - فمنهم من يمنى على بطنه ومنهم من يمنى على رجلين ومنهم من يمنى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - فهذا هو الذى يفهمنا القدرة أى قدرة الله على التنوع فهو ينوع الحيوان أنواعا لا حدها ويعطى كل ذى حق حقه . وهذا هو الذى نزل لأجله القرآن وفتح باب علم والحيوان وتقسيمه بهذه الآية . أما النبات فلم يذكره في هذا المقام إلا استطرادا لأنه غذاء الحيوان ولقد تقدم الكلام عليه في سورة البقرة عند قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - إلى آخره عند مسألة إبراهيم والطير وفي سورة الأنعام عند قوله تعالى - إن الله قالى الحب والنوى - وعند قوله تعالى - انظروا إلى ثمرة إذا أثمر - وفي سورة الحجر عند قوله تعالى - وأنبثنا فيها من كل شئ موزون - وفي سورة الحج عند قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فصبح الأرض مخضرة -

هذا ما أردت شرحه في تفسير قوله تعالى - والله خلق كل دابة من ماء - فإياها المسلمون أذلكم خير بحيث يرى الطالب حكمة الله واضحة له كأن يقرأ ذلك الحيوان المتقدم الذى ينزل اللبن له ليسقيه لضعفه لأنه لا يزال جنبنا لأن أمه ذات رحيم كما تقدم أم نضع زمانه في حفظ القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر وكونه قادرا وكونه مريدا وكونه عالما وكونه حيا الخ لا لا . أيها المسلمون هذا لا ينفع أطفالنا وأنا الآن أكتب هذا وعندى اعتقاد تام أن تعاليم المسلمين ستكون على النهج الذى يوافق منهج أمثال هذا التفسير - وتعلمن نبأه بعد حين - والحمد لله رب العالمين . انتهى يوم الخميس ٩ ديسمبر سنة ١٩٢٨

(محادثة مع أربعة فضلاء من رجال المعارف مقفش ونظر مدرسة ومدرسين ضحي يوم الأحد (٩) من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٨ أوردها هنا (لفرضين الأول) انها إيضاح لهذا المقام (الثاني) ان خير العلم ما أخذ من نتائج آراء المفكرين المجريين)

قال المقفش بلطف وأدب (وهو عن أعوام علومهم في أوروبا) أيها الأستاذ لقد حل كثير من المفسرين القرآن ما لا يحتمل وأدخلوا فيه ما لا سبيل لدخوله حتى ان بعضهم أخذ يستنتج من الآيات أن الفهم موجود في القرآن . ولا جرم أن أمثال هذا التحل ترفضه العقول وتفترق النفوس ولقد رأيتك اليوم ترسم هذه الخطايط في التفسير مينا حيوانات ونباتات افريقيا وأوروبا وآسيا وأمريكا والاقيانوسية وهذا لا سبيل الى ادخاله في القرآن إلا بشكك . فقلت له هناك فارق بين اثبات أن الفهم في القرآن وبين بيان أن الحيوان مقسم على القارات في الأرض . فقال ابن البيان . فقلت إن الله يذكر لنا أن الحيوان منه ما للأرجل له ومنه ما له رجلان ومنه ما له أربع . هل هو يريد أن تقف على تعداد الأرجل . كلا . بل يقول العلماء ان العدد لا مفهوم له وإذا عدنا للحيوان أربع أرجل فهناك ماله (٦) وماله (٨) وهكذا . فقال أنا لست أعارض في انعام مبحث الأرجل ولكني أعارض في ادعاء أن معرفة تفرق هذه الحيوانات على القارات يطلبها القرآن . فقلت إن هذا قسم للحيوان من حيث عدد أرجله وهو فتح باب للتقسيم . ولا جرم أن معرفة العلوم كلها (كما نص عليه علماء المنطق) ترجع الى أربعة تحليل وتعريف وأرسم وتقسيم وقياس . فالتحليل للأشخاص كهذه التفاحة أو هذه النخلة لا يجوز أن تقول عرف هذه النخلة ولا قسمها ولا برهن عليها وإنما تقول حلها فالتحليل كتحليل الماء الى الأكسجين والهيدروجين هو السبيل الى معرفة الأشخاص . والتعريف وهو الحد وينبه الرسم وهو التعريف الناقص يعرف بهما الأنواع كما تعرف الانسان بأنه حيوان ناطق أو تأتي له برسم فتقول هو حيوان عريض الأظفار يمنى على رجلين وهكذا . وأما القياس كالبرهان والجدل فهو للاجناس كما تستدل بأن للعالم عددا . وأما التقسيم فهو لتفصيل الكليات المختلفة كأن تقسم الكلمة الى اسم وفعل وحرف وتقسيم

النبات الى نجم وهو الماساق له والى شجر وهو ماله ساق وهكذا والتقسيم مستعمل في جميع العلوم . فالتقسيم الذى ورد في الآية اليه يرجع ربع العلم . وهنا قول هل الله يريد أن تنظر تقسيم الحيوان من حيث عدد أرجله فقلنا لا يريد اننا نفكر في أمره والتفكير في أمره يحتاج الى دراسته كله بقدر طاقتنا فلنقرأ علم الحيوان ونقسمه من كل جهة من جهات التقسيم . فنقسمه من حيث موطنه في البحر وفي الهواء وعلى الأرض ومن حيث منافعه ومضاره وهكذا كما تقدم . فقال هذا حسن ولكنك قد استغنت بعلم المطلق على إيراد هذه الخرافات في التفسير وفيه بعض التكلف غير من هذا أن يكون نفس القرآن هو الذى يصريح بالتقسيم الذى أورده هنا بلا احتياج لعلم وضعه الناس . فقلت له إن الله ذكر المشي فهل يمتنى الحيوان على الهواء أو فى الأثير بل هو يمشى على الأرض . فإذا رسمنا للمشى رسمنا أرضه معه . وإذا رسمنا بقعة من قارة لم يكن لها فضل على الأخرى . وإذا رسمنا قارة يقال لنا ولماذا لم ترسم القارات الأخرى . غير لنا أن نرسم الجميع . فقال هذا أحسن مما قبله ولكن فيه بعض تكلف . فقلت له يقول الله تعالى - حم * نزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * إن فى السموات والأرض لآيات للؤمنين * وفى خلقكم وما يثب من كل دابة آيات لقوم يوقنون - فهاهنا سبحانه جعل الإيقان وهو أرقى من الإيمان مرتبطا بجملة الدواب المفرقة فى الأرض فقال هذا أقرب ولكن أريد ما هو آيين من هذا . فقلت إذن تريد أن تسع قوله تعالى فى (سورة البقرة) - إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة - فذكر الأرض وذكر أنه فرقى الدواب فيها . فهذه الأرض مرسومة أمامك وهذه هى الدواب وهل هذا غير القرآن وهل الآية التى نحن بصدد الكلام عليها فيها غير هذا . ألتسترى الله يقول - والله خلق كل دابة من ماء - فهنا ذكر السكل والكيلات لاتعرف إلا بالتقسيم وهما هي ذى قسمتها على المناطق تارة وعلى القارات تارة أخرى وهكذا يقول الله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيها من دابة - أفكفاك هذا البيان . فهذه هى الأرض أمامك فى الرسم وهذه هى الحيوانات عليها . فقال نعم لقد اشرح صدرى له . فأقر الحاضرون على ذلك البيان وهم مستبشرون . فقال لقد كنت فى أوروبا ورأيت القوم يجعلون قصص أنبيائهم فى مسارح السينما وهم ينهرون لهم قصص الأنبياء كوسى وعيسى عليهم السلام والرجال والنساء والأطفال يتأثرون من الوقائع والحوادث ويكون . فبأنه كيف يثبت الدين فى القلب إلا بنقشه فى النفس من الصغر كمثل ما رأيناه هناك . أما المسلمون فهم لذلك محرمون ومنه محرومون . فقلت التصوير الشمسى قد نشرف فى هذا التفسير وتلقاه المسلمون بالقبول وقد ذكرت فى (سورة يونس) فتوى علماء المذاهب بالأزهر وأبنت أن ذلك يكون واجبا اذا كان للتعليم . فهاهنا التصوير الشمسى أصبح فى نفس التفسير وقد قلت هناك (إن من حرمه فقد اغلغ من دينه وعقله لأنه ظل مصور بتصور الله صورته هو بشمسه ومن حرم الظل والنظريات فقد أصبح مجردا من العقل ومن الدين . وأما اظهاره بطريق (السينما) وهى الصور المتحركة فليس يزيد شيئا عن ظهوره فى هذا التفسير إلا أن التفسير يقرؤه آحاد . وأما فى محال الصور المتحركة فانه يقرؤه مئات مجتمعون وإذا جاز ظهور الصور للأحاد جاز للألاف) فهذا التحريم لامعنى له الآن . فقال آخر إن المرحوم الشيخ محمد عبده قال : إن التصوير المجسم لا يحرم فى هذا الزمان لأنه منع بالحدث الشريف فى الأزمان الأولى حينما كان الناس أقرب الى الوثنية . أما الآن فقد تنور الناس فلا يخاف عليهم ذلك) فقلت انى لم أطلع عليه ولست الآن مضطرا لهذا المبحث فقد اكتفيت بما احتاج اليه فى هذا التفسير وهو التصوير الشمسى فأما كون قصص الأنبياء تظهر فى الصور المتحركة عند الفرنجة فقد ألب قدماء المسلمين كتباً شتى فيها روايات تحجب المسلمين فى الدين مثل ما جاء فى كثير من حكايات (ألف ليلة وليلة) وخرافات سيف بن ذى يزن وأمثالها

فقد جعلوها روايات تحجب المسلم في الدين وما أكثرها فلتهدب تلك الكتب وينشر أمثالها بين العامة وإذا كانت في الصور المتحركة لم يضر ذلك شيئا كما قدمناه . فقالوا الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات اه
 ﴿ هذا التفسير وأمثاله بامثال هذه العلوم يرجع المسلمين الى الصور الأولى ﴾

لما أتممت هذا المقال قابلي صديقي العالم الذي اعتاد أن يحادثني في المسائل المهمة في التفسير مرة أخرى فقال ما أجل ما اخترت هنا من الرسم الجليل والبهجة . ولعمري لم أجدر روضة أجل ولا مجلسا أبهى من مجلس أطلع فيه على عجائب هذه الصور البديعة الحسنة . ماشاء الله كان . فبينما أنا أطالع منظر الصحراء في افريقيا وجبالها وشجر جوز الهند وحقل القمح وشجر النخل واقطن اذا أنا أرى الخرنيث والفساح والفهد وفرس الماء وأنواع القروء والفرقوى العنق حذا الأسنان خشن اللسان مبطن الأقدام طويل الذيل يبلغ طوله على الأرض نحو (٣) أمتار . ذلك الذي يسبح في البحر فيعالو السفينة في النهر ويهاجمها وتقف الماشية أمامه حائرة اذا نظرها ومع ذلك كله يخاف من الصوت الغريب عليه كالخشخشة والجلجلة ان لم يكن جائعا
 ﴿ الأسد ﴾

ولما نظرت الأسد تذكرت انه سيد السباع . رمى اللون عظيم القوة حتى انه ليصمم ظهر نورسي وهو قنوع . حافظ للجميل محب بنفسه كريم ولا يفرس إلا اذا جاع ، ينام النهار كالفر ويسعى للقوت ليلا شديد البطش عظيم المهابة

﴿ الثعلب ﴾

ولما رأيت الثعلب تذكرت انه عدو الطيور والسباع مشهور بالمكر والخيل مثل أن يتظاهر بالموث ليتخلص من الصيد وهو يحول للصيد ليلا ويختفي بالنهار ويحفر له حجرا منفرجا قريبا من جنور الأشجار العتيقة وهو سريع العدو واذا لم يجد نحو السباع تغذى بالفيران والضفادع وهو يأكل الفواكه كالغلب ولأنك يتلف الكروم

﴿ الذئب ﴾

ولما رأيت الذئب تذكرت انه هو الجبان الذي لا يسوق الى الاقتراس إلا الجوع وهو لجنبه يدخل صوامع السباع برجليه الخلفيتين وهكذا لا تصيد الذئاب غالبا إلا وهي قطعان فتفترس الغنم والحيوان الأضعف وقد تصيد الخيل والبقر والانسان وقطعان الذئاب اذا جاءت لانهاب خطرا والذئب قوى ما كرم كالثعلب . واذا تعرض للانسان وعجز عنه استعان بالذئاب . واذا رمى الانسان ذنبا أكلته الذئاب ولم تأكل الانسان وهكذا اذا مرض واحد منها افترسته ولأنك اذا مرض واحد منها اعتزل الباقي

﴿ الجمل ﴾

ثم لما رأيت الجمل تذكرت صبره على العمل وعناؤه اذا أهين وحقدته وانتقامه ممن ظلمه وتذكرت انه يعيش (٢٥) يوما بالاشرب ماء اذا كان الورق الذي يأكله مملوا بالصير النباتي وهو لا يعيش إلا في البلاد الحارة . وهكذا تذكرت صفات البقر والجاموس والغنم والمز المجتر التي لها أربع معدات تأكل الحشائش وتبلعها فتزفل في الكرش ثم تذهب الى تجويف يسمى القلسوة وتذهب الى الفم فتضغ ثانيا ثم تذهب الى تجويف ثالث يسمى أم التلايف ثم الى تجويف رابع يسمى الأنفحة . كل ذلك تذكرته لما رأيت هذه الأنعام في هذه الصور وهي مرسومة في مراعيها . بذلك ذكرت قدرة الله وحكمته وكيف خلق لكل حيوان ما يليق له . فلم يسط القروء ولا الانسان ولا الآساد هذه المعدات الثلاثة لأن هذه ليست في حاجة اليها ولم يسط الطير أسنانا بل جعل له القاذفة والحوصلة بهضمان الطعام عوضا عنها وعن المعدة والامعاء . وجعل الحيوانات آكلة الحشائش طعاما لآكلة اللحوم وقلل هذه وأكثر تلك ولم يخلق سبعهاته عضوا إلا لمنفعة فترى الأنياب القوية في السباع للحاجة البهاومنت المجترات ذلك لعدم احتياجها اليها . هذه هي المعلومات الأولية التي

تعلتها في الصبا تذكرتها الآن بهذه الصور المرسومة أمامي . تم الفصل الأول

(الفصل الثاني)

(بهجة العلم في صور هذه الحيوانات وما أعد لها من النبات في هذه القارات وغرارتها

وفي عادات الانسان التي جعلته في سبعين)

جل ملكك يا الله وابتهج حيوانك بنباتك وابتهج كل مخلوق بنعمك فخرتهم رحمتك وحفظتهم نعمتك
لا اله الا أنت ذو الجلال والجلال الذي ظهرت آثاره في الآفاق فعمرت بها القارات كلها آسيا وأفريقيا وأوروبا
وأمریکا والاقبانيوسية . هاهي هذه الحيوانات راقية في مجموعة النعم . وأظلتها في كنفك وأبجحت لها الحشائش
والمرعى والأشجار وهي رافلات في حلل السعادة والنعم . هذه نعمك مائة أماناً نحن قراء هذا التفسير اني
أنعمت به علينا بعد شوقنا اليه آماداً طويلة وأهملت أناساً رسموا خرافات أرضك بأقسامها وآخرين رسموا
حيوانك ونباتك ثم هيات هذا كله وجعلته تفسيرا لكتابك المنزل . الله أكبر . أحاطت آيات القرآن بالقارات
وبحيواناتها ونباتها احاطة السوار بالمعصم . أصبحنا يا الله نشاهد بعد اليأس آيات القرآن معانقات قاراتك
وحيواناتك ونباتاتك . يحيط كتابك المنزل بحبيب كتابك المبدع في الطبيعة . نعم ظهر الآن كيف كان
الاسلام دين الفطرة . حار هذا الانسان المسكين منذ أزمان في أمر دينه وفي أمر دنياه . ظنّ المسلم وغير
المسلم أن الطبيعة شيء والدين شيء آخر . ظنت الأمم كلها ذلك الظن لما رأوا مخالفة البيانات للعلوم وللطبيعة
ولكن هذا الدين الاسلامي لكونه لم يتغير كتابه المنزل وأخذ الناس يوضحون علوم الطبيعة أصبحت هي
تفسيرا له وهذه هي الحجة القائمة والآية البالغة . آيات قرآنية يكون تفسيرها نفس العلوم الطبيعية وإذا لم يتم
هذا تكون البيانات مقفلة أو مغمضة لأن القائل ينطق بما يعرف فإذا خالف القول الصل دل على أحد أمرين
إما ان القائل كاذب ولما أن غيره كذب عليه . وهذه كانت فكرتي في أول حياتي فكنت أقول ان لم يكن
دين الاسلام ملائماً للطبيعة فهو غير حق . هذه كانت فكرتي من غير معلم وأخذت أبحث في الطبيعة وفي
القرآن فامتزاج الآيات القرآنية بالعلوم الطبيعية أجلّ نعمة عليّ وعلى قراء هذا التفسير . هي سعادة الدنيا
وسعادة الآخرة وخبر سعادة لي ما شهدناه اليوم من ازدواج آيات الوحي وآيات الكون . فهذه آيات القرآن
تحيط بالحيوان والنبات والناس يشاهدونها في هذا التفسير وستصير هذه أمراً شائعاً بين المسلمين وسيكتوبون
هذه الآيات على حيطان حدائق الحيوان في الحكومات المختلفة على طراز ما كتب هنا . وهكذا في الحدائق
العامة النباتية ويكون ذلك ديدناً للمسلمين

(جهل أكثر هذا النوع الانساني وغفلته بالتقليد الأعمى)

اللهم إن أهل هذه الأرض من أنواع الحيوان والانسان عيالك في ملكك . ان ملكك واسع وأرضنا
كما عرفناه من آراء علماء الفلك ذرة مثيلة ليست في العبر ولا في النفر . نسبتها الى ملكك كله كنسبة الجوهر
الفرد الذي يدق عن أن نراه بالمناظير للظلمة الى ألف مليون أرض كأرضنا هذه . لذلك كان علنا وإدراك
حيواننا ضئيلاً ضعيفاً . فأما الحيوان فانك أنت ألهمته مناهضه فهاش بها وهو يسير بإرشادك ووحيك على قبر
ما قسمت له فالنريزة هي التي توجهه مدة الحياة . فأما الانسان وإن أعطيت العقل وهو به حراً فهو مسكين مني
بالتقليد . ذلك انه وإن أعطيت ملك الأرض وأبجحت له ومنحته العقل والحرية قد حبس نفسه في عبابس التقليد
وصلّ وغوى فقال في نفسه بدل أن أفكر وأضني عقل وجسمي فبال وما لنسب والتعب فلا قد الآباء فأنا
لست خيراً منهم . هنالك هام الانسان أكثره على وجهه ووقع في هاوية الجهالة . فرأينا أهل هذه القارات
المرسومة في هذه الآيات من نوع الانسان قد اتخذت كل أمة من الأمم فيها عادات وديانات وأخلاقاً بلا علم ولا
هدى ولا كتاب منبر . واتبع الأول الآخر في الضلال وقلت أنت فيهم - ومن أعرض عن ذكرى فان له

معيشة ضنكا * ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى - عبرته بالتقليد وأبنت عجاجة الرؤساء والمستضعفين - فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أتمم مضون عنا نصيبا من النار الخ وأوضح قيمة النفس بآراء الآباء إذ قلت - قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولئك لا يفتخرون شيئا ولا يفتخرون - فطباع الانسان تكاد تشبه طبائع الحيوان ، فالحيوان بالفريزة لا يتزخج عنها والانسان لكونه في عالم متأخر مثل هذه الأرض أخذ يشابه فدل في مدار واحد بتقليد الرؤساء أو الآباء كأنه إذن اختلط لنفسه خطة تشابه خطة الحيوان فالحيوان بالفريزة والانسان بالتقليد . هذا هو السبب في أن الحيوان من نوع واحد يرى متشابهة في أفعاله شرقا وغربا كالذئب والأسد . أما الانسان فلا تشابه بين عاداته بل هناك اختلاف شاسع لأن العادات التي اتبعها والتقاليد التي رسمت له غير متفقة بل هي مختلفة اختلافا يينا فزئير الأسد في الشرق والغرب واحد ومكر الثعلب في هذه القارات كلها لا يتغير لأنها جارية كلها على ما رسمت أنت لها بخلاف هذا النوع الانساني فقوم تراهم يتزوجون بناتهم وأمهاتهم وآخرون يحرمون ذلك وقوم يأكلون مرضاهم وموتاهم وآخرون يدفعونهم مع ان الغربان مثلا جبعها تدفن جثث موتاهها . فالفرق الشاسع بين أكل الآباء والأهملات عند المتوحشين في أواسط افريقيا وبين احترامهم واعظامهم ودفنهم واجلالهم عند الأمم المتدينة ليس مثل اتحاد الأعمال عند الغربان في دفن الجثث التي لا يختلف فيه أنواعها ولا مثل اتحاد الذئب في أكل ما مرض منها ولا مثل اتحاد الحمل في العطف والرأفة على ضعفاها ومرضها . إذن هذا الانسان قد ضل عن فطرته لأن فطرته أن يفكر لأن يكون ذا غريزة تسيره فهو حبس نفسه في سجن التقليد وكان من آثار هذا التقليد أن الناس أشأت كما قال شاعرهم

الناس شتى اذا ما أنت ذقتهم * لا يستون كما لا يستوى الشجر

هذا له ثمر حلو مذاقه * وذلك ليس له طعم ولا ثمر

وهذا وإن كان مرادا به أخلاقه الفردية فهو منطبق على عاداته القومية التي طبع عليها بالتقليد فأنسته ملكة العقل والتفكير فأعطى كثير من هذا النوع عن صاحب الفريزة وهو الحيوان . ومن آثار التقليد أن أهل الأرض الآن لما كان هذا دأبهم اذا اطلع غير المسلم منهم على ما كتبت الآن ورأى هذه القارات وعليها الآيات وفي داخلها الحيوان والنبات ورأى أن الطبيعة هي نفس الوحي للزلزل وأن القول السماوي موافق للعلوم الطبيعية لا يستطيع أن يكتبه في كتاب ولا يرى في قلبه فيولا له ولا يجه مع أن فطرته شاهدة أن كل قول منطبق على الطبيعة مناسب لها موافق لحقائقها يكون مقبولا لأن الانسان جزء من الطبيعة والطبيعة محبوبة ومنها وبها وعليها خالق وتغذى وتجعل وحل فهو يذكرها مفرم ولعلها محب ولكن التقليد الذي أخرجه عن دائرة عقله يمنعه من كتابة هذه الآيات أو الاستشهاد بها أو اعارته التفاته فلا يصنع كما صنعت في هذا التفسير بل يراه جوعة ودليله التقليد . - قتل الانسان ما أكفره - إنه كان ظلوما جهولا - بل كثير من المسلمين الذين تعلموا نصف تعليم يأفرون أن ينطقوا بهذا لأنهم يريدون أن يتظاهروا بأنهم أعظم من الأنبياء فيعظمون في أمم ضعفاء الأمم الشرقية الذين أخفوا الآن يقرؤون بعض العلوم فيوهمهم رؤسائهم بأنهم صاروا كرجال الأمم الأخرى الذين غلبوا الشرقيين بالمدافع والسياسة لهم في هذا الادعاء إلا أن يتظاهروا باستقرار الدين وتظاهروا بالعلمة أمام صفار الأمم الشرقية . إذن أمثال ما كتبت الآن حول القارات من الآيات تختلف في الأمم ولا ينحون نحوهم إلا المسلمون ومن على شاكلتهم وهم قليل بخلاف الشعرفان الشعر بأي لغة كان يفرج به جيع الأمم . فشاعر الشرقيين من مسلمين وبوذيين ويهود وغيرهم يسمعه كل غربي . وشاعر الغربيين من أي أمة كان يسمعه ويفرح به كل شرق وحكام الشرق وحكام الغرب كشرائهم كلهم محبو يون مقبول كلامهم عند جميع الأمم

فهذا (شكسبير) شاعر الانجليز وهذا (سبنسر) فيلسوفهم . وهذا (هومبروس) شاعر اليونان . وهذا (أرسطاطاليس) وهذا ابن رشد والفراي وابن سينا . كل هؤلاء يسمع شعرهم وفلسفتهم كل أمة سواء أكانت على دينهم أم خلافا . أما الدين فلما كان له رجال يحملونه وكان لهم في تأييده وارتقائه وشيوعه في الأرض منفعة مادية كأن يزيدهم جاهاً ومالاً لكثرة اتباعهم وكثرة الاتباع لاتهم إلا باحتقار كل دين سواه لذلك كانت أهل الديانات الأخرى إذا قرؤوا ما أكتبه الآن لم يحلوه المثل الذي يحلوه للشاعر أو للفيلسوف الشرق إذن التقليد في أمم الأرض يمنهم عن فطرتهم وهذا الدين الاسلامي الذي ينطبق على الفطرة كما نطق به هذه القارات وحيواناتها وكما تستسمه قريبا هنا في كلام فلاسفة أوروبا في تقرير كتابي (نظام العالم والأمم) أن الاسلام . بهذا التأليف ثبت انه دين الفطرة لا يصير غير المسلمين أدنى التفات مع ان فطرتهم شاهدة به وقله الأمر وله الحول والقوة - ولوشاء ربك ما فعلوه - والحمد لله رب العالمين . كتب يوم السبت ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨

﴿ الفصل الثالث في عجائب هذه الحيوانات وآثارها في الانسان وأن الأرض أشبه براقصة ﴾

حول الشمس بما حلت

فاذا رأيت الأرض راقصة حول الشمس بحركتها اليومية والسوية لا تفر ولا تهدأ والتجوم حولها والكواكب كأنها تصفق لها وهي دائرة فاتها وهي في رقصها قد حلت بالمناطق الهوائية والسحابية والتلجبة والنباتية والحيوانية . فهي أبدا راقصة وهي أبدا عليها حليتها وحولها نعماتها وفيها قلت صباح يوم الجمعة (٧) ديسمبر سنة ١٩٢٨ ما يأتي من الآيات

الأرض ترقص حول الشمس من فرح • بنورها وبنور الشهب في الظلم
تنأى وتقرّب أحيانا بما حلت • من ناضرا لبت أومن باهر النسم (١)
فالنور مؤنلق والطير مخترق • والنبت مقسق يهدى الى النعم
والحوت في طليح الأمواج يقطعها • ويقطع الليث قفرا وهو في قرقم (٢)
والأرض أمهم طرا تسير بهم • خوفا عليهم واشفاقا من العدم
في الصيف تدفهم بالنور محترقا • وفي الشتاء يرون السحب من أم
سوطان حرّ وبرد سيق بينهما • ماني الخلائق بين الحوت والرخم
والريح هزعت الأشجار مائة • تشدومع الطير في الروضات والاجم (٣)
في كل أرض وفي كل البحار وفي • جوّ السماء أفانين من النعم
من كل مائسة الأغصان والمئة • تختل في حلل الأزهار كالعلم (٤)

﴿ نظرة في قوله تعالى - فمهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين - الخ فوق ما تقدم ﴾

(١) إن كون الحيوان يمشي على رجلين وكونه يمشي على أربع وكونه يمشي على بطنه . هذه أمور يشاهدها الجهلاء والعلماء . في الانسان مع الطير وفي ذوات الأربع وفي الحيات . وأعجب من ذكر القرآن هذه الثلاثة التي يعرفها الخاصة والعامة . انه يرشدنا الى أن الأشياء للمشاهدة غرض الناس عنها الطرف لأنهم في هذه الأرض حكم عليهم بالسجن في البحث عن أقواتهم وعن المال والولد . فاذن هم في غفلة ساهون فقال الله . كلا . أيها الناس إن باب العلم هو التقسيم والتحليل . أما التحليل فقد جاء في (سورة البقرة) عند ذكر الطير وإبراهيم فأقرؤه هناك وهو الذي يعرفه تلاميذ المدارس النظامية في العالم كله في علم الكيمياء وأما التقسيم فهو الذي فتح بابه القرآن هنا . اللهم إنا نحمدك على العلم وعلى الحكمة . أنت الذي فتحت (١) النسم جمع نسمة وهي كل ذى روج (٢) شدة الشهوة لأكل اللحم (٣) الشجر الملتف (٤) بنت أعر

لنا باب التقسيم . الله أيها المسلمون فتح باب التقسيم فقسم الحيوان الى الأقسام المذكورة
(٢) فأنظر تقسيمه على المناطق في صورة (١٥) فهو (ثلاثة أقسام) قسم في المناطق الحارة . وقسم
في المعتدلة . وقسم في الباردة وهكذا يقسم من حيث الأخلاق الانسانية

(٣) ان للانسان شهوة وله غضب وله حكمة وعقل فالحيوانات التي تأكل النبات تمثل فينا القوة الشهوية
والحيوانات التي تأكل أمثال الغزلان والأرانب كالأسود والنمور تمثل فينا القوة الغضبية والقوة المودعة في العالم
علوية وسفالية التي بها ترتب هذه الأنواع وحفظت وبقيت بحيث لا تنفي أنواع الأنعام وأمثالها بأكل الحيوانات
التي تقتدى منها بل يبقى الأكل ببقاء المأكول ولا ينفى المأكول مع تمادى الأكل في التغذية به . فهذه القوة
المنظمة قد أودع نور يشبهها في عقول بني آدم سميناها عقلا . إذن عقولنا أشبه باللائكة وقوتنا الغضبية
أشبه بالآساد ونحوها وقوتنا الشهوية أشبه بالبهائم ونحوها . فهذه ثلاث مراتب كمراتب الأرجل في الآية
وكراتب المناطق فوق الأرض . فهذا يشير به القرآن ولهذا نزل الكتاب ولهذا وأمثاله جاء . أمثال هذا التفسير
من الكتب التي تؤولف في عصرنا . تباركت يا الله في نظامك ومحجائبك في هذه الدنيا

(٤) ويلحق بهذا أمر اللذات فهي (ثلاثة أقسام) لذات دنيئة سفلى ولذات وسطى ولذات عليا .
فأما اللذات السفلى فهي ما يزاوله الحيوان من السفاد وضروب الزنوان . فالانسان وهو يزاولها قد شارك
الحيوان فيها وهي أدنى اللذات . ألا ترى أن هذه اللذة عمت النبات وسائر الحيوان واللذة كلها كانت أعظم
كانت أدنى منزلة وكلما كانت أخص كانت أرفع منزلة . وأما اللذة الوسطى فهي لذة العلبة والقوة والسطوة
وهي التي تمتع بها الآساد والنمور والصقور فلها الحكم على الحيوانات الآكلة النبات ولها عليها فضل لأنها
وان أكلت من القطيع الذي يبلغ (٥٠٠) نجمة مثلا واحدة كل جمعة أو شهر أو سنة قد كانت سببا في أحداث
ارتباط المجموع بروابط المحبة والاخاء والاتحاد لأن الخوف من المهاجم يجمع القطيع كله على رأى واحد فاذا
آنت أسدا فرت الجوع من وجهه ولا يقع فريسة إلا الضعيف . هكذا جعل الله في الناس من هم أولوا قوة
وأولوا بأس شديد فيحفظون الأمم والدول والممالك ويساعدون في ارتباط المجموع واتحادهم بالقوانين والأوامر
فهؤلاء الملوك وهؤلاء الأمراء لثمتهم اذا خلت من للشهوات البهيمية أرق من لذة الفتيان بالطعام والملابس
والترنؤج المقصرين على ذلك . وانما كانت هذه وسطى لأنها خاصة بطلاقة من الحيوان ولم ترتق الى المرتبة
العليا وهي اللذة العلية وهي اللذة التي لا يعرفها إلا الحكماء والأنبياء والملائكة . فالانسان إذن إما بهم وإما
أسد وإما ملك

فكن رجلا رجلا في الثرى * وهامة همته في الثريا

(٥) تقسيم الحيوان على حواس الانسان وحاجاته

(١) فنه ما ينفع الانسان من حيث حاسة اللمس فيلبس الجلود والأوبار والأشعار والأصواف كالإبل

والعز والغنم

(ب) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة الشم كحيوان المسك في البر وحوث العنبر في البحر

(ج) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة البصر وحصول الغذاء بالآليات والحواس وهذا معروف

(د) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة السمع كالطيور المغردة من الفواخت ونحوها

(هـ) ومنها ما ينفعه من حيث حاسة البصر كالطيور الجليية من أمثال الطائوس وهناك منافع عقلية لأنواع

الحيوان تكسبه حكمة وعلماء وذلك كالألوان التي شرحتها في أول سورة المؤمنون . فهذه تدهش عقل

العقلاء وتدهشهم للتفكر والتأمل والاعجاب بما أبدع الله فيها

(و) انظر ألوان الحيوان ومصوره . هناك تر الجب الجباب . ترى الحيوان أعطى لونا خاصا لحفظه هو

فانظر هناك حشرة تعيش على (البقبوس) كيف لَوَّتْ بلون أزهاره حتى لا تمتاز بها ، وانظر هناك صورة لحشرة أشبهت غصنا من نفس الشجرة قد قطع حديثا وهي بذلك قد حفظت من الهلاك وكيف يكون بعض الحشرات مشبها في الشكل زرق الطيور الآكلات لها حتى لا تقع عليها فتفترسها . وهكذا مما شرحت لك هناك ثم انظر من جهة أخرى صور أجسامها وتركيب أسنانها وجهازها الهضمي تبجدها مفصلة بحسب متقن على حسب مصلحة نفس الحيوان لاعلى مقتضى الوسط فلم يكن لون سواد الفار والالوان الزاهي في الزنورمية من غير رام كما أقرّبه فلاسفة القرن العشرين

اذا علمت ذلك في النظرات الست للمتقدمة هناك تعرف لماذا يقول الله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وجر مختلف ألوانها وغريب سود ومن الناس والذواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء - وتعرف قوله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - هذا هو الذي نزل له القرآن وهذه العلام التي أظهرها الله في زماننا هي التي بها يفسر القرآن الذي جعل اختلاف الألوان لا يعرفه إلا العلماء ولا يترك أمثال هذا إلا العلماء به لاصحوم العقلاء والمجد لله رب العالمين انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع في أن الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة وفيه بيان نعيم الحرية وجميع الاستعداد ﴾

اعلم أن الله عز وجل خلق الحيوان قبل أن يخلق الإنسان وألهمه معاشه وعلمه صنائعه وقسمه أقساما وكل ذلك قبل أن يخلق هذا الإنسان على الأرض . إن الله قد فعل مع الإنسان ما فعله مع الطفل من احضار ما يحتاجه قبيل الولادة حتى اذا وضعت أمه وجد القاطبة التي تساعد في وضعه والتدبير واللين واللفاف وجميع أنواع الراحة له حتى يعيش في الأرض . هكذا الإنسان كله خلق له قبل أن يخلق الحيوان وخلق للحيوان النبات كذلك حتى يدرس الإنسان هذا الكتاب المفتوح فضلا عن أن يكون غذاء له ومركبا وزينة ومتاعا الى حين . ولقد مرّ في (سورة طه) أنواع الصناعات التي تعلمها الإنسان من الحيوان في شؤون الحياة فقلده فيها فانظرها هناك فانك تجد الإنسان ماضع مركبا في البحر ولاطيارة في الهواء ولاحصنا لمدينة ولاسر دابا تحت الأرض فيها إلا وقد سبقه اليها الحيوان . وأقول الآن إن الحيوان على ﴿ قسمين ﴾ قسم يعيش في الخلووات والغابات حرا طليقا سعيدا قويا معززا وقسم يذله الإنسان ويستخدمه ويكون مساعدا له . فالأول كالنمل والاسد والثاني كالكلاب والغنم فالأول بحريته صار أعزّ قسا وأشرف وأجل وأكمل وأقدر على التدبير من الثاني الذي حرم قوة الحيلة والتدبير لأن الإنسان قام بحاجته وتكفل بذاذه فانحطت ملكاته وسادت حياته ففرق بين العز والفرال . هكذا أتم على الأرض ﴿ قسمان ﴾ قسم اعتاد التواكل والكسل فألهم الله من هم أقوى عقولا وأحسن تدبيرا فاحتلوا بلادهم وساموهم سوء العذاب وقالوا لهم أيها الناس عليكم العمل علينا التدبير فعيشوا كما تعيش الأنعام وكونوا خاضعين . وكما انقسم الحيوان الى ذليل وعزيز حرّ هكذا انقسم الى ما أعطاه الله صناعة والى ما لصنعة له . فالأول كالنحل والعنكبوت فترى النحل عز يزأبنا حلّ في البدو والحضر فهو معظم مكرم حتى ان الإنسان اذا استأنسه قام له بكل خدمة وعظمه وأكرمه ذلك لصناعته العجيبة فأما العنكبوت فانه لقوته الصناعية يحتمل كل مكان في الحقول والمنازل وبسطاد الحشرات

﴿ اشارات القرآن لهذين التقسيمين ﴾

إن الله عز وجل لم يسم في القرآن السورة باسم (البقرة) وهي بما استنله الإنسان إلا وقد ذكر معها النج فقال - إن الله يأمركم أن تدبخوا بقرة - ثم قال - فذبخوا وما كادوا يضاحون - هكذا الأمم التي تركت مواهبها وعقولها ساطة الله عليها من الأمم من يقودونها ويقومون بشؤونها - سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا - فهؤلاء المسلمون المستضعفون في الأرض قد ضرب الله لهم مثلا في الأنعام أمامهم فانهم يعرفون

الفرق بين الأسد والكب وبين الغزال والعنز فالغزالة أنقى لونا وأجل شكلا وأوفر ذكاه وأوسع حيلة من أختها العنز التي استذلها الانسان . ذلك هو كتاب الله الذي أنزله للناس قبل أن ينزل كتابا واحدا من السماء وهكذا لم يذكر الحيوانات الصائفة في التقسيم الثاني إلا مقرونة بما يشرفها ويعظمها . ألم تره لم يذكر النحل في (سورة النحل) إلا وقد شرفها بأن سمعنا نبي من الأنبياء وهو سليمان - قسّم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك - وقال الله في النحل - قالت غلة يا أيها النحل ادخلوا مساكنكم لا يحطنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - كما انه لما خاطب المدهد وهو من نوع الطيور الحرة في التقسيم الأول هنا بعد أن توعدته بالقيع أو التعذيب الشديد لم يهونه ولم يذله لانه سمع منه الجواب المحكم والعلم إذ قاله - أحطت بما لم تحيط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين - بخلاف (البقرة) فانها لم تفد العلم بالقتيل إلا بعد الذبح . يقول الله تعالى - فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى - فليت لم يخبر بقائه إلا بعد ذبح البقرة وهو هدد بالذبح ولكن لم يذبح وأقى يعلم وهو حي . ذلك فرق ما بين الحر وغير الحر . الحر لا يذبح فتقيد حياته وغير الحر يكون طعاما للآخرين فلذلك أفاد المدهد سليمان بما لا يحيط به علما . هذا تشبيه ظاهر لأهم الاسلام أن سمو الفكر والحكمة وعلو القدر والعظمة كلها تابعت للحرية التي يتبعها صفاء الذهن وحضور البديهة والصدق في العمل ولم ينزل القرآن لنا للتفكير بل نزل للحكمة ولم يختر الله المدهد في حكاية سليمان رمية من غير رام . كلا . ثم كلا . بل المدهد رمز للنفوس الصافية التي ليست تحت إمرة غيرها حتى يكتبوا أنفسهم ويدلوها ولو كان علماء الاسلام فكروا في هذا قبلا ما ذل المسلمون ولا ضعفوا ولا استكانوا ولكن الله عز وجل هو الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء - وكل شيء عنده بمقدار - ولقد كان من الجائز أن يذكر الله بدل المدهد حمامة فالحمام هو المهود لتبليغ الرسائل في السلم والحرب قديما وحديثا ولكن الله عز وجل يريد أن يعلنا بطريق ضرب الأمثال بالحيوان فذكر المدهد لهذا وأمثاله والله هو الفاتح العليم . ثم تأمل كيف ذكر الله المدهد والنحل مع سليمان حتى يكون ذلك شاهدا على القسم الأول في هذا المقال وعلى القسم الثاني فيه حتى يكون هذا المقال كله مقبسا من (سورة النحل) مرتبطا بآية النور هنا عند تقسيم الحيوان الى الماشي على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع وهكذا . ولاجر أن التقسيم العام هنا يدخل فيه ذلك التقسيم الخاص في (سورة النحل) الذي تضمنه حديث سليمان مع المدهد وتبسمه من سماع الذئبة . فهنا عموم وهناك خصوص وهذا المقال خاص دخل في العام . فأننا أجدهم يأنه على نعمة العلم وبديع الحكمة إنك أنت اللطيف الخبير . وهكذا لما ذكر الله العنكبوت أردفها بقوله - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال في النحل - وأوحى ربك الى النحل - فها هو ذا سبحانه أفادنا أن في ذكر العنكبوت ونحوها ضرب أمثال وأن تلك الأمثال لا يعقلها إلا العلماء وأفادنا في النحل انه يوحى اليه كما أنه في (سورة المائدة) أفاد أن الغراب معلم للانسان إذ قال سبحانه وتعالى - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سواة أخيه قال يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخي فأصبح من النادمين - وعلى مقتضاه يقول يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا المدهد والغراب فأكون حرا طليقا قوي العزيمة أخاطب ملكا عظيما سليمان فلا أخشاه لعلى ولصدي ولقوة عقل و يقيني ولحزقي وأيضا أعجزت أن أكون كالنحل وكالفيل والعنكبوت في الصناعات حتى أستخرج مواهب الكامنة في - وهناك يلهمني الله رشدي ويؤيدني علما بما أزاله كما أوحى الى النحل لما زاولت عملها والى العنكبوت لتتنسجها والى النحل لتربي أولادها . هذا ما أفتح الله به صباح يوم الخميس ١١ ديسمبر سنة ١٩٢٨ والحمد لله رب العالمين

(حفظ القوة الشهوية في الانسان حسن كما حفظها الحيوان)

ولعمري - إن الانسان لن يخرس * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر -

الله يقول - إن الانسان لفي خسر - لماذا ؟ لأنه جهول - قتل الانسان ما أكفره - . ويقول أيضا - وجعلها الانسان إنه كان ظلوما جهولا - . اللهم اتنا نحن سكان هذه الأرض أسرى التقليد والأوهام والجهالة أفكر يارب في هذه السنّ فأرى انك قويت صحتي وأتذكر أيام شبابي فأجد الأمراض كانت تحيط بي . ولما فكرت في ذلك وجدت أن المرض في الشباب كان بالجهل بعلم الصحة وأن الصحة اليوم بسبب انك عرفتني بعض علم الصحة وعملت بشئ منه . وكما رأيت في صحتي اعتدالا قليلا أو كثيرا بعد أن أكون عملت ببعض ما أكتب في هذا التفسير من قوانين الصحة أقول يا سبحان الله وسعّدانه . إذن أمراض الناس بجهلهم ومرضى بجهلي وكل اعتراف عقلي أو صهي أو خلقي عندي الآن أو من قبل ليس له سبب إلا جهلي . إذن شقاء الناس كلهم بالجهل . ومن عجب أني أرى عظماء الأمم وكبراءهم في عصرنا يتبعجون بالاعلان عنهم في الجرائد انهم شربوا المطربات أو الحلوى في مجالسهم العاتية وهكذا فإذا سمعت هذا الاعلان أقول في نفسي . يا جاحدا مالي أرى هذا الانسان ساهيا لاهيا . شرب القوم المطربات . شربوها جميعا . هل كانوا عند الشرب جميعا مسوفين له بالعطش أم ذلك شهوة لاغير فمن شربها للعطش فيها ومن شربها للذة أورتهم مرضا دفيناً واختلالا وهكذا مرة بعد أخرى حتى يظهر أمره بعد حين . فلماذا لا ينظر الناس الى الحيوان . ذلك الذي لا يأكل إلا اذا جاع ولا يشرب إلا اذا عطش والانسان لغاياته وجهله يشرب لغير سبب إلا اللذة وهذا له عقاب عظيم في هذه الحياة . هكذا في أمر التناسل ولذة الواقع يقول الأطباء ﴿ إن حفظ هذه القوة يقوّي الجسم والعقل ويضدها تقيز الأشياء ﴾ ومن عجب أن الناس يشاهدون الأنعام لا يقرب الذكر أنثاه مادامت حاملا كأنها قرأت نظام العالم وعرفت منه أن هذه الشهوة ليست مقصودة لذاتها لذلك حفظت قوة تلك الحيوانات . أما هذا الانسان المسكين فهو أسير شهواته بواقع كثيرا لغير ما سبب إلا الشهوة وهي ترديه . نعم أنا لست أقول اتنا نقتل الواقع كما تقتل الأنعام أي عند ارادة الجمل فقط ولكن أقول الأفضل أن يكون ذلك تابعا لعلم الصحة حتى تقرب من حكمة الله في أرضه التي أظهرها لنا في الأنعام التي اقتصرت على طلب الولد والله أشار لذلك فقال في (سورة البقرة) - وقسموا لأنفسكم - بعد قوله - نسألوكم حث لکم فأتوا حثکم أني شئتم -

اللهم إنا على الأرض أمانا ﴿ كتابان ﴾ كتاب منظور وكتاب مسموع والكتاب المسموع الذي أوحى به وجه عقولنا الى كتابك المنظور . فلتوجه برحمتك عقول المسلمين من الآن الى نظامك في كتابك المنظور حتى يعقلوه فيفهموا بجمالك ولتخلقوا بأخلاقك العالية الشريفة وليقفوا عند حدّ أدبك الذي فرقته على حيواناتك في أرضك وقلت - قل انظروا - فهنا نحن أولاد يارب نظرنّا فوجدنا أن النوع الانساني حاد عن الجادة في تصرفه وتابع العادة ولم يفكر منه إلا الأقلون . يشربون وهم لم يعطشوا ويأكلون وهم لم يجوعوا والحيوان لم يفعل ذلك وأكثرا ما يكون ذلك منهم في ولائهم وأفراحهم ومجتمعاتهم العامة

ويدخلون دخان (التبغ) في أفواههم يدور في دورة الهم فيؤذيهم ويشربون المولّد المتخمرة التي تضر أجسامهم ويفعلون ما به يستصرون . وقد تمنحننا بالجوع الكاذب بين الأكلاتين أو العطش الكاذب بين المرحتين من الشرب فنطبع تلك الداعية فنستضر واذا ذلك تزلّ القوة العقلية ويفتر الدهن وتقتصر الآجال على حسب الأقدار الجارية . ولقد قلت في كتابك - وما أصابكم من مصيبة فمّا كسبت أيديكم ويعفو عن كثير - فهذا مما كسبناه بأيدينا وقلت أيضا - وإن قطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله - وسيدلك يارب في كل شئ بحسبه - إن ترني على صراط مستقيم - وقد دعت التقليد فقلت - واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولوكان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون - . إن هذه الأمتسكت فيها المفكرون في أمر هذا الحيوان والاقتباس مما جبل عليه ليرجع المسلمون الى الفطرة - فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون - انتهى صباح يوم الجمعة ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٨

﴿ نداء الى أم الاسلام ﴾

(تذكرة ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وازدياد لليقين)

إن من أعجب العجب أنى بعد ما كتبت ما تقدم اطلعت على محاضرة مسببة ألقاها الاستاذ (فينج فيشر) الأمريكى الاخصائى فى علم الصحة أظهر فيها بالبرهان الجلى المحسوس أن الناس فى القرن الحادى والعشرين سيكون متوسط أعمارهم (١٠٠) سنة على الأقل وقال اتنا الآن قصر أعمارنا باستعمال الكحول والتبغ والشاى والقهوة فضلا عن اتنا نكثر من تناول الأطعمة ونقلل من ممارسة الألعاب الرياضية وننام قليلا ونرتدى ملابس غير صحيحة وأن علم الصحة يقود الى اطالة العمر ولا يأتى الموت إلا اذا فقد الجسم النشاط الحيوى عند ما تصبح الحياة كعقرب الساعة المكسور . وختم محاضرتة بقوله ﴿ إن أحمادنا وأولادهم سيعيشون جيلا أوجيلىن لأنهم سيدركون أكثر منا ويحافظون على الوسائل الصحية وينبذون استعمال المواد المهلكة لتلك الأجسام ﴾ انتهى

أقول • عجبى أن تنشر هذه المقالة فى بلادنا عند كتابة هذا الموضوع ولعمرك الله كم من علم ينشر والناس به يستهزئون ولعلم المسلمون أن دين الاسلام سياتى زمانه أما هذا الزمان فأتما هو مقدمة لا غير . إن المسلمين قروا آيات الخمر ونحرمة الربا ونحرمة ولكن كان الخمر هو أجل ما يفرج الأمراء ورؤساء الدول الاسلامية فضلا عن الفساق وأصحاب الخلاعة . كل ذلك لأنهم لم يدركوا السر فى هذه المحرمات ولم يعلم كثير منهم أن ذلك التحريم لاسعادهم فى الحياة الدنيا قبل الموت وصار شعراؤهم يتفقون بالخر . ويقول أبو نواس شاعر الباسيين (أيام صولتهم ومجدهم والقوم لا يزالون أقرب الى البداوة منهم الى الحضارة ولم يبلغ الترف منهم مبلغا عظيما) ألا فاسقنى خرا وقل لى هي الخمر • ولا تسقنى سرا اذا أمكن الخمر

وكتاب الأغاثنى بما فيه من أحاديث الخلاعة والفجور المنقولة زورا عن الرشيد وأمثاله قد انتشر فى دولتهم ودولة الأمويين فى الأندلس فافسد أخلاق القوم فساء صباحهم ومساءهم وخلت منهم الديار وبست عاقبة الغافلين . فبالت شعرى أى أثر تركه أمثال ما كتبه الآن من النظرات فى الحيوان وعاداته وأنه كتاب مفتوح كتبه الله بيده لنا وقال • قل انظروا • وقسمه الى زاحف وماش على رجلين وأربع وتبين لنا انه مرفوع عن الدنيا فى مطعمه ومشربه وملامسة أتناه . هنالك يكون الخجل من الجهل ومن المرض وقصر الأعمار الذى كسبناه بأيدينا وسوء الترية والملكة . فاذا انضم الى ذلك قراءة أمثالهما القاه (الدكتور فيشر) الأمريكى من اظهار جهل هذه الأجيال . هنالك يعلم أبناءنا بعدنا اننا ما كان لدينا علم ولادين اللهم إلا ألفاظ القرآن محفوظة ننقلها لمن بعدنا بأمانه كأن الله سخرنا لهم وهم الرابحون . أنت يا الله خلقت الحيوان وقلت • انظروا • وأنزلت القرآن وقلت افهموا وخلقتم أمما وأما ففكر الجميع ففكرت روسيا ضرر الربا وأمريكا الخمر بمقولهم فأدوا بعض مجابهة به القرآن والمستقبل أجل وأكل وسيرتقى المسلمون والحمد لله رب العالمين

أيتها الأمم الاسلامية . اسمى . هذه هي حقيقة الحيوان أنزلها الله فى الأرض لتدرسوها وقال لكم انه مقسم الى زاحف وماش الخ وقال لنبيه ﷺ • فذكر انما أنت مذكر • لست عليهم بمسيطر . كأتى بكم قرأت هذه الصحيفة وأخذتم تعجبون من نظام وضعها وبهجة حكمتها فتقولون ان فى الحشرات كالبدود والجراد والنحل والنحل لعبة وكذلك فى الطيور كالحمام والغراب هكذا فى الأنعام وفى الأساد والبقية . اتنا نرى هذه الأنواع تجري على وتيرة واحدة فكما كانت أقص مرتبة كان عملها قاصرا وكما كانت أعلى مرتبة كان عملها متعليا . فاذا كانت الجردة والنبابة والناموسة لارتبى ذريتها والنحل والنمل يطف الفرد منها على المجموع ويربى ذريته ويحفظ دولته هكذا نرى هذين النوعين فى الطيور . فانا نرى السجاجة والبلعة والحمام تربى أبنائها ولكن لاعمل لها نظام الغراب وأمثاله من كل ما لها به نظام عام يجمع طاقة ويساعد الفرد

المجموع . هكذا نرى البقرة والشاة والعنز والجل لا يعرفن إلا أنفسهن وذرياتهن إلى أمد معلوم ولكن القبيلة والذئب والقرود وأمثالها قد كوّنت لها أمة وأقامت حكومة وانتظمت منها الجاعات ثم يقولون إن الشرف ينبع الفضل والمنفعة العامة فنحن نرى النحل والغربان والقرود أفضل وأشرف من الجراد والحمام والأنعام ثم ينظرون في هذا الإنسان نظرة فيقولون إن الطفل منه والشيخ الهرم كلاهما لضعفه يشبه البدو والجراد إذ لا هم له إلا حفظ حياته . والأقوياء من هذا الإنسان يرتقون فيلدون السرية وتكون لهم أسرات ثم جاعات ثم أغاذ ويطون وقبائل وهؤلاء أرقى ممن يقتصرون على أسراتهم وقياسا على جاعات الحيوان يكون الإنسان كلاً ازداد جمعه ازداد شرفه . فاذا رأينا أم أوروبا كالجerman والانجليز وأهل فرنسا . وإذا رأينا أهل الشرق الأقصى كالاليابان والصين ووجدنا أن هذه الأمم كلها يحافظ الفرد منها على المجموع قلنا لقد أحسنوا وهم أعظم شرفاً ممن صغرت جاعاتهم بأن حافظوا على نظام القبيلة ولم يرتقوا عنه . ثم يقولون إن هذه الأمم جميعاً لم ترد عن الغربان وعن القبيلة وعن النمل والنحل

الهم انك أنت الذي ألهمت النحل وألهمت النمل وألهمت القبيلة وألهمت الغربان وألهمت هؤلاء جميعاً نظام جاعاتهم وقلت لنا - وما من دابة في الأرض - كالقبيلة والقرود - ولا طائر يطير بجناحيه - كالغربان والنحل - إلا أمة أمثالكم - فلهم نظام ولكم نظام . انك تريد بذلك أن توجه عقولنا إلى دراستها . هاتين أولاد درسنا هذه الحيوانات باعتبار التقسيم كما قسمتها أنت هنا بالشي على البطن وعلى الرجلين . فلما درسناها ووازناها بالإنسان وجدنا أننا في الشرق ارتقت كما ارتقى الحيوان ولكننا لم نرها ارتقت عنه أيها المسلمون . هذه مبادئ التفكير عند أبنائكم في المستقبل . ثم هم سينظرون ويقولون ما بالنا نرى آباءنا (يريدون أمثالنا وأمثال آبائنا وأجدادنا) لم يرتقوا في الأسباب ولم يقاتلوا معقلته الأمم في الشرق والغرب . لماذا نرى الأمم كلها قد أدركت هذه الحقائق من نفوسها وخطت خطوات واسعة في الاجتماع وهم بقوا جامدين على القديم العتيق البالي من نظام الجاهلية الأولى حتى إن الأمم العربية مثلاً متفرقة منشكة مجمل بعضها بسنا . فهم في شمال افريقيا متقاطعون متدابرون . فالعصرى والطرابلسى والتونسي والجزائري والمرأ كشى كل هؤلاء يجهلون انهم أمة واحدة كأمة الصين واليابان والألمان والانجليز . لا لا إن آباءنا كانوا غافلين نائمين لم يدرسوا الحيوان ولم يدرسوا الأمم . فلاحهم عرفوا كيف يؤلفون أممهم كالغربان والقبيلة والنحل ولا كالألمان والانجليز والصين واليابان . فهم إذن أقرب إلى طبع الصبيان والشيخ الهرمين الذين يحافظون على أقل أنواع الحياة

(آراء فلاسفة المستقبل في أم الاسلام)

إلى هنا نتقف آراء أهل العلم ورجال السياسة في الأمم الاسلامية المستقبلية . أما فلاسفتهم وحكماؤهم فيرمون (لغاييتين) إحداهما أبعد من الأخرى (الغاية الأولى) أن كل أمة من أمم الشرق تجمعها لغة أو دين أو وطن تحافظ على مجموعها وهذه تضارع نظام أرق الحشرات والطيور وذوات الأربع وهكذا أرق نوع الإنسان الآن (الغاية الثانية) التي هي أبعد مدى أن يجمخوا أهل الشرق كله أمة واحدة بحيث يكونون متعاونين بينهم اتحاداً أشبه بلممالك المتحدة في أمريكا الشمالية . وانما يرون ذلك لأنهم يقولون إن الجاعة كلما كانت أكبر كانت أشرف والشرف لاحد له والأمم الحاضرة في الشرق والغرب لم يزيدوا جميعاً عن الحيوان شيئاً . فأرى فرق بين جاعات اليابان والصين والألمان ونحوهم وبين جاعات النحل والغربان . فنحل الشرق لا اجتماع له مع نحل الغرب لتصوره وغربان الشرق لاصلة بينها وبين غربان الغرب . لا لا هذه الأمم الحاضرة لم يرتقوا عن الحيوان ولكن نحن أرق وأرق منهم ومن الحيوان معا . ذلك لأننا أعطينا (نعمتين) نعمة العقل ونعمة الدين . أما نعمة العقل فانها هي الموهبة التي بها أدركنا أن آباءنا قصروا عن أعلى الحيوان وعن الأمم المحيطة

بهم شرقا وغربا فنحن أعظم من أن نسير على منبج آياتنا الذين لم يجدوا من علمائهم من يرقظونهم ويخرجونهم من الظلمات الى النور . من ظلمات النذل الى نور الحرية . من ظلمات الجهل الى نور العلم والعرفان . من ظلمات الاقتصار على نظام الأسرات والقبائل البدوية المتفرقة الى نظام الأمم الكبيرة والجماعات العظيمة الوفيرة ونحن سمعنا الله يذم التقليد للرؤساء وللآباء اذا كانوا عظميين - إذ يقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار . قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد - وسمعناه يقول - وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نطيع ما آفينا عليه آباءنا أولو كان آبؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون - فهذا الباب أفتلناهما فكل ما يضر بنا من آراء آبائنا ورؤسائنا نرفضه ولا نقبله لأنه ينزلنا عن مصاف أرقى الحيوان وأرقى الانسان في زماننا ولكننا نحافظ على كل شرف ورتبه من المتقدمين وأما نعمة الذين فانا سمعنا الله كما أنه قال لنا - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا آمم أمثالكم - قال لنا - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فهاهو ذا كتابنا المقدس في الآية الأولى يجعل الانسان أما كأم الحيوان سواء بسواء والانسان الذي يعيش معه قد وصل لهذه المرتبة وإن لم يصل لها آباؤنا المسجون بعد الصور الأولى حين فرقت جوعهم وخضعت شوكتهم وملكتهم البطنة ومالوا للذة وشربوا في المال ونسوا عهدهم القديم وعزهم الموروث لما غرهم فتوح البلدان وحقت عليهم كلمة التفريق والهو ان التي أشار لها حديث ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ ﴾ فإن ما خافه نبينا ﷺ قد تم فعلا وأيقنا به ووقنا فيه تبعا لآياتنا في نحو ألف سنة بعد الصور الأولى . وفي الآية الثانية أرانا علما فوق علم أرقى الحيوان وأرقى الانسان الحالي إن الانسان في هذا العصر لم يرتق عن أرقى الحيوان كما قررناه إذن انسانيته ضعيفة حقيرة والقوى الادراكية التي في أرضنا ﴿ ثلاثة أنواع ﴾ فهي إما غرائز كغريزة الحشرات وغريزة الأطفال والشيوخ وسائر الحيوان وأما فكر وروية كما هو شأن نوع الانسان وأما قوة ملكية قلبية تسمع على قوى الحيوان وقوى الانسان فهذا الانسان اليوم يفكره لم يصل الى أرقى مما وصل له الحيوان ثم وقف فأين الفضل له إذن اذا كنا نجده لا يزال طفلا في هذه الأرض بالنسبة لما ينتظر منه غدا . ها هو ذا يحارب بضه بعضا كما يحارب النمل ويتخذ الأسرى مثلها ويسخر غيره لنفسه كتنسيق الغنم إذن هذا الانسان اليوم جد جاهل فوائده لافرق بين قبيلتين بدويتين في الصحراء تفتخر كل واحدة منهما بمجد آبائهما العاقلين وبين أمتين في الشرق أو الغرب تمجد كل منهما السابقين فيها وتقتصر على ذلك . إن مفاخر الآباء محمدا لأمدة واتباعها شرف لامتصة ولكن الاقتصار على ذلك والوقوف عند حده صغر في النفوس وحقارة في الانسانية . فلتحافظ على شرف أسرتك الموروث وعلى فضل أمتك المصهود ولكن الوقوف عند ذلك نقص ومذمة وعار

ثم يقولون إن ذكاه الانسان لم يرتق به في النظام العام عن نظام أرقى الحيوان فإنه يقبل موهبة أعلى أما الحيوان فلا . فغير بان الغرب لا ينتظر منها أن تتصل بغيران الشرق ولأمل الغرب بجل الشرق لأنه لاملصلحة في ذلك . أما أم الغرب وأم الشرق فن مصالحهم جميعا أن يكونوا ممالك كالملك المتحدة في أمريكا الشمالية هذا هو الحق الصراح . هنالك تكون هذه هي الانسانية الحققة . ثم يقولون علم الله أن عادات الانسان وتقاليد تهمه عن الارتقاء عن الحيوان فاصطفي رجالا قديما وحديثا حكماء تارة وأنبياء أخرى قد كروا الناس بما قررناه الآن وقالوا لهم أيها الناس أنتم ضالون ليختم المجموع المجموع . وقامت في الأمم الغربية جماعات الاشتراكية ومن بعدها البلشفية وكل هؤلاء يحاولون الارتقاء عن هذه الأمم التي لم ترتق عن نوع الحيوان ولكن هذه المحاولات لم نعرفها ولم ندرسها وليست منزلة بوحى أما الوحى فهو الذى يؤثر في النفوس وهو الذى يكون نورا تهتدي به العقول

إن عقول الناس في الشرق والغرب مستعدة لقبول الفكرة ولكنها تحتاج إلى ﴿أمرين﴾ أمر وسي
 جاء من قوة فوق العقل حتى تسوقه إلى هداه وإلى حكمة وعلم . أما الحكمة فهنا نحن أولاء درسنا العلوم التي
 عند الأمم المحيطة بنا من علوم الرياضة والطبيعة وغيرها لاسيما بعد ما نشرت كتب تحت على العلم والحكمة كما
 في هذا التفسير . وأما أمر الوحي فانا سمعنا قرآنا عجبا . سمعناه يقول - فاذا قضيت مناسككم فاذكروا
 الله كذا ذكركم آباءكم أو أخذ ذكرنا - فها هو ذا القرآن يقول لنا إياكم والصبيبة الناقصة بل اذكروا الله . ثم
 سمعناه يقول - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فلم يذكر شرقيا ولا غربيا ولا هجيا . وسمعنا نبينا ﷺ
 يقول ﴿الفضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى﴾ وسمعناه يأمر بلالا وهو غيبري أن يؤذن في الكعبة والعرب
 يسمعون ويعون ويرون القديم كله ينسخ مرة واحدة ويحل محله نظام جديد وهو نظام التقوى والكفاءة
 إذن مستقبل الأمم سيكون هكذا كل أمة تعمل فيها استعنت له وكل قوة من قوى النفوس لابد من استخراجها
 والله يقول - لا تكاف نفس إلاوسعها - إذن جميع النفوس يجب توجيهها إلى الأعمال التي تناسبها فلا يكون
 في الأرض كسل ولا بطالة . ولاتبقى في الأرض أولهواء أو الماء قوة يمكن استخراجها إلا وجب على الإنسان
 استخراجها وهذا كله لا يتم إلا بأن جميع الأمم في المستقبل يراقب بعضها بعضا بهتة مشككة من حكام مصطفين
 منهم ويحكمون على الأمم المقصرة في استخراج المواهب العقلية والمنافع المادية من الطبيعة لأن الله يقول
 - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعين . ما خلقناها إلا بالحق - فاذا كان بنو آدم لا يستخرجون
 قوى قوسهم ولما كمن في المادة فهم لا يزالون يلبسون وقد خالفوا حكمة من أنعم عليهم بهذه الحياة وتكون
 نتيجة ذلك أن يقول أنباؤنا في نهاية مباحثهم لابد لنا من ﴿أمرين * الأول﴾ أن نجد في تعلم كل ذكر
 وكل أمي في بلاد الاسلام العلوم والصناعات هذا أصبح فرضا لازما ويكون شعارنا - وقل رب زدني علما -
 - وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا - و - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون -
 ومتى أتممت هذه الخطوة وهي قربة المال لا يعوزها متى صدقت العزيمة أكثر من عشرين سنة نوجه همنا
 إذ ذاك إلى نظام النوع الانساني كله ونقتاعهم مع جميع الأمم ونضع معهم النظام العام لاصلاح الأمم كلها شرقا
 وغربا . هذا هو الذي جاء له دين الاسلام . وهذا هو المقصود من قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -
 وقوله - وأرسلناك للناس رسولا - وقوله - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى
 الله باذنه وسراجا منيرا * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا - وقوله - ولكن رسول الله وخاتم
 النبيين - لانه اذا جعلت الأمم كلها نظاما واحدا فأى حاجة إلى رسول . إن الرسول يأتي بوحى والوحى أرقى
 من الفرزة ومن العقل والفكر . والوحى يحرك العقول ويخرجها من قيودها ومتى خرجت من قيود العادات
 وصلت إلى ما ذكرناه وكان السلام العام

(تذكرة)

ولقد أومأ الحديث الشريف لهذا المعنى في رواية البخارى ومسلم عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ
 ﴿يأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة فلا يجد أحدا يأخذها منه﴾ وورد أيضا ﴿تصدقوا فيوشك
 الرجل أن يمشى بصدقة فيقول الذى يسطاها لوجنتنا بالأمس قبلتنا منك فأما الآن فلا حاجة فيها فلا يجد من
 يقبلها منه﴾ رواه البخارى ومسلم والنسائى فيأليات شرعى هل ذلك هو الزمان الذى ستظهر فيه الأمم الاسلامية
 بالظهر الذى فكرناه بحيث يقومون بنظام هذه الدنيا مع عموم التعليم وحفظ الصحة ومعرفة قدر نعمة الحياة
 ويكونون مع الأمم إذ ذاك في حال أحسن من هذه بحيث يقل الطمع ويعرف الناس ما المقصود من المال

(محبة من عجائب أخبار اليوم)

أليس من العجائب النادرة أن أقرأ اليوم عن ﴿البلاغ السارى﴾ في بمبى بالهند أن المسلمين في شمال

(البرازيل) كانوا سنة ١٩٢٥ ثلاثة آلاف وهم الآن أضعافهم نحو (١٧) مرة أى (٥٠) ألفا وهم الآن يبنون جامعا كبيرا وأن الاسلام انتشر انتشارا سريعا في أمريكا وله مبشرون ما أكثرهم هناك . وقرأت أيضا أن المستر (ولز) الكاتب الانجليزى الكبير كتب يقول (كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط لأنه يضر المستمسين به وأن الديانة الحققة هي الاسلام فالقرآن كتاب دينى علمى اجتاهى تهذيب خلقى تاريخى حتى قيام الساعة . ألم يقل النبى ﷺ « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » وهذا هو الأساس القوى لعلم الصحة ولم يستطع الأطباء أن يأتوا بخبر من هذه النصيحة وصاحب الشريعة الاسلامية استطاع في ربع قرن أن يغير دولتين فارس والروم) انتهى

وانما ذكرت هذا هنا لآيين أن الاسلام كما انتشر في أمريكا ومدحه بعض علماء أوروبا فربما كان ذلك مبدأ نهضة الأمم وورق الاسلام فيتعلمون المسلمون في أوروبا والشرق على اصلاح الأمم كلها واذ ذاك بحسب ما كتبناه هنا ترتقى العقول والأخلاق والصحة التى يطلبها علماء العصر . وهناك لا يجحد الناس من يأخذون الصدقة . وذلك لأنهم جميعا يعملون لأن الفكرة التى هنا تؤذن بأن الناس جميعا يعملون والمادة تستخرج منها منافعها . فاذن يكون الناس جميعا اخوانا يساعد بعضهم بعضا كما في كتابى (أبن الانسان) كل ذلك لمناسبة تقسيم الحيوان الذى أصبح درسنا في هذا المقال ومن هذا الدرس شرحنا مواهبه ومن مواهبه استخلصنا درجاته في العمل لنفسه ولترتيبه وانتقلنا من هذا الى أن الانسان الحالى لم يرتق عن الحيوان ثم زدنا عليه أن نبينا ﷺ يقول المدار على التقوى لا على النسب . ومن هذا كله استخلصنا زبدة المقال المصطفاه منه كله وهو استخراج جميع قوى العقول ومنافع المادة واذن يصبح الناس اخوانا في العمل والحياة بفضل الاسلام لا بفضل البلشفية والاشتراكية لأن التعاون العام اذا جاء من طريق الدين عم انتشاره واذن يكون نشر الاسلام بالاقناع والعقل والجد لله رب العالمين

(لطيفة . صباح يوم الأربعاء ١٩ ربيع الأول ١٣٤٨)

في الأرض أشرق (نوران) نور ظاه ونور باطن ، أشرفت الكواكب وأشرقت أرواحنا . بنور الكواكب ازدان الأفق وبنور أرواحنا ازدانت قوائم الباطنة بالخيال والقوة المفكرة والذاكرة وأشأله . في الجوف الذى زراه حول أرضنا صور النجوم صورت مرصعة فيه . وفي نفوسنا نفس هذه الصور . نحن نتخيلها . نتخيلها ونتخيل كل ماحولنا . كل ما رأيناه أو سمعناه أو لمسناه أو ذقناه نجد له صورة في نفوسنا إذن هناك عالم واسع في نفوسنا كالعالم الذى زراه حولنا . النور البصر والنور الذى لا يبصر كلاهما من السماء . لانور حول الارض إلا من السماء بالشمس والقمر والنجوم فهكذا ما الانوار في نفسى وفي خيالى وفي قوى المفكرة إلا من السماء . أبصرت يارب حولى صورة جيلة في جوفك وفي سمائك . ولكن هذه الصور لم تظهر لى إلا بأنوار أشرفت من السماء لامن الارض . هكذا أحسست في نفسى بصورتها بنور آخر إذن هو حق من السماء وعلى ذلك تكون هذه النفس لها اثراف عام على هذه العوالم المحيطة في واذا كنت أرى نور للشرقات مسيطرا على الارض وأهلها فهكذا نور نفسى الذى هو من السماء مسيطر على هذه الارض وما حولها بل على سائر الكائنات

هذا مخبوء في نفسى أحس به من اباى صغرى وهو ملازم لها وقد ازدراه أكثر الناس . ان أكثر الناس يحقرون ويزدرون ما لم يتبعوا في تحصيله . فهم لا يعيرون بما حولهم من هواء وماء وأنوار ولا يعتونها نعمة هكذا لا يعتنون قواهم الباطنة نعمة ولا يحسون بأنها كرامة . إن الكرامة محصورة عند أكثر هذا الانسان فيما منع عنهم . فشرية ماء وكسرة خبز أعطاها لهم بعد المنع أعظم نعمة يحمدون الله عليها وقطار من ذهب لم يتبعوا في تحصيله ينفرونه تذبذبا - وحلما الانسان إنه كان ظالما جهولا - . والدليل على ذلك أن نفسى فيها آلاف الآلاف من الصور ولا قيمة لها عندى ولكنى اذا رأيت مصورا صور عصفورا أو شجرة أو انسانا أعظمته

جدا وأخذت أنفرج عليها بشغف عظيم . ذلك لأنها جاءت بكبد ونصب وجاءت بعد منع فلها قيمة عندما . فأما
 صوري المرسومة في نفسى فلا قيمة لها لأنها مبنولة لى وجميع الناس . ان نفسى من عوالم غير عالم الأرض
 نزلت اليها لتدرسها ولتدرس نفس قواها . ودراسة العوالم المحيطة في تعينى على درس قواى الباطنة التى هي
 المقصود الأعظم ، إذن هذه الأرض لوح كتبه الله وأظهره وقال اقرأ وارق فأنا أقرأه اليوم ولكنى ما كنت
 أشرع في القراءة حتى رأيت العقبات تحول بينى وبين نفسى فيها ماهى حمية ومنها ماهى منزلة ومنها ماهى
 سياسية تم أنتهى كلها ولكنى مع هذا كله أحس بأن نفسى ليست من هنا بل هى من السماء . ونور السماء
 الظاهر الذى جاء لنا من الشمس اذا حجبته سحب ساعة فانه يضىء بعدها . إذن روى لاحد لرقبها ولامانع
 لاسعادها ولا نهاية لاشراقها . واذا كانت الشمس وهى النور الحسى لاحد لأنوارها فكيف تقف أنوار نفسى
 إذن فلا بحث في قواها ولا استعداد لاسعادها ولأعلم علما ليس بالظن أنى واصل الى ما أريد . أما العقبات التى
 تقوم بين نفسى وبين مطالوبها فأنا لا أبالى بها . وأهم العقبات ملجاء من طريق الوراثة والتقليد . وورث
 بعض آبائى الأولين وبعض الأسيخ الغابرين أن الأعمال الدنيوية لا تقرب العبد من ربه وأن أكثر من
 رأيتم في بلاد الاسلام لا يتقربون الى الله إلا بالذكر وحده أو بقراءة الأوراد . ورأيت شيوخا في كل قطر من
 أقطار الاسلام يوجبون على تلاميذهم أن يقرأوا أورادا في أوقات خاصة وأكثرهم شغلا عن معانى القرآن .
 أنا لا أدم الأوراد فمضى تشغل الشرى عن الشر ولكن الروح أوسع من هذا . إن حصر الفكر باب من أبواب
 الجهل . إن روى لاحد لها فكيف تقف عاكفة على ورد خاص قائمه بالجهل منتظرة أن يفتح لها العلم
 بالعوالم جميعها من غير تعلم . الاسلام أوسع من ذلك فأقرأ هذا المقام في (سورة الكهف) ففيها بيان ما
 يقوله الشيخ الخواص والشيخ الدباغ في قيمة الأوراد وحصر التلذذ فيها من صفحة (١٣٣) الى (١٣٨) في
 المجلد التاسع وكذلك في (سورة الاسراء) صفحة (٦٥) فهناك ترى هذا المقام مشروحا شرحا مستفيضا
 فلا ينيده هنا . وعلى ذلك أنا لأقف عند حد في النظر والفكر ولا أحصر فكرى في عالم واحد بل أطلق نفسى
 لتعرف العوالم كلها ولكن نفسى وحدها لا تستطيع أن تعرف كل شئ ولأن تصمم كل شئ . فالعالم لاحد
 لها والأعمال الدنيوية كثيرة فإذا أصنع إذن ؟ هنالك ظهري أن هنا في الأرض معى نفوسا أخرى ففسى
 ونفوسهم أشبه بحجم واحد . والدليل على ذلك أن كل علم من العالم أكتبته في هذا التفسير ظهرت مساعدة
 الناس لى فيه . فأنا أستمد من الشرق والغربى وأصطفى من علوم الشرقيين وعلوم الغربيين ما أراه جيلا
 وأكتبه . هنالك تبين لى أن هذه الروح المرسلة من السماء التى أمدها الله بنوره لا يتم لها هذا النور إلا
 بتعادها مع الأرواح المرسلة معها الى الأرض . واذن عرفت لماذا دعا الأنبياء أجمعهم الى العلم وهكذا العلماء
 والحكماء فاني رأيت كل عالم وكل حكيم وكل نبى مفرمين بتعليم غيرهم لأنهم يعلمون أن النوع البشرى أشبه
 بحجم واحدشأوا أم أبوا بدليل أن الدول القوية تغتصب حقوق الضعيفة وتحاربها ولكن العلماء في الأمتين
 يتقل بعضهم عن بعض فالتعاون طبيعة في الانسان وليس يمنع هذا التعاون إلا تقاؤس وجهل يورث طمعا
 واغتيال الحقوق الضعفاء

ملخص هذا كله أن الأعمال والعلوم لابد فيها من اتحاد المجموع وتعاونهم وأن اقتصار الشيوخ على تلقين
 المسلمين أورادا خاصة وتجهيزهم عن العلم وعن الأعمال القائمة خسران مبین . الأرض التى نكسناها قد خبئت
 فيها المعادن . خبأها الله عنهم فلم يسطعها إلا لمن بحث عنها والانسان عاش على الأرض كما يقال ثلثائة ألف سنة
 ولم يره أخرج من الأرض للناس نعمة الا بعد مجتهم عنها وذلك ليعرفوا قيمتها . فالذهب والنحاس والحديد
 والكهرباء والمغناطيس عرفها الناس بعد الدأب على استخراجها ولذلك لم يتركوا استعمالها مع ان أكثر
 العمر الذى عاشه هذا الانسان على سطح الأرض لم يستعمل إلا الحجر والعصر الحجري هو الاصل أما عصور المعادن

وما يعدها من الكهرباء والمضاطيس فهي قليلة . ذلك لانه لا يريد أن يعطيهم الا بجدتهم ليعرفوا قيمة ما يعطيههم
لأن ما أعطوه من غير نصب لا يشكرون عليه كهذه الروح وقواها الجميلة التي هي أعظم من هذا العالم للدتي
فهم لا يهتمون إلا بما نصبوا في تحصيله

(القرآن والعالم المادى)

وهنا نظرت في أمر القرآن وفي عالم المادة كأرضنا هذه وقلت ان الارض صنع الله وهكذا كل عالم الماداة
والقرآن كلام الله والمسلمون الذين نزل القرآن لهم قد ناموا نوما حقيقيا والأم استيقظت الآن فهل خبا الله
لهم في القرآن ما يثير عزائمهم بحيث لا تقوم قائمتهم إلا اذا استخرجوه كما خبا في الأرض المعادن ولم يعطها للناس
عموما إلا بعد استخراجها . وإذا علمنا أن القرآن والمادة من عند الله فليكن في الكلام من الحكم المحبوة
مثل ما في المادة بل أعظم فليبحث عنها الآن كما بحث الانسان قديما في الأرض فاستخرج المعادن فاذا نرى ؟
رأينا الله عز وجل لما أنزل القرآن ومضى له (١٣) قرنا نظرا أكثر المسلمين للقرآن نظرة ضئيلة فهم قالوا ان
القرآن جاء للأحكام الشرعية والأحكام الشرعية قام بها الأئمة المجتهدون ولا يجتهد بعدهم بل الذين عندهم
مجتهدون كالشيعة يكون المجتهد هناك مراعي عادات الأمة لتلا ينذوه . وعليه أصبح القرآن يقرأ لجرد التبرك
والعبادة والاعظام . أما الاقتباس منه فلا والمقتبس انما يبيع صاحب مذهبه فباقتبسه لا غير وتلاميذ الصوفية
يتبعون شيوخهم في بعض الآيات التي يسمعونها من شيوخهم مثل أن يقولوا لهم - قل الله ثم ذرهم في
خوضهم يلعبون - ويفهمون أن يذكروا الله ويتركوا ماعدا الذكر ومثل أن يقولوا لهم - ليس لها من
دون الله كاشفة - ويرجعونها للذكر وحده والله لم يقل ذلك وانما يقول - الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - فهو سبحانه جعل الذكر مقدمة للفكر ولكن
الجهلاء من هذه الطائفة وغيرها وقفت عقولهم عند آراء شيوخهم وأكثروهم جاهلون
في القرآن ففصل في القرآن مواضع وفي القرآن حكم . فلا ذكر الآن ما فتح الله به اللبلة حتى اذا قرأه
العقلاء أيقنوا ايقانا تاما أن الله لما أنزل القرآن فعل فيه ما فعله في العوالم المادية لأن المادة منه والوحي منه فهو
خبا في مادته معادن فبرزت فانتفع بها الناس قبل أن ينزل القرآن وخبا في القرآن حكما ويستنتفع بها المسلمون
بعد انتشارها في أمثال هذا التفسير . فاعلم أن أعمال الانسان في هذه الدنيا (أربعة) زراعة وتجارة
وصناعة وإمارة . هذا هو النظام المادى وبه يكون نظام الأمة كلها . واذن روى بتأديها في هذه الأعمال
مع الارواح الأخرى ترقى معهم مادتها في هذه الأرض فاذا فارقتها طرنا معا الى عوالم أخرى لا ندري ماذا تفعل
فيها . نرى الله في (سورة النحل) أسمع سليمان عليه السلام النملة فلما سمعها تبسم ضاحكا من قولها وقال
رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي

جل الله وجل العلم وجلت الحكمة . إذن أنت يا الله أسمعنا هذه القصة لمقصود أشرف ومقام أعلى مما
يفهمه الجاهل في أمة الاسلام الخالية . اذن هذه القصص ما تليت في القرآن لجرد البركة أو العبادة . هذا
رأى خطأ . يا الله أدركنا أن هذه القصص لأمر أعلى . غاية الأمر أن بعض أفراد الأمم الاسلامية تنظر
اليها نظر الديك الى الجوهرة فان الديك يطلب الحب ولا يطلب الجوهرة . ولا جرم أن هذه الآية يراد بها العلم
والعرفه والحكمة . سليمان يقول ان سماع كلام النملة أوجب على الشكر بل قال في مسألة العرش واستقراره
عنده انه من الله لأن العلوم اذا أعطيت الانسان ولم يفهم قيمتها دل ذلك على حقارة قدره وانه ليس أهلا لها
فيلبسها كما يلبس الله الملك بمن لبسوا أهلا له والمال بمن لبسوا أهلا له . هكذا سمع سليمان كلام النملة فحرف
قيمة هذا السماع فان هذا أدراك للحقائق وأدراك الحقائق أعلى ما في هذا العالم وطلب من ربه أن يلهمه الشكر
وشكر النعمة لا يتم إلا بمرقتها أولا ثم قبولها والعمل لها ثانيا كما استخرج الناس المعادن وعرفوا قيمتها واستعملوها

(قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الهدهد)

ولما أرسل الهدهد الى بلقيس ثم جاءت وجاء عرشها ورآه مستقرا عنده - قال هذا من فضل ربي ليباركي
أ أشكرهم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم - فسأله الهدهد انتهت بالفوز
السياسي كما أن مسألة النحلة كانت فوزا علميا - إذن النحلة والهدهد مع سليمان انتهيا بفوز علمي وفوز سياسي
أوجبا الشكر وذلك بمعرفة أن هذه نعمة وجهل النعمة يوجب عدم قبولها وعدم العمل بها والاسئلبها الله تعالى
ولذلك لما خطرت لى هذه المعاني كتبها اليوم خيفة أن تسلب منى إذا تركتها لأنها أعطيت لى الليلة وهذا من
الله ليتلنى أ أشكرها بالكتابة والنشر أم أكفرها فلا أعيرها الثقات كما أنى إبان صفرى لم أعز هذه النفس
وقواها الثقات ولم أشكر نعمتها بالبحث عنها ولم أشكر على نعم الأنوار والجال فى هذا العالم المحيط

إن (سورة النمل) متصلة بسبأ اتصالا علميا لا قرآنى لأنها غير متباورتين فى الترتيب - وذلك لأن مسألة
الهدهد متعلقة بأمر الملكة بلقيس وهى من سبأ والهدهد يقول - وجئتكم من سبأ بنبا يقين - إذن نظرنا
فى (سورة سبأ) فرأينا الله يذكر أن الشياطين يعملون لسليمان ما يشاء من محارِب وتماثيل وجفان كالجواب
وقدور راسيات ثم ختم القول بهذه الآية - اصموا آل داود شكرا وقليل من عباى الشكور - ثم ذكر بعد
ذلك أمة سبأ وقال - لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية - جتان عن يمين وشمال - وأعقبه بقوله - كلوا من رزق
ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور - فهنا ذكر الشكر فى (موضعين) فى موضع أبان فيه الصناعة
وانقائها وموضع أبان فيه الزراعة فى الجنتين اللتين كانتا لسبأ وسيأتى بيانها هناك - إذن شكر الله عز وجل
جاء فى القرآن مقرونا بالعلم وبالسبأ فى سورة النمل وبالصناعة والزراعة فى سورة سبأ

الله أكبر - جل الله وجل العلم - أيها المسلمون - هاهى ذه أعمال الناس فى الدنيا والآخرة لا تخرج
عن هذه الأربع العلم والزراعة والصناعة والامارة والله قد ابتلانا بالادور السياسية وبالامور العلمية وبالامور
الصناعية وبالامور الزراعية - ولقد قدمت ذكر التجارة ولم يذكرها لأن التجارة ماهى إلا انقلاب المال لأجل
الربح ولكن أصول الصناعة وأصول الزراعة هما اللذان هما حياة الأمم

أيها المسلمون - هل من سميع - هذه بعض المعادن التى خبأها الله فى القرآن وأذن باستخراجها اليوم
وأرانا أن نفوسنا نفوس سجاوية قد جاءت الى الأرض ولن تستطيع العروج منفردة فلا بد من تعاونها مع الأئمة
التي تكون فيها والأم كلها معاونات وبهذا التعاون يقفون العلوم والزراعة والصناعة والامارة وهذه هى
التي بها الحياة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة

أيها المسلمون - تبسم سليمان ضاحكا لما سمع كلام النحلة وطالب من الله أن يلهمه شكر هذه النعمة وانما
طلب من الله لعله أن النوع الانسانى محجوب بالعادات يحتقر ما يصل اليه ومتى احتقره جهله ومتى جهل
أصبح أدنى من الحيوان وعلم النحلة وعلوم الحيوان كلها من دراة عند الأمم الاسلامية المتأخرة التى نزل لها القرآن
فأسمعهم دعاء نبي عظيم يطلب من ربه أن يلهمه شكر نصمة معرفة خطاب النحلة (و بعبارة أصرح) ان
أكثر هذا الانسان جاهل لا يهيمه أمر هذه الحيوانات ولا يدرسها وليس يعرف الانسان قيمة هذه الهجائب
إلا اذا ألهه الله وقد ألهم الله اليوم كثيرا من المسلمين أن يتعلموا هذه العلوم - فاذا جاء لهم أيضا من طريق
القرآن لاسيا من قصة سليمان وسبأ كان ذلك أقوى وأوسع مدى

استقر عند سليمان عرش بلقيس فلم يفرح بالنعمة ويطرب بل قال هذا امتحان من الله فان عرفت النعمة
وحافظت عليها كنت شاكرا ومن لم يفعل ذلك فقد كفرها - وسبأ أعطوا سد العرم وأعطاوا جنتين هناك
فاذا فعلوا تركوا السد فلم يحافظوا عليه ولم يدرسوا العلوم التى درسها آبائهم ولم يتحدوا للمحافظة على هذه
النعمة فسلبها الله منهم وقال - نجعلناهم أحاديث ومن قناهم كل عزق -

هذا بعض السر في قوله تعالى - وقليل من عبادي الشكور - وقد اتصل بآية - الله نور السموات والأرض - الخ من ﴿وجيئ﴾ وجه أمر الروح التي هي نور من الله ووجه الطيور والسواب التي تشمل هدهد سليمان والخلة التي سمعها وتبسم ضاحكا والمهدهد متصل بسبأ وفي هذه جاع نظام الأمم أيها المسلمون . في هذا المقال جامع العلم في الأمم التي حولنا ففيد الصناعات والعلوم والسياسة فكل من نظم سياسة أمته وإمارتها فهو قائم بشكر الله وكل من رقى صناعاتها فهو قائم بشكر الله وكل من نشر العلوم فهو قائم بشكر الله وكل من رقى زراعتها فهو قائم بشكر الله . هذه هي بعض كنوز القرآن . خباها الله لكم وأبرزها الآن لما استعدادكم لقيادة أهل الأرض بعد نوم آبائنا نحو (٨٠٠) سنة . فها هوذا اليوم الموعود لاسعاد أمم الاسلام واخراجهم من سجون الجهالة التي حبسهم فيها شيوخ غافلون ومنعواهم من التفكير في القرآن ومن التفكير في الأمم المحيطة بنا وفي الأرض التي سخرها الله لهم . فهانحن أولاء الآن عرفنا أن مقومات الممالك من زراعة وصناعة وسياسة وعلم . كل هذه تركها كفر للنعمة واقامت شكرها والله يقول - وان تشكروا يرضه لكم - ويقول - واشكروا لى ولا تكفرون - ويقول علماء الاول ﴿شكر النعم واجب﴾ فالشكر بأنواعه المتقدمة واجب على المسلمين وان لم يشكروا حل بهم ما ذكره الله في نفس قصة بلفيس مع سليمان (التي جرّ إليها ذكر الهدهد الذي هو من الطيور المسببات للصليبات في هذه الآيات في سورة النور) إذ يقول الله - إني الملك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - إذن ذل بعض الممالك الاسلامية اليوم انما جاء من جهلهم بشكر النعم وأجلّ النعم هي ممالكنا التي سلمها الله لنا كما سلم العرش لسليمان فلما رآه مستقرا عنده قال ان هذا ابتلاء من الله لي وامتحان . هكذا نحن باعطاء الملك لنا عمنون فان قومناه بما يلزمه (من صناعة أشارها بالصرح المرد من قوارير وصناعة الحاريب والخناييل وبزراعة أشارها بالجنين في قصة سبأ وبسياسة تحفظ البلاد بعلم أشارها لما تبسم ضاحكا بقوله - رب اوزعني أن أشكر نعمتك - الخ) أبقاه لنا وان أهملناه وتركنا مقوماته أدخل الملك والأجانب فاستولوا على عروشنا وأفسدوا بلادنا - وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - وأنا واثق أن المسلمين اليوم غيرهم بالأسى إذ أقبل زمن نصر الله والفتح والحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم في هذا المقال ﴾

(في يوم الجمعة ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٨)

أحمدك اللهم على نعمة التوفيق والحكمة وأحمدك على الإلهام وعلى ما شرحت به صدرى وما أفضت من نورك للأمم الاسلامية التي يعوزها الصدق في القول والجدّ في العمل . لقد ذكرت في المقال السابق أن الشكر في الاسلام يرجع الى جميع الأعمال في هذه الحياة والى جميع العلوم وأقول الآن انه من أعجب الحب أن المسلم في كل صباح يحاطب ربه ويناجيه ويدعوه بنفس ما كتبت فيما تقدم . يناجي المسلمون ربهم في صلواتهم بهذه العلوم التي أكتبها في هذا التفسير . نعم يخاطبون الله العظيم ولكن أكثر الناس يخاطبون ولا يعلمون بماذا يخاطبون . نعم أنا الآن في تفسير (سورة النور) وهى الآن مقدمة للطبع وطال المقال في آية - الله نور السموات والأرض - الخ وطال في مسألة تقسيم الطير الى ماش على رجلين وعلى أربع وعلى بطنه . نعم هو طال ولكن الحمد لله لم أخرج عن الموضوع كثيرا لأن المقصد هو الهداية وبهذا التقسيم أى تقسيم الحيوان على منجنج القرآن وصلا الى كل ما ينزى وكل ما يطير وكل ما يدب واتمى بنا المقال الى الهدهد والنحل وأمرهما مع سليمان عليه السلام فنحن على حق اذا بحثنا في هذه الحادثة لأن النمل يمشى على الأرجل والهدهد يمشى على رجلين ولها حادثة تاريخية مع نبي عظيم له ملك لا ينفى لأحد من بعده . نحن مهما طال بنا المقال لم نخرج عن خط القرآن . لم نخرج عنه كما لم يخرج أصحاب العلقات بوصفهم الناقة (التي تحملهم الى محبوباتهم من النساء)

بأوصاف ربما تصل الى (٢٩) يتنافى بعض القصاص . هذا أساليب العرب والقرآن كتاب عربي . فنحن اذا بحثنا في حادثة الهدهد مع سليمان عليه السلام لسنا خارجين عن سنن النظام والقرآن لاسيما بعد ما سمعناه **عليه السلام** يقول ﴿ أوليت جوامع الحكم واختصرى الكلام اختصارا ﴾ فالقرآن كله جوامع كلم ومختصر وهكذا الأحاديث الصحيحة وقد سمعنا الله يقول - ثم إن علينا بيانه - وسمعناه يقول - وقل الحمد لله سبيريكم آياته ففعلونها - فالآن أشرع في شرح ما فتح الله به في هاتين اللتين . ذلك أن المسلم يقول في صباح كل يوم ﴿ اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيا عافيت ﴾ فهو ليس مهديا وحده ولا معافى وحده بل مع غيره ثم يختم الدعاء بقوله ﴿ ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ فهاذا الشكر . أليس هذا هو المذكور في علم الأصول « ان شكر النعم واجب » أليس هو الشكر المذكور في قصة سليمان الذي ذكرته في المقال السابق . سبحانهك اللهم يا الله أنت القائل - فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض لإقلا من أنجبنا منهم واتبع الذين ظلموا ما آرفوا فيه وكانوا مجرمين * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون -

أنت يا الله قد ضمنيت بقاء الأمة مادامت مصلحة . فبالت شعري ما هو الاصلاح . الاصلاح يرجع الى ما تقدم من نظام الأمة الذي اشتملت عليه قصة سليمان مع بلقيس وقصة سبأ والحفاظة على العروش أن يزول وعلى العلم وعلى الصناعة وعلى أمر الزراعة ومن لم يحفظ هذه النعم كأهل سبأ جعلهم حديثا ومن فهم كل معزق الله أعطى آل داود صنعا يعملون لهم ما يشاؤون من عاريب الخ فقال لهم - اعلموا آل داود شكرا - وسليمان شكر الله على نعمة العلم إذ سمع كلام الخلة وعلى نعمة الملك في حديث الهدهد وأهل سبأ مزقوا لأنهم لم يشكروا نعمة الجنين وذلك بعدم الحفاظة عليهما . جع الله ذلك كله في قول المصلي صباحا كل يوم ﴿ فلك الحمد على ما قضيت ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ وأنا أقول ، أيها الأمم الاسلامية . هلا كان من القرون المتأخرة من قبل عصرنا من شروحوا للخاصة والعامة معنى هذا الشكر الذي يقوله المصل كل يوم وهو يناجي ربه . لماذا أيها العلماء لم تشرحو للناس معنى الشكر كما شرحه الله في (سورة سبأ) وفي (سورة النحل) نعم بعض القاضين بأمر الأمم الاسلامية مترفون فكتأنهم اتبعوا ما آرفوا فيه وهذه الآية التي جاءت في (يونس) خاطب الله بها المسلمين يريد بها توجيه الهمم الى النوى عن الظلم الذي يقوم في أمثنا بتوجيه النعم الى الأمم السابقة . يقول لماذا لم يقم فيها هادون علماء حكماء - ينهون عن الفساد في الأرض - ثم ويخ تلك الأمم قائلا ان الظالمين في تلك الأمم مترفون واتبعوا الترف وتركوا النصيحة والتعليم

الله قرن الظلم بالترف والمترفون ظالمون . إن التمتع وحس الراحة هو الذي أضرر بأمثنا الاسلامية كما أضرر الأمم السابقة وأنا أقول الآن ألا فليقم في الأمم الاسلامية من يقولون لهذا المجموع الاسلامي أيها المسلمون الشكر الذي تكرر منه كل صباح وكل مساء هو القيام بحفظ النعم التي أنعم الله بها عليكم جميعا وهي نعمة الأرض التي تسكنونها والممالك التي سلمت لكم فلاتعطوا نعم الزارع والأنهار بترفكم وتنعمكم وإمهالكم وجهلكم بالعلوم والصناعات التي تحفظ تلك الأرض بل تعلموا كل علم وكل صناعة حتى تصير بلادكم كبلاد الأمم التي تعيش معكم رقا والافاقتم ظالمون مترفون والله يعطى أرضكم لمن هم أقدر منكم على نفع عباده بها ، وأيضا هو القيام بأمر الصناعة التي لاتتم حياة إلا بها وأمر آل داود أن يشكروا الله عليها . وأيضا هو القيام بأمر الدولة التي منحهكم الله لإياها وعرش الملك الذي سلمت اليكم مقاليدته والله ماسلمكم هذه الممالك إلا اختبارا لكم فحسب فان نعم به حتى القيام أبقاء وان أنتم قصرتم في نظامه أخذه منكم وسلمه لغيركم . واذا كان سليمان الذي أعطى ملكا لم يعطه الله لأحد بعده وقد وعده الله بذلك يقول أنا مبتلي والله يتخبرني أشكر أم أكفر فمن هو المسلم الذي ليس بني هو معتبر من باب أولى . لهذا نزل القرآن ولهذا أنزلت أمثال هذه الآيات بل ما ذكره الآن من أعجب

مجاهد به القرآن . يقول سليمان الذي هو نبى وهو موعود من الله بالملك وأن هذا الملك لا يسطه أحد بعده اتى
مبتهى هل أشكر نعمة الملك بالمحافظة عليه أم لا

فأين الثريا وأين الثرى • وأين معاوية من على

فإذا كان الأنبياء يخافون وهم أنبياء فما بالك بالمسلم المسكين . من هذا تعلم السر في قول المسلمين يارب
نحن مسلمون وموحدون ولماذا أخذت بمالكنا وأعطينا لقبينا وأذللتنا في بلادنا فيقال لهم لأنكم غير
شاكرين ولو كنتم تفهمون ألفاظ الصلاة ما ضاعت مما لكم . أعطنتم أن قول المصل (ولك الشكر على ما
أنعمت به وأوليت) أمر بسيط وذلك أن تنطق بها وكفى . الله لا يقبل إلا الطيب . والافاعنى - ان الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر . أليست الصلاة مذكرة . أليس الشكر المذكور في دعاء الصبح هو الذى يقوله
علماء الاصول وهو الذى جاء في قصة سليمان وقصة سبأ وكاه راجع لحفظ النولة كلها زراعة وصناعة وإمارة الى
آخر ما تقدم . هذا بعض معنى - ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - فما الفحشاء والمنكر خاصين
بالذنوب الفردية . إن الذنوب العامة بترك المنافع العامة أعظم جرماً . وتجد الله يقول في (سورة هود) يعبر
بلفظ - ينهون عن الفساد في الأرض - كما عبر في الصلاة بلفظ - تنهى عن الفحشاء الخ -

إن الصلاة ذكر فيها الحد . والشكر والحمد لا يكونان إلا بالقيام بحق النعمة والقيام بحق العمة يوجب
حفظها فلا يترك الانسان مواهبه ولا النعم العامة وهذا كله واضح في قول المصل (اللهم اهدنى فيمن هديت)
وفي قوله - اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم - لاصراطى وحيدى وفي قوله (السلام
عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) انه لاسلام في بلاد الاسلام أوفى
أى بلاد أخرى إذا أحمل أهلها رقبها بالعلوم والصناعات لأننا قد أوضحنا في كتاب (أبن الانسان) أن
الأرض يجب أن تستخرج منها جميع ما يمكن من النعم ومن مواهب عقول بنى آدم . فالأمة التى تهمل من
أم الاسلام تصد الأمم التى حولها على اقتسام أرضها . ذلك أمر لا مفر منه . فكيف يكون فيها سلام ولا
سلام إلا بالمحافظة الأم الاسلامية على أن تكون بلادهم مساوية لمن حولهم في الرقى . فتى انحطت عنهم جاء
غيرهم وأخذ أرضهم . فاذن لايسر النبي ﷺ من أمة الاسلام ولايسر الصالحون . فقول السلم في الصلاة
(السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) يلزمه حفظ بلاده ورقبها
فان لم يتم ذلك وتزكت وضمت عما جاورها من الأمم فلاسلام علينا ولاعلى عباد الله الصالحين وكيف يتم
السلام إلا للشاكرين الذين حافظوا على تلك النعم الجسمية والعقلية والدينية والمدنية حتى ان النبي ﷺ نفسه
يتألم في البرزخ لأجل أمة فكيف نخاطبه بالسلام عليه وأعمالنا ترفع له ناقصة لاشكرها بالمعنى الذى ذكرناه
إن السلم يستعيز في الصلاة من فتنة الحيا وأى فتنة أعظم من فتنة الجهل التى أوقعت المسلمين في النذل
وكيف يستعيز من فتنة المسيح النجس وقد أحاط النجس في السياسة وفي الدين بنا . وكيف يقرأ السلم في
القرآن - واجعلنا للفقين إماما - وهو عينه مستعد للامامة . مع جهله ما تقدم من أنواع الشكر ونظام الدولة
سبحانك اللهم وبحمدك . أنت الذى علمت وأرشدت وأوليتنا نعماً لا تحصى فألهمنا اللهم شكرها حتى
نقوم بما يجب علينا ولا نتجملنا بمن قلت فيهم - أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال • وسكنتم في
مساكن الذين ظلموا أنقسم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال -

اللهم إنا نحن معاشر المؤمنين اليوم سكتنا في مساكن أم قبلنا فيجب علينا أن نتبين ما فعلت بهم ولا يكون ذلك
إلا بالعلم . فكل قطر من أقطار الاسلام اليوم حل المسلمون فيه محل أم سبقت وهذه الأمم لم تدنط إلا بالظلم
والظلم مقرون بالترف كفى آية موعود . والترف والتم مورتان ترك العاوم والصناعات ونظام الدول . اللهم ألهمنا
الصواب وارشد هذه الأمم أن تدرس نظم الأمم السابقة عليها بحيث يقولون ماوصلوا اليه من الرفعة ثم ما حصل لهم

من الترف فظلموا أنفسهم فهلكوا وبناء على ذلك يعتبرون « والسعيد من وعظ بغيره »
 اللهم ان الشكر لك المذكور في الصلاة وكذلك الحمد موجبان حفظ جميع النعم التي أشارت لها قصة المهدد
 مع سليمان وقصة سبأ وهذا الشكر لك أنت والمسلم اذا عرف ذلك وجه قصده لله وحده وعلى المسلمين جميعا
 أن يعلم ذلك حكماؤهم (وبإشارة أوضح وأصرح) يجب على العلماء بعد ما أن يقولوا لشعوبهم الاسلامية
 ان الهندسة والحساب والفلك والطبيعة وعلم طبقات الأرض ونظام الترع والجسور . كل ذلك دين اسلامي عليه
 ثواب وتركه يوجب غضب الله على الناس في الدنيا والآخرة وأن قصص الانبياء موجهة لهذا المقصد وحده
 وأن غضب الله على الناس في الدنيا بسبب التقصير في هذا والله هو الذي يتوجه اليه المسلمون بهذا كله كما أن
 صلاة الوتر (١١) ركعة وختمها ركعة واحدة اشارة الى أن جميع الأعمال ترجع الى واحد وهو الله

اذا عرف المسلمون ذلك وشاعت فيهم هذه الآراء لم يقفوا فيها وقفوا فيه في القرون الأخيرة . ذلك أن
 أسراءهم اذا كانوا صالحين زاهم في ناحية والشعب كله في ناحية . فالأسراء الصالحون يصلون مصالح الدولة
 وصغار العلماء يجهاون ما قلناه الآن فيفهمون الشعب أن هؤلاء ظلمة جبار وأنهم هم الصوفية والذين ينقطعون
 للصلاة والقراءة هم الصالحون وحدهم . بهذا وحده انحطت أمة الاسلام في القرون الأخيرة إذ أصبح الشعب
 في ناحية والأسراء في ناحية بهذا وحده ضاعت هذه الأمة

لقد ذكرت لك أيها الذكرى (سورة الحجر) أن أمان الله خان ملك الأفغان قد كان في مصر وأنه سافر
 الى الأفطار الأخرى وأنا قلت لك هناك ما ملخصه عند آية - إن في ذلك آيات للتوسمين - انه يريد الإصلاح
 وأن علماء الدين ربما يقاومون اصلاحه وذكرت النسبة بين ضعف أم الاسلام ورقى أم أوربا وأن علماء
 الدين اذا قاوموه تأخرت الأمة

الآن يجب معي اني أنا الآن في تفسير (سورة النور) وبين طبع السورتين حوالي سنة . فانظر ماذا جرى
 رجع الى بلاده بعد أن طاف أطفال العالم وعرف أن الترك قد قتل فيها بعض العلماء لأنهم يقفون في طريق
 الإصلاح . فانظر ماذا جرى . وقف العلماء في طريق الإصلاح الذي رآه (أمان الله خان) فقتل منهم طائفة
 مثل ما حصل ببلاد الترك سواء بسواء فأشاعت الجرائد في العالم والتفريغات (البرق) انه أتى بأشياء خلاف
 الدين وفي هذه الأيام بل في هذا اليوم نفسه أشاعوا أن الثورة قد طفت في بلاده وعمت وأنهم قد طلبوا منه
 أن ينازل عن العرش . وهاهي ذه الجرائد أمامي وفيها ما نصه

(يبعث الموقف الحالي في أفغانستان على القلق في العواثر العلمية في لندن . وآخو الأنباء الواردة من كابل
 مؤرخة بتاريخ مساء السبت وفي ذلك الحين وصل الكاثرون الى ضواحي العاصمة واحتلوا موقعين وأذيع حينئذ
 أن الملك أمان الله والملكة ثريا سالماني في قصرهما الخ)

ثم جاء نبأ آخر مقتضاه أن العصاة قاتلتهم الحكومة ففازت عليهم فأسر فريق منهم وقتل آخر . هذا ما
 جاء يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وأنا أكتب هذا يوم ٢١ ديسمبر أي بعد (٣) أيام من وصول هذه الاخبار
 أفلا تنتظر الى ما ذكرت لك في (سورة الحجر) وما توقعته إذ ن ظهر لك صدق قولي ان تعاليم الأمم الاسلامية
 عرقلة خاطئة وأن هذه الطرق يجب تغييرها حالا

اللهم اني أجدك إذ وفقتني لهذا التفسير . يا الله هذا ما في طائفي . اني ألقت هذا التفسير بإعتاتك وهو
 يساعد المصلحين في الأمم الاسلامية على رقيها . فأما القتال والحرب والضرب في هذه الأمم الجاهلة وقتل صغار
 العلماء فهو لا يفيد بل يضر ضررا بليغا فعلى من يطلعون على هذا التفسير أن يسرعوا بترية ناشئة جديدة
 على هذا المشرب فأولئك يكون عائلتهم وعلمائهم وملاكهم على مشرب واحد وحينئذ يرجعون لعصر الصحابة
 رضوان الله عليهم أجمعين

إن هذه الأيام مبدأ نهضة تقوم بها الأمم الإسلامية . فليخلف المسلمون ذلك الخلق وليلبسوا ملابس جديدة وهل أتاك نبأ ما ذكرته الجرائد في هذه الأيام أيضا فانه ينشأ ثاقب أخبار ثورة الأمة الأفغانية وقيامها على ملكها لأجل الإصلاح نجد جرائدنا المصرية تذكر تاريخ مصر منذ مائة سنة أيام (محمد علي باشا) بمناسبة وضع الحجر الأساسي للدرسة الطب بالجزيرة للمدرسة قصر العيني لأنهم أزمعوا أن يوسعوها ولهذا المناسبة ذكروا الطب إذ ذاك وكيف قام العلماء واعترضوا على (محمد علي باشا) لأنه أجزل للأطباء أن يكشفوا على المرضى بالطاعون وأن يكون للبلاد محجر صحي كما فعل الأمم كلها وكما فعله سيدنا عمر رضي الله عنه وقد روى له أبو عبيدة الحديث الدال على ذلك وقد تقدم ذلك الحديث في (سورة الحج) عند آية - فكلوا منها وأطعموا القانع والمتر - الخ . فأجابهم محمد علي باشا بأن الأمم الإسلامية عملت هذا الحجر الصحي فقل الموت بالطاعون عندهم ومن رفع صوته بعد ذلك غربته عن البلاد . فانظر لأهم الإسلام كيف يتبع السابقون اللاحقين . يقرؤون قليلا من الدين ويعترضون على ما لم يعلوه من نفس الدين . فالجهر الصحي في حديث عمر وفي الإسلام وعند الأمم كلها والعالم علما ناقصا ينكره ثم الرجل الذي لا يعرف الدين وهو (محمد علي) يأتي لهم بالحقيقة الموافقة لنفس الدين - كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم - فعلماء مصر منذ مائة سنة هم هم علماء الأفاضل في أيامنا هذه

وينشأ ناشئ الفتيان منا * على ما كان عوده أبوه

كل هذا من سوء التقليد وضعف التعليم والجهل العام في أمة الإسلام . ومن عجب أن محمد علي باشا أرسل للعلماء خطا يقول فيه ﴿ ان النبي ﷺ قال فر من الجنود فرارك من الأسد ﴾ عرف ما لم يعرف أكثر علماء زمانه . فالجد لله على نعمة العلم وعلى أن قبض الله للأمة الإسلامية نهضة حديثة بها سيكون كلهم أمة مفكرة . وسينقرض ذلك الجيل الجاهل وتحل محله أجيال أعلى مراما وأرقى ذمما والجد لله رب العالمين

﴿ الفصل الخامس في أن ما كتبناه هنا نسجناه على طريقة أكابر المتقدمين ﴾

سأنتي صاحبي قائلا هذه هي العلوم التي يدرسها الناس للتلاميذ وهم صغار فهل تعتبر ديننا اسلاميا واذا قلت نعم كما هي طريقك فهل تسمحني ما يناسب من كلام القدماء . فقلت له قال الامام الغزالي في الإحياء ﴿ قد كان يطلق لفظ العلم على العلم بالله وبآياته وبأفعاله وخلقه حتى انه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمة الله عليه لقد مات تسعة أعشار العلم ﴾ فمررت به بالآلف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص الخ ﴿ الى أن قال ﴾ ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وبصفاته الخ ﴾

وقال أيضا ﴿ ان أنس بن مالك قال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا . انما كنا نقعد فتذكر الإيمان وتذكر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا نفقها ﴾ قال الامام الغزالي فسمى تدبر القرآن تفقها . فلما سمع صاحبي ذلك قال أريد من كلامهم آيين من هذا بحيث تكون الطريقة التي اتبعها أنت سلكها بعض العلماء قبلك . فقلت اسمع ما قاله الغزالي في الاحياء في (باب التفكير) قال مانه

﴿ ومن آياته أصناف الحيوان وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على أربع وعلى عشر وعلى مائة كما يشاهد في بعض الحشرات . ثم انقسامها في المنافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع . فانظر الى طيور الجوارح والى وحوش البر والى البهائم الأهلية فانك ترى فيها من العجائب ما لا تشك في عظمتها خلقها وقرة مقترها وحكمة مصورها وكيف يمكن أن يستقصى ذلك بل لو أردنا

أن نذكر عجائب البقّة والخمالة أو النحلة أو العنكبوت وهي من صفات الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي ألونها وزوجها وفي اختيارها لنفسها وفي حنقها في هندسة بيتها وفي هدايتها إلى حاجتها . لم تقدر على ذلك فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر فيطلب أولاً موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يتمكن أن يصل بالخط بين طرفيه ثم يبتدىء وباقي اللاب الذي هو خيطه على جانب يلتصق به ثم يندو إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانياً وثالثاً ويجعل بعد ما بينهما متناسبا هندسياً حتى إذا أسكن معاقده القمط ورب الخيط كالسدى اشتغل بالأحمة فيضع الأحمة على السدى ويضيف بعضه إلى بعض وبحكم العقد على موضع التقاء الأحمة بالسدى ويراعى في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة تقع فيها البق أو الذباب ويقعد في زاوية مترصداً لوقوع الصيد في الشبكة فإذا وقع الصيد بإحدى أركانه وأكله فإن عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم عاق نفسه فيها بخيط آخر وبقي منكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فإذا طارت رمى بنفسه إليه فأخذه وقبضه على رجله وأحكمه ثم أكله (أقول واسترأه في سورة العنكبوت مفصلاً تفصيلاً) . ثم قال وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب ما لا يحصى . أفترى أنه قلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمي أو علمه أو إلهاده له ولا يعلم . أفترى ذبابة في أنه مسكين ضعيف عاجز بل القيل العظيم الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف . أفلا يشهد هو بشكته وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعه لغاظه الحكيم وخالقه القادر العليم . فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما يتعجب فيه الألباب والعقول فضلاً عن سائر الحيوان وهذا الباب أيضاً لأحصره فإن الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنها بكثرة المشاهدة ثم إذا رأى حيواناً غريباً ولودوداً تجدد عجبه وقال سبحان الله ما أعجبه والإنسان أعجب من الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التي ألها ونظر إلى أشكالها وصورها ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأربارها وأشعارها التي جعلها الله لباساً خلقه وأكناها لحم في ظعنهم وأقامتهم وآية لأشربهم وأوعية لأغذيتهم وصواناً لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبادي والمغازات البعيدة لأكثر الظائر تعجب من حكمة خالقها ومقرها فانه ما خلقها إلا يعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إياها فسبحان من الأمور مكشوفة في علمه من غير تفكير ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق إلا الاذعان لقمه وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالجزء عن معرفة جلالة وعظمته) انتهى

هذا نص كلام الإمام الغزالي في هذا المقام . وقد جاء في (كتاب التفكير) الذي ذكر فيه ما تقدم مانعه أيضاً (قد أتى الله على المتفكرين فقال تعالى - الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً - وذكر في حديث عائشة أن النبي ﷺ بكى وهو صلى بالليل - حتى بلّ - لحيت ثم سجد حتى بلّ الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بسلامة الصبح فقال يا رسول الله ما بك بكى وقد ذفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى عليّ في هذه الآية - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب - ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها • وتقل عن الحسن • تفكر ساعة خير من قيام ليلة • وقال إبراهيم • التفكير كالعقل • وتقل عن طائوس قال قال الخواريزمي لعيسى ابن مريم ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقة ذكراً ودمت فكراً ونظره عبرة فانه مثلي

وقوله تعالى - أسألف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - قل الغزالي معناه أمتع قلوبهم التفكير في أمري * وقال عمر بن عبد العزيز « التفكير نعم الله عز وجل من أفضل العبادات » وقال الغزالي بعد ذلك « إن ذكر القلب خير من عمل الجوارح » إذن التفكير أفضل من جلة الأعمال بل هو أشرف العمل ولذلك قيل « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » انتهى

فلما سمع الاستاذ ذلك قال هذا القول يدل دلالة واضحة على أن التفكير أشرف من العمل . فقلت نعم وهذا إجماع العلماء « إن العلوم أفضل من الأعمال » فقال ولكن قولهم « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » مبالغة ثم حديث عائشة الذي ذكرته هل هو صحيح . فقلت له أنا الآن لست في مقام تصحيحه وتحسينه . انك طلبت مني آراء المتقدمين هل كانوا يجعلون أمثال ما كتبناه الآن ورسمناه بالتصوير الشمسي في هذه الآية علوما دينية فأجبتك بما كتبوه أنفسهم وانهم يقولون إن هذا أفضل من العبادة . هذا هو إجماعهم فأما كون كلامهم فيه مبالغة أو أن الحديث صحيح أضعف فهذا ليس مقام الكلام فيه وانما ملخص ما فيه أن هذا رأى المتقدمين فأما الحديث فتشهد له الآيات كلها فإذا لم يصح فالآيات تدل عليه وعليه أصبح ما كتبه في هذه الآية وأمثالها انما لما ابتدأ علماء الاسلام منذ نحو (٩٠٠) سنة فهم ابتدؤا يترقون المسلمين بهذه العلوم ثم سلط عليهم أعداء من الداخل وهم صفار العلماء وصفار المتصوفة وأعداء من الخارج كأئمة التار وغيرها ثم لما أراد الله انتقاد المسلمين من ذلك وأنه سيرفعهم الى العلاء لهم الأمم الاسلامية الحاضرة فهأى ذه تريد ارجاع مجدها وكان من جلة نهضتها المباركة هذا التفسير الذي ليس بدعا في هذه السبيل . فاذن نحن الآن نريد إعادة مجد ذهب وعلم ترك وهذه نعمة أنعم الله عز وجل بها على أنا وعليك أنت أيها الذي وعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

(موازنة بين آراء المسلمين وعلماء أوروبا في هذا المقام)

أذكرك بما مضى أيها الذكي في أول (سورة المؤمنين) فاني نقلت لك هناك عند ذكر خلق الانسان عشرين قولاً من أقوال علماء القرن العشرين وهو القرن الذي نحن فيه . ان أكثر علماء القرن التاسع عشر كانوا بالنسبة لعلماء القرن العشرين أطفالاً في العلم فقد أثبتوا بالبرهان أن التعليلات التي عللوا بها ألوان الحيوان واختلاف أشكاله مقضى عليها بالفشل بل صرح بعضهم بأن تعليل أولئك العلماء بالانتخاب الطبيعي أو نحوه لا يخلو عن قيمة أقوال المرصعات والجهائز وأثبتوا اثباتاً تاماً أن هؤلاء العلماء قد أثبتوا عجزهم عن تعليل الفرائز المودعة في الحيوانات . وأبأنوا أن الكون يحكم الوضع واحكام الوضع لا بدله من عقل يدركه وأجمع على ذلك أكبر علماء الألمان والفرنسيين والانجليز وأبطلوا آراء صفار العلماء التي انتشرت في الشرق ولم يصل لهم أمثال ما نقلناه عن العلماء المعاصرين لنا فهم مقلدون لمن ماتوا ولم يعلموا بعلوم من بعدهم من المعاصرين الذين يقولون إن الحشرات التي تنتقل من دودة الى شرنقة الى فراشة وتنتقل من عالم الماء الى عالم الهواء مرة واحدة تكذب مذهب القائلين بالتحوّل التدريجي الذي لا مستند له إلا الوهم لأن البط خلق منسوج الأرجل لا ولا ثم مشى لأنه مشى على شاطئ البحر ثم خلق له النسيج بين الأرجل فأرجع اليه هناك فهو واضح أشد الوضوح . وأوليس من الجب أنك ترى ما يقوله الامام الغزالي هنا ونقلته لك عنه آتفاً هو بنصه ونفسه ما يقوله علماء أوروبا

فقل لمن يدعى علماً ومعرفة * عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

وقل لأبناء الشرق إما أن تقرأوا العلم كله وإما أن تبقوا مقلدين فأما الاطلاع الناقص فهو ضار وها هو ذا أصبح علماء الشرق وعلماء الغرب على اتفاق تام في أمر نظام العالم وعجائب الخلقة وحكمة الخالق والحمد لله رب العالمين . انتهى ليلة الأربعاء ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٨

(إيضاح آتم لما تقدم)

قال الامام الغزالي في الجزء الأول من الإحياء ما نصه

(وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله تعالى عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً لا تقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها وأما أفعاله فكذلك خلق السموات والأرض وغيرها فلفهم التالي منها صفات الله عز وجل إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل على عظمته فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء فهو منه واليه وبه وله فهو السكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف أن كل ما خلا الله باطل وأن كل شيء هالك إلا وجهه لا أنه سيطر في ثاني الحال إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث أنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات ويطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم المكاشفة ولهذا ينبغي إذا قرأ التالي قوله تعالى - أفرايت ما تمحرون - أفرايت ما تمنون - أفرايت الماء الذي تشربون - أفرايت النار التي توردون - فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرق والتي بل يتأمل في الشيء وهو نقطة متشابهة الأجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى مظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم إلى مظهر فيها من الصفات الذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجبل والتكذيب والمجادلة فيتأمل هذه الجبابب ليرتقى منها إلى عجب الجبابب وهو الصفة التي صدرت منها هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصفة فيرى الصانع). أقول وهنا أدركك أيها الذكر بما تقدم قريبا هنا من ذكر قارة الماء وأنها عبارة عن ذرات تعد بمقدار آلاف الآلاف وبينها مسافات هائلة ثم نفس هذه الذرات عبارة عن كهرباء مضية والضياء حركات في الأثير والحركات أعراض لا غير. إذن المادّة غير موجودة بنفسها. فاعجب لقول الصوفية كالامام الغزالي ولأقوال علماء العصر الحاضر. لقد تشابه القوم وإن لم يجتمعوا زمانا ومكانا. ومن هنا تعرف تقارب العلماء في الأمم. ونرجع إلى كلام الامام الغزالي فتقول

ثم ذكر أن المانع من الفهم في القرآن قد يكون

(١) بسبب انصراف الهم إلى اخراج الحروف من مخارجها وهناك يتولاه شيطان وكل بالقراءة ليصرفهم

عن فهم معاني القرآن

(٢) أو بسبب أنه مقلد لمذهب سمعه بالتقليد وجد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة. فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يحظر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تبين مسموعه حل عليه شيطان التقليد حلة وقال كيف يحظر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فينباعد منه ويحتجز عن مثله. ولهذا قالت الصوفية (إن العلم حجاب) وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جديلية حورها التصبوس للذهاب وألقوها إليهم. والتقليد قد يكون باطلا لكن يعتقد في الاستواء على العرش الاستقرار والتكبر فان خطر له مثلا في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ولو استقر لا ينجر ذلك إلى كشف ثان وثالث وتواصل ولكن يسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجود الطبع على الظاهر يمنع من الودول إلى الغور الباطن قال كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن وأشار إلى أن الاسرار على الذنوب أو التكبر أو اتباع الهوى كل ذلك يمنع وصول الحقائق للقلوب وذكر أن الذي

فهم ذلك هو المنيب كما قال تعالى - بصرة وذكري لكل عبد منيب - وقال - وما يذكرك إلا من نيب -
وقال - إنما يتذكر أولوا الألباب -

(٣) أو بسبب أنه قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أن معاني كلمات القرآن لا تناول إلا ما نقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه فقد نبأ مقعده من النار . قال فهذا أيضا من العجب العظيمة مع أن ذم التفسير بالرأى لا ينافي قول علي رضي الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في القرآن ولو كان المعنى هو الظاهر المتقول ما اختلف الناس فيه ثم أثبت هذا الفهم بقوله تعالى - لعلمه الذين يستنبطونه منهم - فأثبت لأهل العلم استنباطا ومعلوماً أنه وراء السماع وذكر قول أبي البرداء (لا يفتقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها) وقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - يعني الفهم في القرآن ثم أعقب ذلك بالأخبار التي ورد النهي فيها عن التفسير بالرأى ثم قال ان أريد الاقتصار على المتقول والمسموع وترك الاستنباط فهو باطل لأنه يشترط أن يكون مسموعا من رسول الله ﷺ وذلك لا يصادف إلا في قليل من القرآن وأما تفسير الصحابة كابن عباس وابن مسعود فهومن أنفسهم فإذا أردنا أن كل ما لم يقله النبي ﷺ فهو بالرأى وجب أن نقول أنه بالرأى أيضا لأنهم لم يسمعه من رسول الله ﷺ ولا قائل به وأيضا ان الصحابة اختلفوا في بعض الآيات بأقوال لا يمكن الجمع بينها ومحال أن يكون الجميع مسموعا من النبي ﷺ ولو كان أحدها مسموعا لرد الباقي . إذن تفاسيرهم باستنباط منهم كما استنبطوا في (الر) انها حروف من الرحمن أو ان الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وهكذا . والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا . وأيضا قد دعا ﷺ لابن عباس فقال (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فان كل التأويل مسموعا كالتأويل ومحفوظا مثله فاما معنى تخصيصه بذلك . ثم بين أن النهي عن التفسير بالرأى يرجع (لأمرين) أولهما (أن يقصد مبتدع النليس على خصمه وهو يعلم أن الآية لم يقصد بها المعنى أو يجعل ذلك وعلى كلا الحالين يميل فهمه الى الغرض الذي يرمى اليه فهذا حتما اتبع القرآن هواد وقد يكون غير مبتدع وله غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما يريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالأسعار فيستدل بقوله ﷺ (تسعروا فان في السعور بركة) وزعم أن المراد به التسعر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل وكذا الذي يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى - اذهب الى فرعون انه طغي - يشير الى قلبه ويؤمى الى أنه المراد فرعون ويستعمله الوعاظ في المقاصد الصحية وهو غنوع وتسلطه الباطنية في المقاصد الفاسدة لغرض الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومنهجهم على أمور يعلمون قطعاً انها غير مرادة به . هذا هو الرأى الفاسد للموافق للهوى (وثانيهما) أن يفسر القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بمراتب القرآن ومافيه من الألفاظ المهمة ومافيه من الحذف والاختصار والاضمار والتقديم والتأخير فن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلط . انتهى ملخصا

فيأبها الذكي إنما أوردت لك هذا بناء على سؤالك لتطلع على طريق التفكير في التفسير عند أسلافنا الكرام وعلمائنا الفخام وما هو التفسير بالرأى وما التفسير بالفهم والتفسير بالنقل ولست أكتب هذا لأخذ بكل مافيه ولكن لتقف عليه وتعرف الحقائق وطرق المتقدمين فينشرح صدرك وتبلغ أملاك

ففر يعلم نفس حيا به أبدا . الناس موتى وأهل العلم أحياء

(فصل في قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مينات - الى آخر السورة)

وهذا الفصل مفصل الى أربع جواهر

(الجوهرة الأولى) في تفرع قوم ونو يخضعهم من قوله - لقد أنزلنا آيات مينات - الى قوله - وما على

الرسول إلا البلاغ المبين -

(الجوهرة الثانية) في وعد الله المؤمنين بالممكن في الأرض ونحو ذلك من قوله - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات - الى قوله - ومأواهم النار ولئس المصير -

(الجوهرة الثالثة) في آداب عامة كالاستئذان في الدخول وذم التبرج من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحاً وكلاذين بالأكل من بيوت بعض الأقارب من قوله - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم - الى قوله - لعلكم تعقلون -

(الجوهرة الرابعة) الأدب مع رسول الله ﷺ فأوجب عليهم أن يستأذنوه وانهم اذا دعوه فليكن ذلك بأدب خاص الخ وذلك من قوله - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه - الخ

(الجوهرة الأولى في قوله تعالى - لقد أنزلنا - الى قوله - وما على الرسول إلا البلاغ المبين -)

يقول الله تعالى بعد أن أبان جلال صنعه وبديع حكمه وحسن ابداعه وباهر نقشه ورقشه وأحسن خلقه من الأنوار الباهرات والحاسن الظاهرات وأضواء الكواكب وجمال الشمس وسناء البرق وأتوار القلوب وجمال العلم وبهاء الأئدة العاصرة بالمعارف الساطع اشراقها وزيتها بالعلوم العالية وكيف كانت النفوس الانسانية مشتملة على جواهر هذه العوالم مقتطفة ما فيها من الحسن وكأنها قائمة مقام المأذة بحيث تحمل كل ما حلت من صور ونقوش وكان الناس في الأرض خلفاء ربهم قد كفهم أن يعلموا ويعلموا متخلفين بأخلاق من خلقهم . لما ذكر ذلك كله سبحانه وتعالى شرع يذكرنا بأنه أنزل هذه الآيات مينات للحقائق ودلائل الخالق وانه يهدي من يشاء بتوفيقه للنظر فيها والتدبر في معانيها ، وكأنه عز وجل يقول إن هذا المثل المضروب للمؤمن والمضروب للكافر وعمله وهذه الجباب في الطير والسحاب والبرق . كل ذلك ليس لكل انسان فهمه بل الناس (فريقان) فريق لا يرفع عقله الى هذا المستوى الرفيع ولا يقل ذلك المعنى البديع وفريق استحق رتبة العلم فألمه الله وعلمه (والله يهدي من يشاء) هدايته لأنه على استعداد للهداية (الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام وادراك الحقائق ثم أخذ سبحانه يوضح طائفة كبشر المنافق الذي خاصم يهوديا في أرض فقال اليهودي تتحاكم الى محمد ﷺ وقال المنافق بل تتحاكم الى كعب بن الأشرف فان محمدا يحيف فنزل قوله تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) يقولونه بألسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) أى يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) من بعد قولهم - آمنا - وهم يذهبون الى حكم غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) بالمصدقين (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى ليحكم النبي ﷺ الذي حكمه في الحقيقة حكم الله (اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ من فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لمعلمهم أنك لا تحكم إلا بالحق (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه منضعين) أى منقادين لمعلمهم بأنه يحكم لهم (انفي قلوبهم مرض) كفرا وميل الى الظلم (أم اراتبوا) أى شكوا وهذا استفهام للنم والتوبيخ (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ولعلمهم) فالأمر يرجع في صدودهم الى النفاق أو الريب في أمر النبوة أو الخوف من الحيف ثم أبطل هذا الأخير بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لا يخافون ظلمه ﷺ ولكنهم يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم والنبي ﷺ يأتي عليهم ذلك فلذلك لا يريدون أن يتحاكموا اليه . ثم ذكر أخلاق المؤمنين في مثل هذه الحال فقال (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) - قول - خبر كان وأن يقولوا اسمها أى سمعنا قولك وأطعنا أمرك (وأولئك هم المفلحون) وأما من قبلهم فهم ليسوا بمفلحين لأنهم ظالمون (ومن يطع الله ورسوله) فيما أمران به (ويخش الله) لما صدر منه من الذنوب (ويته) فيما بقي من عمره (فأولئك هم الفائزون) أى بالنعيم

المقيم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) جهد مفعول مطلق لفضل مخذوف أى يجهد اليمين بهذا ثم حذف الفعل وأضيف المصدر الى المفعول فقيل جهد اليمين أى جاهددين أيمانهم فهو منصوب على الحال . يقول الله حلف المنافقون بالله جهد اليمين أى بذلوا فيه مجهودهم أى أقصى وسعهم (لئن أمرتهم ليخرجن) أى أقسموا لئن أمرنا بمحمد بالخروج الى الغزو لخرجنا (قل لا تقسموا) لا تحلفوا كاذبين لأنه حرام انما المطلوب منكم (طاعة معروفة) لا اليمين والطاعة الكاذبة (إن الله خير بما تعملون) فلا يخفى عليه سرائركم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أى بقلوبكم وصدق نياتكم (فان تولوا) أى أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه) على الرسول (ما جمل) أى ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما جئتم) أى ما كلفتم به من الاجابة والطاعة (وان تطيعوه تهتدوا) تصيبوا الحق في طاعته (وما على الرسول إلا البلاغ للبين) أى التبليغ الواضح البين (لطيفة في قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبینات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -)
 إن تبیین القرآن قد ظهر اليوم أشد الظهور عند علماء الغرب ولا كشفه الآن هنا بموضوعين

الموضوع الأول محاضرة في القرآن الكريم

(وأثره في اللغة والعلم والاجتماع والأخلاق)

ألقاه في مؤتمر المستشرقين بأكسفورد الاستاذ محمد أجساد المولى بك المفتش بوزارة المعارف العمومية ومنسوب الحكومة المصرية والمؤتمر كان فيه (٧٠٠) منهم (٢٠٠) تمثل الحكومات والجامعات العلمية والباقيون أعضاء والمحاضرات التي أقيمت بشأن مصر والاسلام (٤٤) محاضرة والمراد بمصر قد يما وحديثها وحضر من الألمان نحو (٧٠) عالما . والمحاضرة أقيمت في يوم الجمعة آخر أغسطس سنة ١٩٢٨ في مدينة (أكسفورد) باجلترا وكانت العادة أن كل محاضرة تناوها مناقشة في موضوعها فكان من المجهزات انها قوبلت بالاستحسان العام إذن علماء أوروبا الرسمىون أقرتوا ما في هذه المحاضرة بالإجماع . وهاك نصها بالحرف لتعرف مقدار اعتراف علماء أوروبا بفضل الاسلام وبمصلحة نبينا ﷺ وهما هي ذه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين • والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين

(القرآن الكريم)

(١) وصفه (٢) محتوياته (٣) أثره في اللغة العربية (٤) أثره في الأحوال الاجتماعية والخلقية والعلمية

(١) وصفه

القرآن الكريم - كتاب أسكنت آياته ثم فصلت من لحن حكيم خبير - آية الله الدائمة وحجته الخالدة - لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - . - ألم • ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين • الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون • والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون • أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون -

(٢) محتوياته

احتوى القرآن ما يحتاج اليه الانسان في معاشه ومعاده - ما فرطنا في الكتاب من شئ - ويمكن حصر ذلك فيما يأتي

(١) (المعاني) وهي مينة في الآيات التي توجب الايمان بالله واحد وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر مثل قوله تعالى - قل هو الله أحد • الله الصمد • لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفوا أحد - وقوله تعالى - آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا تفرق بين أحد من

رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير -

(٢) (الفرائض الدينية) وهي موضحة في الآيات التي توجب الصلاة والصوم والحج مثل قوله تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله - (البقرة)
وقوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون - (البقرة)
وقوله تعالى - ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين - (آل عمران)

(٣) (الأوامر والنواهي الخلقية) وهي مفصلة في الآيات التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مثل قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون - (آل عمران)

وقوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ينهاكم لعلكم تذكرون - (سورة النحل)
(٤) (الإنذار والنبشير) في الآيات التي ذكر فيها ما أعد للكافرين والمؤمنين مثل قوله تعالى - من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حيا طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون - (سورة النحل أيضا)

وقوله تعالى - ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين - (النساء)
(٥) (الجدل والتحدى) في الآيات التي دعى فيها المخالفون إلى الإتيان بآيات ولومفريات فجهزوا مثل قوله تعالى - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين - (سورة البقرة)

وقوله تعالى - أم يقولون افتراء قل فاتوا بمشور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين - (هود)
وقوله تعالى - قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا - (الاسراء)

(٦) (القصص) كالذي ورد في تاريخ الأنبياء والرسل وذو القرنين وأصحاب الكهف مثل قوله تعالى - ولقد آتينا داود منا فضلا بإجبال أوى معه والطير وألنا له الحديد أن يهمل سابقات وقدّر في السرد والجملا صالحا إلى بما تعملون بصير - (سبا)

وقوله تعالى - واذكري في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا * فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا * قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا * قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا * فحملته فانتبذت به مكانا قصيا * فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا * فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا * وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * ففكلى واشرقى وقرعى عينا فلما ترى من البشر أحدا فقولى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا * فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم

لقد جئت شياً فرئياً يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً * قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً * وبراً بالذي ولم يجعلني جباراً شقياً * والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً * ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون - (مريم)

(٧) (التشريع الاجتماعي) وهو في الآيات التي توجب الزكاة واستخراجها مستحقيها مثل قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الزكاة والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم - (التوبة)

وقوله تعالى - يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فلان الله به عليم - (البقرة)

(٨) (التشريع السياسي) وهو في الآيات التي توجب الطاعة لأولياء الأمور والوفاء بالعهود والمواثيق مثل قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً - (النساء)

وقوله تعالى - وأوفوا بعهده إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون - (النحل)

(٩) (التشريع الجنائي) وهو ما جاء في الآيات المينة للحدود والتقصاص مثل قوله تعالى - وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص - (المائدة)

(١٠) (التشريع المدني) وهو ما تكفلت به آيات الربا والميراث وما أوصأ إليها مثل قوله تعالى - وما آتيتكم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون - (سورة الروم) وقوله تعالى - يحق لله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم - (البقرة)

وقوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلث ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له أخوة فلأئمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آبائكم وأبنائكم لا تدرسون أنهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً * ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصي بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية يوصي بها أو دين * وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس * فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حكيم - (النساء)

(١١) (التشريع الحرفي) وهو في الآيات التي تؤذن بالقتال وتشير بالسلم وتبين معاملة الأسرى وتوزيع الغنيمة مثل قوله تعالى - وأما تخافون من قوم خيانة فأنذرتهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين * ولا يخسبون الذين كفروا سبقوا إنهم لا يرجعون * وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتفعلونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم وأتم لظفلهم * وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم - (الأنفال)

(١٢) (المواعظ والارشاد) وهي في الآيات المشتملة على الأمثال والحكم مثل قوله تعالى - ألم تركب من ضرب الله مثلاً كفة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يستذكرون * ومثل كفة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من

قرار - (إبراهيم)

وقوله تعالى - ولا يحق للكر السيئ إلا بأهله - (فاطر)

وقوله تعالى - قل كل يعمل على شاكلته - (الاسراء)

وقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم

وأنتم لاتعلمون - (البقرة)

وقوله تعالى - كل نفس بما كسبت رهينة - (المدثر)

وقوله تعالى - لا يكاف الله نفسا إلا وسعها - (البقرة)

وقوله تعالى - واتقوا فتنة لا تأتي منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب - (الأنفال)

وقوله تعالى - لن نتناول البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم - (آل عمران)

وقوله تعالى - وأن لبس للانسان إلا ما سعى • وأن سعيه سوف يرى - (التنجيم)

وقوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - (الرعد)

(٣) ﴿ أثره في اللغة العربية ﴾

(١) كان لقريش عظيم الأثر وكبير الفضل في توحيد لهجات اللغة العربية لأنها كانت تسكن بلاد الحجاز التي كانت محط رحال الحجاج والتجار فكان يجتمع فيها أكثر أشراف العرب والشعراء والخطباء من الرجال والنساء للمأخرة بالشعر والخطب في الحسب والنسب والفاضة وغير ذلك فأخذت قريش المستعذب من لهجات العرب حتى لظفت لهجتهم بجاد أسلوهم واتسعت لغتهم لأن ينزل بها خبر الكلام • وكان طبعها أن ينزل القرآن بلغة قريش لأنها خلاصة اللغة العربية ولأن الرسول ﷺ قرشي • وليكون هذا الكلام زعيم اللهجات كلها فقد امتازت قريش بكثير من خصائص الزعامة وأقر لهم العرب بذلك فأولى لهم أن يقرؤا مثل ذلك في كلام الله تعالى

(٢) لوزل القرآن بغير لغة قريش التي ألفها النبي ﷺ ما كانت تستقيم الموازنة بين أساليب القرآن

وكلام النبي ﷺ ولكان ذلك مدعاة إلى أن قبائل العرب تجد كل واحدة منها مذهباً للقول فيه فتتشق الكلمة

(٣) انتقلت لغة القرآن الكريم على وجهه يستطيع العرب أن يقرؤه بلحونهم مع بقاءه على فصاحته في

الوضع التركيبي وذلك سياسة لغوية جعلت العرب على منطق واحد ليكونوا جماعة واحدة

(٤) من أجل ذلك كان للقرآن الكريم الأثر البالغ في توحيد اللغة ونشرها وترتيبها من حيث أغراضها

وألفاظها وأساليبها وفوق ذلك ضمن لها حياة طيبة وعمراً طويلاً

(٥) قد جمع القرآن العرب على لغة واحدة بما استجمع فيها من محاسن هذه اللغة فأصبح عندهم مثلاً

كاملاً ومن شأن المثل الكامل أن يجتمع عليه طالبوه مهما فرقت بينهم الأسباب المتباينة • وقد كانوا قبل

ذلك تتوهم كل قبيلة منهم أنها أصل فطرة في اللغة وأوضح مذهباً في البيان لعدم وجود مقياس عام يرجعون

إليه ولم يكن في طوق انسان أن يقبس قفرة أقوام وعجزهم في أمر معنوي كاللغة إلا إذا كان بالفائدة الكمال

ولما كان الكمال لله وحده كان كلامه جل شأنه هو المثل الكامل

(٦) لولا القرآن الكريم لما وجد على الأرض أحد يعرف كيف كانت تنطق العرب بألسنتها • وكيف

تقيم أحرفها وتحقق مخارجها فتواتر أداء القرآن الكريم حفظ لنا كيفية الأداء العربي

(٧) إن الشعوب العربية في مصر وسورية وبلاد المغرب وغيرها يتكلمون باللغة العربية ولكن يختلف

لغة كل شعب منهم عن لغات الآخرين اختلافاً قليلاً أو كثيراً بنسبة البدن بينهم والاختلاف في أسوالم • ولولا

القرآن لاستقلت لغة كل شعب حتى لم يعد الشعب الآخرون يفهمها كما حصل في فروع اللغة اللاتينية (الفرنسية

والاسبانية والطيانية وغيرها) ولكن محافظة للتكلمين في اللغة العربية على لغة القرآن والرجوع اليها فيما يكتبون ويخطبون جعل في لغاتهم المولدة مرجعا يجمع لغاتهم الى أصل واحد
(٤) (أثر القرآن في الأحوال الاجتماعية)

جاء القرآن والعرب قد وقعت بينهم الفقرة وتشتت الألفة واختلفت كلتهم واضطربت أحوالهم فكانوا إخوان دبر ووبر أذل الأم دارا وأجدهم قرارا لا يأوون الى جناح دعوة يقتسمون بها ولا الى ظل ألفة يعتمدون على عزها فأحوالهم مضطربة وأيديهم مختلفة وكانوا في بلاء عظيم من جهل مطبق وبنات موودة وأصنام معبودة وأرحام مقطوعة وغارات مشنونة . فلما استضاء بنور القرآن الكريم اجتمعت أملاؤهم وانفقت أهولؤهم واعتدلت قلوبهم وترادفت أيديهم وتناصرت سيوفهم وعقد بملته طاعتهم وجع على دعوته ألفتهم وأصبحوا ينعمون في ظل سلطان قاهر ثابت وصاروا حكاما على العالمين وماووا في أطراف الأرضين قد ملكوا الأمور على من كان يملكها عليهم وأمضوا الأحكام فيمن كان يخضيا فيهم

جاء القرآن وقد تمكنت من العرب عصبية الجاهلية فما عدا أن سفه أحلامهم ونكس أصنامهم وذهب بحل ما ألفوه حتى كأنما خلقهم خلقا جديدا وكأنهم على آدابه نشؤا وهم أغفال وأحداث بل كأنهم كانوا أسالة أجيال كان القرآن في أوليتهم المتقدمة وكانوا هم الوارثين لا الموروثين مصداقا للحديث الشريف « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم »

كان من أثره فيهم أن أذهب عنهم العصبية الممقونة وأحل محالها التصب لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الأمور وخلال الهد من الحفظ للجوار والوفاء بالنمام والطاعة للبر والمعصية للكبر والأخذ بالفضل والكف عن البنى والاعظام للقتل والانصاف للخلاق والكظم للغيظ واجتناب الفساد في الأرض لهذا كله انعدت عليه قلوبهم وهم يجهدون في تقضها واستقاموا لدعوته وهم يبالغون في رفضها فكانوا يفرّون منه في كل وجه ثم لا يتنهنون إلا اليه . ذلك بأنه قد جاءهم بما لا قبل لهم به مما يشبه أساليب الاستهواء في علم النفس فغلب على طباعهم وحال بينهم وبين قديمهم

ولعمري لو كان القرآن غير فصيح أو كانت فصاحته غير مجيزة في أساليبها التي ألفت اليهم لخلا منه موضعه الذي هو فيه وكان سبيله بينهم سبيل القصاد والخطب والأقايص ولتقضوه كلمة كلمة وآية آية دون أن تتخاذل أرواحهم أو تتراجع طباعهم

بين القرآن لهم أن الطبيعة مسخرة لهم فعليهم كشف ما فيها واستخراج أسرارها - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وكأين من آية في السموات والأرض يمرت عليها وهم عنها معرضون - والأرض مدناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأنسطينا كوه وما أنتم له بخازنين - (الحجر)

نادى فيهم القرآن الكريم أن النبي ﷺ ابن يومه وابن عمله وعقله . فلا هو مفاخر ولا واهم ولا شاعر وخاطبهم بالآية الكريمة التي هي روح الثبات في أمم العلم والعمل - وإن كذبوك فقل لي عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون -

قد وصل العرب قبل نزول القرآن الكريم الى هاوية الانحلال الاجتماعي مما لم يعهد له مثيل في تاريخ الأمم فكانوا في جهل مطبق بأحكام الدين الصحيح ومبادئ السياسة والحياة الاجتماعية ولم يكن لهم فن يذكر أو صناعة تنشر ولم يكونوا يعرفون شيا من العلاقات المالية وكانت كل قبيلة أمة قائمة بنفسها تتحفظ لشئ الغارة على جارتها . فما لبثوا أن جاءهم الكتاب الكريم حتى خالطت أحكامه قلوبهم وأيقظت أرواحهم وجعلتهم يتلمسون الحق وتصبونقوسهم الى رفع مناره ونشره في أطراف الأرضين

قد بلغوا في العبادة مبلغا بلغوا به أهل الرهبة والتسك وصاروا أولى قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وحرص في علم وعلم في حلم وقصد في غنى وخشوع في عبادة ويحلم في فاقة ومهربي شدة وطلب في حلال ونشاط في هدى وتخرج عن طمع . ومع بلوغهم هذه الدرجة الروحية العالية لم يهجموا الدنيا وشؤونها بل عملوا لها بصدق وإخلاص فأبدلهم الله العزّ مكان النذل والأمن مكان الخوف فصاروا ملوكا حكاما وأئمة أعلاما

وان تعجب فحجب أن يتم ذلك المجد العظيم للعرب في أقل من مائة سنة . وفي هذا برهان قاطع على أن أحكام القرآن خير طريق إلى تمية الملكات الانسانية واعدادها لكسب الحيائين الدنيوية والروحية فقد جعل الأمة العربية تضاع أعناقها للحق الذي لم تألفه حقا وأن تعليه مع ذلك بعض ضمايرها وتسلم له في تاريخها وعاداتها . إن نظرة بإيمان فيها جاء به القرآن الكريم من الآيات الينيات تدل على أنه ليس هناك في الانسان من نقص إلا والقرآن كفىل بإصلاحه فهو طبيب الانسانية وليس أحق الأطباء من يدعى هذه الصفة لنفسه خصب بل من يستطيع مداواة أعظم الأدواء في أكثر الحالات وكذلك فعل القرآن فقد بلغ من أثره في العرب أنه حول طابعهم وغير أخلاقهم فلم يشهد التاريخ جيلا اجتماعيا مثل الجيل الأول في صدر الاسلام حين كان القرآن هو المنار الذي يهتدى به ولم تستطع الفلسفة على اختلاف ضروبها في أي عصر من العصور أن تنقضي جيلا من الناس كالذي أخرجه القرآن الكريم فكانوا مثلا حسنا في علو النفس وصفاء الطبع ورقة الجانب ورجاحة اليقين ومهارة الخلق وشدة الأمانة وإقامة العدل والخضوع للحق ومماثل الى ذلك من أتمات الفضائل

(محمد ﷺ أعظم مصلح ظهر)

أما وقد بان أن الكتاب الكريم أحدث أوفرقط من الإصلاح في أقصر زمن عرفه التاريخ فلا بدع أن كان الذي نزل عليه ذلك الكتاب أعظم مصلح . واليك البيان

(١) اقتضت حكمة الله أن يرسل الى كل أمة آنا بعد آنا هاديا يرشدهم ويصلح حالهم فيديوم التورالذي جاء به زمانهم بنحو قليلا قليلا حتى اذا كاد ينطفيء ألقذ الله هذه الأمة برسول بعده يجتد لها الهداية وقد نوات الدهور والأحقاب والأم منفصلة بعضها عن بعض زاعمة كل واحدة أن العالم كله فيها وأنها أفضل من سواها لأن الله خصها بالرسالة والهداية فنجم عن ذلك القول بأن الله - تعالى عما يقولون علوا كبيرا - حالي بعض الأمم وخصها بجزايا لم يمنحها غيرها من أجل ذلك أرادت الحكمة الإلهية أن تقضي على ماخالج قوس بعض الأمم من أنها أفضل من غيرها جنسا وخلالا ودينا وأن يجعل من الانسان جسما واحدا فنزل الله على الملق جيعهم برسول عام معه رسالة عامة وهكذا كانت رسالته عامة لا يخصصها زمان ولا مكان - وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا -

كان مثل من سبقه من النبيين صلوات الله وسلامه عليهم مثل المصاييح كل منها وضع في حجرة لابقىء سواها . فلما ظهرت شمس الرحمة من البلاد العربية لم يبق هناك من حاجة الى هذه المصاييح المحدودة المدى وليس في مقدور أي نور آخر أن يخلف هذه الشمس

بمث كل رسول ممن تقدموا المصطفى ﷺ لتهذيب أفراد أمته وجعلهم صالحين لتكوين أمة متجانسة . ولعمري هذا عمل جليل . غير أن مجدا وهو خير المرسلين أرسل ليجمع هذه الأمم ويجعلها أمة واحدة متكافة مرتبطة برابطة الاخاء . جاء كل رسول لتقويم خلق معين في أمة فكانت حياته أسوة للخلق الذي أرسل لتقويمه . أما محمد ﷺ فقد جاء لتنمية الفطرة الانسانية جيعها واستخدام ملكاتها وتقويم غرائرها وكانت حياته العملية ﷺ ملأى بليل الصالحة الكفيلة بتقويم أخلاق بني الانسان جيعها ولذا كان مثلا كاملا

للإنسانية اجتمعت فيه الفضائل التي كانت في أنبياء بني إسرائيل وغيرهم . تجمعت فيه شجاعة موسى وشفقة هارون وصبر أيوب وإقدام داود وعظمة سليمان وبساطة يحيى ورحمة عيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام (٢) إن كانت العظمة تتحقق بإصلاح أمة قد وصلت إلى غاية الانحلال الاجتماعي فليس هناك من يبارى محمدا في أنه أئمة الأمة العربية من هاوية السمار وجعلها مصاييح الحضارة والرفان . وإن كانت العظمة تتحقق بجمع شمل أمة قد تأصلت فيها الفرقة وتمكنت منها العداوة والبغضاء فمن يجارى محمدا في أنه جمعهم تحت ظل "الاسلام إخوانا متساندين" - واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فأثف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها -

كان مثل العرب في تفرقهم كتل رمال بلادهم فلامد الاسلام بينها وجعلها من القوة بحيث لا تؤثر فيها الزلازل العنيفة . إن كانت العظمة تتحقق بأقامة ملك الله في الأرض فمن يطمح إلى منافسة محمد ﷺ في أنه نكس الأنعام وأجل عبادة الأوثان وطهر الجزيرة العربية من الشرك وملأ القلوب بالتوحيد والنور إن كانت العظمة تتحقق بحسن الأخلاق فمن ذا الذي ينكر على محمد أن أعداءه وأصدقائه أجعوا على تسميته بالأمين

إن كانت العظمة تتحقق بالفتح وبسط الملك فالنارح: أصدق شاهد على أن أحدا غيره لم يبلغ مبلغه فقد نشأ بقيا لا قوة له ثم صار فاتحا عظيما أسس أعظم دولة لبثت تزد مكاييد الأعداء أكثر من ثلاثة عشر قرنا إن كانت العظمة تتحقق بما لصاحبها من رفعة الاسم وانتشار البيت فمن يجارى محمدا في ارتفاع اسمه الذي تحبه قلوب أربعمائة مليون من الناس منتشرين في أطراف الأرضين مرتبطين برابطة الإخاء مع اختلاف قوميتهم وألوانهم وألسنتهم

﴿ أثر القرآن الكريم في الأحوال الخلقية ﴾

لما كان المنزل هو المرئي الأول الذي يتعلم فيه الإنسان الآداب الخلقية ويأفها أوجب القرآن الكريم طاعة الوالدين - وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما • وانخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحهما كما ربياني صغيرا - ولم يرخس في عصيانهما إلا إذا أرادا أن يحملاه على الإشرار بانه - وإن جهادك على أن تشرك في ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا -

هذا الاحترام العظيم للوالدين هو الأساس الذي بنيت عليه فضيلة الطاعة لأولياء الامور - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم - وليس المراد بأولى الأمر الحكام فقط بل يشمل كل من أعطى سلطانا ونفوذا • يشير إلى ذلك قوله ﷺ « كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته » ومن هذا يتبين أن دين الاسلام يطالب الناس جميعهم بالطاعة لمن فوقهم ليجتث بذلك أصول الفوضى والمخالفة ويثبت دعائم الطاعة • بنى القرآن الكريم الأخلاق على فضيلة واحدة هي التقوى وقد دلّ تصفح الآيات الكريمة التي وردت فيها هذه الكلمة وما اتصل بها من المشتقات على أن المراد منها أن يتق الله الإنسان كل ما كان فيه ضرر لنفسه أو إضرار لغيره لتكون حدود المساواة قائمة في المجتمع الإنساني لا تحصل فيها ثلثة ولا يطرأ عليها وهن - ياليتها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - • وقد جاء في الحديث « لأفضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » والآية صريحة في أن الغاية الاجتماعية للناس شعوبا وقبائل هي التعارف وتلك كلمة لا تشذ عنها فضيلة من فضائل الاجتماع فاطبة ولا يمكن أن تدخل في مدلولها رذيلة اجتماعية • وفي هذه الآية الكريمة أقام القرآن الأساس الخلق العظيم لجعل أكرم الناس للتساوين في الخصال الفردية والاجتماعية هو أتقاهم أي أعظمهم خلقا لا أوفرهم مالا ولا أكثرهم

رجلا ولا أقيمهم فكرا ولا أعظمهم علما ولا شياً من ذلك عما لا يصح أن يكون سبباً للتفاضل إلا في إدار
الدول واضطراب الاجتماع وفساد العمران . فالحقيقة أن التقوى هي الخلق الكامل . ومن أجل ذلك كان
العدل في رأى القرآن أقرب شئ إلى التقوى إذ يقول الله جل شأنه . ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا
اعدلوا هو أقرب للتقوى . وقد ردت القرآن مظاهر التقوى إلى (ثلاثة أشياء) الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر والإيمان بالله . وهذه الأشياء الثلاثة هي المبدأ والنهاية لكل قوانين الأدب والاجتماع قال تعالى
- كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله - والمعروف كل ما يعرفه
العقل الصحيح حقاً ولا يتأتى الأمر بالمعروف إلا إذا توافر استقلال الإدارة (كذا) وفقتها والمنكر هو ما ينكره
العقل الصحيح ولا يمكن النهي عن المنكر إلا باستقلال الرأي وحريته والإيمان بالله هو الاعتقاد بوجوده
ووحدايته ولا يتم ذلك إلا إذا استقلت النفس من أسرار العادات والأوهام بالنظر والفكر في مصنوعات الله وهذا
هو الإيمان الذي يبعث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقية إلهية لا يعترضها شئ من عوارض الاجتماع
التي تمرى الناس من ضعف الطباع الإنسانية كالجبين والنفاق وإثارة العاجلة وما إليها فان هذه الصفات لا تتفق
مع صحة الإيمان بل هي أنواع من العبادة للقوى والمستبد والشهوات والزغات وما شابهها وذلك لا يتفق والإيمان
الصحيح بالله . مادبر أحد القرآن إلا وجده يمنح كل انسان إرادة اجتماعية أساسها الحرية . وقل الحق من
ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما
انا عليكم بوكيل - ولذلك لما اتخذ الجيل الأول في صدر الاسلام مثالا لهم واتخذوا آدابه الخلقية شعارا لهم
حقق لهم هذه الإرادة الاجتماعية . ولو أن العلوم كلها والفلسفة وأهلها كانت لأوئك العرب مكان القرآن ما
أغنت عنه شئاً لأن الفضيلة العقلية التي أساسها العلم لا توصل حتماً إلى الإرادة العملية

أما الفضيلة الخلقية التي جاء بها القرآن فانها تسوق إلى الإرادة العملية لأن هذه الإرادة مظهرها ولا سبيل
لظهورها غير العمل . ومتى سمحت إرادة الفرد واستقامت له وجهته في الجماعة فقد صار بنفسه جزءاً من عمل
الأمّة والأمة التي تتألف من مثل هذا الفرد تشغل مكانة سامية في تاريخ الاجتماع
والمتمثل في القرآن الكريم يرى أن جبع آدابه وعظائمه ترمي إلى بث الروح الاجتماعية في نفوس أهله
فكانت هذه الروح هي السبب الأول في انتشاره حتى بين أعدائه الذين أرادوا استئصاله كالنصارى والمغول
وغيرهم ممن اشتدوا عليه ليخذلوه فكانوا بعد ذلك من أشد أهله في نصرته والفضيل . ليس للقرآن
طرائق للدعوة إليه إلا الأسوة - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - فالأسوة والقُدوة مظهر آدابه
ولذلك كان كما وجدت طائفة من أهله وجدت الدعوة إليه وإن لم ينتحلوها ويعملوا لها وما استحس أحد
بالعطايا لأنه الدين الطبيعي للإنسان تأخذ فيه النفس عن النفس بلا وساطة ولا حيلة في الوساطة . وما أفسح
ماورد في صفة القرآن من قول رسول الله ﷺ (فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو
الفصل ليس بالهزل)

(أثره في الحال العملية)

من يدرس تاريخ العلم الحديث لا يسعه إلا أن يستنبط أن القرآن الكريم كان أصل النهضة الإسلامية
وأن النهضة الإسلامية هي التي لها الفضل في حفظ علوم الأولين وتهذيبها وتصفيها وهي التي أوسعت المجال
للعقل يبحث وينظر ويستدل . وبذلك كانت هذه النهضة أساس التاريخ العلمي في أوروبا . انفرد القرآن
بأنه هو الذي حرر العقول البشرية من أصفاد الجود والرق وحفر النفوس البشرية وساقها إلى قراءة صحف
الكائنات وتبصر ما فيها من الصنع البديع . القرآن هو الذي ساق النفوس إلى قصي غوامض الكائنات
والتنقيب عن دقائقها وبين لهم أنهم لم يؤمنوا من العلم إلا قليلاً - وما أوتيت من العلم إلا قليلاً - ثم دلهم على

مواطن التفكير والبحث وبين الناس بضرب الأمثال فيم يذكرون فقال جل شانه - ومن كل شئ خلقنا زوجين - سبعان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون - وجعلنا من الماء كل شئ حى - الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن - كل شئ فى فلك يسبحون - ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - ففتحن أبواب السماء بماء منهمر - يوم تشقى السماء بالغمام - ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج -

القرآن هو الذى أعد العقول لفهم الفلسفة الاغريقية ودراسة العلوم الكونية فتصافى العلم والقرآن بضعة قرون لم يقع بينهما نفور ولا مشادة فقد كرم العلم ونوه بالعقل وذم الذين يطلون عقولهم وينعون أهواءهم إذ يقول فى شأنهم - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل - أولئك هم الغافلون - إن شر البواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون - ومنهم من ينظر اليك أعانت تهذى العنى ولو كانوا لا يبصرون - ولاتقف مالىس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا - قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربى وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أن أنزلكموها وأنتم لها كارهون - نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار - فذكر بالقرآن من يخاف وعيد - إن عليك إلا البلاغ - قد بينا الآيات لقوم يعقلون - لا إكراه فى الدين - إنا أنات مذكر - لست عليهم بمسيطر - القرآن هو الباب الذى خرج منه العقل الانسانى للكمال بعد أن كان طفلا فقد هداه الى النظر والاعتبار والاستنباط إذ يقول - إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبواب - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فتننا عذاب النار - وفى خلقكم ومايت من دابة آيات لقوم يوقنون - واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون - أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون - وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أهلكم -

كانت هذه الآيات وأشباهاها سببا فى اطلاق الحرية العلمية للعقول البشرية فلما اقتبست منها أوروبا نهضت وأصبحت تسوس العالم وترشده الى مافيه صلاحه - القرآن هو الذى أوجد العدد الجم من أعظم المؤلفين فى العلوم الشرعية والرياضية والطبيعية والفلكية وغيرها - ذلك بأن العلماء لما نظروا فيه تشعبت طرق تفكيرهم ففهم قوم عنوا بضبط لهجته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وهؤلاء هم علماء القراءة وقوم عنوا بالمعرب والمبني وما الى ذلك وهؤلاء هم علماء النحو - وقوم شغفوا بما فيه من الأدلة العقلية وهؤلاء هم علماء الكلام وتأملت طائفة منهم معانى خطابه فرأت منها ما يقتضى العموم ومنها ما يقتضى الخصوص ومنها ما هو مطلق ومنها ما هو مقيد ومنها ما هو محمل الى غير ذلك وهؤلاء هم علماء الاصول وتلست طائفة مافيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية وهؤلاء هم أهل التاريخ والقصص - وتنبه آخرون لمافيه من الحكم والأمثال والمواعظ وهؤلاء هم الخطباء والوعاظ - وأخذ قوم علم الفرائض وحسابه من آيات الموارث - ونظروا الى ما فيه من الآيات الدالة على الحكم الباهرة فى الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وهؤلاء هم علماء الميقات

من هذا يتبين أن القرآن الذى نزل فى البادية على أمية وقوم أميين لم يكن لهم إلا السننهم وقولهم - وكانت فنون القول التى يذهبون فيها مذاهبهم لاتجاوز ضروبا من الصفات وأنواعا من الحكم مكن العلماء من أن يخرجوا من كل معنى علما برأسه وعلى بحر السنين أخرجوا من كل علم فرعا حتى وصلت العلوم الى ما وصلت اليه فى الحضارة الاسلامية التى أنجبت الحضارة الحديثة

كفالك بالعلم في الأمتى مجيزة • في الجاهلية والتأديب في اليتيم

لا يزال الباحثون في القرآن الكريم يستخرجون منه ما يشير الى مستحدثات الاختراع وما يصدق بعض غوامض العلوم . فمن ذلك قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - مما يؤيد ما حققه العلماء من أن الأرض انفتحت من النظام الشمسي وقوله تعالى - وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بهم - مما يدل كما أثبت العلماء على أنه لولا الجبال لمادت الأرض ببحارها واضطربت بأمواجها ولما طاب للإنسان بها مستقر

وقوله تعالى - وجعل الشمس سراجا - وجعلنا سراجا وهاجا - مما يؤيد ما حققه العلم من أن الشمس جسم مشتمل ثبت النور والنار من ذاتها وترسلها الى سيارتها المرتبطة بها
وقوله تعالى - يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان - مما يشير الى حدوث الطيران وأنه سيكون منه نصيب للإنسان

وقصارى القول أن العقل هو القائم على فهم القرآن واستنباط ما فيه من الأسرار على اختلاف الأحقاب والدهور لأن الذي جاء بهذا القرآن كان آخر الأنبياء من الناس ولا حاجة بالكمال الانساني لغير العقول ينفه بعضها . ولذلك يقول الله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - فلو حصرت جميع العلوم الانسانية ما خرجت في معانيها من قوله تعالى - في الآفاق وفي أنفسهم - . وكلما تقدم النظر وتوفرت طرائق البحث ظهرت حقائق الكائنات ناصعة وتجلت الاشارات التي انبثت في فنيات القرآن - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون - اه

هذه هي الخطة التي تضمنها قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبینات - فهذا هو التبيين القرآني الذي به أقره (٧٠٠) عالم من أوروبا في هذه السنة أن القرآن سبب نهضة أوروبا وأنه ^{مكافئ} أعظم العالم . انتهى الموضوع الأول

(الموضوع الثاني) هو ما نشرته (المجلة الاسبوعية الفرنسية) من اعظام هذا الدين واقرار هؤلاء العلماء بأنه دين الفطرة بمناسبة تقریظ كتابي (نظام العالم والأمة) وأنا اخترت أن أثبت هنا قبولانعمة الله وقيام بعض الشكر له سبحانه على نعمة العلم وفضيلة الحكمة والتأييد العظيم . ذلك أن هذا البقریظ الذي سأكتبه هنا إنما كتب سنة ١٩٠٨ أي منذ عشرين سنة وفي ذلك الزمن لم يكن لي تفسير للقرآن وإنما هو كتاب (نظام العالم والأمة) وهو عبارة عن ملخص للعلوم المصرية مزوج ببعض الآيات القرآنية فلفي من هؤلاء العلماء الآنية أسماؤهم اعظاما واجلالا للقرآن وتقریظا للكتاب . أفلا أجد الله عز وجل إذ عشت حتى وفقي هو لهذا التفسير فلا ثبت مقالتهم هنا فنبيرا لقوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبینات - فهذا التبيين في خطة مديني (جادلوني بك) واجماع علماء أوروبا الراسخين على عظمة التبيين في القرآن والتبيين الذي جاء في كتابي (نظام العالم والأمة) كلاهما مصداق لقوله تعالى - ثم إن علينا بيانه - وقوله - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وهاك نص هذه المقالة (تقریظ كتاب نظام العالم والأمة)

(الجمعية الاسبوعية الفرنسية والشيخ طنطاوى جوهرى والاسلام)

دهشت الجمعية الاسبوعية الفرنسية من ظهور الحقائق في كتاب (نظام العالم والأمة) فلذلك نشرت الجمعية المذكورة التي تقدر بجمع من خول الذكارة العظام والفلاسة الكبار من بينهم حضرات الآتى أسماؤهم (١) السيواريه منار (٢) ابلرت (٣) ردهاسى (٤) شاقبه (٥) كلينزون جانو (٦) هالتي (٧) هيبارت (٨) ماسيرو (٩) ريفنس ريفا (١٠) سبتار بمجلتها التي صدرت في شهرى يناير وفبراير سنة ١٩٠٨ غرة (١) مقالة ضافية للقبول تحت العنوان الآتى

(الشيخ طنطاوى جوهرى أستاذ الفقه العربية بالمدرسة الخديوية بالقاهرة ونظام العالم الأمام)
 (أول الحكمة الإسلامية العليا (المجلد الأول) وعدد صفحاته ٤٣١ نشر في القاهرة سنة ١٩٠٥ م)
 إن كتاب (نظام العالم والأمم) الذى ظهر في المجلد الأول منه هو أحد كتب عديدة ألقت للنشأة الحديثة الإسلامية، وهذه الكتب بناها المؤلف على (نظريتين اثنتين * أولاها) أن الدين الإسلامى دين الفطرة أى ملائم للعقول الإنسانية وموافق لطباع البشرية (ثانيتهما) أن هذا الدين على مقتضى ما قرره المؤلف يسوق الى استكناه جميع النواميس العلمية وسائر القوانين الطبيعية الشاملة لهذا الكون كله النازمة لعقده
 ولقد وضع المؤلف قبل هذا الجزء ملخص الكتاب كله فى مؤلف صغير سماه (الزهرة) وأبان فيه أغراض الكتاب بجزأيه وهى (تسعة مباحث) شرحها شرحا وجيزا فى زهرته التى هى خلاصة الكتاب حتى تشمل الفائدة من لم يتسع له الزمن لمراسة الكتاب ونبذنى الآن بإيراد ما فى الكتاب من المباحث باختصار فنقول إن مباحثه (تسعة * الأول) أن الانسان مسوق بفطرته للعلوم عاشق للحكمة وكيف أن هذا الميل العجيب أوحى اليه معرفة الأعداد المنطوية فى نفسه وقاده الى استنتاج مضاعفات الأعداد وترتيبها من الواحد وإصاها الى أبعاد غاية بل الى ما لا يتناهى مع ما أخرج فيها من عجائب الجبر والأعداد المتوالية ثم طبق ذلك على حساب الخطوط والمنحنيات وانتهى به الى الفلك حسب الأجرام السماوية بهذا الحساب ثم طبقها على النواميس الطبيعية وانتهى منه الى الله عز وجل مبدع الخلق كلها والنفس المتضمنة ذلك كله (الثانى) بحث واسع فى علم الفلك الحقيقى والهيئة (الثالث) درس علم الطبيعة مع إيضاح قوانين (نيوتن) و (كبلر) (الرابع) بحث واسع فى علم النبات وأعجب الخواص الغريبة لحياة النباتات (الخامس) بحث مسهب فى الحيوان وسلسلة ارتقاؤه مقارنا بين مذهب اليونان والعرب وبين مذهب (داروين) من علماء الافرنج فى ذلك وشرح فيه مسألة ترتيب الحيوان شرحا وافيا جدا حتى أنه لم يأل جهدا فى إيضاح ما يسميه (داروين) بقاء الأسلح والأوفق للوجود والارتقاء الذى تسميه العرب دائرة الوجود وترتيب المواليد وارتقاء بعضها عن بعض بنسبة عجيبة . وقد ذكر المؤلف أن مذهب (داروين) كان معروفا قديما عند علماء العرب واليونان وأنه كان يسمى دائرة الوجود وأنهم كانوا يقولون العالم مرتب هكذا (المادة الأثيرية . العناصر . المعدن النبات . الحيوان . الانسان . الملك) والله فوق الدائرة . وكانوا يربطون الانسان بالحيوان فى القرد والليل والببل والحسان ولكنه ليس بالاشتقاق الذى يذهب اليه (داروين) ويقول المؤلف إن مذهب (داروين) محصور فى الانسان والحيوان فقط فهو تلك قوس من البائرة التى شرحها العرب وأن (داروين) ربط ما بين الانسان والحيوان بالقرد وحده فاستنتج من ذلك قصور (داروين) عن العرب من (وجهين * الأول) ضعف الرابطة (الثانى) قصور البحث على قوس من البائرة (السادس) علم التشريح أى تشريح الجسم الانسانى (السابع) علم النفس وفيه شرح فوائدها وملكانتها وتأثيرها فى العالم فى جميع الأزمان (الثامن) الوحدة العاتية فى العالم وهى ظاهرة فى هيئة الأئمة ونظام الكون بمعنى أن هيكل الأئمة منطبق تمام الانطباق على هيئة نظام هذا الكون المتقن . وقد أثبت ذلك بإيراد آيات قرآنية وبآراء علماء الفلاسفة كفيثاغورس والعلامة الفيلسوف الفارابى (التاسع) فى العمران الإسلامى والسعادة والحرية وجدول للعلوم والفنون التى يراها المؤلف موافقة لأن تعرض على بساط البحث والتحقيق لتنتشر فى هذا العصر الحاضر بين المسلمين وواجبات المعلمين الذين يخصصون أنفسهم لهذا التعليم . وأهم هذه الواجبات هو الرجوع دائما الى القرآن والسنة وقد ختم هذا المبحث بالغاية الضمى التى تنشأ عن السياحات شرقا وغربا طلبا لمراسة أحوال الأمم شرقية وغربية . وقد أنشأ المؤلف نظرية فى التوحيد أى (الوحدة العاتية) عجيبة بظنة وحكمة وذكا عجيبة ومهارة فائقة ودراية تامة منطبقة تمام الانطباق على مبادئ القرآن وملائمة كل للملاءمة لما شرحه العرب من

دائرة الوجود والنظريات الافرنجية والصوره الضلكية وسلسلة اللواليد الثلاثة في الطبيعة وهي نظرية الترقى من البسيط الى المركب ومن الجزء الى الكل التي بنى عليها المؤلف طريقة الوحدة العامة . وكما أن الواحد نشأ عنه جميع الأعداد التي لانتهى فهكذا نشأت الأنواع التي لاتنتهى من فعل الله عز وجل (صفحة نمرة ٩٠ ومايليها) ولاجرم أن هذه منطقة تمام الانطباق على دوران الأفلاك ومذاهب العرب والافرنج في سلسلة الموجودات الطبيعية والمواليد الثلاثة . وللمؤلف عناية كبرى برّد كل اعتراض يمكن وروده عليه فهو بهذا دائم الاحتراس ولقد أبحى المؤلف على جلة من العلماء المسلمين لا المحققين (صفحة نمرة ١٨) ورماهم بمجهل مقصود القرآن وفخاه لقصورهم واقتصارهم على علم الفقه الاسلامي إذ ظنوا أنه وحده ينجي في الحياة الدنيا والآخرة وذكرهم بأنهم فاتهم أن المسيحيين بنوعهم في العلوم العقلية والنواميس الطبيعية والحكمة والأدب قد سبقوا المسلمين شوطا بعيدا مع أن ماصرفوا فيه عنايتهم وأفرغوا فيه جهدهم هو مقصود القرآن والغرض الحقيقي منه . إن القارئ لهذا الكتاب يصادف عجايبا عجايبا فيه وأمرأ مدتها غريبا . يرى أن المؤلف يقارن ما بين معجزة خليل الله ابراهيم المذكور في القرآن وهي آية الطير و ابراهيم - واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أرى توّمن قال بلى ولكن ليطعن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ثم اجعل على كل جبل منه جزءا ثم ادعهنّ يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم - (السورة الثانية آية ٢٦٢)

يقارن المؤلف بين هذه القصة وبين التحليل والتركيب الكيماويين لواء (صفحة نمرة ١٢٤) ذلك أن خليل الله ابراهيم طلب من الله دليلا ليطمئن قلبه ويصدق بطريق الحسن والشاهدة بمسألة البعث فأمره الله بذبح طيور معاولة فذبحها ثم قطعها ثم أمر بنداؤها غيبت باذن الله فكان ذلك اطمئنانا لابراهيم عليه السلام فن مهارة المؤلف المدهشة مقارنة لهذا التحليل والتركيب الكيماويين . وحقيقة انه لا فرق بينهما وبذلك صار علم الكيمياء من دلائل اليقين في التوحيد الاسلامي فصار طلبه من أهم علوم التوحيد والقرآن بأمر به وبالجهة فان المؤلف بنفسه العجيب الدال على حكمة عالية وعلم غزير واقتدار تام لأيات القرآن يثبت اتحادا تاما بين الاكتشافات المتجددة العصرية ومعاني القرآن ويستدل على ذلك بأيات من الكتاب المقدس (القرآن) صرح المؤلف في (صفحة نمرة ٩٦) بأن من عرف تفسير القرآن والعلوم العصرية ولم يبين للناس اتحادهما ويفهم تلك الحقيقة فذلك آثم أشد الام لشدة حاجة المسلمين لذلك . وأكفى (صفحة ١٢٤) أن المسلمين الذين يظنون تنافي القرآن والنواميس العلمية هم أجهل الناس بالأمرين . وأبعدهم عن كلا الحقيقتين ثم يخفى المؤلف أن تفرس بذور الفضائل الاسلامية في عقول المسلمين بعناية تامة حتى يجتنب الشبان المسلمون ما أورثته المدنية الغربية لأبنائها والمفاسد الناشئة من اطلاق العنان للنفس وترك حبلها على غار بها بالاجرام يكسبها ولازاج ردها

وقد شبه المؤلف مجموع الأمة بالآلة ميكانيكية لن تظهر نتائجها ويوم عملها إلا بصلاح كل جزء منها أولا وحسن تركيبها وانتظامها ثانيا . فكما أن الآلة لا تقوم إلا بقوة كل جزء منها وبحسن تنظيمها وتركيبها فهكذا الأمة لا دوام لها إلا بصلاح أفرادها أولا وبالنظام الشامل والستور للنظم لأجزائها المبني على العلم والحكومة العادلة ثانيا . هذا مقصود كثير من تعاليم الكتاب

نحن لا يسعنا إلا الاعتراف للشيخ طنطاوى جوهرى بسعة المدارك والاطلاع الواسع المقرون بعقل رزين وحكمة وذكا . فانظر كيف أتى بالفلسفة العالية والنواميس الطبيعية وفنون الآداب العربية الواسعة وأبرزها بمهارة وعبرة عالية ثمينه وبلاغة باهرة تفرق حسنا وتيقه عجايبا تكاد تسيل سلاسة ورقة كاللؤلؤ الزلال سهولة وانسجاما ملوحة حياة وحكمة . وليس اجللنا لهذا الاستاذ لما تقدم فقط بل لأنه أيضا ترجم آراء مؤلفي الانكليز مثل (أفيري) و (سبنسر) و (داروين) وبحث في الفلسفة الافريقية واللاتينية وجمع زبدة آراء

جميع الصور المختلفة وحصرها في كتاب صغير بعبارة جميلة دقيقة كما وصفناها واتبع الفائدة أبنا وجدها الشيخ طنطاوى جوهرى رجل فليسوف حكيم بمقارن ما هو عالم بالدين وبهاتين الصفتين قد فسر القرآن الذى أثبت أنه دين النطرة بما هو أكثر ملامة للطباع البشرية وموافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية أيضا موافقة لخلاف فريق من العلماء الغابرين الذين وقفوا على القشور وجدوا على الألفاظ جودا ميبا أدى الى انحطاط المدارك الاسلامية في الأعصر المتأخرة فانحطت بذلك الأم الاسلامية . فهذه المباحث يخاطب المؤلف الأم الاسلامية عموما وعشاق البحث من كل أمة ويحاول إزالة الغشاوة عن أعين الأم الاسلامية وتخبر عقولهم من الجلود الخميم عليها في جميع الأقطار وسائر الممالك على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم حتى انه لا يخص مذهبا دون مذهب ولا مملكة دون مملكة بل انه فوق ذلك يخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من أى دين وأى نملة ببلاد الشرق لأن بحثه عام في الكائنات ونداءه عام حتى يلتحق الشرق الأدنى بالأم الغربية في المعارف والعلوم والمدنية والحضارة . انتهى

وبعد أن انتهت المجلة من تزيينها كتاب **(نظام العالم والأم)** كتبت كلمة عن كتاب **(التاج المريع)** ترجنا منها ما يأتي

هذا المؤلف أهدى الى (الميكادو) ليقيم الى مؤتمر الأديان الذى انعقد في سنة ١٩٠٦ م باليابان . إن حالة المؤلف بالإشارة ولسان الحال للقارئ على كتاب **(نظام العالم والأم)** في كثير من مباحث الكتاب يدلنا على أن الكتائين يريان لفرض واحد وأن كتاب **(التاج المريع)** كنتم **(نظام العالم والأم)** وقد وعد حضرة محمود سالم بك المؤلف أن يترجمه الى اللغات الأوروبية في حين أن شابا قازانيا ترجمه فعلا الى اللغة التركية ونشره في فارس والروسيا وختم مقتمة بنشر صورة الجواب الذى أرسله الى (الميكادو) وذكر موضوعه وسبب وضعه . ان القارئ لهذا الكتاب يستنتج أن من اطلع على الحقائق العلمية ودرس غوامض الفلسفة وخلا من الفرض والتعصب فانه يجدها منطقية تمام الانطباق على الدين الاسلامى . انتهى

التقرير . وقد ترجم من الفرنسية بقلم محمد أفندى عبد العزيز والمرحوم صالح بك حدى جاد

(أنواع تبين القرآن في الارشاد خاصة)

اعلم أن ما تقدم من الخطة التى ألفت في جماعة المستشرقين وما ذكرته الجمعية الاسيوية الفرنسية انما ذلك في التبيين العام ، أما التبيين في الارشاد خاصة فانه على **(ثلاثة أقسام)** تبين هو موعظة وتبيين هو مجادلة وتبيين هو حكمة كما قال تعالى في (سورة النحل) - ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - فهل تحب أيها التقي أن أحدثك عن هذه الثلاثة . نعم أحدثك لأن الله اختصر الكلام في القرآن وفي حديث رسول الله ﷺ كما ورد **(أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا)** فاذا أطلت الحديث فهو جيل وبيان قال تعالى - وأزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شئ وهدى ورحمة ويشرى للسلين - . أما الموعظة الحسنة فتل - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - الخ ومثل آية الكرسي - الله لا اله الا هو الحى القيوم - الخ إذ ملخصها بيان عظمة الله من حيث قدرته ومن حيث علمه فعظمت من حيث قدرته في قوله - له ما فى السموات وما فى الأرض - الخ وعظمت من حيث علمه في قوله تعالى - يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم - الخ وهذه تسكنى للعموم . وأما المجادلة بالتي هي أحسن فتل قوله بعدها - ألم ترالى الذى حاج إبراهيم في ربه - فان ملخصها محاجة إبراهيم عليه السلام للتمرد بآبائهم ولما كان الجدال يجب أن يكون في موضوع يقربه الخصم إذا سمعه والقوم كانوا صائين يعبدون الكواكب ذكر له إبراهيم عليه السلام سير الشمس فأعجزه إذ قال له اذا قتلت رجلا مجرما وعفوت عن آخر واعتبرت أن هذين إمامته وإحياء فاذا فعلت بالشمس ؟ إذ أتى الله بها من المشرق فلتأت بها أنت من المغرب . فهناك بهت

الذى كفر وهذه مجادلة والمجادلة ترجع لازام الخضم . وقد قال العلماء انها لا تكون إلا مع المصنفين وهم ليسوا في الدرجة العليا من التفكير ولم يبقوا مع العامة يؤمنون بالتقليد . أما أهل الحكمة فالحكمة تقام لهم فالحكمة كيف ذكر الله ذلك في (سورة الأنعام) فقال - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - فذكر الكواكب والقمر والشمس وانتهى بقوله - إلى وجهته وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً - وإنما وجهه له لأنه وجد الكوكب أفلا والقمر أفلا والشمس أفلا فقبل أنا لا أحب الآفلين لأن الآفلين منتقلون وللمنتقل حدث فكيف أحب من يغبى عنى والله لا يصح أن يغبى عنى لأنه يمسك السموات والأرض أن تزولا وذلك لأن المادة كلها عبارة من عناصر ترجع إلى ذرات كهربية والكهرباء والنور حركات في الأثير والحركات أراض فلولا أن هناك مسكها يدبها ويثبتها لم يكن لنا وجود - كل شيء هالك إلا وجهه - فكيف أحب مسوكته وانتقله دالان على أن وراءه منه الحكمة والجمال والعلم والقدرة والتصرف والحب إنما يتوجه إلى القوة والجمال والعلم وأى قدرة أعظم وعلم أحكم وجمال أبهى وغنى أوسع مع البرام في ذلك كله إلا في الله . لتلك وجهته وجهي إليه وتلك قال تعالى - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء - إن ربك حكيم عليم - فهذه الحجة المذكورة في الأنعام هي المعبر عنها بالحكمة في (سورة النحل) ولم يقل الله في حجة الفروذ ذلك فلذلك كانها حجة ولقال بعدها - نرفع درجات من نشاء - بل قال - فهبت الذي كفر - وهذه من أعجب وأبعد ما جاء في القرآن من اللطائف وإنما لم أكتبها في (سورة البقرة) أوفى (سورة الأنعام) لأن الله لم يفتح على بها إلا الآن في هذه الآية مع انها بالبقرة والأنعام أولى وأحق والله هو الهادي القائل في هذه السورة - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - فلنسر على هدايته ونكتب ما فتح الله به والحمد لله رب العالمين

ومن الحكمة التي لا تعرف إلا بعد البحث والاستقصاء والتي لم تظهر برمتها إلا في زماننا اظهرها لمجهزات القرآن الحكيم وقد كانت بحجة غير مفصلة في الأزمان الغابرة ما جاء في (سورة البقرة) أيضاً بعد آية الكرسي بضع آيات إذ يقول الله في ثانيا الكلام على الاتفاق والتعرض عليه - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم * يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوفى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب - فاجب للقرآن الذي يبين للناس أموراً دقيقة مثل هذه المسألة . ألم تر أن زماننا ظهر فيه هذا بأجل بيان (اقرأ كتابي أين الانسان) الذي أرسلته لمؤتمر الأجناس . ألم تر أن البرهان قام على أن سعادة الناس كلهم بأن تكون العقول كلها قد وصلت إلى أقصى ما يصل إليه الامكان وبأن الأرض كلها تستخرج منافعها وأن المجموع الانساني يكون كله متعاوناً وأن التقصير في هذا ضار بالمجموع . إذن انفاق المال للقراء الوارد في شريعتنا الفراء جزء من المساعدة العامة للإنسانية فالشرق والغرب يظهر آثار عقولهم وآثار منافع أرضهم يصبون في سعادة لم يحل بها الأولون وهناك يظهر سر قوله تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - وسر أنه ﷺ رجة للعالمين وأى رجة أعظم من أن تنزل آيات محرمات على بذل المال للنافع العامة ثم يدخل في غضون تلك الآيات ما يفيد أن الحكمة هي الخير الكثير وأن هذه الحكمة لا يتذكرها إلا أولوا الألباب . فالحكمة أجل شيء يبتنى ولماذا يذكرها الله عند التعرض على الاتفاق ولم يذكرها في موضع آخر من القرآن مع ان الصلاة أفضل من الزكاة وقد قال في الصلاة - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر - ولم يذكر الحكمة بعدها كل منع في آية الاتفاق ولم يقل ان الحكمة خير كثير ولم يفتح أولى الألباب بعدها . فلمعرك ما ذاك إلا لما اندمج في مسألة الاتفاق من المساعدة العامة والاشيطان من عادته أن يغم الانسان أن المدار على سعادته وحده وعلى منفعة الخاصة والله يحب منافع العموم ومنفعة العموم ترجع لاسعادتنا أيضاً . فالنفع العام أدخل في اصلاح الأفراد من اقتصار الأفراد على النفع

الخاص . ولنخص هذا أن الناس (قحان) قسم لا يحب الانفس فيسى لها وهو لا يبالي بالمجموع وقسم يسمى بالمجموع مع محافظته على نفسه . فالأول خال من الحكمة والثاني متصف بها . والأول تعالجه شيطانية والثاني تعالجه حكمية والاسلام جاء للحكمة العاتلة لا للخضعة وقد نشر في الشرق والغرب في مدة قليلة ولكن لما اعتنق الاسلام أمم لانصرف أسرار اللغة العربية خرج منهم ملوك وعلما وقصوا من الدين بيعته وعكفوا على شهواتهم وسخروا الأمم لما فقال الله لهم كفوا أيها المسلمون ودعوا حكم عبادي وسأنشر الاصلاح في الأرض على يد من أشاء فظهرت حركة الاصلاح في أوروبا وأمريكا واليابان وهناك جمعية تسمى جمعية الأمم بأوروبا وقد قمت لك أن هذلم تقم بالواجب لأنها جمعية لفظية لا معنوية وقد ذكرت هذا المعنى في أول (سورة الأنفال) وقد طابق ذلك ما أعلنه محافظ كابول من (أفغانستان) في خطبة له بصدد ذكرتها عند قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الى قوله - وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون • فقتلوا أضرهم بينهم زبرا - فارجع اليه في (سورة المؤمنين) • فها هو ذا الزمان قد آن أن يستدير ويرجع الأمر للمسلمين ومن معهم ويقومون باصلاح النوع الانساني هم ومن معهم من الأمم وهناك تظهر الحكمة في قوله تعالى في (سورة البقرة) - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - الخ الذي هو قسم من أقسام الحكمة للذكورة في (سورة النحل) الداخلة في قوله تعالى هنا - لقد أنزلنا آيات مبينات - • فهذا هو التبيين في القرآن . ففي القرآن تبين ولكن الله أذكر كثيرا منه لأمر تعقله وتلك الأمم ترجع الدين لحاله في العصر الأول أولئك الذين كانوا يراعون المنفعة العاتلة حتى انتهوا إذا حاربوا أهل الكفر وقانونهم لم يراعوا إلا المصلحة العاتلة فقتل صناديد قرش في واقعة بدر وأماها يرجع الى اصلاح آلاف مؤلفة بقتل أفراد قليلة كما أنهر النيل والغرات والهواء والماء والشمس نافعات للعموم ضاررات للقليل كغراق ناسك وموت صبي بهواء فاسد وإسواق عبوز وموت شيخ بضربة الشمس فهلاك هؤلاء لا يفتش في اسعاد المجموع . ومن حجب أن (بنام) الانجليز مؤلف (أصول القوانين) قد نحا نغمو هذا لجعل القوانين مبنية على أن العموم مقسم على الخصوص وأن قتل القاتل وان أذى أهله فقد سرت الناس كلهم . والمصلحة العامة خير من الخاصة . ولم يكن هذا الاهلاك مقصودا بذاته من خلق الهواء والماء والشمس • كلا . بل المقصود النفع العام . هكذا قتل بعض الكفار في بعض الحروب قصد منه الحكمة التي قصفت في خرق السفينة وقتل الغلام كلاهما لاصلاح أهم غرق السفينة لتبقى في يد أصحابها الأيام فلا يأخذها الملك غصبا وقتل الغلام لأن العلم بمصلحة أهم لتقويه أوجب قتله وقد راعى المصلحة عمر رضى الله عنه فلم يقطع اليد أيام المجاعة بالسرقة في قصة سرقة الإبل المذكورة في سورة الكهف (راجع هذا المقام كله هناك) فسترى كلام علماء الاسلام وما كتبه مع كلامهم هناك لتعلم أن دين الاسلام جاء للحكمة العاتلة وأن فيه أسراراً يبينها الله في هذا الزمان وهذا هو الذي فتح الله به قبيل الجريوم الخميس ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وفي نفس صلاة الصبح عند قراءتي في الصلاة - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين - والحمد لله رب العالمين

(الجوهرية الثانية من قوله تعالى - وعهد الله الذين آمنوا منك - الى قوله - وما وأهم النار وليس المصير -) قال تعالى (وعهد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب لرسول الله ﷺ ولأئمة وأقسام (ليستخلفنهم في الأرض) أي ليعلمتهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في عيالكم (كما استخلف الذين من قبلهم) مثل بني اسرائيل إذ استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء وأورثهم هم وقومهم بني اسرائيل أرض الجبارة وديارهم (ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وهو الاسلام بالقوة والتثبيت (وليبتلهم من بعد خوفهم) من الأعداء (أمتنا) منهم ثم استأنف لبيان المقصود للاستخلاف فقال (يعبدوني لا يهركون في شيئا) الجلة حال من الواو في يعبدوني أي يعبدوني غير مشركين (ومن كفر) أي كفره هذه

النعمة (بعد ذلك) بعد الوعد أو حصول الخلافة (فأولئك هم الفاسقون) الكاملون في فسقهم إذ كفروا تلك النعمة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول) في سائر ما أمركم به (لعلكم ترحمون) أي أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول على رجاء الرحمة (لأحسن الذين كفروا مجزيين في الأرض) أي لأحسن الكفار مجزيين الله عن ادراكهم وإهلاكهم وفي الأرض متعلق بمجزيين (ومأواهم النار) عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا مجزيين ومأواهم النار (ولبئس المصير) أي للملأوى الذي يصبرون إليه وهنا . ﴿ أربع لطائف ﴾

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - وعهد الله الذين آمنوا منكم - الخ ﴾

قيل إن النبي ﷺ مكث بعد الوحي عشرين سنة مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبرون ويمسكون خائفين ثم أسروا بالهجرة إلى المدينة وأسروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال أحد منهم أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فأزل الله هذه الآية . ومعنى ليستخلفهم والله ليورثهم أرض الكفار من العرب والجمجم فجعلهم ملوكها وساستها وسكانها وقد أنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أوليائه وأبطلهم بعد الخوف أمنا وبسطا في الأرض . روى البخاري عن عدي بن حاتم قال بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال باعدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها ولقد أنبتت عنها قال فإن طالت بك حياة فلترين الظلمة ترحل من الحيرة حتى تطوف الكعبة لا تخاف أحدا إلا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طي الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليقلن الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجان يترجم له فيقولون ألم أبعث إليك رسولا فيهلكك فيقول بل يارب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بل يارب فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم قال عدي سمعت رسول الله ﷺ يقول اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدي فرأيت الظلمة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز قال ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ يخرج الرجل ملء كفه ذهبا الخ . وعن سفينة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿ الخلافة بعدى ثلاثون ثم تكون ملكا ثم قال أسكن ﴾ ولقد كانت خلافة أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشرين سنة وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر فتكون خلافة الخلفاء الراشدين إذن تسعا وعشرين سنة وستة أشهر ومكث ثلاثين سنة بخلافة الحسن وهي ستة أشهر ثم نزل عنها لمحوها

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

قال أهل التفسير في قوله تعالى - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - إن أول من كفر بهذه النعمة ومجدها ولم يقم بواجبها أي بواجب نعمة النصر والتحكيم في الأرض والأمن الذين قتلوا عثمان . فلما قتله غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتلون بعد أن كانوا أخوانا

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

أين وعد الله للمسلمين اليوم وهم في الأرض خائفون وجلون . لأذكر لك ما كتبت في كتاب ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ على هذه الآيات تحت العنوان الآتي

﴿ الاسلام دين علم وعمل ﴾

أيها المسلمون . الاسلام دين علم وعمل . ولما ضلت الممالك الاسلامية الكبرى سواء السبيل لجهلت العلوم

الكونية والعقلية لم يصلحوا لهداية العالم المتعلم فنبذهم الاسلام فلم ينصروا على أعدائهم من الاوروبيين وأصبح المسلمون يلتمسون العلوم من الأمم الأوروبية ويستضيئون بأنوارهم ويهتدون بهدبهم ويرتوون من مواردهم ويكرعون من مشاربهم . أوليس ذلك دليلا على أن الأمم الاسلامية الكبرى جهلت الحقائق وظنت أن المسلم لا يفتنه العلم والجهل يكفيه والقوت يرضيه وهو غافل عما أبدع الله في الأرض والسماوات وبرأ فيها من البدائع وأحسن فيهما من صنع وأبدع وأجاد وذرأ من كل زوج بهيج . لهذا السبب ذهبت الأمم الاسلامية فأصبحوا لا ترى إلا آثار آباءهم لأن الجهل بالعلوم خيم فيما بينهم وضرب عليهم سرادقاته فضر بهم الدهر ضرباته فذل العزيز وعزّ القليل وخضع العظيم وعظم الحقير . قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير .

كنا الجهابذة الكبار * كم قائد سلك القفار

وبحشنا قطع البحار * وطنى على أعدانا

إنا ملكننا المشرقين * إنا ملكننا المغربين

إنا قرأنا الحكمين * العلم والإيمان *

ألم أتم السواد الأعظم في الكرة الأرضية . ألم يأمركم الله أن تأخذوا حنركم وتبنوا محمدكم وترفعوا رؤسكم وتعلموا ما نشر الله في الأرض من علم وما أنعم به من صناعة

(فصل في وعد الله للمسلمين بالتحسين في الأرض والاستخلاف فيها)

ألم يقل لكم في كتابكم الكريم . وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليجعلن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون .

أليس هذا كلام ربكم المنزل على نبيكم وأتم الخطابون به . فبالبه علىكم يا معاشري المسلمين في لقطار الأرض أتم اليوم أكثر عددا وأعظم مددا فإذا جرى حتى عجنا كل الحب من أنا مسلمون وقد تخطنا هذا الوعد بأن يستخلفنا الله في الأرض ويمكن لنا في الأرض ويبدلنا من بعد خوفنا أمنا والتحسين فيها وتبدلنا من بعد خوفنا أمنا وعد من الله لنا والله لا يخلف وعده . قال تعالى . ومن أوفى بعهده من الله .

يجيب المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها . المسلمون الذين يبلغون ٥٠٠ مليوناً من بني آدم يجيبون ويقولون نحن مسلمون ونحن نعمل الصالحات فأين استخلفنا في الأرض ؟ ونحن أينما توجهنا فالقتل على رقابنا والنذل محيط بنا وأم الفرجة يطاردوننا

(فصل في أن المسلمين ينقصهم أمران الاتحاد والعلم)

أقول على رسلكم يا معاشري المسلمين لا تظنوا أن عمل الصالحات قاصر على ما تعلمون فانكم ينقصكم أمران الاتحاد فيما بينكم عريكم وعجيبكم وأبيضكم وأسودكم وأصفركم والعلم بما ذرأ الله في السماوات والأرض من عجائب الخلقة وبدائع الحكمة ونظام البرية وما أبدع في السماوات من كوكب ومابث في الأرض من دابة ونبات . ودليل على ذلك قوله تعالى . أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون . بهذا أنفركم الله إذ قال . وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم . فكانه وعد بالاستخلاف للتقدم للأمة الاسلامية الناطقة في ملكوت السماوات والأرض المفكرة فيها خلق الله المتملة كل صناعة وحرفة حتى لا يفوتها منه من المدفع الى الابرة ومن القطار الى المنشار ومن علم الطيب واليطار الى صناعة الموسيقى . نعم وعدنا الله بالاستخلاف في الأرض اذا فقها وعقلنا كلامه

أوليس من العار أننا غفلنا عن السير في الأرض والأخذ بما هو أجل وأحسن وقد هففت الأمم وتعلمت وجهلنا وارفقوا وانحططنا فلذلك جله القرآن موبخاً ومنكراً على الجاهلين (عما أبدعت الأمم من الصناعات وما أنشأت من المصانع وما أحكمت من بناء وما جمعت من زراعة وما أحسنت من صناعة وما أقامت من سياسة وما نظمت من طرق وما أرسلت من قطار وما أطارت من بخار وما سبرت في البحور من طيارات وما طيد وما بنت من مدارس وما علمت من تلاميذ وما رفعت من صروح) فقال الله تعالى - أفلم يسبوا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها -

ولما كان المسلمون كثيراً ما يسمعون في الأرض ويرجعون إلى أوطانهم بخفي حنين ثم هم لا ينثرون قومهم إلا قليلاً ولا يعتبرون بما رأوا ولا يرسلون جاعات منهم تتعلم إلا قليلاً أردفه الله بقوله - فإني لأتبعي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور -

أيها المسلمون - انه ليتقنكم (أمران) الاتحاد والعلوم فإذا انقسمت بهما تم وعد الله لكم في الأرض بالاستخلاف والتمسكن في الأرض وأن يبذل خوفكم أمناً في الآية المتقدمة . وهأنذا سأشرح لكم كيف تتحدون وكيف ينشر العلم بينكم

(ضرب مثل لحال المسلمين مع غيرهم)

ألا إنما مثل المسلمين المستبصرين وغيرهم كمثل جماعة سافروا في طريق طويل فأخذ جماعة يركبون الابل والبغال والحير والخيول وأخذ جماعة آخرون يركبون القطار فتخلف الأولون وفاز الآخرون ووجه الأولين انهم يتبعون ماسن أبائهم ويتبعون مجدائهم ويترفعون بأشعارهم فوق إبلهم . ووجه الآخرين أن العقل يقضي أن نأخذ بالأحسن والأقوى والأسهل ويقولون قال الله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون القول فينبعون أحسنه - فأنه عز وجل بشر العباد الذين ينبعون أحسن القول . ولا جرم أن القول يركوب القطار أحسن من القول يركوب الابل . أفليس من العار علينا أن يسبقنا الأمم ونحن عاقلون فسكرور

(معنى الجهاد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون • يضرب لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم • وأخرى يحبونها نصر من الله وفتح قريب -

هذه الآية ذكر فيها الله لنا تجارة ودلنا عليها وجعل تلك التجارة تعيننا من عذاب أليم ؟ ما هي تلك التجارة ؟ هي أن تؤمن بالله ورسوله وتجاهد في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا وضمن لنا بذلك أمرين الجنة في الآخرة والنصر في الدنيا . طلب الله منا أمرين وضمن لنا أمرين . طلب الإيمان والجهاد وضمن الجنة في الآخرة والنصر في الدنيا . أما الإيمان فعلوم وأما الجهاد فأننا أشركه لكم . يظن الجهال أن الجهاد إنما هو حرب الكفار وحده . كلا . أن الجهاد كما نص عليه علماء الفقه لا يقتص حرب العدو بل يشمل سائر الأعمال العاتية فترقية الصناعة والزراعة ونظام المدن وتهذيب النفوس وإعلاء شأن الأمة كل ذلك جهاد لا ينقص عن توجيه البندقية والدفع إلى صدر العدو

إن الصف المجاهد المحاذي للعدو لن يقدر على هذا الموقف إلا إذا كان وراءه حكومة في بلاده منظمة فيها صناعات محكمة تصنع له للدفاع والبنادق وتزرع الأرض وتسمدها وترسل له النخيرة فمن ظن أن زارع الأرض المستخرج ما بها والحداد والصانع للدفاع والقطار والتجار المكمل لكل منهما والتجار الخابز لما

والجندي . من ظن أن هؤلاء أقل أجراً في الآخرة من الجندي الذي أحضرته أعمال هؤلاء وهو في معصية القتال فقد جهل الدين وطاش سببه وهو من الفاضلين

إن النبي ﷺ لما رجع من إحدى غزواته قال ﴿ رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس ﴾ أفليس ذلك بأعشار المسلمين دليلاً على أن جهاد النفس أرقى من جهاد العنق وجهاد النفس بترك الكسل وباحكام الصنة وبتربية شأن الأمة وبالسباحة في الأرض وبترك الشر وتهذيب النفس . فلمهذب لنفسه مجاهد والمحكم لمنعته مجاهد والمسافر ليعلم المسلمين ماشاهد مجاهد والعالم مجاهد . ولقد ورد ماعناه أن مداد العلماء كدم الشهداء . ولعمري لقد عظم أمر العالم وفاق شهيد المعركة . ذلكم العالم الذي يزرع العلم والبركة في نفوس آلاف من الناس هو خير من آلاف من الشهداء

ها أنا ذا قد بينت معنى الجهاد والایمان واضح من نفسه . ولا جرم أن الله ضمن لمن جاهدوا هذا الجهاد أن يدخلهم الجنة وينصرهم على عدوهم . فليجاهد المسلمون وليعرفوا جيع العلوم والصناعات التي منها العدد الحرة والآلات الصناعية والحدج الحرة والسياسات المدنية فإن الله ضامن لهم النصر . هذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً . ولن تجد لسنة الله تحويلاً . وليس النصر مضموناً لنا ونحن غافلون . إن الله أمرنا بالنظر والتفعل والتفكير . أوليس هو سبحانه القائل للمسلمين وهم صائون صلاة الخوف في الحرب - وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وذاتهم الذين كفروا لوتغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة - فإذا كان الله يقول لنا ونحن في الصلاة وقت الحرب خذوا حذركم خذوا أسلحتكم فإن الكفار ربما مالوا عليكم ميلة واحدة فقتلوكم . فهل منزل هذا يرضى عن أمة تنام عن العلوم والمعارف والصناعات . هل ينصر الله أمة غافلة إن الله وعدنا النصر بعد الجهاد الكامل بالعدد التي تناظر ما عند العدو التي صرح بها في قوله - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم - ولقد أطلت في هذا المقام لتبين السبيل والحمد لله رب العالمين

﴿ الطيفة الرابعة . إيضاح قوله تعالى - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - ﴾

ليجب المسلمون من هذا القرآن الحكيم كيف أخبر أن الله سيمكن للمسلمين في الأرض وقد تم هذا كما تقدم وكان الخلفاء الراشدون وغير الراشدين ثم كيف ملكوا أكثر العمورة قديماً وهذا معروف مشهور ثم انظر كيف كان الأمر بالعكس في القرون الأخيرة وكيف أخبر الله أيضاً بذلك إذ قال - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - . يخبرنا الله بما هو حاصل اليوم في بلاد الاسلام . ولعلك تقول هل المسلمون كفروا أقول لك هذه التهمة هي السبب في الجهل العام في الاسلام . يحمل الناس الكفر على كفر الدين . ولكن الكفر هنا كفر النعمة . الأثرى كيف قال المفسرون رحمهم الله تعالى إن أول كفر للنعمة كان بقتل عثمان ولو أن الصحابة والتابعين رأوا في هذا العصر لقالوا قد كفر المسلمون بنعمة ربهم لأنهم قدر تركوا الملك الذي أعطاه الله لهم . تركوه وما حفظوه . لم يحفظوا الملك أي لم يحفظوا النعمة أي تركوا بلاد الله فلم يعمروها وتركوا ما فيها من الكنوز والمنافع وناموا على بساط الراحة . فيا عجبا للسل . أيعظن أن الله يعطيه الأرض ويملكه إياها ثم هو ينام ولا يصلحها ولا يقوى عمرانها ويحبها في يده . كلا . إن الله يقوم أي قائم بتدبير الملك فمن لم يكن متخلقاً بخلقه خلعه من ملكه وأقصاه وهذا هو معنى قوله - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - يقول جهول من الذين ينتمون للاسلام . حيثئذ قد حكمت على أمة الاسلام اليوم بأنهم فاسقون أقول أنا لم أحكم وإنما أذكر أمثال هذا بما قاله علماؤنا أن جيع العلوم والصناعات فرض كفاية للمسلمون اليوم عالة على أوروبا فلا كفاية لهم من هذا القليل وفرض الكفاية متى ترك كانت الأمة كلها آتمة لهذا الترك فاذن المسلمون اليوم آمنون بترك العلوم والصناعات وهذا الأثم قد عاقبنا الله عليه باحتلال الأمم الغالبة بلادنا واذلنا

وهذا عذاب مهمل وسكون جيعا في الآخرة مالمين . فهذا معنى كفر النعمة الذي سعى الله للمتصفين به فاسقين ولم يسمهم كافرين كفرا مطلقا . فالسالمون اليوم متمتعون بنعمة الإيمان الساذج وليسوا متمتعين بنعمة اصلاح الأرض والله عز وجل حكيم لا يعطى الشيء إلا مستحقه ومستحقه هم العاملون لارتقائه فأصبحت الآية فيها (مجهزتان) فصدرها لصدر الاسلام ومجهزا للآثم المتأخرة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ولكم في هذا القرآن من عجائب وغرائب وما كان ليدور بخلد قبل كتابة هذا التفسير أن فيه كل هذه العجائب - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

وقبل أن أترك هذا المقام أشير الى أمر آخر ذلك أن الحديث أيا ن فيما تقدم كيف يكون الامن في الاسلام وقد تم ذلك كما تقدم وبقى هناك أمر وهو الذهب والفضة اللذان يصرخان فلا يقبلهما أحد فذلك لم يتم الى الآن ولعل المستقبل كغيب به فان النوع الانساني اذا أصبح وقد ترك التقوى كما يقول (البشفيه) وأصبح التعامل بالمبادلة فان التقوى إذن لازوم لوجودها . أقول ربما اضطرت الدول الحالية الى الاتحاد شرقا وغربا (فقد تنبه الشرق) وتعاملوا بالدوية وألقوا التقوى كدولة البشفيك وهناك يتم معنى الحديث إذ لا فائدة للذهب وللفضة بل للرجل يعمل لمصلحة الجميع ويأخذ ما يكفيه . انتهى الكلام على الجوهره الثانية (الجوهره الثالثة من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم - الى قوله تعالى - كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون -)

روى عن ابن عباس قال وجّه رسول الله ﷺ غلاما من الأنصار يقال له مدج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهر ليدعوه فدخل فرأى عمر محلة كره عمر رؤيته عند ذلك فأرسل الله هذه الآية وروى أيضا أن أساء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأنزل رسول الله ﷺ فقالت ان خدما وغلامنا يدخلون علينا في حال نكرها فأرسل الله هذه الآية . وملخصها أن العبيد والاماء والأحرار الذين لم يبلغوا الحلم ولكن عرفوا أمر النساء وهم في سن التمييز يجب • وقيل يسئ أن يستأذنوا لأجل المسخول في (ثلاث أحوال) وهي من قبل صلاة الفجر وفي منتصف النهار حين يضع الناس ثيابهم للقبولة ومن بعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتعاف بلباس النوم . فهذه أوقات ثلاث عورات لأن كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الانسان يتخلل بستره فيها . ومعنى العورة الخلل ومنها الأمور المحتل العين وهذا هو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) وهذا القول رجوع لتسيم الأحكام السابقة بعد ما ذكر من الالهيات ما يشرح الصدور ويوجب الاذعان ويفتح الأذهان والذين ملكت أيماننا هم العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعني الأحرار الذين ظهروا على عورات النساء ولم يبلغوا الحلم وهم في سن التمييز وبلغ الحلم يكون بالاحتلام فان لم يحتلم وبلغ خمس عشرة سنة فقد بلغ عند الشافعي ولا يرى أبو حنيفة وبلغ الجارية إلا اذا بلغت سبع عشرة سنة ولا الفلام إلا اذا بلغ ثمان عشرة سنة . فأما أبو يوسف وعبد وأحد فقد وافقوا الشافعي في أن الفلام والجارية يحكم ببلوغهما متى بلغا (١٥) سنة وقوله (ثلاث مرات) أي ليستأذنوا في ثلاث أوقات هي (من قبل صلاة الفجر) الى قوله هي (ثلاث عورات لكم) أي هي ثلاث أوقات يغتسل تترك فيها (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان ولا تظن أن هذا ناسخ لآية الاستئذان لأن هذا في الصبيان والمالك للمسخول عليه وتلك في الأحرار البالغين . هم (طواقون عليكم) هذا مستأنف لتبيان العمر المخصص في ترك الاستئذان وهذا التعليل يبين أن الأحكام تعلل (بعضكم) طاقب (على بعض) أي يطوف بعضهم على بعض (كذلك) أي مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) أي الأحكام (والله عليم) بأحوالكم (حكيم) فيما يشرع لكم . واعلم أن هذه الآية غير منسوخة وإن تهاون الناس بالعمل بها . ويقال ان ثلاث آيات تهاون

الناس بها وهي هذه الآية وقوله تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - والناس يقولون أعظمكم بيتا وقوله تعالى - وإذا حضر القسمة أولو القربى - الآية . ثم قال تعالى (وإذا بلغ الأطفال منك الحلم) أى الاحتلام يريد الأحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) فى جميع الأوقات فى السخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الأحرار الكبار (كذلك بين الله لكم آياته) من الدلائل والأحكام (والله عليم) بأمور خلقه (حكيم) بما دبر وشرع وهذا يوجب أن يستأذن الرجل على والدته وعلى جميع محارمه . ثم قال تعالى (والقواعد من النساء) أى اللاتي قعدن عن الحيض والولء من الكبر فلا يلدن ولا يحضن (اللاتي لا يرجون نكاحا) أى لا يطمعن فيه لكبرهن ولأن الرجال يستقذرونهن . فأما من كانت فيها بقية جلال ففى محل الشهوة فلا تدخل فى هذه الآية (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أى الثياب الظاهرة كمللحفة والجلباب الذى فوق الخمار حال كونهن (غير متبرجات بزينة) أى غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق أى لا يقصدن بوضها التبرج . والتبرج تكلف اظهار ما يجب إخفاؤه (وأن يستغفرن) أى يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن (خيرهن والله سميع) لما يملن (عليم) بما يقصدن * قال سعيد بن المسيب كان المسلمون إذا خرجوا الى الغزوم للنبي ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والمرضى والأعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم أن يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتصرفون من ذلك ويقولون نخشى أن لاتكون أنفسهم بذلك طيبة فنزل قوله تعالى (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام غير مانقدهم فانه لما نزل قوله تعالى - ولاتأكلوا أموالكم يسيكم بالبطل - قالوا لا يحمل لأحد منا أن يأكل عند أحد فأنزل الله - ولاعلى أنفسكم - (أن تأكلوا من بيوتكم) أى لاجر عليهم أن تأكلوا من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم ويدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيت اقله ﷺ (أنت ومالك لأبيك) وقوله ﷺ أيضا (إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه) (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو أمماتكم مفاعه) عنى بذلك وكيل الرجل وقيمته فى ضيعته وماشيته فلا بأس عليه أن يأكل من غرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يعمل ولا يدخر وقيل بيوت المالك والمفاتيح جمع مفتاح (أو صدقكم) أى أو بيوت صدقكم وهو الذى صدقك فى المودة وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط . واعلم أن هذا إنما يكون إذا علم رضا صاحب البيت بأذن أو قرينة وخصص هؤلاء لأنهم اعتادوا التبسط بينهم فرجع الأمر فى الحقيقة الى الرضا واذن لافرق بين هؤلاء وبين غيرهم فالمدار على الرضا ولم يذكروا فى الآية إلا لأن الرضا فيه غالبا محقق . والخفية لما رأوا مجاء فى هذه الآية حكموا بأن لاقطع فى سرقة مال الحرم . هذا ولقد كان بنوليث بن عمرو من كثرة يتصرفون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة . ويقال أيضا ان قوما من الأنصار اذا نزل بهم ضيف كانوا لا يأكلون إلا معه . وأيضا قد تخرج قوم عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع فى القزاة والهمة لذلك أنزل الله هذه الآية (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أوأشتاتا) مجتمعين أو متفرقين (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت (فسلموا على أنفسكم) أى ليسلم بعضكم على بعض . هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن فى بيته * قال قتادة (إذا دخلت بيتك فسلم على أهالك فهم أحق من سلمت عليه وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته حدتنا أن الملائكة ردت عليه . وقال ابن عباس (إذا لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته) * وعن ابن عباس فى قوله تعالى - فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم - قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

وقوله (تحية من عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه . ويصح أن يقال من عند الله متعاقبة تحية التي هي منصوبة بسلمها لأنها مصدر بمعنى التسليم والتحية في معنى طلب الحياة وهي من عند الله تعالى وقوله (مباركة) أى تزيى بها زيادة الخير والثواب وقوله (طيبة) أى يليب بها قلب المستمع * وعن أنس رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال (منى لقيت أحدا من أتيت فسلم عليه يطل همرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الأبرار الأتقين) وقوله (كذلك بين الله لكم الآيات) كرهه لمزيد التأكيد واعظام أمر هذه الأحكام (لعلكم تعقلون) الحق والخير في الأمور . انتهت الجوهرة الثالثة الجوهرة الرابعة - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه

على أمر جامع - الى آخر السورة)

كان رسول الله ﷺ اذا سعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحال رسول الله ﷺ بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم وهذا قوله تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) انما صادقا (واذا كانوا معه على أمر جامع) كاجتماع الأعياد والحروب والمشاورة في الأمور . وانما ودف الأمر بأنه جامع مع أنه سبب للجمع لأنه هو الجامع للبالغة (لم يذهبوا حتى يستأذنه) أى حتى يستأذنوا رسول الله ﷺ فيأذن لهم . ولما كان الاستئذان أمرا عظيما أكده فقال (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فاستأذن مؤمن لاحالة والناهب بغير إذن اذا استحل ذلك كان كافرا (فاذا استأذنتكم بعض شأئهم) أى ما يعرض لهم من المهام (فاذن لمن شئت منهم) فوض الله الأمر الى رأى رسول الله ﷺ فاذن يكون بعض الأحكام مفوضا الى رأى رسول الله ﷺ وبعضهم يقول - فاذن لمن شئت منهم - اذا وثقت بصدقه في العذر . وهكذا الناس مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظهرونهم ولا يتفردون عنهم إلا باذن . ولقد كان المنافقون يوم الخندق يرجعون الى منازلهم من غير استئذان . وقال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة أن يشير يده . قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بالاذن . واذا استأذن الامام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن وهذا كله اذا لم يكن حدث سبب يوجب عليهم الخروج والا فلاحاجة الى الاستئذان ثم قال تعالى (واستغفر لهم الله) بعد الاذن فان الاستئذان ولو لم يرقصوا (إن الله غفور) لقرطات العباد (رحيم) بالتيسير عليهم (لأتبعوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أى لأتبعوا دعاءه وتسميته وتذاده بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي ساء به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يابني الله أو يا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المنخفض . وأيضا لا يجوز الاعراض عند دعائه لكم ولا المساهة في الاجابة ولا الرجوع بغير إذن . إذ المبادرة الى اجابته ﷺ واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) أى يتسللون قليلا قليلا من الجماعة (لو اذا) ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج فيبرغ أحدكم في خفية فيذهب * وقال ابن عباس يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى يمرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير اذنه (أن تصيبهم فتنة) أى ثلاثا تصيبهم فتنة أى بلاء في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أى وجميع في الآخرة . هذا ثم ان الله ذكر في هذه الآيات انه يعلم الذين يتسللون لو اذا وذكر العلم هنا ايدان بالمجازاة على ما ضلوا فأعقب الله بذكر أن علمه عام فكيف لا يعلم أحوالكم الخاصة فقال (الأن الله مالى السموات والأرض قد يعلم ما أتم عليه) من الايمان والنفاق والاخلاص وضده (ويوم يرجعون اليه) يعنى يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) من الخير والشر (والله بكل شئ عليم) لا يخفى عليه خافية . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثالث من السورة

(خاتمة)

هذه هي (سورة النور) ولقد تبدى لى بعد ما أتممت الكلام عليها أن أذكر كلاما عاما يرجع لعموم هذه السورة فأقول

انظروا اليها الذكى كيف ذكر الله في هذه السورة الحد والقذف ورعى المحصنات الغافلات وملامة أخلاق الطيبين لاطيبات والخبيثات للخبيثين والملاعنة والعفة وتحريم النظر للأجانب وحله للحرم والاستئذان عند الدخول وغير ذلك من الأحوال العارضة للإنسان . ولاجزم أن ذلك يدخل فيه علم القضاء فان الملاعة وحده الزنا وحد القذف وما أشبه ذلك لا يكون إلا بأمر القاضي الذى نصبه الخليفة للحكم بين الناس . فانظر كيف فصل هذه الأحكام بما هو غريب عنها وأدخل في خلالها ما ليس منها وفاجأ القارئ بقوله - الله نور السموات والأرض - وبين كيف يكون الكافرون وأعمالهم كظلمات البحار المتماجات فوق موجهن سحب ثم أتبع ذلك بذكر عجائب السحاب والبرق وكيف اختلف الحيوان في عدد أرجله وفي سيره فوق الأرض أو طيرانه في الجو . أما الذى لا بصيرة له فانه يرى أن ذلك مجرد اتفاق وأن وضع هذه الآيات أمر لا يرجع الى مقصد خاص وانما هو من الآيات التى توضع وضعا لم يقصد فيه إلا مجرد الانتقال من حال الى حال ولكنى أقول لك ما أعلمه اعلم أن الله عز وجل لما خص هذه السورة بالأحكام الشرعية أراد عز وجل أن يبين لنا أن هذه الامور العادية المحيطة بنا لا ينبغي أن تكون هي المقصد الأسمى عندنا وكأنه يقول كيف تكون هي المقصد الأسمى وماهى إلا أمور يستوى فيها الكافر والمسلم والجاهل والعالم . وما الأحكام التى في القرآن إلا مهذبات لنفوس الناس حتى يعتدلوا في شهواتهم ويقفوا فيها عند حد خاص فلا يقذفون المحصنات الغافلات ولا يرمون زوجاتهم إلا اذا تحققوا ولا يتركون أبصارهم ترتع في شهواتها وتنظر لكل غائبة ورائحة من النساء حتى تحفظ قواكم العقلية فان هذه النفوس الانسانية أشبه بشمعة قد جعل فيها فتائل كثيرة وكما زادت الفتائل فيها وانقادت كان ذلك أسرع ذهابا وأبلغ ضياعا وأقرب فسادا . وكما قلت السرج المتقدة منها كانت أطول عمرا . والناس اذا لجوا في طغيان شهواتهم وزادوا في غلوها وتبعوا خطوات الشيطان وأطلقوا لأسنهم العنان ولم يوقهم النظر وما أشبه ذلك كان ذلك أذهب لرجحان عقولهم وأضع لنور أفئدتهم وأسرع هلاكها لأبدانهم . فليحفظ الناس الأنسة وليعضوا الطرف الذى يشغل العقول بالصور الجلية فتغفل القوى العاقلة الى صور مضمحلة فيقل الادراك ويذهب نور الفطنة وتضعحل القوى العاقلة . وهكذا يجب على الناس أن يستأذنوا اذا دخلوا البيوت وأن يسلخوا على أهل الدار وعلى أهل منزلهم هم أنفسهم لتزول الوحشة ويدوم الأنس وتحصل الألفة فيقوم العقل بما خلقه الله له من التفكير وهكذا تزوجوا الصالحين والصالحات للنكاح أحرارا وعبدا لتصرف الشهوات الى ما هو نافع ويقوم الناس بما أعده الله من النسل واكثاره لتسعد الجمعية الانسانية . هذا هو المقصود من هذه السورة وفي أثناء ذلك قال الله تعالى إياكم أن تشغلكم هذه الامور عن العلوم والحكم والنظر في جمالى وحسن صنعى فان ما ذكر في هذه السورة وغيرها من حفظ الفروج والآداب وحفظ النظر وما أشبه ذلك انما هو لحفظ مدنهم وحسن معاشرتهم . وهذه ماهى إلا مقدمات لما هو أعلى (وبعبارة أخرى) ان هذه آداب والآداب مقدمات للعلوم لأن العلم لا يكون إلا اذا صفت النفوس واصفا للنفس والعقل مضطرب بالجدال والخصام ونفور الجيران وشقاء النظرات وفتور الخواطر بما تعجبه النواظر فاذا أزيلت عليكم مابه تهدأ الخواطر وتقر النواظر ويستتب الامن فما أسوأكم أن تنظروا فيما زينت وأبدعت وزينت ورقشت وتشت فذلك هو المقصود وما سواه فانما هو تمهيد ومقدمات وللمقدمات غير المقاصد إياكم أيها الناس ان تقنوا أن القضاء وعلوم الشريعة كافيات لكم . كلا . إن هذه العلوم انما أزيلتها لحفظ النظام ولقد حفظت نظام النحل في خليتها والزناير في بيوتها والغربان في أعشاشها وطيور الكراكي

في أسرارها والآساد في آجائها والحر الحبشية في جبالها ولم أنز صغيرا ولا كبيرا في الخلق إلا جعلت له ناموسا معلوما وصراطا مستقيما يسير عليه - ومامن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أنعم أنا السميع - علمتها أمور معاشها وأفهمتها كيف تلد وكيف تبيض وكيف تبني لها الأعشاش وأفهمتها كيف تكون سبل الحياة فإذا ظننتم أيها الناس انكم بعرفة هذه الآداب قد زدتم عن هذه الحيوانات فانكم واهمون فوعزتي وجلالي لن تفوقوها كالا ولن تعالوها علما إلا بنظركم في جلالى واطلاعتكم على بهائى وكمالى

إنى أنا نور السموات والأرض ولن تعرفوا تنويرى لهما إلا بأمثال ضربتها لكم وآيات ينبتها . فانخذوا من ظلمات الحياة نورا ومن الآلام المتراكمة في دنياكم نعيما واقروا بوجوه السكائنات وسطور المخالوقات وافهموا من السراج المتقد في المساجد أمثلة قضى لكم مشكلات البجنات فتعرفوا أنوارى في ملكوتى فلا تقضيا ولا البينات ولا الملاعنات ولا الحدود مقصودة من حياتكم وانما هذه آداب وأجبت أن تكون لتتفرغوا لمعرفة آياتى في خليقتى . ومن ظن أن للمتدعات مقاصد فقد جنى على عقله وعلى الجنس البشرى أعظم جناية فإن الناس بهذه الشرائع لم يصلوا الى ما وصل اليه الحيوان في حسن نظامه فكيف يظن الناس أن ذلك هو مقصود الحياة . إن الانسان عليه واجب عظيم هو النظر والفكر وأن يطير بأجنحة الحكمة وطيارات العلم الى جوق من النور بهيج . انى اشتق النور من الظلمات . ألم أجعل النور البرق يلمع من خلال السحاب ذلك السحاب الذى جعلته متمما لظلمات البحار في دجنات الحياة . السحاب الذى زاد ظلمات الأمواج ظلمات قد أضرمت البرق فلع من خلاله وأشرقت أرجاء الأرض بأنواره . هكذا حياتكم للملوءة بالأخطار المدلعة في البر والبحر . انى لقد ارأن أجعل النور يلمع من خلالها كما لمع البرق من خلال ظلمات السحاب

إياكم أن تشغلكم الأحوال المثرية والشهوات البهيمية والقضايا في المحاكم الاسلامية عن اطلاعتكم على جلالى وحسن صنعى وجلال أعمالى الباهرات في هذه الدنيا وبديع نظامها وحسن تقديرها وبهجتها فإن السحب المظلمات يلمع النور من خلالها ؟ فلم لا تشرق أفئدتكم بنور المعرفة في وسط هذه الظلمات الانسانية والحدود الشرعية والقضايا الاسلامية والعلوم الفقهية

أيها الفقهاء . لماذا أبزتم التأليف في الملاعة والحدود وأطلعتم تلاميذكم على حقائق القضايا وأنتم تجهل الناس بعلم السحاب والحيوان واختلاف أنواعه والطيروصفات في جوق السماء . فلماذا أيها الفقهاء أبزتم تلك القضايا ووقفتم عندها مع أن القضاء فرض كفاية وتركتم النظر في معرفة أن - الله نور السموات والأرض - وتنوع الحيوان والطيور الخ . أليس هذا كله كلام الله . أليس العلم بهذه الحجاب واجبا على كل مسلم اذا كان قادرا لازدياد الايمان وللشكر كما أوضحه الامام الغزالي وذكرته في (سورة المائدة)

ان علم القضايا ليس بواجب إلا على فئة قليلة . إن علوم الجبال الالهى غذاء للارواح والعقول وعلم الشريعة أشبه بدواء فكيف جعلتم الدواء في محل الفذاء والغذاء في محل الدواء . أما أن المسلمين أن ينظروا فيما كتبناه . أما أن لهم أن يتدبروا ما ذكرناه . أما أن لأئمة محمد ﷺ أن يرجعوا عن النهج الذى نهجوه . أما أن لهم أن يكفوا عن الجود وبوقفوا الأطفال على عجائب ما صنع الله في الأرض والسماء . أما أن لهم أن يتقوا أنفسهم بأجنحة من العلم والحكمة ليطيروا بها في جوق السماء الصافي . إن الله قد أذن للمسلمين اليوم أن يتبوؤوا منزلتهم بين الأمم وينالوا مكاتبتهم - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون -

(الجلال والنور في سورة النور)

تناسب السور الثلاث (الحج والمؤمنون والنور) في اظهار الحقائق العلمية والبدائع الحكيمية . فيها جاء ذكر خلق الانسان وانه من نقطة فعلقة غضة الخ . ذلك جاء في سورة الحج وفى المؤمنون . فأما في سورة

النور فقد فصل ما يحفظ حواسه وآدابه ﴿ويأنه﴾ أن هذا الانسان خلق من طين مغمورا في الهواء والغياض الأرض تحته والهواء يحيط به والغياض فوقه فكان من الحكمة أن لا يتخلو عالم من هذه العوالم من فائدة له .
فمن الأرض أغذيت وفأكلته ومن الماء شربه وطهوره وبالهواء تطهر دمه بواسطة النفس واعطاء دمه لون الحرة بما يتخلطه من مادة الاكسوجين التي يجلبها النفس من الهواء وحاسة اللمس تشعر بالحرارة والبرودة اللتين يتصف بهما الهواء وحاسة الأذن قد اتخذته آلة توصل الصوت اليها من اللسان . فمن اللسان حركات في الهواء وبالهواء وصول تلك الحركات الى الأذن . الانسان لم يترع علما مما أحاط به إلا انتهاز الفرصة لا لتنتفع به فلا أرض ولأما ولاهواء ولاضياء إلا كان منه له منفعة لولاها لم يكن هذا الانسان ولا الحيوان . فترى القم للغذاء والماء فهو إذن معد لاستعمال ما يصل من الأرض والماء والأنف للهواء وهكذا الأذن للهواء أيضا من حيث حركته بأنواع الأصوات . والعين معدة لعالم للنور الوارد من الكواكب ومن الأرض . اللهم إن هذا العالم جيل ومن أعظم انعمائك علينا أنك أرينا هذه الجباب التي يحياها أولايقربها كثير من العقلاء لأن أكثرهم غافلون . يعيش الانسان في الأرض ويرى الشمس والقمر والماء والهواء ولا يريد أن يدرس هذا الوجود ليعلم مركزه فيه وليعلم نعمك علينا في هذا الوجود العجيب . مخلوق طوله ثمانية أشبار استخدم الأرض والماء والهواء والكواكب . فترى هذه العوالم على أعفائه حسه . ينظر الانسان الشمس اذا هي معدة للإبصار في العين كما أن الهواء معد لحاسة اللمس والشم والسمع وعالم الأرض الذي منه أغلب الأغذية جعلت له حاسة الذوق التي تميز الخبيث من الطيب في الطعام والشراب . هذه الحواس الخمس كأنها نوافذ وفتحات منها يطل الانسان على هذا العالم كله . كل ذلك تضمنه مجاه في (سورة الحج) من خلقه من نقطة فعلقه الخ ومجاه في (سورة المؤمنون) كذلك وقد جاء في آخر وصف خلقه - فبارك الله أحسن الخالقين - فأحسن الخالقين هو الذي خلق الانسان على هذا النمط بحيث يجعله مستفيدا من كل ماحوله من العناصر والمركبات . ولقد كان من إحكام صنعه أن خلق له لسانا واحدا يصبر عما لديه من القوى فهو ترجان لكل ما يحس به ويعلمه ويؤاخره ترجان السمع والبصر والذوق واللمس وكان له آلة الإبصار بها يدرك كل صورة تقع عينه عليها وكان له أداة للتناسل وهي العورة في الذكران والاناث . إن أكثر الآفام في نوع الانسان يحدثها اللسان بالشم والتم وإذاعة الفاحشة والتعبير وقذف المحصنات ويحدثها الفجور بالزنا . وما يعين عليه ويدعوه لمحو العين لما تراه من محاسن النساء . فكان الله يقول في أول النور أيها الناس أنا صوركم على أحسن صورة وأكمل تكوين . فهذه الحواس جعلتها أدوات صالحة لأن تتخذوها وسيلة للهدى بأضواء الشمس والكواكب والقمر ولتتناولوا ما يصلح لأغذيتكم وإقامة بنيةكم وتشعروا بما حولكم من أصوات وصور وعوالم تحيط بكم ولم أحرمكم منها كما حرمتم البود التي أزمته أن يقع بماحوله من الرطوبات . وهذا اللسان لم أجعله وسيلة للتم والقدح بل خلقته لينشر العلم بينكم وأنواع الهبات . وهذه البنية زوتها وهندستها وأكبتها وجعلتها صالحة لاجداث ذرية تبقى بعدكم حفظا لديركم وعمرا لنا أرضنا فليس من الحكمة أن تجعلوا الشهوة البهيمية مقاصد وكيف تجعلون الوسائل مقاصد وما هذه الشهوات مقاصد فمن فعل ذلك ذلت نفسه وباه بالوبال . فأيكم والزنا بل إياكم وكثرة تعاطي هذه الشهوات بإتباع خطوات الشيطان . ولم أخلق الأعين فيكم لتقصروا على هذه الشهوة الضئيلة . إنما خلقت العين لتعرفوا بها أنوارى وتدركوا جلال وبهائي ومحاسن أرضي وسبائي ففضوا الطرف عن النساء واقنعوا بمن عندكم من الحلائل اللاتي يلدن منكم الذرية . أي عبادي أتم ﴿فريقان﴾ فريق الأصفياء وفريق الأغبياء . أما فريق الأصفياء فهم أولئك الذين عرفوا أن نور السموات والأرض فيهم الجبال والبهاء في مشرقا الديب والاصباح . أما فريق الأغبياء فهم أهل النار أولئك الذين أعطوا الأعين والعقول والآذان فظنوا أني أطلقهم في أرضي كما أطلق السواب فكفوا على جنى الذنات التي لم أخلقها فيهم إلا

لغاياتها فسارعوا اليها ووقفوا عندها وكلما نظروا في جبال النجوم وجبال الشمس وجبال القمر وجبال النار والأزهار والأشجار والأنهار لم تجدتهم نفوسهم بأكثر مما يعرف الحيوان في البرية . وكلما سبحت لهم سائحة نحو العال سلطت عليهم بانية العذاب الجامعين في جبلتهم فضر بهم بمقامع الشهوات والعاتات الخديبية فارتدوا على أديارهم وعادوا لما نهوا عنه ورجعوا بخن حنين فكانت نظراتهم لشهواتهم وألستهم عاكفة على أذى قومهم من رجال ونساء كاصحاب الإفاك الذين ذنوا أم المؤمنين وبعض صلحائهم . أي عبادي أنا كفتكم بالصلاة وفي الصلاة تسبيح وتحميد والتسبيح تنزيه والتحميد ذكرى بنعمي فنعني تحيط بكم في الأرض وفي السماء . أنا نور السموات والأرض والأنوار ظاهرة لكم وبالطه في قوى الحيوان والنبات فأينما تولوا فثم جبال ونور . ترون في السماء بهجة النجوم وفي الجوقوس قزح وفي الأرض أنواع الجبال في كل حيوان ونبات . أنا لم أحسن الصور في نوع الانسان لأجل التناسل خصب . كلا . ألم تروا أن شهوة التناسل تنقر بعد الوقوع وعند القنور تذهب نشوة اللذة بجمال الوجوه . إني نصبت ذلكم القنور (الذي يتعوركم بعد فراغكم من تلك اللذة) علما ليهديكم الى المقصد الأعلى من جبال الوجوه الانسانية والجبال في العوالم العالوية والسفلية . إن بواهر الجبل في تلك العوالم داعيات تحثكم أن هلموا اليّ وأقبلوا عليّ . هذا ما يقوله الشمس عند اشراقها والقمر عند بزوغه والجم عند طلوعه والتهر وهو يجرى والعاير وهو يطير . كل أولئك يا عبادي يدعونكم الى العروج الى العال . ولن ينال هذه المنبة منكم إلا أناس أدركوا مقاصدا في حواسهم وغاية ما خلقت له فصن لم تخلق العين لتعكف على النظرات الحيوانية والشهوات البهيمية . إذن لمن زينت النجوم ولمن عجمت الأشعة النورية ولمن نصبت الجبال ومحاسنها والأنهار وجواربها والمحقول وأزهارها . أنا قرنت التسبيح بالتحميد في صوانكم لتذكروا وتعلموا أنكم إن لم تنزهوا اللسان عن الطاق بالقبيح والفرج عن الفاحشة والعين عن النظر المحرم فلا سبيل الى أن تعرفوا وتفقهوا أنى نور السموات والأرض . إن عقولكم خزت فيها صور كثيرة لتتصورونها فإذا أخذتم تتحدثون بكل ما لديكم شغلكم ذلك الحديث عن مواقع النجوم ومناهج العبر . هكذا اذا ظلمت تفكهمون بشهوة الفرج صرفتم عقولكم وأضعفتموها بسبب النقص الدائم المتوافر في صحة أجسامكم بما تصرفونه لهذه الشهوة الفائلة . ومنى ضعفت القوة العاقلة عجزت عن أن تدرك الجبال . لذلك شرعت لكم أن تقولوا في الصلاة في الجلوس بين السجدين ﴿ رب اغفر لي وارحمني ﴾ والمغفرة التامة إنما تكون بحفظ الألسنة وحفظ الشهوات فلا تصرف إلا بحسب إبقاء لصحتكم وحفظا لعقولكم فتكونون متخلفين بأخلاق فأما منزّه عن الحوادث وأتم منزّهون بقدر الاستطاعة عن العيوب . هنالك تتوافر الأسباب لادراك ما يحيط بكم من النور والجبال . أنا لم أحرم عليكم النظرات المحرّمة حرمانا لكم أو بخلا عليكم ولم أنمّنكم من مقارفة الشهوات بخلا عليكم بخزان ملكي . كلا . أنا أعطيتكم عقولا وأعطيت الحيوان البرية غرائز وأودعت في غرائزه أن لا يكون الوقوع إلا للولد ولم أجعل ذلك في غرائزكم بل أعطيتكم عقولا وحرمت عليكم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأطلقكم في الأرض فيقول قائل منكم لم منع ربنا عنا لذتنا وأطلق الحيوان فجمع بما شاء وهو يشاهد أن الحيوان ممنوع بفريزته ولولا ذلك المنع لمات وضعف وهلك بكثرة الوقوع . ذلك حاصل في بعض الحيوان في البرية . فأنا حرّمت عليكم الفاحشة بل طلبت منكم عدم الاسراف في جميع أحوالكم وجعلت عاقبة الاسراف ضعف أبدانكم وخسران عقولكم التي لا تستطيع عند الضعف أن تدرك الجبال الأعلى السام . ومن حفظ جوارحه من العين واللسان والفرج المذكورات في (سورة النور) فاني أحفظه له عنده وجميع قواه وأجعلها ذخيرة له في هذه الدنيا يزداد بها علما ويدبر أموره ويكون ذكي الفؤاد قوى الفكرة . إن في أفلاك ما أخزنه في عقولكم بلا فائدة أشبه بمن يطلق ماء النهر فيغرق القرى ويضرها وحفظها أشبه بحفظ الماء في الأنهار حتى يصرف ماؤها عند الحاجة اليها . لهذا كان

الانسان مسؤولا عن عقله كما انه مسؤول عن أهله وعما يملكه من المال ومايلده من الولد وعما يدره من المالك بل ذخيرة الانسان المكنونة في نفسه أقرب اليه مما عداها فان عجز عن حفظها وتركها تسرب الى الخارج بلا ضابط يضبطها ولا حافظ يحفظها تركته ملوما محسورا . إن آراء الانسان والصور المخزونة في عقله إن هي إلا أجنحة يطير بها الى سماء الكمال وباحات الجبال فإذا أهلها بقي مقصوص الجناحين ضائع القوى خاسر الصفة فبرى بعيني رأسه أننا مشله قد ارتقوا في أعمال دنياهم وأعمال آخرتهم بحفظ قواهم الباطنة بترك ما لا يعنى والانكاش في الجد وحفظ القول فلا ينطق إلا بما يفيد ولا يتكلم إلا بما ينفع . هنالك يكون قوله حكمة وإشارته غنا وسكوته فكرا فلا يسكت ولا يتكلم إلا لفائدة ثابتة . إن الجنة والنار يبعث الفكر والاعتبار كثرة وقلة . ألم تسمعوا قول الكفار - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير -

أى عبادى المسلمين . ربما يظن أحدكم انه خارج عن هذا القانون . كلا . - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا - أتم جميعا مسؤولون عن السمع والبصر والفؤاد . فالقلب أمانة أودعناها عندكم وما العقل إلا نور انبعث من سماء الجبال وهو من نوري الذى انبعث منى في السموات والأرض فأياكم أن تعطلوه أو تشغلوا أنفسكم بالحديث عما خزن فيه إلا لفائدة نافعة فأنتم عنه مسؤولون والبصر جعلته بابا تلج منه الصور والواردات عليكم بنور المشرقة عليكم فإذا شغلتموه فبأي ضعف قواكم البدنية من الصور الحسان لغير فائدة أو فبأي لا فائدة فيه حرمت النظر الى بهجة جالى في سوائى وأرضى فيكون أحدكم أيها المسلمون إذ ذاك قد خسرا اللذة الدنيا وهى الحيوانية واللذة العليا وهى اللذة الملكية بالنظر الى جالى فيصبح الغافل منكم بالنسبة للعلم أشبه بالزئير (المكروب) والخسرات التى تطؤنها بأقدامكم فهى وإن كانت تشارككم في الحياة لم تشارككم في مزاج عقولكم وفنائل علومكم وبهجة نجومكم هكذا المفرطون في أسماهم وأبصارهم وشهواتهم يبصر الناس اليوم جالى وهم لا يبصرون وينتهجون بمحاسن سوائى وهم لا ينتهجون فلهم أسماع وانكن لا يعقلون ولهم أبصار ولكن لا يبصرون . فإذا ظننتم أيها المسلمون انكم بمنجاة من الحجاب وأن الحجاب انما يسدل على الكافرين فقد أخطأتم المرمى ورجعتم بخفى حنين . ألم تقرأ في كتابى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . - أى عبادى . ألم أنزل القرآن وقفا على اللعان المذكور في آية النور ولعلا إقامة الحد على الرانى والزانية . ان هذه أحوال تعرض لكم مانعات من نظراتكم لجالى فإذا جاوزتموها فهناك أفتح لكم أبواب - الله نور السموات والأرض - وأعرفكم معانى ما تسمعون وما تبصرون . هنالك تفقهون تسبيح الطير في جوف السماء وتدركون عجائب الحيوان وأسرارى التى أودعها في غرائره . وبهذا نفرحون - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - انتهى

هذا ما فهمته في (سورة النور) يومى الخميس والجمعة وليلة السبت قبيل آخر سنة ١٩٢٨ والحمد لله

رب العالمين

﴿سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية﴾

(وهي ثلاثة مقاصد)

(المقصد الأول) في اثبات النبوة وفي جزاء المكذبين من هذه الأمة والأمم السالفة من أول السورة الى قوله - أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا -

(المقصد الثاني) في العجائب الكونية من قوله تعالى - ألم ترالى ربك كيف مده الظل - الى قوله - أو أراد شكورا -

(المقصد الثالث) في الآداب والأخلاق من قوله - وعباد الرحمن - الى آخر السورة

(المقصد الأول)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا • الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا •
وَأَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا • وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ
أُفِّرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا • وَقَالُوا أَطِيبُوا الْأَوَّلِينَ
أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْتَلِ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا • قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا • وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا
أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا • أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا
وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا • أَنْظِرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا • تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَيَجْمَعُ لَكَ قُصُورًا • بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا • إِذَا
رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيغًا وَزَفِيرًا • وَإِذَا الْقَوَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرَنِينَ دَعَوْا
هُنَالِكَ ثُبُورًا • لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا • قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ
جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَاصِعًا • لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ
عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْنُورًا • وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَسْتَبْشِرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُ هُمْ أَضَلُّ لَمْ

مِبَادِي هُوَ لَا أَمُّ ثُمَّ ضَلُّوا السَّبِيلَ • قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ
 مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا • فَقَدْ كَذَّبْتُمْ
 بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذْفُهُ عَذَابًا كَبِيرًا • وَمَا
 أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا
 بَيْنَكُمْ يَمْعًا فَتَنَةً أَتَعْبُرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا • وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا
 أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا • يَوْمَ
 يَرْوُونَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجَابًا حَبُورًا • وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا
 مِنْ عَمَلٍ جَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا • أَفَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا • وَيَوْمَ
 تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلُ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا • الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ أَتَقَى لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
 الْكَافِرِينَ عَسِيرًا • وَيَوْمَ يَمْضُ الظَّلَامُ عَلَى يَدَيْهِمْ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ
 سَبِيلًا • يَا وَلَتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا • لَقَدْ أَضَلَّنِي مِنَ الذِّكْرِ إِذَا جَاءَنِي
 وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا • وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ
 مَهْجُورًا • وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْبَشَرِ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا •
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ
 تَرْتِيلًا • وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا • الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى
 وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا • وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا
 مَعَ إِخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا • فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا •
 وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا هُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا
 أَلِيمًا • وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَغُرُونَا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا • وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ
 وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا • وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوْءَ أَفْلَمَ يَكُونُوا يَرْتَدُّونَهَا
 بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا • وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهْلًا الَّذِي بُشِّرَ اللَّهُ
 رَسُولًا إِنْ كَادَ لَيُغْلِبَنَّاهُ مِنَ الْهَيْبَةِ لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْوُونَ الْمُذْذَابَ

مِنْ أَصْلِ سَيْلَةٍ • أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوًى • أَفَأَنْتَ تَسْكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا • أَمْ تَحْسَبُ
أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْلَمُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَصْلُ سَيْلَةٍ

﴿ التفسير القلبي ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تذكر خبر الله وتزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله ودام وكل هذا معنى (تبارك الذي نزل
الفرقان) وهو القرآن مصدق لفرق بين الشبهين إذا فصل بينهما فانه نزل مفرقا وهو يوصل بين الحق والباطل
والحلال والحرام وتبارك كفة تعظيم لم تستعمل إلا الله وحده والمستعمل منه الماضي وحده والبركة تتضمن معنى
لزادة كما تقدم ورتبه على أنزاله القرآن لما فيه من كثرة الخبر وأدلته على تعالىه . ويقال أيضا دلم كما تقدم
من برك الطير على الماء ومن البركة لبرام الماء فيها (على عبده ليكون) أى العبد أو الفرغان (العالمين)
للجن والإنس (نذيرا) منزرا (الذى له ملك السموات والأرض) هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ
ولها) ردة على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) ردة على التوبة وعلى عباد الأصنام (وخلق كل شيء)
أحدثه (فقتله تقديرا) هياه لما أراد من من الخصاص . وقد تقدم في هذا التفسير من عجائب الخلق وبدائع
الحكمة ما يهش الألباب ومن الخصاص الحسية للإنسان والحيوان والنبات والكواكب ما يظهر به ادماج
الخلق وعجائب منه جل جلاله وعز كماله ولا إله إلا هو . ولما أثبت التوحيد والنبوة بما تقدم أخذ ردة
على منكريهما فقال في المشركين (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) وذلك لأن المعبدين
لهم هم الذين يصنعونهم ويصورونهم (ولا يملكون لأفهامهم ضرا) دفع ضرر (ولا نفعا) ولا جلب نفع (ولا يملكون
موتاً ولا حياة ولا نشورا) ولا يملكون إمامة أحد ولا إحياءه ولا بعثه ثانيا . وقال في منكرى النبوة (يقال
الذين كفروا إن هذا إلا إفك كذب مصروف عن وجهه (افتراء) اختلقه محمد ﷺ (وأعانه عليه قوم
آخرون) وهم اليهود أو عبيد بن الخضر الحيشى الكاهن أو جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل
الكتاب فقال المشركون إن محمدا ﷺ يأخذ منهم وقت سبق في قوله تعالى - إنما يعلمه بشر - (قد جازوا
ظلموا وزورا) أى قد جاء قائلوه هذه المقالة بظلم وزور إذ سوا كلام الله تعالى بالأفك والافتراء (وقالوا أساطير
الآولين) ماسطره المتقدمون (اكتبها) كتبها لنفسه أو استكتبها (فصلى على بكره وأميلا) ليحفظها
فانه أمة لا يقدر أن يكر من الكتاب (قل أنزل الله الذى يعلم السر فى السموات والأرض) ألا ترون انه أهزمكم
جما بصاحته وأخبره بغيثات مستقبله وأشياء لا يعلمها أحد . أفضل هذا يكون أساطير الأولين . ولولا عفوه
ورحمته لعاقبكم ولكنه سلم عليكم (انه كان غفورا رحيا) ثم أخذ يذكر آذ عليهم فيها اعتراضوا به على نبينا
محمد ﷺ (وقالوا مال هذا الرسول) مال هذا الذى يزعم انه رسول (يأكل الطعام) كما تأكل (ويمشى فى الأسواق)
كما نمشى لطلب المعاش . يقولون إن صح دعواه فما به لا تخالف حالنا حاله (لولا أنزل إليه ملك فيكون معه
نذيرا) أى دائما وبذلك نعرف صدقه (أو يلقى إليه كثر) فيستغنى عن تحصيل المعاش (أو تكون له جنة
يأكل منها) أى إذا لم يلقى إليه كثر أفلا يعيش عيشة الترفيع أهل اليسر فى الدنيا فيكون له بستان كما هم
بساتين وهذا يستلزم أن يكون فى عيش رغد وسعادة جسمية وخدم وحشم حتى يكون ممتازا ولما لم يكن
متصفا بأحد هذه لم يكن ما يتبعه من النبوة مدعاة قاتما هو رجل سحر عقله وغلب عليه وهذا قوله تعالى
(وقال الظالمون) وضع الظاهر موضع المضمرة سجلا للظلم عليهم (إن تبجون) ماتجون (الإنجلا مسجورا) •
انظر كيف ضربوا لك الأمثال) الأشياء التى لا فائدة منها وادعوا عليك الأحوال الناشئة النائرة (فضلا) عن
الطريق الموصلى لما يجب أن يكون عليه الأنبياء (فلا يستطيعون سبيلا) الى التليل منك والالى سبل الرشاد

(تبارك) تكلم خير (الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) وهب لك في الدنيا خيرا عما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنة والقصور وقوله (جنات) بدل من خيرا (تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) يوتاه شديدة ورد أن النبي ﷺ قال (عرض على ربّي ليجعل لي بطحاء مكة ذهابا فلت لا يارب) وفي رواية أخرى (لو شئت لاسرت معي جبال مكة ذهابا إلخ) وهؤلاء قوم لا يعرفون إلا الحياة الدنيا فقصر أنظارهم عن الآخرة (بل كذبوا بالساعة) فقصروا أنظارهم على ما ظنوه سعادة وهي الآخرة في الدنيا (وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) نارا شديدة يشتد في الدنيا سببها وهو قصر النظر على الأمور العاجلة فيعبدون في سجن الأعمال والآمال المحدودة (إذا رأتهم من مكان بعيد) أي إذا قابلتهم النار وكانت بمراي الناظرين في البعد (سمعوا لها تقيطا وزغيرا) أي سمعوا صوت غليانها كأنه صوت المنظف والزافر (ولذا اتقوا منها) من النار أي فيها (مكنا) في مكان (ضيقا) لزيادة العذاب عليهم (مقرنين) أي مسلمين مع الشياطين (دعوا هنالك) في ذلك المكان (ثبورا) هلاكا يتخون الهلاك وينادونه ويقولون ياتثبورا أي تعال فهذا حينك ويقال لهم (لاندعوا اليوم ثبورا واحدا) هلاكا واحدا (وادعوا ثبورا كثيرا) لأنه كلما نضجت جلودكم بدت جلودا غيرها ولأن أنواع العذاب كثيرة (قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون) أي التي ذكرت من صفات النار خير إلخ (كانت لهم جزاء ومعيرا) أي كانت لهم في علم الله جنة الخلد ثوبا ومرجعا (لهم فيها ما يشاؤون) أي أن جميع المراتب إنما تحصل في الجنة وهناك لا تشتهي طائفة إلا ما يناسب حالها حال كونهم (خالدين كان) ما يشاؤون (على ربك وعدا مسؤولا) موعودا مسؤولا سألهم الناس في دعائهم إذ قالوا - ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك - والملائكة إذ قالوا - ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم - وقوله - على ربك - يفيد معنى امتناع الخلف (ويوم يحشرهم) للبعث (وما يعبدون من دون الله) وهم المعبودون من الملائكة والمسيح وعزير والأنام وغلبا في التمييز وما يستطعها الله الذي أنطق كل شيء كما ينطق الأبدى والأرجل (فيقول للمعبودين) أأنتم أضلتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) لاختلاطهم بالنظر والاعتبار بالقول والاعراض عن الهداة - وقوله - ضلوا السبيل - أي ضلوا وقد تركوا الجاز كما تركوه في هده الطريق والأصل إلى الطريق (قالوا سبحانك) تنجبا عما قيل لهم أو تنزيها لله عن الأنداد وايداناً بأنهم مسبحون إما بالقول كالملائكة والأنبياء ولما بلسان الحال كالأصنام (ما كان ينبغي لنا) ما كان يصح لنا (أن نتخذ من دونك أولياء) أي أن نوالى أعداءك بل أنت ولينا من دونهم (ولكن متعتهم وآباءهم) بطول العمر والصحة والنعمة في هذه الدنيا (حتى نسوا الذكر) تركوا توحيدك وطاعتك والمواظع والإيمان وغفلوا عن ذكرك (وكانوا قوما بورا) هلكت غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم) أي كذبكم للمعبودين أي المشركون (بما تقولون) أنهم آلهة (فما تستطيعون صرفا) دفعا للعذاب عنكم (ولا نصرا) يمينكم عليه - ومعلوم أن المحارب تكون نتجته إما بالهرب وإما بالنصر على عدوه وهؤلاء لا نصر لهم ولا انصراف فهم معذبون لأعمالهم - ثم خاطب الله الناس كلهم قائلا (ومن يظلم منكم نذقة عذابا كبيرا) وهي النار الخالدة - وهذا القول عام لكل ظالم بكفر أو فسق - ولكن العلماء يحتفلون في الفلاسق فهم من يعصيه الكاسفرون وهم الخوارج والمعتزلة وبقية العلماء يقولون «إن الفلاسق بالتوبة يفرله بشرطها كلها وكذا البغض» (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) هذا جواب لقولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام - إلخ - يقول الله - وما أرسلنا قبلك - يا محمد إلا رسلا - أنهم ليأكلون الطعام - إلخ - خفف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه أي أن هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلو لم يكن طعم الطين - وما أنا إلا رسول - وما كنت بدعا من الرسل - وهم كانوا بشرًا مثل يأكسون الطعام ويمشون في الأسواق (وجلسنا بسنمكم) أيها الناس (لبعض فتنة) ابتلاء فابتلينا الفقراء بالأغنياء والمرسلين

بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايدائهم (أتصبرون) أى وجعلنا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ قِتَّةً لنعلم أىكم يصبر وفيه حث على الصبر على ما افتنوا به (وكان ربك بصيرا) لمن صبر ولمن جزع * في البخارى ومسلم أن النبي ﷺ قال (إذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر الى من هودونه في المال والجسم) لفظ البخارى ومسلم (انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يأملون الوصول الى جزائنا (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر أو شهداء على نبوته ﷺ (أوزى ربنا) جهرة فيخبرنا برسائلكم (لقد استكبروا في أنفسهم) أى أضمرنا الاستكبار عن الحق (وعتوا) ومجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) أى أنهم بلغوا غاية الاستكبار إذ عابثوا بالمعجزات الظاهرة فأعرضوا عنها وطلبوا ما تشاق الى الأضى القدسية . واذكر (يوم يرون الملائكة) وهو يوم الموت ثم أخبر فقال (لا يشرى يومئذ للجرمين) أى لهم وإنما وضع الظاهر موضع المضمر لوصفهم بالأجرام (ويقولون) أى الملائكة (عجرا عجورا) حراما محرما عليكم البشرى أى جعل الله البشرى حراما عليكم وإنما البشرى للمؤمنين وهذا من المصادر المنسوبة بأفعال متروكة اظهارها (وقدما الى ما عملوا من عمل) أى وعمدنا الى ما عملوا من أعمال البر التي عملوها في حال الكفر (لجعلناه هباء منثورا) باطلا لا ثواب له . والهباء ما يرى في السكوة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالأيدى ولا يرى في الظل والمنشور المتفرق وكذلك ما يسقط من حوافر الدواب عند السير من الغبار يقال له هباء (أنحباب الجنة يومئذ خير مستقرا) أى خير مكانا يستقر فيه من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقيلا) أى مكانا يستروح فيه بالأزواج والنتع بهن وذلك مجاز من مكان القيولة وفي ذلك رمز الى ما يزين به مقلهم من حسن الصور وغيره من المحاسن * ويقال ان أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قهر ما هو من أول النهار الى وقت الغداة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة * ويرى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس (ويوم تشقق السماء بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو المذكور في قوله تعالى - هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة - (ونزل الملائكة تزيلا) في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد فتشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الانس والجن . ثم تشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس . ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سماء يزبدون على أهل السماء التي تليها ، ثم نزل الكروبيون ثم حلة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أى الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة فلا ملك يقضى غيره يوم القيامة (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا (ويوم يعض الظالم على يديه) عض اليمين كناية عن الغيظ والحسرة لأن عض اليمين من روادف الحسرات وآل في الظالم للجنس فيتناول عقبة بن أبي معيط الذي كان سبب نزول الآية وغيره (يقول يا ليتني اتخذت في الدنيا (مع الرسول سبيلا) طريقا الى الجنة والجنة وهو الإيمان (يا ليتني) * وقرئ - يا ليتني - لأن الرجل ينادى ويته وهي هلكته يقول لها تعال فهذا أوانك (ليتني) لم اتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن الاعلام والمراد كل خليل يستد عن الهدى ويوقع صاحبه في الردى . فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لاحالة جعله كناية عنه . ومن الأخلاء الشياطين فلا فرق بين شياطين الانس وشياطين الجن ومن هؤلاء الأخلاء أبى بن خلف . وذلك أن عقبة بن أبي معيط كان يكثر محالة النبي ﷺ فدعا الى ضيافته فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل ، وكان أبى ابن خلف صديقه فعاتبه فقال صأبت فقال لا والله ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا أرضى منك إلا أن تأتيه فقطأ ففاه وتبرق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال ﷺ لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا بقتله .

وأما أني بن خلف فقتله النبي ﷺ بيده يوم أحد . ثم قال الله تعالى (لقد أضلني) أي الخليل (عن الذكر) أي عن ذكر الله أو القرآن (بعد إذ جاءني) من الله (وكان الشيطان) أي خليله لأنه واحد من شياطين الانس والجن (للإنسان) للطبع له (غفولاً) يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه (وقال الرسول) محمد ﷺ يوم القيامة أوفى الدنيا يفتشكوا إلى الله (يارب إن قومي) قرينا (اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) بأن تركوه وصدّوا عنه . مأخوذ من المهجران وفيه تخويف لقومه وماشكا نبي قومه لإحلال بهم العذاب ثم أقبل الله عليه مسلماً فقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين) أي وكما جعلت لك أعداء من مشركي قومك جعلنا لكل نبي الخ والصدوق يحتمل الواحد والجمع أي لا يكبرن عليك ذلك فإن الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبوا فاصبر أنت كما صبروا فاني ناصرك وهادبك وهذا قوله تعالى (وكنتي بربك هادياً) إلى طريق قهرهم (وضرباً) لك عليهم (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جلة واحدة) أي هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت التوراة والإنجيل والزابور (كذلك) يقول الله إجابة لهم أنزل كذلك أي مفزاً في ثلاث وعشرين سنة (لنثبت به فؤادك) لنقوي به قلبك فتعيه وتحفظه فإن الكتب السابقة نزلت على أنبياء يقرؤون ويكتبون وهذا القرآن نزل على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ فلو أني عليه جلة واحدة لم يستب له فإن التلقف لا يأتي إلا شيئاً فنيئاً . وأيضاً نزل القرآن بحسب الوقائع فذلك يوجب زيادة البصيرة وغوصاً في المعاني وبزوله منصبا يقتدى بكل نجم فيجوزون عن معارضته فيزبد ذلك قوة في قلبه ومن ذلك معرفة الناسخ والمنسوخ . ولقد عرفت حكمة الناسخ والمنسوخ في هذا التفسير في سورة البقرة فافقرأ هناك . ثم قال تعالى (ورتلناه ترتيلاً) قرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تودة وتعمل والرتيل التبيين في رسل وتثبت ويقال فرقاه فترقا آية بعد آية (ولأبأنورك بمثل) سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان أي يضربونه لك في إبطال أمرك (لإجثاك بالحق) الدافع له في جوابه (وأحسن تفسيراً) وبما هو أحسن بياناً أو معنى من سؤالهم وقال تعالى (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم) أي يساقون ويجحرون على وجوههم الخ مبتدأ خبره (أولئك شر ماكانا) أي منزلاً ومصيراً (وأضل سبيلاً) أي أخطأ طريقاً وكأنه قيل انه ما جعلهم على هذه الأسئلة إلا لتحقيق مكانه ﷺ وتضليل سيده وهم لا يعلمون حالهم فليعلموا أنهم - شر مكاناً وأضل سبيلاً - وقوله تعالى - يحشرون على وجوههم إلى جهنم - الخ قد ورد في الحديث مايناسب ذلك وهو قوله ﷺ (يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم قيل يارسول الله كيف يحشرون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذي أمشأكم على أقدامكم يحشرون على وجوههم) . ولما كان من عادة الله تعالى أن يذكر نبيه ﷺ أحوال الأمم السالفة مع أنبيائها ليكون ذلك أنسا لقلبه ونبراساً للصلحين من أمته أردف ذلك بذكر موسى ونوح وعاد قوم هود وعود قوم صالح وأصحاب الراس قوم شعيب وذلك لأنه ذكر انه جعل - لكل نبي عدواً من المجرمين - وأن الله يهدي الأنبياء وينصرهم . فهنا أخذ يبين كيف نصرهم الله على أعدائهم وهداهم إلى ذلك النصر ولا رشاد أهمهم فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً) يوازره في السعوة وإعلاء الكلمة مع مشاركته له في النبوة والشريعة كان في النبوة متوازران فيها (فقلنا لهذا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) وهم فرعون وقومه (فدمرناهم تدميراً) أي فذهبنا إليه فكذبوا فدمرناهم . هكذا هؤلاء أرسلتك إليهم بالحمد فان كذبوك فاني أدمرهم تدميراً وقد تم كل ذلك (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) لأنهم بتكذيب نوح قد كذبوا سائر الرسل لأن دعوتهم واحدة (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) أغرقهم أوقصمهم (للناس آية) عبرة (وأعتدنا للظالمين) من كل أمة (عذاباً أليماً) كما عذبنا هؤلاء (وأهلكنا) عاداً وثموداً وأصحاب الراس) هم قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيباً فكذبوه فبينما هم حول الراس (البتر المطوية)

انهارت تخلف بهم وبغيرهم (و) أهلكنا (قروة) أي أما (بين ذلك) المذكور (كثيرا) لا يعلمها
 إلا الله أرسل إليهم أنبياء فكذبوهم فأهلكوا • قبل القرن سبعون سنة وقيل مائة وعشرون سنة (وكلا
 ضربناه الأمثال) يناله القصص البعيدة من قصص الأولين انذارا واعذارا فأصروا على الاستكبار والكفر
 فهلكوا وهذا قوله تعالى (وكلا تجربنا تنيرا) فتنا فتيتا ومنه التبرفت الذهب والفضة (ولقد آتونا) يعني
 قريشا صرنا مزلزا في مناجرتهم إلى الشام (على القرية التي أمطرت مطرا السوء) وهي سدوم التي هي أعظم
 قرى لوط وقد أمطرت عليها الجارة (أفلم يكونوا يرونها) إذا صرنا بها في أسفارهم فيعتبروا ويتطاولوا •
 ولا جرم أن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم في ممرهم إلى الشام (بل كانوا لا يرجون نشورا) لا يخافون
 بئس أولي أيمان نشورا كما يأمله المؤمنون (وإذا رأوك ان يتخذونك إلا هزوا) ما يتخذونك إلا موضع هز
 أو همز أو به إذ كان أبوجهل إذا صر مع أصحابه قال مستهزئا (أهذا الذي بعث الله رسولا • إن كاذب أي أنه
 كاذب (ليضلنا عن آلهتنا) ليصرفنا عن عبادتنا (لولا أن صبرنا عليها) أي على عبادتنا أولولم نصبر على عبادتنا
 لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) في الآخرة عينا (من أضل سبيلا) أي أخطأ طريقا
 (أرأيت من اتخذ له هواء) أي من أطاع هواه فبإفعل وفيما يترك فهو عابده وبعاده لله • يقول الله لرسوله
 ﷺ هذا الذي لا يرى محبوبا إلا هواء كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى وتحفظه من متابعة هواء وعبادة
 ما أدنى إليه هواء فتكون عليه موكلا فتصرفه من الهدى إلى الهدى فاعليك إلا البلاغ وهذا قوله تعالى
 (أفأنت تكون عليه وكيل) • يقال إن الواحد من أهل الجاهلية كان يبعد حجرا فلما صر بحجر أحسن منه
 ترك الأول وعبد الثاني • وقال الحسن • هذه الآية في كل من اتبع هواه • ثم قال تعالى (أم تحسب أن
 أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) أي بل أنحسب أن أكثرهم يسمعون
 ما نقول سماع طالب الأفهام أو يعقلون ما يعينون من الحجج • وهذا الظن أعظم مما تقسم فكأنهم لا سمع لهم
 ولا عقل حتى شبههم بالأنعام في عدم انتباههم بالكلام وعدم إقدامهم على التدبر والتفكير بل هم أضل من
 الأنعام لأنها تهتدي لمراعبيها ومشاربيها وتنفذ لأربابها الذين يتعاملون بها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق
 الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم • ويقال إن الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمي
 مجمع الكل فان غلبت النفس والهدوى فضلت الأنعام وان غلبت الروح والعقل فضل الملائكة الكرام • انتهى
 التفسير الغنطي للقصص الأول من السورة وفيه لطائف

- (١) في قوله تعالى - تبرك الذي ترك الفرقان على عبده - الخ
- (٢) وفي قوله - وخلق كل شيء فقدره تقديرا -
- (٣) وفي قوله - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا -
- (٤) وفي قوله - وقتلوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام -
- (٥) وفي قوله - لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا -
- (٦) وفي قوله - أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل • قالوا سبحانه - إلى قوله - ولكن
 منهم وآبائهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا -
- (٧) وفي قوله - وجعلنا بينهم وبينكم جيشا فتنة أفصبرون -
- (٨) وفي قوله - وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا -
- (٩) وفي قوله - ويوم تنشق السماء بأغمام -
- (١٠) وفي قوله - ويوم يحض الظالم على يديه - الخ
- (١١) وفي قوله - وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا -

(١٢) وفي قوله - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من البرمين -

(١٣) وفي قوله - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم -

(١٤) وفي قوله - أرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا -

(١٥) وفي قوله - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا -

(القطيعة الأولى في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا -)

تقدم أن معنى تبارك يشمل تبارك الخبير والسوام والتعالى على كل شئ فهو عال في صفاته وأفعاله ودائم .

فانظر الى الصفات التي ذكرت في حيز هذا الفصل اذا هي

(١) انه نزل الفرقان على النبي ﷺ لينفرا الناس

(٢) وانه له ملك السموات والأرض

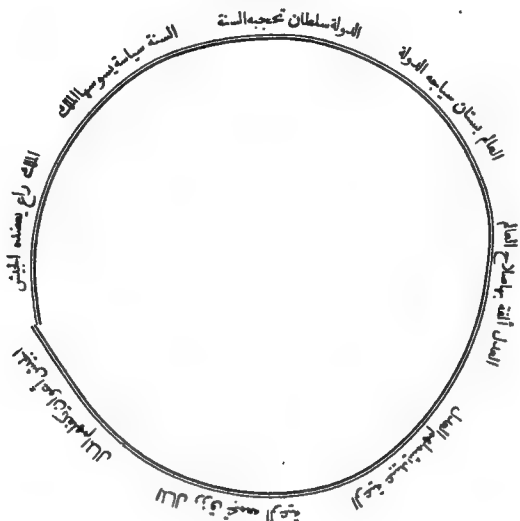
(٣) ولا ولد له

(٤) ولا شريك له

(٥) وانه خلق كل شئ

(٦) وانه قهره تقديرا وجهه على أجمع وأتمن الأوصاف

فهذه الأوصاف هي الخبير كله والبركة من نور ينزل الى الأرض وهداية الناس وملك يمس سائر الكائنات وجميع الملوكة خاضعة له وليس له ضد ولا ولد لأن الولد لمن يغنى فيقوم مقامه والشريك يدل على قوة مقاومة وليس الانفراد بالملك وعدم للنزاع وعدم القضاء الذي دل عليه انه لا ولد له بغنى عن انه قادر على خلق كل شئ فرمما كان مالكا لكل شئ دائم الوجود لا ضد له ومع ذلك لا يقدر على خلق كل شئ بل ربما كان هذا الملك قد أخذه اغتصابا فقال - وخلق كل شئ - فكل ما يملكه في السموات والأرض هو خلقه لا أنه أخذه عن غيره ولم يخلق الأشياء اعتباطا بل جعل لكل شئ قدرا مقدورا وحدًا محمدا ونظاما ثابتا وهذا هو السبب في بقاء ملكه ودوامه لأن دولم الملك على مقتضى النظام . فكلما اختلف النظام كان زوال الملك أسرع وكلما كان النظام أتم كان الملك أدام ولذلك يقال « ان العدل أساس الملك » ويدل على ذلك المأثرة المشهورة للثمة الكلمات التي أرسلها (أرسطاطليس) الى الاسكندر المقدوني تلميذه لما فتح بلاد فارس ورأى أن الناس تقدم للاسكندر الهدايا المالية والتحف الغالية والبخاير النفيسة من الجواهر والأحجار الكريمة فرأى أن هديته الى تلميذه الملك يجب أن تكون أرق من كل شئ وذلك هو العلم فكتب له دائرة فيها ثمان كلمات يرجع آتوها الى أولها وأولها الى آخرها كما يرجع هذا الكون كله الى دائرة بتوقف أولها على آخرها وآخرها على أولها وهذه صورتها



وقد تقدمت هذه الدائرة في (سورة آل عمران) وأعدناها هنا لما تراه من الشرح عليها . ويقال أيضا ان (أرسطاطاليس) أوصى أن تكتب هذه الكلمات الثمان على مدفنه في جهاته الثمان . هذه هي الكلمات الثمان وهذه هي الوصايا التي عرف الناس قديما أن لبقاء الملك إلا بها . فتأمل أيها الذي وانظرو تفكر وقل لي أأنت ترى أن الملك مضطر إلى شريعة وإلى جيش والجيش إلى مال والمال إلى رعية والرعية إلى العدل والعدل إلى دولة والدولة إلى سلطة وقوة والسلطة والقوة محتاج إلى قانون والقانون إلى الملك . فانظر أنت ترى أن الفلاح محتاج إلى رئيس الدولة ورئيس الدولة محتاج إلى الفلاح . أأنت ترى أن الناس في الحقيقة كجسم واحد . وكما أن العين لا بد لها من رجل ويد فاليد لا تكون والرجل لا تنقل بلا عيون مبصرة . إن الأمم لأحياء لها لإلّا ينظام تام ودوام الملك على حسب ثبات النظام ولذلك نجد الأمم كلما اختلف نظامها أسرع فناؤها هذا في ممالكنا الأرضية . ولتعلم أيها الذي أننا لم نكون دولة ولم نتم ممالك إلا على مقتضى القانون الإلهي فان الأدنى تبع الأعلى ولما كنا عبيدا لله وضع في نفوسنا قوانين الحياة والنظام ولكنه أعطانا القوانين على حسب قابليتنا . فكما ارتقت العقول والأخلاق كان نظام دولتنا أكمل . وكلما ضلت العقول والأخلاق كان نظام دولتنا أضيق وأقرب إلى الزوال . انظر بعقلك إلى نظام النحل والزناير وكلاب البحر والغربان وكثير من الطيور والسمك في البحر وكثير من الحشرات . ألم تر أن الله أعطاهما نظاما ثابتا بالهلم لا يتعلم فدام نظامها على مقتضى إلهامه . أما الإنسان فإنه هو الوحيد الذي أمر أن يتقن آثار الحكماء والعلماء ويفكر فإن شاء صار أقل من تلك الحيوانات وإن شاء صار قريبا من الملائكة

(اعتراض على المؤلف)

لما وصلت الى هذا المقام اطلع بعض الفضلاء على هذا فقال يا حبيبنا كل العجب نحن في مقام ان الله له ملك السموات والأرض وليس له ولد ولا شريك وانه خلق كل شئ فقدره تقديرا . فالتنا وما لأرسطاطاليس ونظام دول الأرض ونظام النمل والحشرات والطيور . يا حبيبنا كل العجب . إن الناس يقولون فيك انك مغرم بالبحث في الحيوان وفي الكواكب . فانت في كل مقام وبأدنى مناسبة ولأقل سبب ترجع الى ما اعتدته ويظهر أن مسألة التفسير وغيرها ترجع الى أذهان المفسرين والمؤلفين لا الى القرآن والا فلماذا نراك دائما نخوض في مواضيع لاعلاقة لها بتفسير القرآن

فأين التريا وأين الثرى * وأين معاوية من على

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

غيره

فقلت له يرحمك الله لاتجهل على قبل أن آيين لك ما أريده . هاتنا ذا ذكرت لك نظام الملوك وهاتنا كلما كانت أقوى نظاما كانت أدم . وأقرب شاهد على ذلك كلام (أرسطاطاليس) وهذا ملكنا الصغير فانظر الى ملك الله الكبير . أأنت ترى انه دائم . أولست ترى أن الشمس والقمر والكواكب والنجوم والانسان والحيوان بين يديك . أأنت تقرأ في الكتب أن هذه الدنيا كانت من أزمان قديمة مسكونة بأهم وأن هذه الشمس وهذه النجوم كانت موجودة . قال بلى . قلت فهذا الغوام ناشئ من حسن النظام وقد جعلنا الغوام راجعا لحسن النظام فلولا حسن النظام في هذا الوجود لاختل ولانهدمت الأرض والسموات كما تخرب الدولة بسوء سياستها . فكيف يمكننا أن نعرف أن نظام الله لا يضارعه نظام إلا بهذه الموازنة إذ أننا نرى دولا تسقط سريرا بسوء نظامها وأما تبقى مئات السنين لحسن نظامها والتاريخ وعلوم السياسة كالأفلان بذلك . ثم اننا نجد نظاما ثابتا لا يتدهور ولا يتداعى ولا يسقط فاذا هو نظام الله فقلنا ان هذا النظام بديع فوق كل نظام . اتنا ونحن على هذه الأرض ضعاف مساكين جهال فاذا ادعينا أن نظام الله عظيم يقال لنا وكيف نحكمون بذلك وأنت عبيد قسار الأعمار فلنحكم بالتأني ونوازن ملكه بملكنا ونظامه بنظامنا فاذا وجدنا دولنا تتسارع الى الفناء وملكه قائم شخ لا ينقضي ولا ينهدم ولا يتساقط ووجدنا شمسهم وقمرهم وكواكبهم سائرة راجعة غادية دائرة ساهرة جادة لاتنهم ولا تنفل عرفنا أن ذلك الملك الدائم دال على نظام فوق كل نظام وبهذا وحده نفهم هذه الآية . فاذا قيل لانه الله له ملك السموات والأرض ولاولده ولانده له وانه خلق كل شئ فهذا كله لا يعطينا أن الملك دائم فلما قال - فقدره تقديرا - عرفنا دوامه ولايتبين لنا ذلك إلا بما قلناه وبهذا نعرف قوله - تبارك الذي بيده الملك - فهذا معنى تكاثر خبره ومعنى دوام خبره

فلما سمع صاحبي ذلك قال لقد أحسنت صنعا وأجبت معنى وأريتنا مالم نكن لتوقعه وكأنا بذلك نرينا أن مثل هذه الآية داعية الى النظر في أمور الأمة . قلت ولم لا يكون ذلك ونحن أمرنا أن نتخلق بأخلاق الله وقد جاء في القرآن - إن ربي على صراط مستقيم - فهذا من صراطه المستقيم وقد أمرنا ان نقول في الصلاة - اهدنا الصراط المستقيم - والنسكرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فكأننا أمرنا أن نسير على صراط الله المستقيم . ولقد صرح بذلك في آية أخرى فقال - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله - فهذه الآية تدعو حثا الى أن نخدو حذو خالق العالم في حسن النظام والتقدير واعلم أن فهم مثل هذه الآية يحتاج الى علوم الأولين والآخرين فان قوله - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - تدعو الى البحث في كل شئ . تدعو الى البحث في الأنهار . في الزارع . في أضواء الشمس . في نفس الشمس وفي القمر وفي الكواكب . انظروا انظروا وتعبوا . انظروا الى البائرة التي سبق ذكرها في كلام (أرسطاطاليس) فانظروا كيف جعل الأمة قد ارتبط بعضها ببعض وأنت متى تأملت العالم كله وجدته على مثل هذا النظام والتقدير

تري ضوء الشمس يحرك البخار من البحر ويحرك الهواء في البحر فيسير الهواء بها هباً ويجعل البحر يجر ويسير به بين جبلين ليصفاه وهو جالس حتى يجعل البخار الى عشرات الأميال بعيداً عن البحر فيسقط مطراً على الأرض ويكون هناك الحب فينبث . والشمس التي أثرت البخار وحركت الرياح هي بعينها تلح على الحبة وعلى الأرض فتنبث وتخرج حباتاً أخرى والشمس لازال تلح بأشعتها فيخرج الحب قياً كله الناس . ولاية للناس وللنبات وللحيوان إلا بلقاء والرياح التي تهب من وقت لآخر تم صير الماء الذي في أرض الزرع وفي أجسام الناس بخاراً يصعد الى الجوف فيرجع مطراً وهكذا تلك الرياح لازال دائرة . ولقد قسم أن تنفس الحيوان لا بد منه في بقاء النبات وتنفس النبات لا بد منه في بقاء الحيوان فهناك تبادل سبق ايضاحه بحيث لا يعيش الحيوان ولا يعيش النبات إلا اذا كان كل منهما موجوداً على الأرض . وهكذا أيضاً غذاء الحيوان لا بد من أن يكون نباتاً والا هلك وسهل النبات يكون من الحيوان والانسان متوقف عليهما والجمع متوقفون على الرياح والماء وهما متوقفان على الشمس والشمس لا بد من سيرها وسيرها متوقف على شمس أخرى تدور حولها والشمس الأخرى تدور حول أخرى وهنا انقطع علم الناس . فاذا قال (أرسطاطاليس) هنا ثمان كرات قلنا هناك كرات لا تحصى - قل لو كان البحر مدداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً -

بمثل هذا فليدرس هذا القرآن وليدرس الناس هذا النظام العجيب والافلامنى الحياه . فبمثل هذا فليعرف الناس تقدير الله لكيف قال تعالى - وخلق كل شئ بقدرته تقديره - فالتقدير يعرف في الكلمات وفي الجزئيات . فاما الجزئيات فقد تقم في هذا التفسير فامه مقنع لليب . ولقد ذكرنا فيه نظام الانسان والحيوان والكوكب وكتبنا فيه من كل فن ولم نذكر النحل ولا النمل ولا الضفاد ولا الكتبتنا في عجائبها فبعضها قد كتبناه فيما مضى وبعضها سيكتب إن شاء الله ان دامت الحياة في حينه حتى وصلت اليه ومن درس السواثر التي في الانسان من دائرة العقل الى دائرة التنفس الى المائرة الدموية الى المائرة الضخائية رأى تعاوناً بديها جداً فان العقل به يدار نظام الجسم فاذا مست الراح الجلد أسرع الانسان الى مجانبتها وذلك بالحواس وهي هنا حاسة اللمس واذا جاع الانسان احتال في طلب الغذاء وذلك بالعقل والحواس والجوارح . ثم ان دائرة التنفس تدخل الهواء في الرتين فيصلح الدم ثم يخرج من الفم حاملاً الكربون أى للمادة الفعمية ليدهفها الى الهواء وهذه المادة الفعمية تذهب الى النبات فتقبله فهي ضرر في الانسان منفعة في الحيوان . ثم ان المائرة الدموية التي أصلحها التنفس عبارة عن دم يجري في الأذين الأيمن والبطين الأيمن والأذين الأيسر والبطين الأيسر في القلب فالقلب عبارة عن (أربع مجاويف) اثنتان أعليان واثنتان أدنيان ويقابل في الرتين الهواء الجوى فيصلح ويرجع القلب ويتفرغ للشرايين الممتدة في أعلى الجسم وفي أسفل لكل منهما بمرق غليظ مفرغ الى فروع تمتد وتفور في سائر أطراف الجسم . فانظر كيف احتاجت الأعضاء الى الدم لتأخذ منه ما يعرض ما فقدته من اللوادة التي صارت غمماً وكيف احتاج الدم الى الهواء لينتق من المواد الفعمية وكيف احتاج الهواء الى دخوله الى أن يكون في الرتين وكيف كانت الرتان لا يدخلهما الهواء إلا بعد مروره بالقصبة الهوائية ولا يمر بها إلا بعد دخوله في الحنجرة ولا يدخل فيها إلا بعد دخوله من الخيشوم ثم إن الدم لا يكون إلا من خالص الغذاء وخالص الغذاء يكون في الامعاء وخالص الغذاء في الامعاء يكون آتياً من المعدة والغذاء في المعدة جاء من المريء والمريء أخذه من الفم والدم قد مضى بالأضراس وقد تلقاه عن الشفتين وهما عن اليد واليد تناولته من المائدة والمائدة مدينة للخبز والطباخ وهما مدينتان للفلاح والفلاح يزرع الأرض . فانزاع متوقف على الفلاح المتوقف على الطعام فصار الطعام متوقفاً على الطعام والفلاح متوقفاً على الفلاح وهذه المائرة هي عين التي قالها (أرسطاطاليس) انما هذه أطول وأطول . وقد قسمنا لك أن هذه المائرة لانهائية لها بل هي متسلسلة تسلسل يفوق ادراك البشر . فتواتر الناس في مدتهم على مقتضى دوائر الله في نظام ملكه

بهذا فلتنهم كيف قال تعالى هنا . تبارك الذي نزل الفرقان على عبده . الخ ثم قال . الذي له ملك السموات والأرض . كأن الله يقول لنا أنا أنزل القرآن على محمد ليغري بين الحق والباطل والحرام والحلال وإذا كنت أنا الذي أنزل القرآن على محمد فأنا الذي قدرت كل شيء تقديرا ووزته بميزان عدل . فأنا الذي وزنت السموات والأرض فلتزنوا نظاكم على نظامي . فأنا إذا أنزل الفرقان على عبدي فاني أقصد أن يحسبوا نظاكم على وفاق نظامي أي أن يجتهدوا أن يكون نظامكم أكمل نظام على قدر الامكان . أئتت أنا القائل . والسما رفعها ووضع الميزان . الأتظفوا في الميزان . وأقيسوا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان . فأنا وزنت السموات والأرض لأجل أن تسبوا على نظامي في الوزن والعدل أي لأجل الأتظفوا في الميزان أي لأتزيدوا فيه وليكن وزنكم باقيا ولا تنقصوه على مقتضى نظامي . هكذا هنا يقول الله تعالى أنا أنزل القرآن على عبدي ليكون للعالمين نذيرا . ثم وصف نفسه سبحانه بصفات الملك الدائم الذي هو على أحسن تقدير وبهذا تجلى للمنى في أحسن زى وأبهى جبال وأبدع صلة وأوفى بيان

(حكاية بحبيبة بديعة سارة شارحة للسذور في اللطيفة الثانية وهي قوله تعالى . ففقره تقديرا .)

لقد سبق الكلام على التدوير في اللطيفة الأولى بما لا مزيد عليه . ولأذكر لك حكاية بديعة شارحة لسدرك وإن كانت دقيقة للمنى فأقول

بينما أنا أكتب في هذا التفسير إذ قرأت في الجرائد المصرية يوم الثلاثاء (٣) فبراير سنة ١٩٢٥ الموافق (٩) رجب سنة ١٣٤٣ هجرية خبر رجل أفريقي ألقى محاضرة في بلادنا المصرية وهو ألمانى الجنس . وذلك المحاضرة مناسبة لهذه الآية فأردت أن أثبت المقصود منها لتكون من محاسن العلم وبدائع القرآن والمصادقات التي تدعش القارئ الأذكياء فأقول

إن هذا العالم اسمه البلرون (ونمبراوسكول) ألمانى الجنس وهو روس المنشأ وقد ساح العالم وألف كتباً عن بلاد شتى . وقد دعاه أهل القوقاز وهم مسلمون فعاش بينهم أمدا طويلا وأعجب بهم ثم توجه إلى إسوج ووقع في يده كتاب في جامعة (استوكهولم ولوند) عن مصر مشتمل على حكم (توت) المعروف باسم آخر هو (هرمس تريس ماجستس) والحكم التي وردت في ذلك الكتاب جاءت في اثنتين وعشرين صورة رمزية كانت مرسومة على جدران هيكل بمغنيش نهتم ولكن بقيت أوصافه فألقى محاضرات شقة من هذا الكتاب في إسوج وفي ألمانيا وفي الباترك وجعلها في كتاب . وهذه الصور اتصال بعلم الأرواح والمهم ما ذكره في إحدى محاضراته بصرفنا عما يوافق هذه الآية . قال

(إن المصريين القدماء كان عندهم من الحساب (نوعان) نوع عام يعرفه الناس ونوع خاص لا يعرفه إلا رجال الدين . أما النوع العام فهو الجع والطرح والضرب والقسمة . وأما النوع الخاص يخص رجال الدين فهما الجمع المقتس والطرح المقتس . وبيان ذلك أن واحدا ليس من الأعداد وإنما هو خاص بالله تعالى لأن العدد كلمة دالة على التعدد والواحد لا تعدد فيه فهو خاص بالله تعالى وجميع الأعداد مركبة من الواحد فلذا زال الواحد زال العدد وإذا زال العدد لم يزل الواحد وهكذا الكسر لا يكون إلا بالواحد فلانصف ولأربع ولأجزاء من (١١) ولأجزاء من مئات الألوف إلا إذا كان الواحد فالواحد هو الأول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن وهو كل شيء . ثم اتنا إذا أضفنا إلى الواحد ٣ ثم ٣ على طريقة المتوالية العددية التي تكون زيادة ٣ فنقول (١-٣-٥-٧-٩-١١-١٣-١٥-١٧-١٩)

هذه المتوالية العددية فيها سر تكوين هذه الدنيا عند قسما المصريين بل فيها سر البدأ والميعاد . فيها سر الأولين والآخرين . فيها سر الدنيا والآخرة . فيها الرفع والخفض والموت والحياة والعمارة والخراب فيها سر الله وسر الخلق . فيها سر كل شيء . وبيانه انك إذا أضفت ٣ إلى واحد بطريق الجمع المقتس فان

ذلك اشارة الى آثار الله في الطبيعة . فترى الفصول الأربعة وترى الصباح والظهر والعصر والمغرب يكون من مجموعهما الليل والنهار . وترى أكثر الحيوانات الظاهر على أربعة أرجل . وترى هناك جهات أربعة ورياحا أصلية أربعة وهكذا من كل ما هو أرفع . فإذا أضفنا (٣) أخرى صار العدد (٧) وهو الكمال في كل شيء في الفرد وفي المجموع . فأما عشرة فهو رمز الى متغيرات الحياة من رفع وخفض في الأفراد والأمم ورقم (١٣) اشارة الى الموت موت الأفراد وموت الأمم ورقم (١٦) اشارة الى البسار العام والهلاك التام ورقم (١٩) اشارة الى الحياة التامة ورجوع جميع الاحياء الى حياة كاملة . هذه هي الرموز التي كانوا يقولون انها تدل على هذه المعاني وكأنها صور رمزية دينية تقرب للعاني البعيدة . وأنا أزيدك على ما قاله ان هذه المتواليات العددية اذا أضفنا أولها الى آخرها صار المجموع عشرين نصفها عشرة أى ان الحد الأول والحد الأخير منها يساويان الحد الأوسط مضروباً في اثنين إن كان واحداً والأول والآخرين مجموعين معا اذا كانا اثنين كما اذا ابتدأنا بواحد وختمنا باثنين وعشرين فانك تضيف الواحد فيكونان (٢٣) وهما يساويان الحدين ١٠ و ١٣ متضامين الى بعضهما لأن الحدود في هذا عددها ثمانية فيكون الوسط حدتين فأما فيما قبله فان عدد الحدود سبعة ووسطها عدد (١٠) فيضرب في اثنين . ولعلك تقول وما للآية ولهذا المحاضرة ؟ أقول إن الآية أفادتنا أن الله واحد لا شريك له وأنه لا ولد له . وكل هذه المعاني يرمز لها بعدد واحد لأن الواحد منه كل شيء وأما قوله - نزل الفرقان على عبده - فقد رمزوا له بآثار الله في الطبيعة . ومعالم أن الله أثير في الخلق والتقدير وأثر في الهداية فهذا له الرمز عندهم بعدد أربعة . وأما كونه تعالى له ملك السموات والأرض وخلق كل شيء فقدره تقديراً . فذلك رمزوا له بالعدد سبعة كما تقدم وبالعدد (١٠) لأن الخفض والرفع من أنواع التقدير وبعد (١٣) وبعد (١٦) لأن الهلاك والبسار من نوع التقدير وأما عدد (١٩) فهو المرموز له بأعادة الخلق بعد البسار ﴿ بهجة العلم في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان - الى قوله - وخلق كل شيء فقدره تقديراً - وفيه ثلاث ياقوتات الياقوتة الأولى ، في قوله - ليكون للعالمين نذيراً - مع قوله - ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك - الياقوتة الثانية ، في نظام الآية من حيث ترتيب جملها إذ قسم تنزيل الفرقان في الذكر على خلقه للسموات والأرض مع أن الترتيب العملي يخالف ترتيب نظام الآية ، الياقوتة الثالثة ، في قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديراً - ﴾

﴿ الياقوتة الأولى في قوله تعالى - ليكون للعالمين نذيراً - مع قوله - ولم يتخذ ولداً

ولم يكن له شريك في الملك - ﴾

اعلم أن الحكماء من الأمم العظيمة أجمعوا أن الله لا يحكم عليه زمان ولا مكان وبرهنوا على ذلك بأن الزمان انما جاء من دوران الشمس والكواكب والمكان انما حصل بترتيب هذه العوالم . إذن الزمان يحكم علينا أما خالق العالم فالزمان حادث بفعله ولا حكم له إلا علينا . إذن الله لا يحكم عليه زمان ولا مكان وقد تقدم هذا في بعض هذا التفسير والزمان بالنسبة للأفراد يعتد بالسنين وبالنسبة للأمم يعتد بالقرون . إن الله يعتد بالفضل قبل ولادته كل ما يحتاجه حسباً زمانه فلا يكاد يكمل خلقه في الرحم حتى ترى دم الأم يأخذ في التوجه لثديها وهناك يأخذ ذلك الجهاز الثدي في تحويل الدم الى لبن شيئاً فشيئاً وترى هناك أهل الطفل قبيل ولادته قد اعتروا له القابلات والشياب التي تكون وقاية له والحجرة التي يعيش فيها . فهنا يكمل الاستعداد لاستقبال ذلك الضيف الحبيب فالل يبدل والدم يصير لبناً والحكومة تعد السفار لتلقيه . كل ذلك لطفل قادم من الرحم نازل بهذه الأرض المباركة الطيبة . هذه أفعال الله في طفل قادم إلينا . إذن الحكمة التي دبرت هذا العالم لا تفرق إلا أحاطته برجة لاحت لها . فلنتنظر للأمم فنقول

علم الله قبل أن يخلق هذا العالم أن هذا الانسان الذي يخلقه على وجه الأرض لا يقدر عقله أن يفهم أن

إله العالم بعيد عن المذلة متعال عنها فأُزِلَ أنبياء وعلم حكماء قديما وقال لهم قولوا اني لاراني العيون ولا تحيط في
الظنون فقال ذلك (يوزا) و (خريستا) بالهند وقلها (يو) و (كوتسيوس) بالصين وقاطا موسى
وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فما كان من الأمم إلا أن اخترعت (أمرين الأول) انه خيل لهم أن
الإله كالأب والمادة كالأم وأن أحد القديسين كالابن فقالوا إن الله له ولد وولد بين ظهرائنا وقد أرسله
وصلب لأجلنا ورفع ذلك لبسها للناس أن لهم إلهًا والافكيف يكون إله لا تراه ولا تراه له ابنا . أليس الله
مثلنا يلد . أليس يجب أن يرسل ابنه لنا كما يرسل الملوك أولياء العهد في البلاد التي يحكمها (الأمر الثاني)
انهم لم يقدرُوا أن يتصوروا موجودا لا يرى فعبسوا الكواكب ثم الأصنام التي ملأت السهل والوعر في العالم
الآن . وقد تقدم هذان الأمران في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - فلاتجملوا لله أندادا - وفي (سورة
المائدة) في آخرها وفي (سورة إبراهيم) عند ذكر الأصنام وفي (سورة مريم) عند ذكر المسيح وفي (سورة
الأنبياء) عند قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه - الخ

علم الله أن الانسان هذه ستكون حاله وعلم أن دين المسيح التي أمه توحيد سيقبله أهل الأرض
ويجعلونه كأديان الآشوريين والبابليين وقدماء المصريين وأهل مكسكا القدماء وهكذا إذ جعلوا أبًا وابنا
وروح قدس . العالم الانساني كله كجنيين في بطن أمه وهذا الجنين عاش في هذه الأرض إما (٥٠) ألف سنة
وأما أكثر إلى (٣٠٠) ألف سنة . هذه الآلاف يمكننا أن نحسبها شهورا بالنسبة للآدم فنقول إذن الأمم لا تزال
طفلة وهذا الطفل يريد أن يتعلم فسمع حروفا من كلمات العلم قديما وبقي جاهلا لأنه لم يستحكم عقله ودخل
معابد الأصنام النابتة عن الإله وفرحوا بما عندهم من العلم . فإذا فعل الله للناس ؟ أرسل لهم رسولا من
أمة جاهلة وهولم يتعلم مثلهم فقال لهم لا أصنام ولا أبناء وكسر الأصنام ودم عقيدة الأبناء ورفع سيفه أوثقه وأعلن
السلام في الأرض ثم فارق هذه الأرض إلى ربه . مضى على إرسال هذا الرسول ﷺ ١٣ قرنا فلما أن نحب
هذه القرون أعواما باعتبار آخر غير الاعتبار السابق وتقول إن هذا الانسان لا يزال مرافقا وأن أهل هذه
الكرة لم يتم التواصل بينهم ولا عرفوا تمام المعرفة حقائق الأشياء وهامم أولاء الآن أخذوا يدرسونه . فإذا
تم في ذلك . نقول أذكر لك (حادتين اثنتين) لا ثالث لهما (الحادثة الأولى) معابد بلاد الصين
والاسلام المنتشر فيها (الحادثة الثانية) كيف انتشر الاسلام في جهات أفريقيا المظلمة على نهر النيجر فنقول
هذا الطفل الذي أرسل الله له معلما بعد الأزمان السابقة قد صنع الله معه ماصنعه مع الطفل المولود حديثا .
فكما أن الطفل الحديث الولادة نرى الاستعداد له على ساق وقدم . هكذا هذا الانسان الذي أخرجه الله في
هذه الأرض قد هيا له اليوم نبيا ليخرجه من جهالته لأنه علم انه أخذ يستعد للارتقاء فقد مضى ١٣ علما
فقط بعد نزول القرآن باعتبار أن القرآن علم . وهذه الأعوام بالنسبة لعمر هذا الطفل قليل جدا لأنه سيعيش كثيرا
الآن أخذت الحقائق تظهر في أهل الأرض فانظر إلى أمة الصين . إن للصين آلهة معبودة يقنسها الشيوخ
ويحرقها ويستهنز بها الشبان . فترى هناك فوق جبل (فايشان) في تلك البلاد القاصية معابد يحج إليها
المتدينون بها بمشقة عظيمة لأن ارتفاع الجبل (٥٠٠٠) قدم فوق سطح البحر وترى السلم الموصل إلى المعبد
له (٧٠٠٠) درجة وترى الحاج لا يبلغ هذه القمة إلا بمشقة عظيمة ولذلك ترى هناك جبالين يحملون الحاج إلى
الأصنام فوق الجبل وفي الطريق زوايا صغيرة للآله الصغيرة وزوايا كبيرة للآله الكبيرة ومجد الحاج بيوتا
للشاي ليسترجم في الطريق من مشاق الصعود ، فهذه الآله (التي إذا حج إليها المؤمن بها رجع بعد طول
الشقة ووعثاء السفر والجهد والنصب قرر العين لا يخشى الموت) قد باتت معابدها اليوم معرضة للاحتقار والاستهزاء
والسخرية من الشبان الذين قرؤوا الحكمة والعلم وتنوّرت بصرهم إذ يرون انها أحجار لا تضر ولا تنفع كما نطق
به القرآن وتراهم ينجبون إليها لتجسبها تحقيرا لشأنها وذلك العقل مطابق للقرآن

الحادثة الثانية . كيف ينتشر الاسلام في أفريقيا المظلمة

جاء في الأخبار المنشورة في الصحف في أيلنا هذه أن (تشارلس ريد) السائح الإنجليزي يقول انه وجد زوجا في (نيجيريا) يعرفون اسم (أرسطاطاليس) ويجادلون في فلسفته . وذلك بسبب ما قرؤوه من الكتب الاسلامية التي دفعهم الاسلام الى قراءتها وأن الاسلام بدخوله بين القبائل يزول نظامها المجحف القديم والصف والظلم بسبب نظام اسلامي جليل فيه الولاية والمحاكم وكل امرئ من هؤلاء الحكم بشره بأنه مسؤول أمام ربه . وهؤلاء الزوج في حال همجيتهم ووثنيهم يقيمون على عادات جاهلية فيأكلون لحم الميتة ولا يبالون بالأقنطر ولا يعرفون المحرم في الزواج وقد يأكل الابن أمه اذا ماتت فإذا دخلوا في الاسلام رأيت الأمر غير ذلك فيعرفون معنى النظافة ويتفقهون في الدين وقرؤن الكتب التي ألفها المسلمون

فهناك الحادتان من الحوادث الكبيرة اشتريتا لتقف أيها الذكي على مقدار جهل هذا الانسان اليوم . فهاهوذا الصيني الرقيق في المدينة والصناعة والعلم لما ظهرت بوارق اشراق شمس العلوم أخذ يدنس الأصنام محترقا بها معابده . وهاهوذا الافريقي المتوحش لما بلغه دين الاسلام بطريق مقبول تدبى به واتقربه وهذا في آخر الدنيا شيلا وهذا في آخرها جنوبا . ثم ان هؤلاء المسلمين عند (نهر النيجر) لا يتخلو اسلامهم من خرافات تبا لها لوادهم . ولقد يسمع الانسان كثيرا بحجاج يسمون (التكرنة) فهم هؤلاء أنفسهم يمضون على أقدامهم الى مكة يألون الناس تكسفا ويموت أكثر من نصفهم في الطريق . ثم ان سلطان الزوج في (برموه) في (نيجيريا) الفرنسية مسلم لا تقوته صلاة ولا جهل فرضا ولكنه مقيم على عوايد الافريقية فهو يأكل تحت شجرة من أشجار (المنجة) وورعاها لا ينظرون اليه ولا يخطبونه إلا اذا ولاهم ظهره واجلجوة الموسيقى كذلك لا تعترف إلا اذا ولت ظهرها اليه

هذا هو الاسلام يهدي الافريقي . وهاهوذا في بلاد الصين الكثيرة الأصنام . تلك الأم التي عند أهلها آثار من العلم وقد انتصح العلم لم الآن خفروا الأصنام . فبالت شرى ماذا يصنعون الآن . أقول ان لم ملجأ يلجئون اليه كما أن الطفل عند ولادته ملجأ يلجأ اليه . فليجأ الطفل القابلة ولين أمه والطف العلم عليه وملجأ هذه الأم الوثنية وحشة كانت أو متدنية إن ربه ليس ببالغ عنها كما لم يضل عن الطفل . وهؤلاء الأطفال وهم أبناء آدم في الشمال والجنوب قد أمهت لهم لغة اللغات قبل ظهورهم أو الألسنة قبل زمن تمييزهم غاية الأمر اننا ننقل عمل الله في الطفل لأنه أمر سهل ولنا نقل عطفه على الأم فنظف أن عطف الله على الطفل قد بلغ النهاية وعطفه على الشعوب قليل ولكننا عند النظر بالحكمة نرى عطفه على الأم أبلغ من عطفه على الطفل لأن الأم مجموع أفراد . أفلا نرى انه أنزل القرآن وقال للمسلمين اقروا وانشروا فقرؤوا ونشروا . ولما انتشر في بلاد الصين لم يرض هذا الدين الاسلامي بمجايلت تلك الأم لأنهم قوم علماء وسكا حكماء قديمة غلبت وتسلطت عليهم هناك (٧٠) مليونا ودين الاسلام الشافع بينهم لم يخرج عن الأحكام الشرعية التي اجتهد فيها أبو حنيفة ولتلك تجد الوثنيين الذين يحرقون هذه الأصنام يقولون للمسلمين إن دينكم لم يخرج عن كونه دين طلاق وفسخ واجارة وعقد وما أشبه ذلك . أما الحكمة والعلم ونظام الله في الأرض وهما ثواب الشمس والقمر وما أشبه ذلك مما نعرف نحن فإنت دينكم خال منه فلا تفكر لكم معاشر المسلمين إلا في الصلاة والوضوء والغسل والحض والنفاس والولادة وأحكام ذلك كله وأتم أيها المسلمون عن العلم محجوبون

هذا هو الذي أخبرني به العالم الصيني المسمى (ولن يون كين) حينما زار مصر وقد ذكرت خبره في مواضع من هذا التفسير وقال ان أربعة قوائم من قواد الخنود الصينيين المسلمين أرسلاني لأبحث في أقطار الاسلام فإني هذا الدين حقيقة مدق للم كما يقول علماء الصين وهم حنفية المذهب أم الأمر على خلاف ذلك وقد قال لي « لقد وجدت في مصر حركة عظيمة وقد اطلع والهدنة على تفسير (سورة الفاتحة) وعلى تفسير (سورة البقرة)

وقد قال لي انه سيجزم الفاضحة وكتاب القرآن والمعالم الصرية ، وسافر وأنا لأدري الآن ما فعل
 إن هذا الدين الاسلامي لما انتشر في الأرض وأخذته أم بعد العصر الأول لم تقم ما يراد منه فأخذوا
 يتأوله بلا عقل وحسروا العقل الانساني في أحكام الفقه وفروعها . إذن هذه الأم التي حلت هذا الدين بعد
 العصر الأول ليسوا كغفوا هذا الدين . ولأدرك الحقيقة الامام الغزالي في القرن الخامس الهجري ألف كتاب
 ﴿ الإحياء ﴾ وقال اني أريد أن أحيي به عصر الصحابة أولئك الذين كانوا يفهمون من الاسلام ما لا يفهمه
 من بعدهم . ذلك أنهم كانوا يصلون أن معرفة الله بالنظر في العجائب والمخلوقات هي أصول هذا الدين وهكذا
 علم الأخلاق وتهذيب النفس تهذيباً عملياً وذم أهل زمانه ذمّاً شنيعاً وقتل ما قاله ابن مسعود يوم موت عمر
 ﴿ قد مات تسعة أعشار العلم ﴾ فقالوا له نحن أصحاب رسول الله نعمل العلم فقال لست أريد هذا ولكن أريد
 العلم بالله تعالى

ولما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبي العالم الفري اعتاد أن يناقشني في معضلات هذا التفسير فقال لقد
 أظلت المقال فما ملخصه . قلت

- (١) ان الأم كلها أطفال
- (٢) وأن رحمة الله تشمل الأم كما تشمل الأفراد
- (٣) وأن الله مهد ل هؤلاء الأم بدين الاسلام كما مهد للمسيح نبي أمه
- (٤) ومن ذلك انه نشر الاسلام في الصين عابدة الأصنام وفي نيجيريا الوثنية
- (٥) وأن المسلمين في الصين بكنية المسلمين ليسوا يعرفون من الدين إلا ألفاظ القرآن فهم له قراء والا
 الأحكام الخفية والشافية الخ

(٦) وأن هذه الأم استعدادهم لحل هذا الدين ضعيف فلم يكونوا كالصحابة في العصور الأولى ولا التابعين
 (٧) وأن الامام الغزالي رحمه الله أدرك هذه الحقيقة فنأدى في الناس بكتابه الإحياء يقول د أيها الناس
 دين الاسلام أن تعرفوا جيع العالم في هذا الوجود وأنتم ما علمتم اليوم إلا القليل جهالة وبلاهة . وقدمني
 بعد قوله ما يقرب من ألف سنة والمسلمون نائمون ولذلك لم يقدروا أن يهدوا أكثر الأم الضالة التي تعبد الأصنام
 فقال وما دواء هذا الداء . فكانت دوائه في ﴿ الباقوة الثانية ﴾ وهي انه ذكر تنزيل الفرقان قبل قوله
 - له ملك السموات والأرض - . فقال وأي شيء في هذا التقديم والتأخير وهل لهذا أهمية في هذا الموضوع
 فقلت إن السواء في هذا التقديم والتأخير . فقال لذكر حدثه نوافقي هذه حتى نستأنس بها . فقلت قد تقدمت
 في هذا التفسير أن أبابكر رضي الله عنه وقف خطيباً في سبيعة بنى سلعة وقال للأَنْصار أسلمنا قبلكم وقدما
 في القرآن عليكم فمن المهاجرين وأنتم الأنصار فصن الوزراء وأنتم الأمراء . فهذا التقديم في الآية حكمت
 فريش العرب زأم الاسلام قرونا وقرونا فكان منهم العباسيون والأمويون والمالوية وهكذا . كل هذا لتقديم
 كلمة على كلمة . وهكذا ترى الامام الشافعي يقول ﴿ يجب في الوضوء تقديم الوجه على اليدين ﴾ ولماذا هذا لأن
 الله تقدمه في التذكر في آية الوضوء واستدل بالحديث ﴿ ابدؤا بما بدأ الله به ﴾

فلما سمع صاحبي ذلك قال أما الآن فقد آن أن أسمع ما تقوله في هذه الآية من حيث التقديم والتأخير
 لأن الحق قائم . فقلت ان الله خلق السموات والأرض قبل أن ينزل القرآن . قال نعم . قلت ولذلك يقول
 - الذي له ملك السموات والأرض - وهذه جملة اسمية تقتضي الثبوت والبرهان أما نزول القرآن فقد ذكره
 بحجة فعلية تقتضي الحدث . قال هذا حق . قلت فلأن نظم القرآن مشى على سائر آية الوضوء وعلى سائر
 آية المهاجرين والأنصار ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لأن نظم الآية هنا اعتبر فيه مجازة ما هو موجود لكن هكذا
 تبارك الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء ففطره تقديره

ونزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . الله لم يفعل ذلك هنامع انه مقتضى الترتيب والوجودى وانما عدل الله عن ذلك بسر ظهر في عصرنا وحكمة بهرت في أيماننا . ذلك هو ما عليه المسلمون الآن . المسلمون الآن يقرؤون القرآن ولا يعرفون إلا التنزيل فهم يتسئون بحفظه عن ظهر قلب ثم يقرؤون الأحكام الشرعية فلذلك صاروا أجهل الأمم مع أن القرآن من كلام الله وملك السموات والأرض فعله وقول القائل يفسره وبينه فعله ونحن نسمع حديث النبي ﷺ وتبع فعله وقوله . أفلا نفل مع الله ما فعله مع نبينا ومع الناس . نحن ننظر لأفعال الناس أكثر مما ننظر لأقوالهم . أفلا نجد في تتبع أفعال الله كما قرأنا أقواله . وبناء عليه يجب في اصلاح المسلمين أن نخرج قول الله بفعله في التعليم . ان قول الله أشبه بما يحيى الجسد الانساني من الدم وهذا الدم الجارى في جسم المرأة لتغذية الجنين يفيد الجنين ولكنه لا يفيد الطفل كما قدّمنا آنفا فاقضت الحكمة أن يكون هناك جهاز يصح فيه الدم فيكون لبنا ليشربه الطفل الذى كان جنينا . هكذا الأمة الاسلامية التى كان أهلها أجنة يحبون بالقرآن حياة الجنين في رحم أمه فلذلك لم يصلحوا لقيادة الأم العظيمة ولا تفهم الناس الحكمة حتى ان المسلمين في الصين لم يغشوا عباد الأصنام بعرفة حقائق الدين الحكيمه لجهلهم بها فهم يتخطون في عبادة الأصنام باليسين من دين حق في الارض

المسلمون أصبحوا اليوم غيرهم بالأمس . فاذا كانوا بالأمس أجنة فهم اليوم في حال الرضاع خلق لهم أن يعطوا اللبن مصحوبا بالعلم وذلك هو المبرر عنه بدين الفطرة وهو الوارد في الحديث إذ خير ﷺ بين التمر واللبن ليلة الإسراء فاختار اللبن لأنه الفطرة وانما عبر بأنه الفطرة لأن الفطرة تقتضى التسريع في الترية . فقال صاحبى هذا القول غامض أى تدريج تريد وكيف هذا التسريع . فقلت إن الأمة إما أن تحفظ القرآن وتعرف الأحكام وهى تجهل العلوم كلها فهذه أشبه بالجنين واما أن تعرف ذلك كله متمزيا بالعلوم . فهذه أشبه بالطفل يرضع ثدى أمه وهذه ليست حالا غريبة على الطفل فقد كان بالأمس يتغذى بدم أمه فلما ولدته أخذ يتغذى بنفس اللبن الذى كان يتغذى منه بالأمس ولكنه بحال جديدة فهو لم يغير غذاءه إلا عرضا ولوانه أعطى بعد الولادة خبزا لمرض ومات . هذه حال الطفل فاذا كبر أخذ يأكل الخبز وغيره . هكذا حال الأمة

(١) حفظ عن ظهر قلب

(٢) ثم دين مع العلم

(٣) ثم دين مستقل عن العلم وهذه هى الحال الثالثة

فدين الفطرة أن يمزج العلم بالدين وهى الحال الثانية . فأما الخيرة فهى غير موافقة لمزاج الجسم فهى ضارة به . فهذه الأحوال الثلاثة أشبه بأحوال الانسان الثلاثة في التغذية . فقال صاحبى إذن أنت تقول ان قوله - له ملك السموات والأرض - بعد قوله - نزل الفرقان - أشبه باللبن وذلك يمزج العلم بالدين بالطريق التى اتبعها أنت في التفسير (وبعبارة أخرى) انك الآن تقول نزل الفرقان أشبه بحال المسلمين العادية ومزج العلم بالدين هى الحال التى ينقلون اليها الآن . فقلت نعم . فقال ولكن فأنك أن مصطفى كمال باشا قتل تركيا من حال الى أخرى وقال (العلم شئ والدين شئ) أعنى انه فصل العلم عن الدين كما فعلت فرنسا وظهر انه ينجح في ذلك بدليل أن الأمم كلها تنهيه الآن . فقلت هذه طريقة نافعة ولكنها خطيرة والطريقة التى أقولها الآن لا خطر فيها وما هذه الطريقة إلا كطريقة أطباء عصرنا الذين يستعملون المسهلات والمركبات فى الأدوية ولا يسبرون على النظام الطبي وأحسن الطب ما كان جاريا على الناموس الطبي فاذا أكل الانسان القواكه والخنصر وترك ما يضر استعماله وبرز في الهواء والشمس فان ذلك أفضل من استعمال الأدوية التى تنفع مؤقتا ثم ترك أثارها فى النفس تتبعه آثار ثم ينتهى بالموت . وما مثل المسهلات والأدوية المركبة فى المرضى إلا كمثل الاتكال فى الدين على المجهزات وخوارق العادات كما تقدم فى (سورة طه) فكم أن الشفاء فى المسهلات والمركبات وهى

يعقبه مرض آخر هكذا الاتكال على خوارق العادات يعقبه رد فعل ويقول الله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - إذن فإلهم يطلبون خوارق العادات - قال صاحبى إذن هنا ﴿ ثلاث مسائل ﴾ مسألة فصل الدين عن السياسة كما فعلت فرنسا وتركيا . ومسألة الأدوية المركبة والمسهلات . ومسألة خوارق العادات . ولقد جعلت هذه المسائل الثلاث من وأد واحد . وهنا مسائل ثلاث مقابلات لها وهي إعطاء الأمة الدين مع السياسة فهو إذن كاللبن وهو موافق للفطرة كما فى الحديث وإعطاء الرضى الأغذية اللطيفة بدل المسهلات وتعليم الأمة العلوم العقلية مع الدين بدل الاتكال على خوارق العادات كالمسألة الأولى . فقلت نعم هو كذلك وأريد أن أوضح مسألة هنا وهي مسألة الطب فقد قال

(١) الدكتور (غرانيشان) الذى هو من أقطاب الطب فى ألمانيا ﴿ إن الضعف فى درجاته إنما هو نتيجة العلاج بالعقاقير سواء كانت رديئة أم طيبة فهى إذا استعملها الطبيب بحذق ومهارة تغلبت على المرض حقا ولكن تركه هناك بقايا تظهر عاجلا أو آجلا فى الجسم فلا تقبل الشفاء ﴾ فهذا هو الضعف العلاجي ونسب ذلك الضعف الى المركبات مثل (حصى البروسيك) والراصص والزرنينخ والكبريت الخ

(٢) ويقول الدكتور (كيسر) ونقله عنه الأستاذ (باز) ﴿ إن الحكمة القديمة القائلة بأن الدواء قد يكون شرا من الداء والطبيب شر من المرض هي صحيحة فى أكثر الاحوال ﴾

(٣) وقال نحو ذلك (الدكتور سميت) الذى قال ﴿ إن كل دواء يدخل الجسم يعطى الدورة الدموية سماً كما يعطيها السم تماماً ﴾

(٤) وهناك نحو غمانين علما من الأطباء الرسميين نقل عنهم الأستاذ (وزر) وقد قالوا مثل هذه الأقوال فقرر هؤلاء جميعاً أن الصحة فى الاقتصار على استخدام قوى الطبيعة كالهواء الطلق والغذاء الجيد الصحى وترك اللحم والمهيجات وأن يعمل الانسان عملاً جسدياً معتدلاً وأن يستحم بالماء الفار والبارد وهكذا مثل ما تقدم فى (سورة طه) فى أواخرها

فقال صاحبى ما الذى أصاب الناس من استعمال الأدوية . فقلت يقول (كيسر) المتقدم ذكره ﴿ إن الأطباء يرضون المرضى ويبعون شهاداتهم ويحققون نظر ياتهم ووسوستهم فيعطونهم الأدوية ولا يقفون عند حد أبعاد المؤثرات القاتلة للريض فلذلك تحتل أمراض مزمنة بهذا الفعل وسببها هم نفس الأطباء ﴾

فقال وما الذى يناسب ذلك من أمر سياسة الأمة إذا عزلت الدين عن السياسة . فقلت أن عزل الدين عن السياسة دواء خطر كالأدوية المركبة يستعمله المستجبل لرق أمة ولكنه يكون عرضة للاعتراض عليه وقيام طائفة وراء طائفة كلهم يريدون أن يثوروا فى وجهه ففى الملوك من يفوز ومنهم من لا يفوز وإذا تم الفوز فالأمر لا يزال خطراً يعقبه رد فعل بعد حين وخير السياسة ما كانت بطريق الطبيعة . فالأمة الإسلامية اليوم قرأ الدين ولا علم عند كثير منها فليمزج العلم بالدين كما فعلت فى هذا التفسير فيكون لنا خلاصة سائفا للشار بين وبه ينتج العلماء فى أمة الاسلام ويحبون رقى أممهم ويعاونون الملوك والأمراء ولا يثيرون الشعوب عليهم . فهذه هي الطريقة المثلى لاسبا أن علماء الاجتماع يقولون ﴿ إن الإصلاح الدينى أعظم أثراً فى رقى الأمة من الإصلاح السياسى ﴾ فإصلاح مصطنع كمال بائس نافع ولكن هذا الإصلاح الذى اتبعناه عاقبته حيدة وهو سرع الأثر بعيد المدى يربح الملوك والأمراء ويحصل الأمة روحاً واحدة . هذا هو الذى هدانى الله اليه وأريد به أراحة ملوك الاسلام والمصلحين منهم بعدنا فذلك خبر من الثورات والدساس - وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب - ومن البهائم أن الأخبار وردت اليوم ١٦ يناير سنة ١٩٢٩ أن ملك الأفغان المتقدم ذكره لاسراعه فى الإصلاح تنازل عن العرش . وقد قمت فى (سورة الحجر) منذ سنة أنه زار مصر إذ ذاك وأنى أشعر بكرهه الشعب له لاسبا العلماء وقد حصل هذا فعلاً الآن

فقال صاحبى وأنى دخل لمسألة خوارق العادات هنا . قلت إن خوارق العادات تقدم شرحها فى (سورة

له) وأن فعلها وقى إذ عبد بنو إسرائيل الجهل بعد أن رأوا العسا والحية والله يقول - وما نرسل بالآيات إلا تخوفا - والتخويف إنما يكون للأطفال والقرآن يراد بنزوله أن يكون لأم تعقل وتفهم لا أنها تخوف كالسبيان (حكاية)

كان لى صاحب وهو محاورى فى المنزل وهو شيخ طريقة مشهور فى مصر وكنت أجلس معه فى بعض الأيام وقد علمت أنه إذا توجه إلى بلاد الصعيد تلقوه أفضل مما يتقبلون الملوكة ويعملون يومه عبدا ولا يعقدهم فيه كان اللصوص يخافون منه فلا يسرقون . وقد حدثه أحد اخواني فى ذلك فقال لى اذا وصلت الى البلد فانه يأتى الى واحد فيقول لى ياسيدى أنا أخطأت ويسرد له كل ما حصل من السرقة ويذكر جميع اللذين كانوا معه فاذا حضر واحد منهم قال له ارجع لا تغسل على فيعتقدون أنه يعلم الغيب فهذه الحال اشتهرت غلاف الناس من الشيخ لامن الله . وهذه حال لا تفيد الأئمة إلا مؤقتا وانما هي أشبه بالمخترات أو المسهلات أو الأدوية المركبات وانما السبيل لرقى المسلمين حقا أن يعمل العلماء بمعنى هذه الآية فانه قال - نزل الفرقان على عبده - وأنبه بذكر أنه له ملك السموات والأرض - فبرز العلم بالدين ترتقى الأئمة . أما الأدوية الوقية للأئمة كذكر معجزات الأنبياء أوكرامات الأولياء حقا كانت أو باطلا كما فى صاحبنا الذى ذكرناه سابقا وكالتأثير بالخطابة وحسن البلاغة بدون اقناع عقل فانه لا يدوم أثره فى الأم مالم تصبح النضلة لها عادة ولكن يشقون فى العلوم والمعارف عالة على الأم فلا بد حتما مما قلناه . والى هذه الحال يشير قوله تعالى - فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه - فعبّر بـم للإشارة الى تأخر زمن البيان عن زمن التنزيل وبيان القرآن حق البيان قد ابتدأ فى هذا الزمان الذى عبر عنه بـم فى الآية . وكذلك قدم الله تنزيل الفرقان هنا على قوله - له ملك السموات والأرض - وعبر بالفرقان ولم يعبر بالقرآن لأن الفرقان للفرق بين الحق والباطل ولن يكون كذلك إلا لإدراك الحقائق التى تعرف بملك السموات والأرض فالأم الاسلامية السابقة أكثرها قرآنية والأم الاسلامية اللاحقة أكثرها فراقية . فاقرا هذا التفسير وبعده تعرف هذه الحقائق والحمد لله رب العالمين كتب ليلة الجمعة ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٨

(الباقية الثالثة فى قوله تعالى - وخلق كل شئ فقتره تقديرا -)

من اطلع على هذا التفسير أو أكثره استقر فى ذهنه أن الله عز وجل مشرق نوره مطلع بعلمه على كل مادي وجلى وما مثل الحكمة والنظام والتقدير فى هذا العالم إلا كشل ضوء الشمس واشراقه . اننا نرى كل بيت فى هذه الأرض ان لم يشرق عليه النور ويشل جميع حجراته تكون سكناه ضارة بالصحة ، فعلى مقدار اشراق نور الشمس فى أركان البيت تكون صحة سكاه . وعلى مقدار ابتعاد نورها عن المحطات فى المنزل أو عنه جميعه يكون المرض والموت . وعلى قدر المرض تكون قلة العلوم والعبادات والأعمال والرقى والفلاح هذا حكم نور الشمس . فلتنظر إذن لنور الله وحكمته . الله عز وجل كما جعل نور الشمس علما وجعله محيطا بالكرة يدخل فى كل منزل وقب وحجرة . هكذا نراه فى الاحكام والاتقان بل الاتقان أهم وأبدع وإذا أردنا أن نذكر هنا مثلا نواردت آلاف وآلاف من الأمثال . فأى الأمثال نضرب والعالم كله مضرب أمثال من ذراته الصغيرة الى شموه العظيمة ومن الدقائق والجواهر الفردة الى المجرات وأنواع السدم فى أقطار السماء فلا كلف (بمئتين صغيرين) مثل النحلة ومثل العنكبوت وانما ضربت هذين المثلين لتعجب من جلال واتقان وابداع وحسن وجمال وكمال ونظام وما شاء الله كان فى حيوانين صغيرين منبوذين صغيرين قد اختلفا وصفا وتباعدا طبعاً وفيهما من دقة الصنع ما يحير العقول

(حكاية)

لنا مزرعة ببلدة (البركة) فى الارض التى تقرب من الجبل الشرقى للمصرى فافتضت الحال أن أخرج من القاهرة أنا فانا لأجل هذه المزرعة والنظر فى أمرها . ولقد هزمت يوما أن أتوجه اليها ماشيا على القدم من

بلدة المرج لأشجع بمنظر أرض واسعة خالية في طريقى الى المزرعة . فهناك آلاف من الفدادين لازرع وانما
 هى مسرح البهائم ترعها فلما توسطت تلك للزراع وجدت أرضا ذات حشائش قد صمها كلها نسيج العنكبوت
 هناك أدهشنى هذا المنع وقلت فى نفسى اذا ترك الناس هذه الأرض فلابئلاء لازرع أرسل الله لها سكانا
 نصبوا خيامهم فيها وأخذوا يصطادون أنواع الذباب وهم فى أمن ودعة وسعود . فهنا أذكر صفة العنكبوت
 وصفة النحل أجالا . أما العنكبوت فلها هى والعقارب لها ثمانية أرجل . وأما النحلة وما مائلها وهو جميع
 الحشرات كالذباب والناموس فلكل منها ٦ أرجل . إذن العنكبوت ليست من الحشرات ثم أكثر الحشرات
 غير ساقطة وأقلها كالنحلة والزنبور سام . ولكن الصناكب والعقارب وأبو شيت كلها ذوات سم وإبرة الحشرة
 الساقطة تكون من خلف . أما إبرة الصناكب فى الأمام . وحيوان العنكبوت ينسج بيته متى مرت به ذبابة فعل
 معها (أمرين • أولهما) انه ينسج خيطه عليها لئلا تفلت منه (ثانيهما) انه يفرغ فيها سمه بطريق الحقن
 فيخدرها أو يميتها . والشبث سم قوى . ولكنه غير مبيت كما هو المشهور . أما النحل فوظيفته صنع العسل .
 فهنا (حيوانان) حيوان يتغذى بالذباب وهو غزال نساخ وحيوان يتغذى بالنبات وهو يعطينا العسل .
 هذان الحيوانان فى كل منهما مصنع . هذا للعسل وهذا للنسج . وفى كل منهما مصنع آخر أيضا للمادة الساقطة
 إذن الحيوان الصغير قد أعطى صناعة للمواد الساقطة قبل أن يصنعها الانسان فى الحرب العامة الكبرى وذلك
 لمنفعة هو وكل منهما قد ألهم صناعة تنفعه فهذا له مصنع للعسل وهذا له مصنع للغزل والنسج . إذن الحيوان
 سبق الانسان الذى استخرج العسل والسكر من القصب والبنجر وأوجد مصانع للغزل وأخرى للنسج . كل
 ذلك فى حشرات حقيرات ملأت بيوتنا وحقولنا . هذه العنكبوت التى نراها فى المنزل متى قل "كنسه وتنظيفه
 ورأيتها فى الحقول التى فى ضواحي القاهرة أعطيت هذه الصناعات قبل الانسان . يراها الجاهل فلاتهمه ولكن
 الحكميم المستبصر يرى فيها جالا كالذى يراه فى الشمس والقمر والزهر والشجر بل يرى الحكمة هنا واضحة
 بعد الدراسة . فللنحل (مصنعان) مصنع لجلب المنافع ومصنع لدفع المضار وهكذا العنكبوت . ولا جرم
 أن الأرض اليوم امتلأت بالمصانع وهى إما لدفع المضار وهى مصانع الذخيرة والآلات الحربية من مدفع
 وسفينة حربية وطيارة وسوائل أوغزات ضارة وما أشبه ذلك . وهل هذا كله إلا لتكرار مصنع السم فى النحلة
 والعنكبوت . وأما لجلب نافع كصانع للنسج والغزل والنسيج وما أشبه ذلك . وهل هذا إلا لتكرار مصنع العسل
 والنسج فى النحل والعنكبوت . فهل لك أن ترى رسم لإبرة النحلة مكبرة وجهاز الغزل فى العنكبوت مكبرا
 كذلك (انظر شكل ٢٧) و (شكل ٢٨) و (شكل ٢٩)



(شكل ٢٧ - رسم جهاز الغزل فى جسم العنكبوت مكبرا)



(شكل ٢٨ - رسم إبرة النحل مكبرة جدا)



(شكل ٢٩ - رسم العنكبوت وله إرتان في طرف رأسه يسلم بهما ونحته لإبرة مكبرة والى يمينها الغدة التى تفرز السم)

انظرالى هذين المصنعين . مصنع السم فى جسم النحلة ومصنع الغزل فى جسم العنكبوت وأعجب الخزن النحلة الذى امتلأها ولاأنايب التى تفرز السم وترسله اليه ثم لإبرة دقيقة منها يخرج السم . أنايب خمسة خارجت من الجهات الثلاث وهى تفرز السم ثم ترسله الى الخزن والخزن يوصله الى الإبرة . والإبرة تدخله الجسم عمل والله عظيم وأحكام وتدير ليس له نظير . وأى فرق بين هذا الخزن ومعداته وبين مخازن الذخيرة ومسانعها إن هذا والله أدق وأدق وأعجب . فان هذا كله لايشاهده البصر ولاتصل اليه آلاتنا مع دقتها ورقبها وانتظامها وانظرالى جهاز الغزل ؟ فإذا فى جسم العنكبوت من الإبداع الذى حوّل الغذاء الى غزل ينسج ؟ وما الذى فى هذا الجهاز حتى قلب الغذاء لجعله خيطوطا بديعة . ثم ماذا فى مصنع السم الذى تشاهده الآن فى جسم النحلة وماهذا الذى جعله يحوّل الغذاء الى سم . فانظر لمصنعين أمامك . مصنع لسم ومصنع لغزل . هذا مهلك وهذا معين على الحياة بها يصاد الذباب . فيا ليت شعري ماذا جرى فى أجسام تلك الحيوانات وماهذا التدبير ؟ ذلك التدبير الذى به قدرت النحلة أن تؤذى عدوها . وقدرت العنكبوت أن تنسج بيتها وكيف ألهمت كل منهما أن تفعل على مقتضى ماوهبت من المصانع . فهذه ألهمت اللدغ وهذه ألهمت النسج . ومثل هذا يقال فى مصنع العسل فى النحلة ومصنع السم فى العنكبوت . هذا شرح الحكمة الالهية المعدة فى هذين الحيوانين

(الحكمة العملية)

علمت مما تقدم معنى قوله - وخلق كل شئ فقتره تقديرا - فهذا هو التقدير . هأنت ذا يا صديق أصبحت تراه بعينك . هأنت ذا تراه فافرح بالعلم . إن الأمم حولنا درست هذه العوالم ونحن نزل القرآن بلساننا فقرأناه وقد كنا عند قراءته كسائر الأمم عند نظره العنكبوت والنحل فكنا نقرأ - وخلق كل شئ فقتره تقديرًا - ونعمر عليها مرور الجهلاء على أمثال الحقل الذى قتل لك انه ملأه عناكب . فإذا كنا نحن نمر على هذه الجلة مرور الجاهلين فهكذا نحن وجميع الأمم كان أكثرنا نمر على العناكب وأمثالها غافلين . ولكن هذا هو الزمان الذى فيه ظهرت أنوار الله - وأشرقت الأرض بنور ربها - ونشرت العلوم . فالآن فهم آى القرآن على قدر الامكان ونرى حكمة بديعة وآيات جليلة جليلة . هذا ملخص الحكمة العملية

أما الحكمة العملية التي عقدنا لها هذا الفصل فاعلم أن أعظم الأمم هي التي تقتدى بالله عز وجل . فإذا كان الله قد علم العنكبوت النسج فلم تتكل على نبات ولا حيوان بل كانت صنعها من نفسها هكذا يجب أن يكون الانسان . وأعظم الأمم اليوم هي التي تستغنى بصنعها واتقانها . فهم يكونون في نوع الانسان كنوع الانسان في سائر الحيوان . والأمم الصائفة تستعبد الأمم التي لاصناعة عندها وقد اكتفت بالزراعة . إن الحرير اليوم يصنع من الخشب ويباع في القاهرة أنسجة حريرية رخيصة مصنوعة من خشب التوت والقطن وهي أرخص من الأنسجة المصنوعة من دود القز . وإذا دامت هذه الحال انقرضت دودة القز من الدنيا . إذن الانسان يقدر أن يستغنى عن دود القز بصناعاته . والناس عادة يصغفون (بالنبيلة) وهي مادة تستخرج من نبات في الهند يزرع في مليون فدان فابتدع الألمان طريقة بها استخرجوا مادة الصباغة من الفحم ونحوه فبارت تلك الأرض . إذن الصناعة أغنت عن الزراعة وكان الله يقول أيها الناس ان رفيكم يكون بصلكم لا بما أودعته أنا في الطبيعة . وإذا قام قائم واستخرج مادة قطنية كاتطن المصري أصبح قطننا لا فائدة منه الله الآن يسوق الناس الى استخراج ما يحتاجون اليه بالصناعة ويقول لهم افعلوا مايفعله الحيوان يستخرج منافعه بمصانفه فأنما فعلت ذلك له فلفعلوا ذلك أتمم باجتهادكم . أنا قفرت كل شئ تقديرا وإذا تشبه في الناس في التقدير والنظام كان قريبهم منى على مقدار ما نالوا من دقة في العمل واتقان في الصنع • وفي الأثر ﴿ إن الله يحب الصانع المتقن عمله ﴾ وفي القرآن - إن الله يحب المحسنين - وفيه أيضا - وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون - وإذا كان الله يرى عملنا فهو لا يجب إلا ما كان متقنا

﴿ بماذا يشير الله للناس إذ أرأهم صنع أمثال العنكبوت والنحل وتقديرهما ﴾

قلت لك إني شاهدت آلافا من الأفئدة في ضواحي القاهرة ليس فيها من السكان إلا تلك العناكب قد نصبت خيامها لأنها لماخلت من عمل الانسان شغلها الله بجنوده فنصبوا خيامهم واستعدوا لاصطياد النباب . علم الله العنكبوت صناعة الصيد وأعطاهما جهازا يستخرج منه الخيوط وأعطاها فكلما به تدبر ما فيه من صناعة ولم يهمل ذلك كله بل خلق له النباب • هذا النباب انما خلق ليظهر الأرض من القاذورات والرطوبات والعفونات فتحال تلك في جسمه من حال الضرر الى حال لا تضر وهذا النباب ضرره على الانسان أقل من ضرر الرطوبات التي تحال فيها بعد الى جسمه ولكن لازال بعض المضار عالق بتلك الحشرات • ألم تر أنها هي التي تنقل العدوى من المريض الى الصحيح . ولقد تقدم شرح هذا في (سورة الأعراف) وأن النباب ينقل جراثيم (الرمم السديدي) من العين المريضة الى الصحة وجراثيم الاسهال و(الحى التيفوذية) و(الطاعون) و(السل) و(البودة الوحيدة) . إذن النباب وان منع ضررا كثيرا وهلاكاً عاماً هو والحشرات بأشكال الرطوبات والعفونات الى جسمه ببقى حافظاً لأسفه ناقلاً للرض فسلط الله عليه أمثال العنكبوت ليقبضه . إذن العنكبوت نعمة لأنه أزال عناشرا وببلا والنباب نعمة لأنه أزال عناشرا كثيرا . إذن العنكبوت مساعد للانسان في حياته الله أكبر • يا الله أنت جعلت هذه الدنيا جنة للفكرين ونارا على الجاهلين • اللهم انى وأنا أكتب هذا أحسن بأن نفسى في جنة عرضها السموات والأرض . وكيف لا يكون كذلك وأنا أنظر الجبال واضحا في الحشرات الخفيات فضلا عن الكواكب في السموات • يا الله هاأنذا وهام أولاء قراء هذا التفسير معى هاتحين أولاء نشاهد التقدير والابداع فيما يزدريه الناس ويحقرونه ولا يأبهون له

يفشى الطالب حلقات العلم ويرى خشوعا وكبلا وأدبا عند المستمعين . ولكن الحب أن يكون طلب العلم في مضرة هذه الحشرات المنبذات عند المفكرين أعظم أثرا وأبهج حكمة وأقوى تصديقا . وكأنهم يشاهدون المبدع في ابداعه ويرون الحكمى في حكمته • يضحك الناس منهم وهم ينظرون - وإذا مروا بهم

يتخامنون • وإذا اتقلبوا الى أهلهم اتقلبوا فكيف • وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لسافرون • • • • • كلا • كلا •
 فظلم محكم وأبدع متفن • ذئب يحيل الرطوبات • وعنكبوت تقتل النباب وغيام فيها آلات صيد النباب •
 بهذا يخاطب الله الناس وكأنه يقول أيها الناس كل امرئ منكم له (حالة • الحالة الأولى) وهو طفل يرضع
 من أمه (الحالة الثانية) الاستقلال في طلب الرزق وأكل الحلال وآتوها خبرها هكذا للأثم (حالة)
 حال الارضاع من أمه الطيبة • فمن الرزق يلبسون ومنه يأكلون • وحال الاستكمال في الصناعة إذ يكون
 الانسان في تمام كماله كالحيوان في نشأة حاله

هام أولاً أهل الأرض الآن (فريقان) فريق عرف الصناعة وفريق بقي على الزراعة والمواد الأولية
 وقد غلب الفريق الأول الثاني • اني أنا التي سلطت الأولين على الآخرين فظفروهم وأسرهم فقهرهم •
 هاهي ذه الأمة المصرية وأمتها من الأمم الزراعية التي لاعلاقة لها بالصناعة إلا قليلا • هذه أم بقيت في
 حضنة الطبيعة كما تحضن الأم ولها ولكن أيها الناس لا أريد منكم أن تكونوا أطفالا بل أريد أن تكونوا
 رجالا وذلك بالصناعات • لذلك أنزل لكم في القرآن • وخلق كل شيء فقدره تقديرا • • • فكل من كان
 أقدر على النظام والاحكام وكان أقرب الى العمل بهذه الآية فهو منظم مقتر محكم عمله وأنا أحب المتقن عمله
 وأسلطه على من بقي في حضن الطبيعة لا يبرحها • لذلك غلبت الأمم الصناعية الأمم الزراعية • ومماثل الأمم
 الصناعية إلا اكمل العنكبوت اتخذ بيتا • وهذا البيت وإن كان أوهم البيوت وأضف الحصون قد علمكم
 درسا متنا • إن أهل الصناعة يطلبون من لاصناعة عندهم • فتكت العنكبوت بالنباب • هكذا فتكت الأمم
 الصناعية بالأم التي لاصناعة عندها • أفلا تعلمون

ليس كل من كان موفورا الغذاء مكرما • وليس كل مكثود منهمك في العمل شقيا • • • • • كلا • بل الأمر
 بالعكس • إن النباب موفر الغذاء في كل مكان ولكنه مهان • النباب لا يوزر صناعة ولا زراعة ولا تجارة •
 يأكل من رطوبات الأرض ولكنه ذليل • والعنكبوت حكم عليها أن لاتأكل إلا من كذبها وأن لاتعيش
 إلا من صناعتها لذلك مدت الشباك فاصطادت النباب

له (كتابان) كتاب مسوع بالوصي وآخر مشاهد بالعم والكتاب المسوع يوجهه للإنباء على
 مقدار عقول الأمم فيصنعون فيه الكناية والجاز والإيجاز • وأما الكتاب المشاهد فهو نص صريح يشهد
 المقربون فيحققون عن النحل والنباب والنمل من العلم ما تحرقه العقلاء سجدا وهم موقنون
 لله أكبر • إن الأمم التي أضحت في خضض العيش ودعت موفورة الرزق تصبح ذليلة كما ذكرناه سابقا
 في خطاب أرسطاطاليس والاسكندر • والأم التي تألب عليها الأعداء وذات أنواع النصب والتعب يظهر فيها
 المتحرمون والمفكرون • أولئك الذين لا يبنفون إلا حيث تكون الأحوال مضطربة والأجواء مكرهة وقد
 أحيط بالأمة من كل جانب وبهذا يظهر سر قوله تعالى • فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمته ونعمه فيقول
 ربني أكرمن • وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربني أهان • • • • • كلا • فالنباب ابتلاه ربه بنعمه
 ولكنه مهان والعنكبوت اضطرت الى صنع البيت لصيد النباب وهي أرقى من النباب • النباب لا صنعة له
 والعنكبوت صانع ماهر وآتوها أرقى • هكذا فلتكن الأمة الاسلامية أمة صناعية زراعية تجارية والا ذلك
 للصائمين وخضعت للصائمين

لقد عرف هذه الحقيقة (السلطان سليم) لما حل بساحات مصر فاغتصب منها رجال الصناعة وهم نحو
 ألفين وأخضع منها كرها لبلادترك فوجعت الأمة المصرية زراعية لا تعرف الصناعة • ذلك لتبقى ذليلة للترك
 كذلك النباب للعنكبوت
 أيها المسلمون • ألم تقرأ نبأ إبراهيم عليه السلام إذ وجع قومه على ما يبذلون فاحترقوا بأنهم وجدوا

آبائهم لها عابدين فكسر الأستقام احقاقا للحق ونبذوا آراء الآباء . هكذا فليفضل الجبل المقبل من أم الاسلام
 فاذا وجدوا آباءهم عكفوا على جهالة أونيدوا أمرا ناهما أقلموا هم عن الضلال . فهاذا بعد الحق إلا الضلال .
 هذه عجائب العلم والحكمة في حشرات ثلاث النحل والنباب والعنكبوت . علم الله ذلك قبل أن ينزل
 القرآن . وعلم أن المسلمين ستغشى عليهم قرون وهم مغمضون عيونهم عن هذه العجائب في هذه الحشرات
 فقال - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا مابحوسة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم
 وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين .
 وقال في (سورة العنكبوت) - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام ردا على
 الكفار الذين كانوا يقولون ماذا أراد الله بذكر النباب والعنكبوت . يشير بذلك الى ما تراه في هذه العجائب
 في النحل والعنكبوت فإن ههنا لا يعقلها إلا العلماء الممارسون لهذه الدنيا العارفون بنظامها . ومن عجب
 انه سبحانه سمي سورتين باسم النحل والعنكبوت ولم يسم سورة باسم النباب مع ذكره في القرآن تذكيرا على
 أن المسلمين يجب أن يكونوا أمة ذات صناعة وذات بأس وقوة فإن كلا من النحل والعنكبوت لهما قوة
 بأس كانتقدم ولهما صناعتان قد علمتهما فيما ذكرناه - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم - هذا ما فهمته
 اليوم من قوله تعالى - وخلق كل شئ فقتره تقديرا - انتهى ليلة الجمعة ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٨
 ﴿ نور على نور في قوله تعالى أيضا - وخلق كل شئ فقتره تقديرا - ﴾

هذا تقدير الله وخلق فوق الارض بالعنكبوت وفي الجوف بالنحل . ويقول الله تعالى - ما ترى في خلق
 الرحمن من تفاوت - فالتقدير الذي نراه على وجه البسيطة هو بعينه الذي نراه في قاع البحار وعلى سطح الماء
 وفي الجوف . فهناك لذلك أمثلة ثلاث حتى تكون لنا نموذجا ودليلا على غيرها فنقول كما نرى النحل قد أعطى
 قوتين قوة للنفع وقوة للدفع أى العسل والسلم وكذا العنكبوت الغزل والسلم . هكذا نرى الحيتان في قاع
 البحار أوتى بعضها قوة الكهر باء بحيث يهجم على فريسته فيقتلها بها وذلك مخلوق فيه قبل أن يعرف الناس
 الكهر باء على وجه الأرض وأوتى قوة الجري حتى يفر من عدوه اذا فاجأه . وهكذا نرى هناك حكمة وعلماء
 بهما ظهر التدبير والنظام على وجه الماء في الحيوان (صاحب السفينة) المسمى (نوتيلوس)
 هاهو ذا صاحب السفينة الذي يديرها على وجه الماء كما تقدم في (سورة طه) عند قوله تعالى - قل
 ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - فقد ذكرت لك هناك نحو (٤٠) نوعا من أنواع الحيوان قد
 أعطيت صناعات تعلمها الانسان ومنها هذا الحيوان الذي اتخذ له سفينة في البحر قبل أن يصنع نوح عليه
 السلام سفينه . ولكن القول هناك كان بالرسم فلأرسل هنا شكل السمك الذي جعل سلاحه الكهر باء
 وشكل الحيوان صاحب السفينة (انظر شكل ٣٠) و(شكل ٣١)



سمك كهر بائی من نهر الكنفو سمك كهر بائی يكون في البرازيل ويشبه الانكليس

اعلم أن السمك الرعاد قليل جدا ومنه ما يسمى عند الفرنجة باتريد وهو كثير في بحر الروم والافقيانوس الهندي والاندلسيكي وهو قد يصرع الانسان بقوة الكهر بائية . ومنه ما يسمى (الانكليس الكهر بائی) وهو أقوى السمك الكهر بائی ويكون في البرازيل وغينا ويقتل السمك والحيوان الصغير بكهر بائيه . ومنه سمك لقط الكهر بائی وهو في النيل ويكثر في بحيرات افريقية . والكهر باه المذكورة في السمك تتولد من صفائح عضلية منشورية الشكل أشبه بخلايا النحل كالساطر المستسة الأضلاع بعضها منضم الى بعض بينها نسيج ليفي وأوعية دموية وأعصاب وهذه القوة أعلت لقتل الحيوان الصغيراً كله هذا السمك . وتذكر ماتقدم في سورة الرعد فقد شرحت لك هناك البطارية الكهر بائية . فانظر كيف ترى هناك شكل البطارية وانها طبقات بعضها فوق بعض مرسومة هناك أشبه بهذه الطبقات التي في هذا السمك . فانظر وتجب كيف وصل الانسان بعد

الجهد الجهد في العلم الى ما أعد السمك فان البطارية هناك تراها مشروحة كالبطارية هنا طبقات بينها مواد موصلات كما هنا سواء بسواء . والعجب كيف يعطى كل حيوان سلاحا يوافقه . وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . فلهنكبوت شبكته المناسبة لاصطياد الفئاب والسكن السمك للزناد لاتنفعه الشبكة فأعطى قوة الكهرباء ذات البطارية المتقدمة . أفليس هذا من العجب أن يظهر سرّ قوله تعالى . وخلق كل شيء فقدره تقديرا . في سمكة في البحر وفي نحلة في الجوّ وعنكبوت فوق الأرض . وترى الأمر غير ذلك في صاحب السفينة (انظر شكل ٣٢)



(شكل ٣٢ - صورة النوبليس وأصحاب السفينة)

هذا الحيوان المرسوم أمامك من الحيوانات التي لا فقرات لها . إن الفقرات تكون في الانسان وفي البهايم والسباع والأنعام والسمك والزحافات . والتي لا فقرات له كالحوام والودود والحيوانات الرخوة . وهذه الأخيرة لها كساء من الخارج وهذا الكساء قد يكون جلديا تتصل به عضلات الحركة ونحوها وقد يكون غضروفا وقد يكون (كسليا) أصلب من العظم . فهذه هي الحيوانات ذوات الصدف ومنها الاخطبوط والقواقع التي منها الخازون الصغير والبوق العظيم المائل . فمن ذوات الصدف (صاحب السفينة) للرسم أمامك فيه استقرّ الحيوان المتقدم المسمى باليونانية (نيوتس) أي سفينة . ومعلوم أن صاحب السفينة بالهرية يسمى (نوتي) فهما متوافقان يونانية وعربية . وهذا الحيوان يستخدم هذه الصدفة كالتوتى سواء بسواء . فيها يعوم على سطح الماء ويدبرها بأصابعه الست فيرسلها الى الجانبين كالجاذيف وقد استعمل الضورين الضائنين كأنهما شراع السفينة . فحتى أراد السير جفف بأصابعه هذه وأدار السفينة يمينا وشمالا وحول الشراعين نحو الريح كما يفعل الربان سواء بسواء فإذا أحسّ به الخطر بأن أتاه النوء متلاقض أصابعه وشراعيه ودخل الصدفة وغاص في قاع البحر فينجو من الخطر . ومن العجب أن يكون جسمه غير ملتصق بيته . وهذا الحيوان يكون في بحر الهند بالقرب من (جزيرة ملقا)

فانظر كيف كانت سفينته تقعا له في أسفاره وندرا للخطر عنه وهذا قوله تعالى . وخلق كل شيء فقدره تقديرا . فلم يعط صاحب السفينة نسج العنكبوت لأنه لا ينفذه ولا الكهرباء كالسمك ولا العسل لأن هذا كله لا يلائمه بل أعطاه ما يناسب سطح الماء وما هو إذن ؟ هو السفينة . إن ربك هو الخلاق العليم . وكما رأيت في البحر ماله سفينة فان فيه ماهوطا رحتي تم الحكمة فله في جنبه زعاقف كالأجنحة وهو

أشبه بشكل أسفل السفينة وزعافه كالشراع وطوله يزيد على نصف متر وهو في البحار الجنوبية من أوروبا وفي البحار الأخرى وعلى شواطئ البرازيل والولايات المتحدة وبضنه لونه زاه بين أندرق سهاوى وفضى وتطير أسرابا ثم تخوض الماء وتعود فتطير ولجه لذيذ وصيده سهل لأنه كثيرا ما يطير ويقع في المراكب أفليس هذا من العجب أن يكون النظام في قاع البحر وفوق سطح الماء وفي الجو . ومن العجب أن العنكبوت كما ينصب بعضها انليام على الأرض فتقتنص الذباب هكذا ترى مئات منها في يوم العواصف طائرات في الجو في طيارات من غزلها قد صنعتها كما تصنع الشبكات على الأرض . ومنها ما تتخذ من الورق ومن غزلها سفنا تجرى بها على وجه الماء ومتى لحت حشرة فوق سطح الماء أسرع لتلتقطها وجعلتها في سفيتها وأكلتها بهيوة وسكينة

هذا هو التدبير والنظام العجيب . فاعجب لسبك يطير ولاخر يصنع السفن والعنكبوت كذلك صنع السفن وصنع الطيارات قبل أن يعرفها الانسان . والعنكبوت شأن عجيب استعملت سفن الصيد في البحر قبل أن يصنع الانسان سفن صيده . فاذا رأينا نحن الصيادين ببحار الاسكندرية قد اخذوا سفنهم وجتأوا بها في الصيد فقد سبقهم بها العنكبوت . وهكذا اذا رأينا الأمم الحاضرة تصنع القواصم لا يهلك سفن العدو فقد سبقها السمك فصنع ذلك وأضعف فريسته

فهذه نبذة يسيرة جلية في قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - فافرقها واقرا ما تقدم في قوله تعالى - الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى - وانظر مواضع أخرى تناسب هذا المقام كالذى تقدم في سورة البقرة عند قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - ونظيره في آخر (آل عمران) في نفس هذه الآية هناك وهكذا في (آل عمران) أيضا عند قوله تعالى - وترزق من تشاء بغير حساب - وفي (سورة الأنعام) عند قوله تعالى - وامن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا ام أمنا لكم ما فرطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون - وفيها أيضا عند قوله تعالى - انظروا الى ثمرة اذا اثمر وبنه - وفي (سورة هود) عند قوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - وفي سور أخرى . كل ذلك مناسب لما كتبهنا هنا في آية - وخلق كل شئ فقدره تقديرا -

ولما اطلع صاحب على هذا المقام قال لقد أبنت في هذا المقام الخلق والتقدير في قاع البحر وفوق سطح الماء وفوق الأرض وفي الجو واستبان السمك ذوالكهرباء والحیوان صاحب السفينة والعنكبوت وشبكتها في البر وسفنها في البحر وطياراتها في الجو والنحل وما أودع فيه من عسل وسم زعاف . وهذه المجموعة التي كتبناها هنا بديعة ومدهشة للباحث العلمية فهل خطراك هنا خواطر تدعو الى هدى أو زبد عن ردى فاني أرى هذه سطورا سطرت في لوح الطبيعة والله اني ليحيل الى تلك الطيارات التي طارت بها العنكبوت وتلك السفن التي أدارها بأصابعه الست صاحب السفينة وبالشراعين الذين بهما تجرى في البحر وذلك السمك الطيار في الجو بلونه الزاهي الزاهر الفضي . أقول انه يحيل الى انها تحمل حكمة تلوح لأولى الألباب فهل خطرت لك خطرات في هذا الجبال . فقلت نعم ههنا

(بهجة العالم المسطورة في لوح الطبيعة)

وهي (ثلاثة فصول : الفصل الأول) في خطاب الله للأمم (الفصل الثاني) في خطابه تعالى للمسلمين (الفصل الثالث) في خطابه تعالى للأمم الاسلامية المتحيرين في خوارق العادات فلا يفرقون بين الأولياء والكهان . فلما سمع صاحب ذلك قال نحن الآن في مقام جلال العلم والحكمة (وبعبارة أخرى) في علم اليقين لاني ظنوت وأوهام . فقلت ما الذي رابك في قولي هذا . قال رابني انك قلت خطاب الله للأمم وخطاب الله للمسلمين وخطاب الله لمن لا يفرقون بين الأولياء والكهان . فهذا التعبير يومه أن الله يخاطب الناس مع

أن هذه أفعال الله وأفعال الله ليست خطاباً . فهذا التعبير من أول وهلة يشعر بخروج عن المؤلف . فقلت إنما يخاطب بالكلام للموحى به على الأنبياء ولا روى هنا . فقلت خير لك أن تصبر حتى أتم هذه الفصول الثلاثة ثم أبرهن لك على أن ما أقول مأخوذ من القرآن . فقال - سيجدني إن شاء الله مابراً - حتى تم هذه الفصول الثلاثة . فقلت

﴿ الفصل الأول في خطاب الله للأمم ﴾

الله خلق الحيوانات الفقرية كالسمك والانسان والزواحف وما أشبهها وخلق الحيوانات الصدفية التي منها (صاحب السفينة) وخلق النحل والعنكبوت . كل هذه في هذه المقالة . وهذه جمعت أنواع الخلق ان الناس اعتادوا أن يبنوا بيوتهم محاطة بخائطين قوى يدفع عنهم الطوارئ والحيوانات المفترسة وأقرب الحيوانات الى بناء منازل ذوات الأصداف فكان القياس أن يكون على هذا النوال كل حيوان ولكن الله بحكمته خاطب الناس قائلاً أيها الناس دأبى لا يحكم على نظام ولا حال فانكم اذا فكرتم بعقولكم وجدتم أن الحيوان إما أن يشتمل جسمه على جسم صلب أو لا يشتمل فان لم يشتمل على جسم صلب فهو الحشرات ونحوها فكلمها أجسامها مخلفة لا عظم لها من داخلها ولا من خارجها جسم صلب والنمل له عظم إما أن يكون من داخله وإما أن يكون من خارجه فالتى عظمه من داخله هي ذوات الفقرات كالانسان والسمك وذوات الأربع والطيور وهكذا . والتي يكون جسمه الصلب من خارجه فهي ذوات الأصداف ومنها ذوات السفينة المتقدم ذكره وهذه قسمة عقلية . فاذا ظن الناس أن حياة الحيوان تنورق على جسم صلب قلنا لهم كلا فهذه النحل ونحوها لاصلاية لها فان قالوا إن الجسم الصلب يكون من خارج كما في منازلنا قلنا لا فهذه عظام ذوات الأربع فانها من الداخل واللحم والجلد من الخارج والحكمة العليا هي التي قضت عكس ما صنع في بيوتنا وقيل لنا انظروا هذه بيوتكم وبلدانكم يحيط بها حواط وأسوار متينة البناء لحفظها من الخارج ولكن أجسام الانسان وذوات الأربع ونحوها جعل الجسم اللطيف خارجا وحافظنا عليه بالحواس والحفاظة عليه مع ان القياس كان يقتضى أن يكون يحيط الجسم صلبا كهيئة ذوات الصدف حتى يتسنى للجسم أن يقاوم الجوز والطوارئ وهذا هو السر في قوله تعالى - غلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما - الخ ثم أعقبه بقوله - فتبارك الله أحسن الخالقين - وإنما قال - فتبارك الله أحسن الخالقين - بعد قوله - فكسونا العظام لحما - الخ لأن كسوة العظام باللحم يخالف المؤلف من أعمال الخلق لأنه أشبه بمن يبنى منزله ويجعل مخزن الطعام والملابس وسائر النوم خارج سور المنزل . فالعظام الصلبة يجب أن توضع محيطة بالجسم لتحفظه كالحيوانات الصدفية لا أن يجعل اللحم الطرى والجلد الرقيق حافظين للعظام . كلا فلما كان هذا الوضع خلاف للمأثور المتعارف وكان مع ذلك متقنا وأفضل من العكس علم أن هذه الصنعة أكثر اتقانا من صنعة البنائين في الأرض فلذلك جاء في القرآن - فتبارك الله أحسن الخالقين - وبهذا تبين أن الأحوال الثلاثة للخلق قد ظهرت في عالم الخلق وكان الله عز وجل يقول أى عبادى أنا لم يعنى عن الخلق شئ فلا عظم العظام معنى عن الخلق ولا وضعها داخل الجسم مع لطافتها وصلابتها . ولقد فعلت في أجسامكم وأجسام الحيوانات هذه التنوعات كلها كما فعلت في ثمرات الشجر فثمرة أجعل الشجعة في الثمرة وهي طرية خارجا والنواة الصلبة داخل الخلق السمك والانسان . وثمرة أعكس فأجعل الصلب خارجا واللطيف داخل كاللوز والجوز فأنا لا يعجبني شئ . وهذا درس لكم لتعلموا أن سعادتكم لا تتوقف على حال . فاذا كانت الحياة لم تتوقف على وضع ما بل جميع الأوضاع ظهرت فيها الحياة فهكذا سعادتكم لا تتوقف على حال واحدة فكونوا ملوكا أو سوقة أو كونوا فقراء أو أغنياء أو أقرباء أو أضعفاء فكونوا كائنات أو كائنات . فهذه الأحوال لا تعجب السعادة عنكم كما لا يعجب الحياة نوع من أنواع الصور والأوضاع . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني في خطاب الله للمسلمين ﴾

يقول الله للمسلمين ها أنتم أولاء رأيتم العنكبوت قد صنعت لها طيلة في الهواء وسفينة في البحر ورأيتم السمك يطير في الجو والصدف يسير سفينة في البحر . فيا أيها المسلمون أنا لم أرسل رسولا إلا ليرشد عبادي إلى الأحكام السالطة وأي سنة أعظم من سني وأي سيل أهدى من سيل . إن سبيل تنويع العمل وإبراز أجمل الصناعات وأبدع الحكم فإذا رأيتم لطفي في إبداع الحرير في جسم العنكبوت وتعليمها أن تطير به وفي جسم النحل في إبداع الصل وفي جسم السمك في اظهار الكهر باعوى حيوان السفينة في اعطائه سفينة غصاه انكم يجب أن تبرعوا في الصناعات لاسيما اذا رأيتم الأمم حولكم قد برعت فيها فأنت نبى من أنبيائي بأمر أويحيى لعبادي أن يجرموا على أنفسهم اتبأى في الإبداع وفي اتقان الصنعة . فليلبس المسلمون لكل حال لبوسها وليعزوا للناس صناعات تناسب أزمانهم والا فهم الأخسرون أحمالا - الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا -

برعت الأمم في غزل المنسوجات وفي تدير الحرب وفي نظام الحياة . فصل المسلمون أن يكونوا أرق في سائر الصناعات . انتهى الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث في خطاب الله للأمم الاسلامية المتحيرين في خوارق العادات ﴾

فلا يفرقون بين الأولياء والكهان

إن الله يخاطب المسلمين بهذه المخالقات وصنعها . يقول أيها المسلمون ليس امتياز طائفة من أهل دينكم بالأخبار الغيب فرضا أو بظهور بعض الخوارق على يديهم تفضيلا لهم عن سواهم . إن الاخبار الغيب مشوب بالكذب لم تخل من أمة . ألم تروا للمتقين تنويعا مغناطيسيا . ألم يثبت يقينا انهم ينجرون بعض الغيب ألم تظهر بعض الخوارق للعادات في مجالس تحضير الأرواح (اقرأ في كتاب الأرواح تأليف) وتقدم بعضه في (سورة البقرة) وفي سور أخرى وأن غلاما صيرفيا جاهلا أنتم رواية ديكنس بعد وفاته والانشاء هو هو لم يتغير وهذا الغلام غبي لا يعقل شيئا مما كتبه ، فهل هؤلاء الوسطاء في التوهم المغناطيسي أفضل من أنبيائكم وعلمائكم . كلا . ثم كلا . ومماثل هؤلاء إلا كمثل الملهد إذ قال لسلطان - أحلت بما لم يحط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين - فهل هذا الملهد أفضل من سلطان ، أو كمثل الخضرع موسى فأنظر صرف حال السفينة وأمر الفلاح والجدار وهم موسى ولكن موسى أفضل من الخضر وهكذا محمد ﷺ يقول الله على لسانه - ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما سنى السوء - . إذن الأنبياء لا يصلون الغيب وعلمهم بالغيب في مثل هذا قص وكيف لا يكون قصا وهم اذا علموا الغيب أصبحوا ولا عمل لهم ولا فكر . إذن كيف يقتدى الناس بمن لا يفكر ولم ولا تدبير وأين العقلاء إذن . فالأنبياء مكلفون وهم لا يصلون الغيب وإنما يروى اليهم الشرائع والتوحيد وما عدا ذلك هم فيه مجتهدون . ومماثل الشيوخ الذين ظهر صلاحهم وجوت على أيديهم بعض الخوارق فرضا أو أخبروا ببعض الحوادث (إن صح) إلا كمثل العنكبوت طارت في الجوّ بلا أجنحة . فهل أدهش هذا سائر الحيوانات فعندتها سيدتها جيما . كلا . إن امتياز بعض السمك بأن يطير أو بأن يكون فيه كهر باء وبعض العنكبوت بأن تطير وأن تجري المراكب يشابه امتياز بعض المسلمين بخوارق العادات إن صح ذلك فليس لمن خرق له العادات فضل إلا كفضل العنكبوت على سائر الحيوانات مثلا . فهذه صناعات وغواص لا أثر لها في الفضل . وكأن الله يقول أيها المسلمون لما علمت انكم تركتم سبيل وجهتكم قدرى ولم تفعلوا قولى - وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة - سلطت عليكم شيوعا جاحلين لجعلوا الذين شركاء وأغفونكم ذنوبكم ولما طردوكم بهذا الشرك فهم عنكبوت وأنتم صيدهم أيها المسلمون ما دمتم جهالا فاني أرسل هؤلاء ليمتصوا دماءكم لأنكم نسبتونى فأنا أهدأ أناسكم وأترككم

في أيدي الجهال منكم وهم لكم أعداء وجعلتهم قناطر ممر عليها المستعمرون لبلاد الاسلام فيكون أولئك الشيوخ سلما يصل عليه المستعمرون رقاب أهل البلاد واستباحدهم . ألا ساء مثلا المسجون المظنون المجاهلون (اقرأ ما تقدم في سورة الحج عند قوله تعالى - وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى - الخ من كلام الشيخ الخواص والشيخ البناغ)

إن من فتح عليه بسبب العبادة ثم نصب نفسه لقيادة الناس وجعل هذه الخوارق بابا للرزق فهو من الأخسرين أعمالا الذين ضلّ صميم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهو عند المستعمرين لبلاد الاسلام اشتهر بالمثل المشهور (أكل ييد القط) وسببه أن القرد استعمل يد القط في أخذ الفاكهة المسماة (فروة) من التار المتقدمة فصرخ القط فسمع صاحبه الصراخ والولولة فجاء فوجد هذه الحال فذهبت مثلا افريقيا . فهؤلاء الشيوخ استعملهم الفاشيون لبلاد بعض أمم الاسلام وأمرؤتهم بالأوراد ليلا ونهارا ولا يأمرؤتهم بالتفكير والتفعل ليطأوا لهم خاضعين . هنالك قال صاحبي لقد تمّ القول الآن في النصول الثلاثة فأرجو إجابتي على ما سألت من قولي لك كيف تقول قال الله مع أن القائل أنت . فقلت قد آن أن أجيئك عليه . اعلم أن الله عز وجل يقول - ووضعت الميزان • ألا تطغوا في الميزان - فأنه وضع النظام في السماء والأرض المبرهنه بالميزان لتزن نحن بالصدق بلا زيادة ولا نقص وقد وضع هذا في أول (سورة يونس) فارجع اليه فانك ترى هناك حساب هرم مصر الأكبر وكيف كان حسابه على مقتضى حساب الدائرة الشمسية السنوية وهذا الحساب على مقتضاء بنى الهرم وعلى مقتضى الهرم عرفنا الوزن والكيل والمساحة بالذقة . إذن الناس يقللون ربه في فعله ولولا هذا ما عرفوا رطلا ولا قدرا ولا أربا . قال صاحبي هذا حسن ولكني أريد أقرب من هذا . قلت في موضوعنا . قال نعم . قلت قال الله تعالى في (سورة هود) - مامن دابة إلا أنا أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - فهاهنا سبحانه بعد أن ذكر تربته لكل حيوان وأنه أخذ بناصيته أبان أن هذه التربة في غاية النظام ولم يقف عند هذا الحد بل أمرنا في (سورة القاعة) أن ندعوه فنقول - اهدنا الصراط المستقيم - والتسكرة لذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فهو يقول اهدنا صراط الله المستقيم المعروف وكيف نهدي الى طريقه إلا بدراسة نظامه في خلقه . فكما درسنا نظام الأفلاك وسرنا في سفنا على مقتضاء في البحر وفي القطرات على وجه الأرض ووزنا ومسحنا وكنا . هكذا ندرس نظام الحيوان لتتبع عقولنا لنظام حياتنا . إن الحياة الحيوانية مقبلة للحياة الانسانية ومن جهل المقدمة جهل النتيجة إن العلامة (سبنسر) يقول (إن الناس قرؤوا قبل أن يكتبوا) فليعلم الأسانفة التلاميذ القراءة قبل الكتابة مشاكسة للطبيعة ليكون التجلج . فملى للملمين أن يتدبروا بالقراءة ثم بعد ذلك يكتبون . هكذا ترى الله خلق الحيوان قبل الانسان . فليدرس الناس الحيوان وتشرح الانسان وتاريخ حياة الأم وتاريخ أهمم أنفسهم . فمن جهل تاريخ أى علم فقد جهل نفس العلم ومن جهل علم الحيوان وعلم النبات فقد جهل نظام الانسان لأن دراستهما أسهل من دراسة الانسان ومتى درسهما الانسان استقى أن يفهم عالم الانسان إذن الله تعالى بخلق هذه العوالم يخطبنا كما قلت لك لأنه أمر أن تقول - اهدنا الصراط المستقيم - وهو نفسه على صراط مستقيم في خلق عالم الحيوان وغيره فلا بد من دراسة هذا الصراط ثم ندعوا الله أن نسير عليه . إذن ظهر لك أن قولي إن الله يخطبنا بمسئولاته حق فكيف ندعو الى صراط مستقيم نجعل بفضله وصراط الله المستقيم يتبع

فلما سمع صاحبي ذلك قال أنا لا أجادلك في هذا القول بل أقول أنك أثبت بحجة وقطعت بصدق وقول حق فإن قوله تعالى - والساء رخصا ووضع الميزان - الخ وقوله - مامن دابة إلا أنا أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - بعد هذا البيان دللنا على أن هذه العوالم كلها طرق ذلت لتنهجها وسبل لنسير عليها

ولكن هذا كله كلام اجالى فان مسألة العنكبوت والنحل والسمك الكهربي وكل ما ذكر فيها كلام علم واستنتاج اجالى فاذا ذكرت لنا مثلا بعض هذه العوالم وتشرحه شرحا جيدا من العلم ثم نجد القرآن نص عليه فما فان ذلك يكون نموذجاً لجميع العلوم ويصبح المسلمون بعد قراءة ذلك مسرعين الى أن يتخصصوا في العلوم ويوقنوا إيماناً تاماً بأنهم في قراءة الحشرات والقرات في أجلّ عبادة ويكتفون على أعمال الجربة في الأعمال الكتابية والأعمال التشريعية وهكذا . فقلت ان الله تعالى يقول في قوم فرعون - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والسم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين -

انظر الجب . انظر كيف يقول الله في الطوفان وفي الجراد وفي القمل وفي الضفادع . ماذا يقول ؟ يقول - آيات مفصلات - فجعل الماء الذي يفرق أرض مصر وغير أرض مصر آية مفصلة وجعل الحشرات التي منها الجراد والقمل - آيات مفصلات - وجعل الضفادع من الحيوانات اللزاحة ذوات القترات - آيات مفصلات - ألا تعجب من كيف جهل المسلمون هذا الدين . الله يقول - كتاب فصلت آياته قرآننا ربياً لقوم يعلمون - فهو كتاب مفصل الآيات باللغة العربية ولكنه انما يفهمه أهل العلم والله هو ضيف يجعل الماء والحشرات والضفادع - آيات مفصلات - . إذن الآيات للمفصلات كما تكون قولاً تكون فعلاً ومن الفعل الحشرات والماء وهكذا ولم يكتف الله تعالى بذلك بل قال عند الكلام على العنكبوت - وتلك الأمثال فضرها للناس وما يعقلها إلا العالون - (بكسر اللام) فالعالون جمع عالم . إذن الله يقول ان القرآن وآياته المفصلة نزل لأولي العلم ويقول ان العنكبوت وأمثالها ضربت أمثالا لأولي العلم . إذن ظهر الأمر واضع وأصبحت الحشرات وأمثال الحشرات آيات كما ان القرآن آيات . فقال صاحب هذا امر عجيب وبديع . إن الناس يشاهدون الجراد والقمل والضفادع ويمسحون بالسم في أجسامهم ويشاهدونه في ذبائحهم فلا يهابون لها ولا يقيمون لها وزناً وغاية الأمر ان يدفعوا الجراد والقمل عن زرعهم وأجسامهم . أما كونها تحتاج الى علم وانه لا يفهمها إلا العلماء فهو غريب على المسلمين وهكذا الآيات المقررات للتحققات فاذا سمع المسلم قوله تعالى - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد - الخ صر عليها كما يمر على أكثر القصص يحترمها احتراماً دينياً . أما انها تحتاج الى عقل وفكر فهذا بعيد وغريب . سل عاقله المسلمين من علماء وجهال وقول لهم ؟ هل الجراد والقمل والضفادع والسم المذكورة في القرآن تحتاجون في فهمها الى عقل وعلم ؟ وهل نفس هذه الحيوانات يحتاج الناس في فهمها الى علم وعقل فانهم جميعاً يجيبونك بلسان واحد . هذا امر معقول مفهوم نحن نعرفه ونفهمه ولا تحتاج الى علم ولا تعقل . فقلت سترى الآن كيف يحتاج ذلك كله الى علم وأن أكثر المسلمين مخدوعون وأن مثلهم مع أمثال هذه المباحث كمثل رجل سار في أرض عراء فلمح جبلاً فظن انه يصله في عشرين دقائق ولكن الجبل المرتفع يوهم الانسان انه قريب وهو بعيد كما يرى الناس أن الشمس قريبة رأى العين وهي بعيدة فيظل المسكين سائراً أكثر يومه حتى يصل اليه بعد طول الشقة . فالعلماء قد أبرزوا الله للناس وجعلها تحيط بهم فظنوها معلومة كانوا انهم عرفوا حقيقة الشمس بالنظر الى ظاهرها ولكنهم عند الامتحان يتحققون انهم جاهلون وأن هذه أمثال والأمثال لا يعقلها إلا أولوا العلم

فهاك الطوفان المذكور في الآية . يقول الله في قصة موسى اني أرسلت الطوفان على أهل مصر ؟ لماذا ايخافوا الله ويؤمنوا . فهاك (أمران) اعظام الله بسبب ظهور جبروته وسطوته والايان به فإرسال الطوفان يهلك الأمم فهذا القهر يورث القلوب اعظاماً واجلالاً لله وينتج منه الايمان به والتصديق وهذا مثل من الأمثال التي لا يعرفها إلا العلماء فلم ينزل الله القرآن إلا لنا نحن ونحن ننظر فنقول ان الماء ينزل من السماء في خط الاستواء ويمجرى في النيل سائراً الى البحر الأبيض المتوسط فاذا زاد زيادة فوق العادة أغرق البلاد فكان آية مفصلة . هذا ظاهر الآية ولكن الحقيقة أن هذا النيل وأمثاله كدجلة والفرات وسيحون وجيحون والتيجر

في السودان وأمثالها وكالطونو وفلجا والتيمس في أوروبا . كل هذه اذا تركت وشأنها أهلكت الحرث والنسل في كل سنة فلولاً أن الناس يصلون لها جسوراً وقناطر لكانت وبالا عليهم ففترقهم تارة وتجعل أرضهم قفراء تارة أخرى (والدليل على ذلك * أولاً) ان نهر النيل الذي يجري في بلادنا المصرية ما كان يعيش به قبل أيام محمد علي باشا أي نحو سنة (١٨٠٠) ميلادية وما قبلها الا نحو أني ألف انسان (مليونين) لا غير ذلك بسبب اهمال الحكم وجهلهم إذ ذلك أيام انحطاط الأمم الاسلامية فكان هذا النيل يفرق البلاد تارة ويتركها أرضاً قفراء تارة أخرى . فأما في هذه الأيام (سنة ١٩٢٨ م) فان البلاد تعدادها نحو (١٤) مليوناً وماء النيل لا يزال قابلاً لسقي أرض أوسع مما يسقي الآن فيفتدى بالزرع عشرة ملايين أخرى على طول الزمان . إذن الله عز وجل ذكر الطوفان في الآية وقال انه آية مفصلة وقال انه لا يفهمه إلا العلماء لهذه الحكم المجيبة أليس من العجب أن تكون أرض الجن ملك أمة اسلامية وقد سمي الله سورة باسمها وقال انه كان فيها سد العرم وانه كان فيه جنتان . فيأيت شعري أين ذهبت الجنتان الآن وأين السدود الأخرى هناك . إن هذه البلاد وبلاد حضرموت وغيرها قد أنزل الله لأهلها مطراً في فصول السنة وهم لا يحفظونه فترك الأرض قاعاً صفيصفاً لا تبت نباتاً . أليس من العجب ومن المؤلم أن تكون هذه الأمة الاسلامية لم تصل في عمران بلادها الى ما وصل اليه أم قبلهم عباد أوثان في الجن وفي حضرموت وفي غيرها والله يذكر الطوفان في الآيات ويذكر سد العرم ويقول - فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم - وما الاعراض المذكور إلا جهل العلوم التي بها اصلاح السد كما حصل في مصر قبل أيام محمد علي باشا كما تقدم . فهل يتفكر المسلمون حتى يكونوا من الذين قال الله فيهم - وما يعقلها إلا العالمون - . اللهم انك أنت العلم والهادي وعلى من اطلع على هذا أن يرشد الأئمة الى سواء الصراط (ثانياً) ان الحشرات التي ذكر منها الجراد والقمل في الآية ليس يعرف الناس منها إلا أن الأول يهلك الزرع والناس يطاردونه * ويقول شاعرهم

مر الجراد على زرعى فقلت له * لا تأكلن ولا تشغل بافساد

فقام منهم خطيب فوق منبلة * انا على سفر لا يد من زاد

وأن الثاني يؤذى الناس في فراشهم فينظفون ثيابهم ليعصوه عن أبدانهم لأجل محنتها . ويقرؤن في كتاب (كيلة ودمنة) أن البرغوث حلّ ضيفاً عند القملة في فراش رجل غني فلدغه البرغوث ليلاً ففرّ البرغوث وبحث الرجل فلم يجد إلا القملة فقتلها وجعلوه مثلاً لعامة الرجل المجهول فانها ترجع على الانسان بال وبال هذا ما يعرفه الناس في القمل واخوتها البراغيث ولكن الآية لا تنفع عند هذا الحد فان هناك فرقاً بين الخيال والحقيقة . فالذي في (كيلة ودمنة) ضرب مثل خيالي والقرآن يقول إن هذه حقائق علمية أي انه لا يعرف هذه الا العلماء . وأما هذه فهي أمثال سهلة يعرفها العلماء والجهال متى أقيت اليهم . فقال فما علم هذا عندك . قلت ان البراغيث المذكورة يظن الناس ايذاها قاصراً على لدغهم في الفراش ولكن العلم اليوم أثبت بعد البحث والتتبع أن البراغيث تجلب الطاعون والأمراض العاتية . ولا جرم أن القمل المذكور في الآية لا يراد بها خصوصاً بل المراد هي وأمثالها من مؤذيات الحشرات وأقربها اليها البراغيث التي قرنت بها في كتاب (كيلة ودمنة) فأمثال القمل كالطوفان سواء بسواء . فكما أن الطوفان يهلك ألافاً دفعة واحدة هكذا البراغيث تفعل ذلك . وكما أن ماء النيل وأمثاله معرض في كل وقت اذا أحمّل أن يكون اهلاكه علماً وأن يكون طوفاناً هكذا نحو البراغيث تفعل ذلك اذا تركت وشأنها . قال فاذكري برهان ذلك من العلم . قلت اعلم أن الله عز وجل قد أمّ هذا التفسير بالعلم وأيدى فيه تأييداً لم يكن لينطري . ومن عجب اني لا أنسكب ما أكتبه بل تناق الى الجحائب من حيث لا أحسب . فانظركيف أصدرت مصلحة الصحة المصرية نشرة في هذه الأيام يوم السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م أثناء كتابة هذا المقال وفيها أن البراغيث رسل الموت إذ تنقل

الأمراض المهلكة من القيبران الى الانسان تبينا لما قلناه وهذا نصها

(خطر القيبران)

(تلويح حياتها)

تبش الفأرة ستين تقريبا وتبلغ سنّ الحمل قبل أن تصل الى الشهر الثالث من عمرها ومدة حملها ٢١ يوما وقد تلحق بعد بض ساعات من الولادة والفأريول عريا من الشعر وأعمى وأذناه مغلقة ويستمر كذلك مدة أسبوعين ويكبر حجمه في الأسبوع الرابع من عمره . وتعمل الفأرة من ثلاث الى خمس مرات في السنة وفي كل مرة تلد من ٦ الى ٩ فيران وقد يصل عدد ما تلده في المرة الواحدة الى ٣٣ فأرا ويتوقف ذلك على مقدار غذائها وملاءمة الجو فكلما ازداد الغذاء وكان الجو ملائما ازداد عدد مرات حملها وعدما تضعه في كل مرة

(طبائع القيبران)

الفأر لا يخرج من جحره إلا بالليل ويقضي معظم يومه نائما داخله . والقيبران تخزن ما كولاتها داخل جحورها حتى اذا وجدت صعوبة في الحصول على قوتها في وقت من الأوقات أمكنها أن تعيش بما خزنته حتى تجد موردا آخر للقوت . وهي تحفر جحورها قريبا من الجهات التي تحصل منها على طعامها ولكنها في بعض الأحيان قد تقوم برحلات طويلة للحصول على غذائها وتقع في رحلاتها طريقا خاصا لا تعيد عنه عادة . ومن طبائرها التنقل في فصول السنة المختلفة فقد تهجر للنازل في الربيع الى الفيضان حيث يمكنها الحصول على غذاء أشهى مما تجده في النازل في ذلك الوقت ثم تعود الى المنازل في الخريف لتقضي فيها مدة الشتاء . وهي كثيرة السهاء وشديدة الاحتراس من وقوعها في المصائد وتصيح أحيانا مفترسة سبا اذا قلّ مورد غذائها وقد تأكل صغارها أو الضعاف من ذريتها وقد تهجم في بعض الأحيان على الانسان بتوحش خصوصا اذا كان نائما وتنش الجثث في مقابرها وتهجم على بعض الحيوانات فتفترس لحمها . وقد عثر عليها تفعل ذلك مع الفيلة فتعض أرجلها ومع الخنازير فتأكل من أذنانها وأبدانها . وهي تقتل صغار الأرانب في جحورها وتستولى على بيض وصغار الطيور لتأكلها ولها قدرة غريبة على سرقة البيض وقد تسرق البيضة من تحت السجاجة بدون أن تشعر بها

(الخسائر التي تسببها القيبران)

ان الأضرار المادية التي تسببها القيبران لا تحصى على أحد فاذا حسبنا أن مقدار ما يأكله الفأر الواحد في اليوم يتربربع ملم فقط وأن عدد القيبران الموجودة بالقطر للمصري (١٤) مليوناً أى بنسبة فأر لكل شخص (وهذا التقدير قليل بالنسبة للواقع) بلغ مقدار ماضيع سنويا في غذاء القيبران فقط مليون ونصف مليون جنيه تقريبا . هذا فضلا عما تسببه من الخسائر والأضرار بحفر جحورها في جدران المنازل وبين السقوف فقد نادت مبان كبيرة الى السقوط لهذا السبب وقد نتجت عن قرضها لمواسير المياه والغاز حوادث خطيرة . ومن أضرارها انها تحمل عيدان الكبريت الى جحورها وقرضها فتسبب أحيانا حرائق كبيرة

(القيبران والأمراض)

فضلا عما تسببه القيبران من الخسائر والأضرار والحوادث الخطيرة تحصل جوارم عدة أمراض فتاكة تنتقل الى الانسان بواسطتها . وأهم تلك الأمراض الطاعون وهو الأصل يسبب القيبران ويقتل منها عددا كبيرا وينتقل منه الى الانسان بواسطة البع والبرغوث . وداء الاسيرويتا المصحوب بيرقان ونزيف والتولاريميا والمرض بالودودة الخطيئة وعدة ديدان معوية أخرى والحي المتسببة من حبة الفأر

(طرق إبادةها)

(١) يجب احراق القمامة (الزباله) والفئلات المنزلية يوميا أو وضعها في وعاء له غطاء محكم

(٧) يجب بناء المحلات التي تخزن فيها المأكولات والتي تفشاها الفيران عادة من مادة تمنع دخولها إليها كالأسمنت

(٨) يجب سد الجحور بقطع من الزجاج ثم بقطع من الحجارة والأسمنت حتى لا تقوى الفيران على قتها

(٩) يجب سد نوافذ البدروان السفلى والفتحات الصغيرة التي تدخل منها الفيران بقطع السلك أو الزنك

(١٠) استعمل مصائد الفيران في المحال التي تفشاها هذه الحيوانات ويجب غسل المصيدة جيدا بعد كل

مرة وتغيير الطعم يوميا

(١١) استعمل طرق التسميم للفيران وأحسنها خلط ملح كربونات الباريوم بقطع من الخبز أو الدقيق أو

السردن أو البيض أو البطيخ أو الطماطم . ولكن يجب الاحتراس من وصول هذه السموم إلى الحيوانات

والطيور أو الأطفال

(١٢) يمكنك الاستعانة بالحيوانات الأليفة لصيد الفيران وأهمها الكلاب والقطط فانها تقتل عددا كبيرا منها

(١٣) انشروقطعا من التفالين أو مسحوق الكبريت في الأماكن التي تفشاها هذه الحيوانات فان الفيران

تكتره رائحة هذه المواد ولا تقترب من الأماكن الموجودة بها انتهى

فانظر إلى مرض البرقان والذئب ومرض البودة الخبيطة والديدان المعوية والطاعون فهذه كلها أمراض

مهلكة تنقلها البراغيث إلى الانسان . فالبراغيث من الحشرات ذوات الأرجل الستة كالجراد والقمل والفيران

من ذوات الفقرات والدم والعظام . فانظر كيف أتعدت كلها على اهلاك الانسان

ألا ترى أن هذا لا يفتقر غير العلماء به . كلا . وهل تظن أن الناس وهم على حالهم بدون قراءة العلوم

يعرفون خطر الفيران وخطر البراغيث . كلا . إذن هذا هو الزمان الذي تظهر فيه حقائق القرآن ويعلم الناس

لماذا ذكر الله الجراد والقمل والطوفان والعنكبوت والذباب ثم لماذا يقول ان هذه الأمثال لا يسقطها إلا العلماء

إن هذه الأسرار هذا زمان ظهورها . والنفس كل الفضل لظهور هذه الأسرار في زماننا انتشار العلوم في

الأمم حولنا . فهذا هو الزمان الذي يظهر فيه معنى . وتلك الأمثال نضربها للناس وما يسقطها إلا العالمون -

فهذه من مبادئ العلوم التي سيرفها المسحون بعدنا وهم الذين يدرسون هذه الدنيا ويعرفون أن هذه

المخلوقات آيات مفصلات . فاذا درسوا حشرة كالنحلة أو النحلة أو الجراد أو أمثالها تبينوا (أمرين * الأول)

أنهم يتقون الخطر الناشئ من الحشرة بسبب دراستها كما يتقون عذاب الله بالإيمان فلا يفرقون بالطوفان في

الآية ولا تسلط عليهم الحشرات (الثاني) أنهم بسبب هذه الدراسة قد وقفوا على الحقائق وأدركوا عجائب

الحكمة فعرفوا ربهم وبهذه المعرفة غرسوا لهم روضات في جنات العلم والحكمة وعاشوا في سعادة علمية

لا يحظى بها سواهم . فلانعلم نفس ما أخفى لهم من قوة أعين جزاء بما كانوا يعملون -

وهناك مثالا آخر وهو

مرض الدنج

(أعراضه . جرثومة المرض . أسباب انتشاره . وصف التيجوما . أدوار حياته . مقاومة الدنج)

(بقلم الدكتور سامي بك كمال)

لم نعتز على وصف لهذا المرض قبل (الشيخ الجبرتي) الذي ذكره في تاريخه المشهور وصفا دقيقا حيث قال

بالحرف الواحد ما يأتي

(في منتصف شهر رجب سنة ١١٩٣ هجرية الموافق سنة ١٧٧٩ ميلادية ظهر بمصر وضواحيها مرض

سموه (بأبي الركب) وفشا في الناس قاطبة حتى الأطفال وهو عبارة عن حمى ومقدار شدته ثلاثة أيام وقديريد

على ذلك وينقص بحسب اختلاف الأمزجة ويحدث وجعا في المفاصل والركب والأطراف ويوقف حركة الأصابع وبعض يوم ويبقى أثره أكثر من شهر ويأتي الشخص على غفلة فيسخن البدن ويضرب على الإنسان دماغه وركبه ويذهب بالرق والحام وهو من الحوادث الغريبة) انتهى

وكذا الدنج هذه لا يعرف أصلها وكل ما قيل فيها تخمين . ويناب على الظن أن وطنه الأصلي (عدن) وماجاورها . وربما سموه الدنج بحرفا واشتقاقا من عدن . ثم انتشر هذا الوباء الى جميع العالم في المناطق الحارة والدافئة ولم تخل قارة منه . لذا سمي باسماء كثيرة وجعلوا له في كل بلد اسما . أما في مصر فسموه (بأبي الركب) ومن بعدها (بحمي البلح) حيث ينتش في أوائله واستوطن بممالك مختلفة ويمكن اعتبار مصر موطنه . ومن خواص هذا الوباء سرعة انتشاره وتعليله في أسابيع قليلة لحركة الناس وأعمال الشركات والباغات والحكومات ويأتي زمن لا يتجاوز سنة فيه مريض أو ناقة من مرض

(أعراضه)

آلام بالرأس والمفاصل وارتعاش الجسم ثم حتى مرتفعة مصحوبة بطفح أو باحمرار في الوجه ومن خواص تلك الحمى انها لا تسير على وتيرة واحدة ولذا يمكن اعتبارها متقطعة ومدتها أسبوع يظهر على الجسم في خامس أو سادس يوم منه طفح ثان عبارة عن نقطة رقيقة حراء على الأيدي والذراعين والساقين . وقد ينتشر على كل الجسم وقد يصحبه قهيل وحكة . وقد تختلف هذه الأعراض من مريض الى آخر اختلافا جوهريا فلا يرى الطفح مثلا وقد لا تظهر الحمى مطلقا أو تكون مدتها بسيطة أولا تبدأ بارتعاش الجسم وتفقد شبه الطعام وتنضمم العقد اللمفاوية أو يعترى المريض أرق أو زيف وقد تتورم المفاصل . أما الذي لا يختلف في جميع الحالات هو شدة الآلام في المفاصل والعنات . يعقب كل هذا انحطاط في القوى في الأسبوع الثاني للرض وفقد شبه الطعام يدخل بعدها المريض في دور النقاهة الصحية

(جرثومة المرض)

لم يثر لآن على جرثومة هذا الوباء وهي موجودة بالفعل حيث أخذ دم المريض وحقن به الصحيح فأحدث المرض (جارب كريج) وهذه الجرثومة دقيقة جدا لم يربطها انها تم بالرشحات الدقيقة التي تحجز غالب الميكروبات حتى الدقيق منها . وقد اتضح ذلك بإمكان إحداث المرض بعد ترشيح دم المريض وحقنه الى السليم بواسطة (الكتور كريج)

(أسباب انتشاره)

برهن بعض العلماء على أن البعوض هو ناقل للرض وقد أظهر ذلك بوضوح الدكتور (كيلاند) الذي قلع أنواعا مختلفة من البعوض بتغذيتها من دم المرضى ثم اطعمها من أمعاء فنجحت العملية ونقل مرض الدنج بواسطة النوع المسمى (ستيجوميا فاسياتا) وهو كثير الانتشار في مصر . والبعوض الناقل يحدث الدنج بعد خمسة الى تسعة أيام من اطعمته دم المريض به . وتظهر على المصاب علامات الدنج في مدة تتراوح بين خمسة وثمانية عشر يوما ووجد أيضا أن دم المصاب يجري فيه جراثيم الدنج مدة أسبوعين كاملين من ابتداء المرض يمكن البعوض أثناءها أن ينقل مرض الدنج الى الأمعاء

(وصف الستيجوميا وحياتها)

هو بعوض أسود أرجله بيضاء مسكنه البيوت ويعيش من دم الإنسان وفي حالة سكونه يوجد في مواضع الظلام خلف ستار أو باب أو تحت الأسرة . يمضي حياته يقرب من المياه وفي درجة حرارة تزيد على (٢٣) سنتيجراد ولاقتل عن ١٧* وله طيران قوى بدون أزيز ويقع بفته على فرسته ويحدث ألما أشد من الألم الذي يحدث من البعوض العادي . لا يطارده الرجم . يعيش على الفاكهة وقد ينقل بواسطتها الى مسافات

بسيطة فيقتل معه المرض . يتغذى هذا البعوض من دم الانسان في الصباح وقت شروق الشمس وفي النهار داخل المنازل أو خارجها اذا احتجبت أشعة الشمس ولبلا في النور . والسنجوميا تتغذى طعامها كل ثلاثة أيام تقريبا من دم الانسان والا فن دم الحيوان

(أدوار حياتها)

لاتبيض السنجوميا بعد تلقيحها إلا اذا قضت بالدم وتضع بويضاتها في أى آنية أو حوض فوق سطح الماء بقليل فإذا علا الماء فقس البيض . ويوجد البيض في الآبار والبراميل وفي أى شئ ملقى كعلبة صفيح أو غلاف فاكهة وفي دور المياه والمراحيض وفي بقايا الزجاج أو في أواني الأزهار وتجويقات الأشجار وبحوار الأنهار وفي تجويقات الأرض بعد الأمطار . وعدد البيض يتراوح من ٧٠ الى ١٥٠ بيضة لكل بعوضة ويمكنه أن يعيش ثمانية أشهر كاملة أو أزيد . وقد يقاوم البيض مدة الشتاء فيقفس في الربيع وربما كان الفقس حاملا بجراثيم المرض فينقلها بدوره الى الانسان . أما مدة حياة العلق (فقس البعوض) الى أن يصير بعوضا كاملا فتتراوح بين ١١ الى ١٨ يوما في درجة ٢٩ مئوية جراد وهذا العلق يعيش في الماء ولا يموت اذا نزل الى قاعه . أما حياة البعوضة فتزيد على خمسة أشهر وربما كانت حاملة جرثومة المرض أثناءها

(مقاومة الدنج)

ذكرنا حياة البعوض بالتفصيل لتقدير مقاومتها فالاحتياطات التي تتخذ لمنع انتشار الدنج هي منع انتشار ذلك البعوض . وحيث ان هذا المرض صار مهتدا لمصر في كل عام فيجب على مصلحة الصحة اصدار تعليمات خاصة بحياة وعادات ذلك البعوض بعد درس عميق ثم استصدار قانون يجب اتباعه في جميع المنازل لإبادته تماما وتقرير غرامات لمن يخالف تلك القوانين ويوجد البعوض في منزله بعد التفتيش الدقيق . انتهى

وقد نشرت مصلحة الصحة العمومية المصرية بلاغا عن حى الدنج وهاهنا

(بلاغ عن حى الدنج المعروفة للجمهور بأبى الركب)

ليكن في علم الجمهور أن البلاد مهتدة بمرض الدنج وأن معاونه الأهالي لمصلحة الصحة هي من أفضل الوسائل في مقاومة هذا المرض . فعلى كل فرد من أفراد الأمة أن يسترشد بالتعليمات الآتية في أداء واجبه نحو نفسه ومواطنيه

(مرض الدنج) إن مرض الدنج هو من الأمراض العديدة وهو ينتشر بسرعة فائقة وربما كان أسرع

الأمراض المعدية كلها انتشارا

(الأعراض) وأعراض هذا المرض تظهر فجأة وهي وجع في الرأس وقشعريرة وآلام حادة في المفاصل والعضلات والظفر مع ارتفاع في الحرارة ووسع في اللسان وقد الشبهة للطعام واحتقان في العينين وآلام شديدة في جبينهما وفي بعض الأحيان يحصل نزيف من الأنف أو من فتحات الجسم الأخرى . وتستمر هذه الأعراض مدة تتراوح بين يومين وأربعة أيام ثم تنخفض الحرارة ويتبدى المريض في التحسن مدة يومين أو ثلاثة . وبعد ذلك تعثره نكسة فتعود اليه أعراض المرض ثانيا وتستمر يومين أو ثلاثة ويظهر على الجسم في بعض الحالات طفح يشبه طفح الحصبة . ومتوسط مدة الإصابة بهذا المرض هو نحو أسبوع وبعد زوال أعراضه يظل المريض مدة طويلة ضعيف البنية منهوك القوى الجسمية

(طريقة نقل العدوى) ينقل عدوى المرض نوع خاص من البعوض المنتشر بكثرة في أنحاء القطر المصري

(طرق الوقاية) لما كان نقل العدوى المرض لا يحصل إلا بواسطة البعوض فانه من الواجب توجيبه جميع الجهود لمقاومته وإزالة أماكن توالده . وهو يتوالد في الماء الراكد كما البرك والمستنقعات وخزانات المراحيض ونحوها ولكي تنسك شدة هذا المرض يجب عليك اتباع الارشادات الآتية

(أ) أبذل كل الجهد في عدم تمكين الناموس من الدخول في متلك بتغطية جميع النوافذ والشبابيك بسلك دقيق أو بشاش رفيع

(ب) وجه كل عنايتك لإعدام جيع الناموس التي يدخل متلك

(ج) غط سريرك بناموسية كلما أمكنك ذلك وضع أطراف الناموسية تحت الفراش بإحكام

(د) لاتترك مياهها راكدة في البراميل أو الأزبار أو الأواني الأخرى دون تغييرها مرتين على الأقل كل أسبوع

(العلاج) اذا أصبت بالأعراض السابق وصفها فلصالحك أن تستشير أحد الأطباء . ويجب أن يمرل المريض في غرفة خاصة متوفرة فيها شروط التهوية والضوء مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع وصول الناموس إليه وذلك بتغطية النوافذ بسلك دقيق أو شاش رفيع كما سبق القول . و يبقى المريض على البوم داخل ناموسية حتى تيسر وقاية الأشخاص الذين يقيمون معه في منزل واحد من تسرب عدوى المرض إليهم وانما قلت لك كلام الأطباء ونصائح الحكومة للوقوف على ابداع الله وحكمته . أفلا تعجب من حيوانات لارها تدخل في أجسامنا لاعدد لها ولارها العيون والذي ينقلها هو البعوض (الناموس) فهذا الناموس الخاص هو الذي ينقل تلك الحيوانات من جسم الى جسم . ولا منى من خطر الحامل وبحمله إلا بالبراسة وبارقاء الطب ولارقاء الطب إلا بدراسة كل علم ومنه علم الحشرات الذي لا ارتقاء له إلا بالآلات دقيقة والآلات الدقيقة لا بد لها من صناع يصنعونها وهكذا . فالعلوم والصناعات دائرة واحدة والأمة التي يجب عليها البراسة والصناعة أمة واحدة والناس أشبه بجسم واحد على الأرض . وقل أعمالوا فيسرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم القيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون - انتهى يوم الثلاثاء ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ م وبهذا تم الكلام على الطبقة الثانية

(الطبعة الثالثة في قوله تعالى - ولا يعلكون موتا ولا حياة ولا نشورا -)

قد علمت في تفسير الآيات أن الله ذم الكفار لأنهم اتخذوا من دون الله آلهة لم يخلقوا شيئا بل هم مخلوقون ولا يدفعون عن أنفسهم ضررا ولا يجلبون نفعا ولا ينجون ولا يمتنون ولا يعبدون الأموات للبعث فهذه سبع صفات جردتهم من كل كمال يليق بالالوهية . فالآله يكون خالقا لا مخلوقا ولا يصرفه أحد ويحيى ويميت وإذا أمات أحدا أعاده هذا هو الإله وهذه الأنعام لا قوة لها على ذلك والتي بهم في هذا المقام قوله - ولا نشورا - ومثل هذا القول يرمي على أكثر الناس وهم نائمون كأنهم لا يملكون . يذم الله الكافرين لأنهم عبدوا أصناما اتصفت بصفات لا تليق بالالوهية ومنها أنهم لا ينجون ما مات من المخالفات . ولعمري إن هذه هي بيت القصيد انظر ونعجب كيف يذكر ذلك في هذه الآيات . ذكر الله ذلك ليفتح لنا باب الفسك في الألوهية . لا يثبت إله في العالم يخلق ما لم يكن حكما والحكيم لا يضل البعث . ومن البعث العظيم أن يخلق خلقا ثم يعيده بلا فائدة فهذه قسوة ولا حكمة فيه . وأي حكمة في عمل لا قيمة له . يخلق مخلوقات ثم يهلكها ويتركها ولا فائدة منها إلا أنها تعذب وتهان لغير ذنب جنته ولا ظلم اقترفه فان لم يكن لهذا العالم وجود بعد العدم وكان العدم هو النهاية فلا إله للعالم وانما هو تركيب وتحليل لا غير يأتي بالمصادقات . فالالوهية تستلزم البعث فيبين الالوهية وبين البعث تنازلا إذا ثبت الإله ثبت البعث لأنه يكون حكما وإذا لم يثبت فلا بعث ولأواب ولا عقاب ولاجنة ولانار ولا حكمة في وجود العالم ولذلك تجد القرآن يقرن فيه الله باليوم الآخر فتسمع فيه - الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر - في آيات متعددة وسور كثيرة من القرآن . فانظر إذن في عدد (١٩) التي مر ذكره في الطبقة السابقة إذ جعله قسما المصريين رمزا للبعث . فانظر كيف جعلوا مبدأ العالم والعالمة الأولى مهموزا له بالواحد وجعلوا بقية الأعداد ما بين ارتقاء للعالم وموت وفناء ثم رجوع وهذا الرمز بعينه هو ملخص هذه الآيات من

قوله - تبارك الذى نزل الفرقان على عبده - الى قوله - ولا يعلكون موتا ولا حياة ولا نشورا - فاذى له ملك السموات والأرض الخ

كل هذا قد اوضح في هذه المقالات و - الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق - فانظر أيها الذكرى كيف جاء عند قدماء المصريين نفس ما جاء في الفلسفة القديمة والحديثة والديانات جميعها أن الموت يتبعه البعث والقدماء والمحدثون على هذا متحدون . انتهت اللطيفة الثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة - وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق - الخ ﴾

اعلم أن النوع الانساني درج على هذه الطريقة وسار على هذا التاموس فلا يعظم إلا من كثر ماله وحشمه وخدمه ولا يعلم من أمر هذه الحياة أعظم خطرا إلا ما كان نادر الوقوع مخالفا للعادة وذلك لقلة فطنة هذا الانسان الساكن هذه الكرة . تراه لفتته وعدم فطنته لا يأبه بالامور المعتادة ولا يعقل إلا ما هو غارق للعادة إذ أتاح الله لهم أنبياء فأتوا لهم بالغرائب والمجائب . ولما دار الزمان دورته وأراد الله أن يخلق أمة حديثة العهد عظيمة النفع عالية القبر مفكرة أرسل محمدا ﷺ فطلب القوم منه أن لا يكون كالمجوس من الناس فلا يأكل الطعام ولا يمشى في الأسواق أو يأتي لهم ملك من السماء فيقول للناس هذا نبي الله وينذر الناس معه أو يعثر على كنز حتى يكون غنيا غنى غير معتاد حتى يقول الناس إن الله حبه له وتظيمه وتقريبه منه أمده بهذا الكنز فلا يحوجه الى معالجة التجارة ولا يضطره الى مزاوله الأعمال مع الناس وهذا من تلك الشائنة المعروفة في الانسان إذ رأى أن نعم الله على عباده تكون على مقتضى المال والولد والغضب من الله على مقتضى قلة المال والولد والنعم . ومن أتى للناس بحال معروفة لهم ولم يكن معه أمر نادر حرقوه وقالوا أنت مثنا . وذلك لأنهم يتركون مواهبهم وآراءهم وهذا الأمر اليوم هو السارى في نوع الانسان . فالناس على وجه هذه الكرة كلهم على هذه الحال لا يسمعون القول إلا من يرويه بحال ندهشهم فإن كانوا من العاقله صدقوا المجاذيب وأمثالم وإن كانوا من الخاصة لا ينفادون الا لرجل أوروبى معه السلاح والحرب والظفر على الأعداء . ولذلك قرر ابن خلدون ان الناس تابعون لدين ملوكهم وهم أبدا مولعون بالغالب لأن الغالب يهر عقولهم بالجيش والجرارة . فذلك ترى المصريين أهل بلادى أى المتعلمين منهم لا يبالون بالعبادات ولا الامور الدينية إلا قليلا منهم لأنهم ينظرون الى الدين والمتدين نظر كفار قرىش الى رسول الله ﷺ فيقول الرجل منهم لو كان هذا الدين حقا لم يدخل الفرنج بلادنا وهم لا يستقون هذا الدين . فتراهم بهذا البرهان العالمى الجاهلى السفطائى يلهون وجوههم عن الدين ويفرون منه فرارهم من الأسد ويصبح في نظرهم كما كان صاحب الشرع ﷺ في نظر كفار قرىش . فهم يقولون أليس الشيوخ الذين يقرؤون هذا الدين بين ظهرائنا . ألسنا نحن القائلين بأمر هذه البلاد . فما شأن هؤلاء وما شأن دينهم يمثل هذه القضايا الكاذبة . يترك المتعلم أعمال دينه جهلا وغباوة لأن أهل دينه لاسلاح بأيديهم ولا قوة عندهم فكانت الدين لما كان أهل أقياء كان حقا فلما ضفوا صار باطلا . وهذه هي القضايا التى ضل بها نوع الانسان وعلى ذلك يسمى ﴿ السيف في يد الجبان عما وفى يد الشجاع سيفاً ﴾ وهذا القول لا يعقل ولكنه يعقل الجهلاء الذين لا يعقلون . ولقد أجاب الله على ذلك هنا بإجابة عامة فقال - انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلا فلا يستطيعون سبيلا - فوسفهم بأنهم ضالون وهذا وصف عام يشمل الخلل في القضية التى احتجوا بها كما قبحناه وانما لم يذكر خلل هذه الحجة لأن الضلال كما يشملها يشمل غيرها كما سيأتى في هذه السورة إذ يقول الله لا أضلهم - أأنت أضلتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل . قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن منحهم وآباءهم حتى نسوا الله ذكر وكانوا قوما بورا -

فانظر كيف قال الله للمعبدون - أأنت أضلتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل - فتبرأ المعبدون وأندوا

الضلال لما غتموا بهم وأكلهم من قلوبهم - حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا - هلكي . فانظروا كيف جعل المعبودون الضلال ناشئا من الفتح الحاصل لهم ولآبائهم من قلوبهم حتى أنساهم ذكر الله وهذا الفتح هو الذي فتمه الله في قوله - وإذا أردنا أن نمهلك قرية أمرنا مترفيا ففسقوا فيها حتى هلكوا القوم فدمرناهم قهبرا - فانفتح بورت الفسوق والملاك في هذه الآية وبورث الملاك في آياتنا التي نحن بسندها مع الضلال ونسيان الذكر فيكون الأمر هكذا نسيان ذكر فضلال وهلاك وفسوق وهلاك وهذا هو قوله تعالى - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن . وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن . كلا - الخ - وقوله تعالى - أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون -

فانظروا وتعب من آي القرآن ومجانها وأرجع إلى ما نحن بسنده من الآيات فإن قوله تعالى - فضلوا فلا يستطيعون سبيلا - لم يحن فيه الضلال بفساد الجنة الذي يظهر عند النقد بل ترك الأمر لفظة القارئ ثم أعاد ذكر الضلال لما سأل الأصنام فقالوا له نحن ما أضلناهم بل هم ضلوا وذلك الضلال لفتحهم بالخيرات وغفلتهم والفتنة متى استحكمت بكثرة اللذات والشهوات أوقعت الناس في الهلاك . فاتباع الناس لأهوائهم وجهالاتهم ناسي من الترف والتنعم . فخرج إلى الأنبياء فلوانهم كانوا مترفين منعين لكانوا ضالين وحينئذ يقال انه لو أنزل على الأنبياء كنز أو استغنوا عن الأسواق وكانوا أغنى من كثير من البشر لم يكن ذلك دليلا على رغبة قدرهم بل هذه الأمور تورث الغفلة فهي ان لم تدنسهم بالغفلة فليست برافعة لهم شأنًا وليس أكثر الأنبياء بأصحاب ملك كداود وسليمان بل أكثرهم كانوا يزاولون الحرف والصنائع ويعرون الفهم تنشيطا لهم وقوية لأبدانهم وتدريباً لهم على الأعمال للقوية للبدن المنشطة للفكر للبعدة عن الكسل المترية على المشاق حتى إذا سادوا الناس أكرمهم العمل وساسوهم سياسة تحفظ جملتهم . فانظروا وتعب من بدائع القرآن كيف يقول الله تعالى بعد ذلك بآية واحدة - وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق - ثم قال - وجعلنا بينكم بعض فئة أصبرون وكان ربك بصيرا -

فانظر كيف أتى الله أولا بالاجابة على قولهم بأنهم ضالون ثم أتبعه بفصول انتهت بالجواب الثاني وذلك الفصول ان الله قادر أن يعطيه جنت وقصورا وانهم كذبوا بالساعة وأن لهم السمير وأن جهنم تنقيط وأن لها زفيرا وانهم إذا ألقوا في مكان ضيق منها دعوا بالملاك وانهم من اللائق لهم أن يدعوا هلاكاً كثيراً ثم وازن بين الجنة والنار وأن الجنة للذين لهم فيها ما يشاؤون ثم عشرين للمعبودين والعابدين ويسألهم ما سبب ضلال العابدين ؟ فهذه أحد عشر فصلا ختمت بفصل هو الاجابة الثانية لقولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق - وكان ينبغي أن يزل إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها فقال لهم هنا إن الفتح بالذات ينسي الذكرو بورت الملاك فليس في ذلك معجزة وانك قال بعد آية كما تقدم - وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق - وأما قوله تعالى - لولا أنزل إليه ملك - الخ فهو في

(الطريقة الخامسة)

وذلك أن قوله تعالى - لولا أنزل إليه ملك - أجاب عنه بقوله تعالى - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أن نرى ربنا قد استكبروا في أنفسهم وعصوا عنوا كبيرا - الخ فانظر كيف كانت الاجابة على المشي في الأسواق وأكل الطعام وأنزال الملائكة وأن يكون له يستأن بأنهم ضالون وبأن التمتع ينسي الرب غلب من شأن الأنبياء . وكيف كانت الاجابة على أنزال الملك بقوله - وقال الذين لا يرجون لقاءنا - الخ وقوله تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعصوا عنوا كبيرا - معناه انهم ليسوا أهلا لحقابة الملك ولا لحقابة الله وهل يقرر الناس وهم في أجسامهم وفي شهواتهم وفي أضوائهم أن يلاقوا الملائكة فضلا عن الله تعالى ، إن الملائكة

منزهون عن المخلدة والناس في الأجسام فكيف يقررون أن يقابلهم وللقابلة بين العالمين اللطيف والكثيف متعبرة مالم يصبح الكثيف لطيفا فإذا لطفت أمكنت القابلة وذلك لا يكون إلا بحيث يصبح الناس مسلوخين من البشرية عارين عن أحوال الجسمية . ويقول علماء الأرواح في كتبهم ﴿ إن الأرواح العالوية لا ينسئ لها أن تكلم إلا نفوسا تنزهت عن المادّة وتعالّت عن أحوال هادئة الأرض وصارت عالوية النزعة ميالة للأمور العالية الشريفة . شفقها علته ورجحها علته وشهواتها ممنوعة ولقداتها مفقودة لا مطمع لها ولا مطمح إلا في الأمور القنسية والمعارف الإلهية . ومقابلة رب البرية ﴾ فهذه هي التي تشتاق إليها الأرواح العالية وتنزل عليها في المنام . نارة . وفي البقعة أخرى وترى علماء الأرواح يجتالون على محادثة الأرواح بطرق منها المائدة بحيث يجلس جماعة واضعين أيديهم عليها فتطرق طرقات على حسب المصطلح عليه بين الروح الحاضرة وبين الحاضرين من الانس . ومنها أن تكتب الحروف الهجائية في ورقة وتوضع كأنها إطار أو دائرة محبطة بالمائدة أي فوق دائرتها ويضعون أيديهم على فنجال وذلك الفنجال يمر على هذه الحروف متحركا بالسيال الذي ينزل من الأيدي وأصحابها لا يملكون من الروح الحاضر ويمتزج السيال الحيواني الآتي من الأحياء بالسيال الآتي من الروح وبهذا الامتزاج يدور الفنجال ويمر على الحروف وابتجائها تكون كلمات ذات معنى كما رأيت بعيني رأسي . ومنها أن يضع الإنسان قلما في يده ويستمر ريع ساعة كل يوم حتى يحضر روح وتكون سببا في انتقال يده بالكتابة فيكتب جملا مفيدة وهكذا من الطرق التي تقدم بعضها أو أكثرها في الذي مضى من هذا التفسير . وهي كلها مذكورة في المصنوع الذي ألفته في هذا العلم المسمى ﴿ كتاب الأرواح ﴾ وآخر الطرق طريقة التنويم للغناطيسى بحيث ينوم (يفتح الوار) انسان وتأتي روح فتتكلم بلسانه وهذه كلها تقدمت في (سورة الاسراء)

هذه هي نموذج الطرق التي يكلم بها الناس عالم الأرواح وهذا علم منتشر في الأرض ولكن كلام الناس معهم ظهر أنه يدخل فيه الصدق والكذب والحق والباطل والصحيح والفساد فبين حقاؤه لا فائدة إلا في علو الأخلاق وكلما علت الأخلاق اقترب الناس من الملائكة والملائكة - إذن يقر بون من الناس بالألهم مثلا . أما أكثر هذه الأرواح التي يخاطبها الناس خطايا صنعيا فأنما هي أرواح سفلية قريبة عقولها من عقول البشر فيكذبون كما يكذب البشر ويضعفون كما يضعفون وهكذا . فأما الأرواح العالية فإنها ملتزمة الفكر لا تعب إلا ما كان عاليا شريفا ولا يخاطب إلا نفوسا بعيدة عن الشهوات قديسة النزعة . ولا سبيل لهذه الصفة إلا بمحاسن الأخلاق والآداب والمقاصد النبيلة وحب العلم وحب الانسانية . فالنفوس المتصفة بهذه الصفات هي التي تستأهل للتكلم مع الملائكة ومن سواهم منهم ليسوا أهلا لهؤلاء وهذا هو معنى قوله تعالى هنا - لقد استجبوا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - فلقاء الملائكة لهم لاهلاكهم لا لإرشادهم ﴿ الطيفة السادسة في قوله تعالى - أأنتم أضلّتم عبادى هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل - ﴾

قد تقدم شرحها في الطيفة الرابعة

﴿ الطيفة السابعة في قوله تعالى - وجعلنا بضمك لبعض فتنة أضربون - الخ ﴾

اعلم أن الله عز وجل خلقنا في الأرض ليرينا . ولقد جعل التربة ﴿ بأمرين ﴾ نعمة وفتنة فلا ترى نعمة إلا كان معها فتنة وقد جعل الضدين تسابقان لخبرنا سؤلوا أعلننا أم لم نعلم وفهمنا أم لم نفهم . فاطر كيف جعل الضدين في كل شئ الليل والنهار والصيف والشتاء والشباب والشيب والملوث والحياة والإيمان والكفر وترى الزرع يصلحه الانسان والماء والشمس ويضله الآفات العارضة . وترى الانسان يضره المرض والصحة والفقر والغنى والعلم والجهل . وهكذا ترى له العدو والصديق ويظن أكثر الناس أن العداوة ضرر محض وما علموا أن الآفات والحوادث مقويات لمن ترد عليه جسدا أو عقلا وروحا . فكم من مريض كان المرض

سبب توبته أو سبب انتقامه الماء كل الصارفة فمات سعيدا قرير العين . وكمن فقير صار الفقير من أهم أسباب ثروته وغناه أو تهذيبه أو تقوية عضلاته أو تقوية ملكاته الفكرية أو ما أشبه ذلك . و ترى الأرض تنبت حشائش مملكة للزروع تكتفي بالهواء والماء والأرض وتكون وبالا على القمح والقطن والذرة فيفسد الناس في ازالتها تبعب وشقاء وذلك دلالة على أن كل ما فيه نقصا لا يتم كله إلا بعد الشتاء والتعب في المحافظة عليه والدأب في حفظه وإبقائه سالما . ومن عجب أن المزراع التي تحتاج إليها ضيقة يعوزها قيامنا عليها وحفظها وتسميدها وسقيها . فأما التي هي ضارعة فانها لا يعوزها شئ من ذلك بل هي قوية متينة . هكذا ترى أجسامنا فيها حيوانات صغيرة في الكرات الدموية الجراء والكرات البيضاء . وهذه الحيوانات التي تعد بالآلاف الألوف حافظة لأجسامنا معدة لمقاتلة كل حيوان داخل لأجسامنا من حيوان الوباء والجربى والحصباء والفيروس والتيفود وأنواع الحى الكثيرة . فإذا دخلت تلك الحيوانات الضارة المهدنة لهذه الأمراض لتسكن أجسامنا ونخر بها وتلفها وتهدمها قائلها تلك الجيوش الحارقة خارتها خصل في أثناء العراك والصدام واشتداد الوبطيس والتقاء الجيوش واحتدام الوعى أن ترتفع الحرارة في الجسم من ذلك الصراع فيقال إن المريض ارتفعت حرارته . فإذا غلبت الجيوش الهاجة للمهلكة مات المريض وإن غلبت الحيوانات التي في كرات الدم الجراء والكرات البيضاء شفى المريض . ولذلك تجدد الأطباء يعمدون إلى الأطفال وإلى بعض الرجال والحيوان فيلقحونهم . ومعنى التلقيح أن يؤثروا بمادة تشتمل على حيوانات صغيرة تعد بالآلاف فيدخلونها بالبر في الأجسام كاللادة التي فيها حيوان الجربى . فإذا سرت تلك المادة في جسم الطفل أخذت تلك الحيوانات تحارب ما في الجسم من الحيوانات الضارية في الكرات الدموية فتزفع الحرارة ويموت بعض تلك الحيوانات أو أكثرها فتقوم ذريتها حافظة ما كان لأبائها من قوة على النضال وجراحة على القتال وشدة في الحرب حتى إذا جاء مرض الجربى حقيقة كانت ذرية تلك الحيوانات واقفة له بالمرصاد لأن أجسامها قويت بمحاربة الأعداء وقد ورثت تلك القوة عن الأجداد وأجداد الأجداد

هذا ما يقوله العلماء في الحيوانات الضارية في أجسامنا وفي حيوان المرض الذى يشك بنا . فانظرك كيف أصبح العدو هو النافع المقوى وكيف كانت الراحة هي السبب الأقوى في الضعف والجول وانظرك كيف يقول الشاعر الحكيم

عدائى لهم فضل على رمتي * فلا أبعد الرحمن عنى الأعاديا
هم يحثوا عن زلتى فاجتنبها * وهم نافسونى فاجتنت المعاليا
فلست بهيباب لمن لا يهابنى * ولست أرى لجره ما لا يرى ليا
كلانا غنى عن أخيه حياته * ونحن إذا متنا أشد تقاضيا

وقد خست هذه الأبيات وذكرتها في سابق التفسير . فانظر في الطير في جوار السماء فيه السائد والمسيد فالعقرب يطارد الخفاف والحطاف والصقار يطارد الصقور والصقور بأكل السود والسود يأكل الانسان والانسان يأكل الأنعام . فالعالم كأنه دائرة يأكل كل بعضها بعضا والعداوة متواصلة والصداقة كذلك . فانظرك كيف خلق الله الضدين وخلق بينهما عداوة وصداقة في كل شئ . فالعداوة كنار محرقة والنار مهيتة لكل شئ ففراها تطبخ البنات فتجعلها أجرا هكذا العداوات مكملات لنوع الانسان فهو إن قام جسمه بالبلل والغذاء وتربية الولدين فإنه تقوى عضلاته وتقوى بالمخاضات والصبر في المشاحات والمناصات . فعلى الرجة انشاؤه وعلى القوة الضعيفة النارية بالتنافس والعداوات تقوية ملكاته . هذا هو السر في قوله تعالى - وجعلنا بضمك لبعض فتنة أصبرون - فانظرك كيف أمرنا بالصبر فالصبر هو المطلوب من هذه كلها وهذا هو السر في قوله تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين - لأن عداوة المجرم للنبي تقوى نفسه وترقى أخلاقه بالاحتمال والصبر

ولذلك سمى بعض الأنبياء أولى العزم . وهذا هو الجواب الثالث عن قولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق - الخ فقد أجابهم بأنهم ضالون وبأن النبت بالخيرات يدهو إلى الهلاك كما تقدم وختمها بقوله ان المهتدين فتنة للضالين والضالين فتنة للمهتدين فكلاهما امتحان للآخر . فأنتم أيها الكفار قد فتنت محمد بنوته وامتعتم لنظره لتصبرون في التفكير والتعقل فتمرفون أن المشي في الأسواق وأكل الطعام لا يخل بالنبوة وفن محمد وامتنع ليصبر على شدائدكم وكفركم وإيذا أنكم هذا هو قوله تعالى - وجعلنا بكم لبعض فتنة أنصبرون - فأنتم أيها الصبر على أذاهم وهم مأمورون بالصبر على التعقل والتفكير وعلى أن يعلمهم من يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . انتهت اللطيفة السابعة

(اللطيفة الثامنة في قوله تعالى - وقمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا -)

يقول الله ان الكافرين يمد سبحانه إلى عملهم فلا يقيم له وزنا ويجهل مفرقا لقيمة له . وسبب ذلك أن كل شيء لا ينفخ فيه إلا بالزينة ولا يزينة إلا حيث يكون الصبر وحفظ القوى النفسية (وبيان) أن القوى لا تقيد له في إله لهذا العالم تكون أعماله موزعة على حسب الرأى التي يرى بها فيكون عمله تارة رياء وتارة خوفا وتارة شهوة وتارة غضب وتارة لأنه جبان وتارة لأنه متبع للعادة وهكذا . فأما إذا جعل الاجتهاد لأمر واحد فان جميع أعماله تنجى إلى وجهة واحدة فان نال خيرا صرفه لله أو قوة صرفها في عمل نافع أو خاف التجأ إلى الله وهو يجتهد في عمله وهكذا في كل أطوار حياته وما هذه القوى النفسية الإنسانية إلا كسوء الشمس فانه يكون في الحق مفرقا مشتملا لا ظهوره في الهواء ولا ضوء له في الأجواء والطبقات العليا فاذا مالس الأرض اجتمعت ذراته وقويت حواتمه وأنشأ الانسان والحيوان والماء . ذلك شأن ضوء الشمس . فلو لا اجتماع ذراته الضوئية على الكرة الأرضية ما أثمر ولا أزهر زرع ولا درّ زرع ولا كانت فيه منافع . وهكذا نيات الانسان إذا ترك شأنها وهكذا كل ما يصتريه إذا لم توجه رغائب الانسان ومقاصده فيها إلى وجهة واحدة تطايرت وذهبت كل مذهب ولم يبق لها منفعة ولا خير ولذلك يقول علماء النفس وعلماء الأرواح (لو أن الانسان إذا وجه فكره إلى الأمور التي يقصدها بهمة فان همته تستبق إلى المقاصد متى كانت على قبة بمقاصدها) ولذلك كان أشراف الأنبياء يسمون أولى العزم لأنهم يجتهدون للعرض القوي يقصدونه ويسعون بأنفسهم إلى ما يقصدون . وهكذا يقولون (إن الانسان متى وضع صورة ما أمام عينه واتجه بقلبه إليه فان تلك الهمة تحرك من صاحب تلك الصورة همة تنجى إلى من قصدها) وعلى هذه النظرية بنى فن من العلوم السحرية ويقول الله تعالى - يحبه ويحبونه - ويقول (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي) ويقول - فاذكروني أذكركم - فأصبحت القاعدة واحدة في نفسها من اتجه بقلبه للخلق فينته صادقة فيما اتجه إليه وهكذا من توجه لله كان الله عوناً له . وعليه يكون التوجه لله حافظاً للأعمال من التفرق والنشفت . فأما ترك الآراء والأعمال بلاعتان بمسكها فذلك ضياع لها والله هو الولي الحيد

(جوهرة في قوله تعالى - أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا -)

كنت على شاطئ النيل الشرق يوم ١٠ يناير سنة ١٩٢٩ فرأيت شابا بيده كراسة فيها دروس يعرفها فاسلم عليّ وأخبرني انه من مدرسة (دار العالم) وأخذ يسألني في أمور يشك فيها وأهمها (مسألان * المسألة الأولى) إن الله خلق العالم وكيف تتصور وجوده وعقولنا لا تعقل كيف كان هذا الوجود (الثانية) كيف يعبث بنا وهو المقتدر لجميع مافعله . فقلت أما سؤالك الأول ففي الحديث (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله) . فقال نعم ولكن أود أن أكون حرا معك فلا تعيدني بالحديث لأن عقل لم يقف عند الحديث وهو يطالبني فأنا أطلب منك إيقاف هذه الحركة الفكرية . فقلت له ماتايج ضرب في ٢٥ قال ٢٥ فقلت و ٢٤ ليس حاصل ضرب في ٢٥ قال . كلا . بل هو مستحيل . قلت إذن هنا (أمران) واجب وهو

٢٥. ومستحيل وهو ٢٤ وغيره من جميع الأعداد فكلها يستحيل أن تكون حاصل ضرب • في • قال نم
قلت ما الذي تساويه زوايا المثلث الثلاث • فقال زوايا المثلث الثلاث تساوي قائمتين • قلت أيقين هذا • قل
نم • قلت ما تقول في الأمور الهندسية ؟ أبالذهن تقوم أم تقوه بالخارج • قال بالذهن • قلت هل أنت فاهم ما
تقول • فقال أفهم اجالا • قلت اعلم أن علماء الهندسة يقولون ان الأشكال الهندسية تقوم بمجم معنى
ينطبق على الجسم المشاهد فهي صور في النفس تظهر آثارها في الخارج وهكذا جميع العلوم الرياضية ترجع
في تصورها الى الذهن ولا تتوقف على الخارج بخلاف العلوم الطبيعية كهذا النبات وهذا الحيوان فهذا لا
تصوره إلا في مادة خاصة • أما المثلث والمربع والكرة فهي لا تحتاج الى مادة خاصة فأى مادة تصورها
أدركنا بها تلك الأشكال • إذن العلوم الرياضية تحتاج في تصورها الى مادة تقوم بها في الذهن لافي الخارج
لأننا تصور الأشكال ولاهنا من أى نوع تكون صورة الشكل بخلاف نبات القطن أو القمح أرهنا المعدن
فانا لا نتصوره إلا بمادة خاصة نحضرها في أذهاننا • أما المسائل الإلهية فهي لا تتوقف على مادة أصلا لافي
الذهن ولا في الخارج • فقال هذا كلام الفلاسفة وهو عسر الفهم وان كنت أنت أوضحته فأنى لم أستفد فائدة
في موضوعي • قلت هذه مقدمة لموضوعك • ألم ترأى سألتك في زوايا المثلث • قال بلى • قلت هذا المثلث
أنت صورته في ذهنك وانه يجب أن يكون مساويا لقائمتين • قال نم • قلت هل هذه النظرية موجودة •
قال نم فانها ان لم تكن موجودة كيف تتصورها • ثم قلت أواجبة هي أم جائزة أم مستحيلة • قال بل
واجبة • قلت إذن هناك أمور واجبة في ذاتها فتضاي الحساب والهندسة والجبر هي قضايا صادقة في ذاتها ولذلك
يقولون حقائق الأشياء ثابتة ، فهذه أشياء ثابتة في أنفسها • فاذا كانت أمثال القضايا العلمية ثابتة في أنفسها
أفلا تكون هذه مقربة لموضوعنا أى اذا تصورنا نوعا من الوجود للقضايا العلمية وقلنا ان هذه القضايا ثابتة
في أنفسها ؟ أليس هذا يسهل لنا أن نفهم وجود الله بدون موجد • ثم انى أذكرك (بأمرين • الأول)
ان عقولنا بالنسبة لهذا العالم أشبه بالعدم بالنسبة للوجود • ألا ترى رعاك الله أن أرضنا أصبحت اليوم بعد
الكشف الحديث ما هي إلا كجوهرفرد اذا نسبت الى جميع العوالم (وبعبارة أخرى) أن الارض لو صغرت
الى جوهرفرد وصغر العالم كله على نسبتها لوجدنا الكواكب والشموس التي تصور وجودها العلماء تساوي
(ألف مليون أرض) إذن أرضنا أشبه بالعدم ونحن جزء صغير على هذا العلم ؟ فاذا تصور في عقول قوم
أمثالنا ؟ هل يعقل أن هذه العقول تقدر أن تحيط علما بهذا الكون فضلا عن خالقه • إن هذا غير معقول
فاذا كانت أرضنا ما هي إلا أشبه بالصغر ونحن (جزء) صغير جدا على هذا الصغر فكيف يقف عقل هذا
المخلوق المصنوع على خالق هذه العوالم كلها • قال حقيقة أنا مقتنع بما تقول وحقا ان العقل يقضى أن هذا
الضعيف وهو الانسان لن يقدر أن يعرف حقيقة الله • قلت هذا قوله تعالى ... وخلق الانسان ضعيفا ... وقوله
﴿ تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله فان التفكر في ذات الله إشراك ﴾ وقوله تعالى
- ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم - فاذا كان هولاء يشهدنا خلق أنفسنا فهل أشهدنا
وجود ذاته • إن هذا مستحيل ومستحيل لعلم الاستعداد والضعف المستمر في الانسان هذا هو الأمر الأول
(الأمر الثاني) إن هذه الدنيا التي نكسها لم نعرف فيها علما البتة فأين هذا العلم • إن هذا العالم كله
وجود لاعدم فان كل نبات وكل حيوان وكل معدن وكل كوكب اذا انحلت أجزاءها رجعت في نبات آخر
وحيوان آخر وكوكب آخر وهكذا كما هو معلوم في العلوم التي قرأها اليوم • فالنبات والحيوان ترجع أجزاءهما
الى مخلوق آخر منها والشمس والقمر والنجوم كلها اذا انحلت ترجع الى كواكب أخرى - يوم تبدل الأرض غير
الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار • - يموت الميت فيكون عليه ولم يكن الميت عند الناس وهو
حي - إلا بالصورة الجسمية المفكرة فاذا مات جسمه موجود لم يخرج من ملك الله • إذن هو موجود لامعدوم

وبكاههم عليه لأنهم لا يشاهدونه بعد ذلك والبكاء في الحقيقة على روحه التي لم يشاهدوا إلا أفعالها وأقوالها بواسطة هذا الجسم والروح أيضا موجودة فأين العلم إذن . فقال لقد قلت أنت عن العلماء في هذا التفسير أن المادة تنعدم وانها ترجع الى عالم الأثير . فقلت وعالم الأثير موجود في نفسه وان لم تره حواسنا إذ رؤية حواسنا ليست شرطا في الوجود فليس العلم مالم تشاهده حواسنا ولا الوجود موقوف على رؤية حواسنا وإذا حكمنا بأن عالم الأثير موجود ونحن لم نشاهده بل عرفناه استنتاجا في زماننا بسبب آثار الضوء والكهرباء والمغناطيس والحرارة القائمة به فلم يصعب علينا فهم أن القضايا العلمية والنظريات الرياضية موجودة في أنفسها وكيف يصعب علينا بعد ذلك أن نعلم بأن هناك موجودا قائما بنفسه هو موجود هذه المخالقات وان كنا نحن ضعفاء في الأرض . فقال حقاً انه قد نلج صدى وانشرح لهذا البيان الحكم في المسألة الأولى . فقلت إذن أجيبك على المسألة الثانية وهي كيف يصعد بنا الله وهو يعلم أفعالنا . أولا تذكر انه رحيم ولكن هذا التذكرة لا ينفي فيه أن قرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين » الرحمن الرحيم ، لأن القراءة شيء والعلم شيء آخر . القراءة مبذولة للعالم والجاهل واللقى والتذكرة والله قبل أن ينزل القرآن خلق هذه الأرض ومن عليها والسموات العلى فلا تنفي القراءة بل لا ينفي معنى اللفظ وحده بل لابد من التفكير ولا تفكر في أمثال هذا إلا بدراسة نفس الأجسام الانسانية التي هي أقرب إلينا من السموات والأرض . اذا درسنا أجسامنا أدركنا لماذا كرر الله الرحمة في أول كل سورة ولماذا كررت الرحمة في ثانيا القرآن ولماذا يقول - كتب ربكم على نفسه الرحمة - ففهم الرحمة في أجسامنا هو الذي به نقل معنى بسم الله الرحمن الرحيم . وأقرب شيء لما نقوله الآن نظام العين المركبة من (٧) طبقات ومن ثلاث رطوبات موضوعات كلها وضعا منظما . فترى القرنية محذبة الشكل وترى العدسية محذبة الوجهين وكتاها مطبوعة على جمع النور . ذلك النور الذي يجري من الكواكب الى الأرض وأقربها إلينا الشمس التي يحتاج نورها الى (٨) دقائق و (١٨) ثانية حتى يصل إلينا وهناك كواكب اطلعنا عليها بالنظار المعظم وصلت في تباعدها عنا الى أن نور بعضها لن يصل الى أعيننا إلا بعد مضي (١٠٠) ألف سنة بغير النور وهذا الكشف جاء في سنة ١٩٢٨ م قبيل كتابة هذه المقالة . أقول فإذا وجدنا أن طبقات العين وضعت بهذه الدقة والحكمة والوضع البديع الذي به تمسكنا من رؤية الشمس التي تبعد عنا بسيرة المدفع (١٢) سنة و بسيرة القطار (٣٩٠) سنة و بسيرة النور (٨) دقائق وتمسكنا من رؤية كواكب متباعدة بحيث يصل بعدها الى (١٠٠) مليون سنة بواسطة الآلات المصنعة على الابصار . اذا ثبت هذا فقد دل على رحمة لاحد لها . فأى رحمة وأى رافة من أم وأب وحبيب وصديق توازى هذه الرحمة . هذه رحمة تفوق الوصف . قال أنا الآن موقن بهذه الرحمة ولست أشك فيها بقلى لا بمجرد السماع ولا بفهم المعنى بل بمراسة جسمي . قلت فالآن أنكم معكم على الجنة والنار والثواب والعقاب فأقول الله خلق فينا اللذة والألم والمحبوب والمكروه فلمكروه مهيأ يسوقنا الى فعل المحبوب . وما مثل الناس مع ربهم إلا كمثل المعادن في أيدى أرباب الصناعة من حذاء وصائغ . فهو لا يذبيونها في النار لتكون طوع أيديهم فيما يقصصون منها . انظر رعاك الله الى ما سيمر عليك في آخر (سورة النمل) عند قوله تعالى - وقل الحمد لله سيركم آياته فاعرفونها - فهناك سترى أن الناس من قبل لم يكن عندهم إلا نار الفحم وبنار الفحم تصرفتوا في المعادن الى حد ما . أما الآن فان الكبر باقية قد مكنتهم من أن يصنعوا فرنا يسمى (الفرن الكهربائي) والفرن الكهربائي تصل درجة الحرارة فيه الى (١٤٠٠٠) درجة وقد رأى (فرنيت) أن درجة الصفر تقف عند الدرجة التي وصل لها مزوج الملح مع الثلج وهي (٣٢) درجة تحت درجة الثلج وهو الذي كشف ذلك . ولكن سترى هناك أن الفرن الكهربائي قد تصرف القوم به في المواد فزالت درجة حرارتها متى أرادوا عن الدرجة التي وصل إليها (فرنيت) نحو (٤٤٩) تحت الصفر الذي عينه هو وبهذه

السرجات الواصلة البالغة (١٤٠٠٠) ونحو صف ألف أصبحت الملقدة في أيدي الناس أشبه بالشمع يطفون بها ما يشاؤون حتى انهم أمكنهم فصل (الاوزون) وهو (التيروجين) من الهواء ثم جعلوه متحدا مع (الهيدروجين) فحصل لهم ناسد كما اتحد الاكسجين مع الاودروجين فصارا ماء

هنا بان لنا جلال الله ورحمته . هواء نحس به أصبح جواً يتصرف الناس فيها بالحرارة . بجزءه نشادر الجميع عنصر آخر وهذا النشادر يدخل في السجاد فينبو الزرع وتكون للمفرقات والمهلكات الحربية . من أين هذا ؟ من نفس الهواء . إذن الهواء أمكننا أن نفعل فيه ما فعلت البرودة بالماء إذ حولته الى ثلج . فهكذا هذا الهواء جلتاه جامدا واستعملناه سجادا لزرعنا واهلا كالقري وللدن

هذه هي الحرارة وهذه هي العناصر والمعادن . الحرارة ارتقت والعناصر ذلت وخضعت بسببها وبهذا كانت قسرتنا على ارتقاتها أوسع وأعظم . فقلله عز وجل خلقنا في الأرض وخلق فينا ﴿ غريزتين ﴾ لئلا ولما وجبا وكراهة واستعمل الأهلواللذة لسوقنا الى الكمال . فقال إذن كل ما نرون الى الكمال لجميع أهل الأرض صائرون الى السعادة . فقلت ماذا تريد بهذه الجملة . فقال إذن الله هو الذي يتصرف كما قلت لك ونحن في يده كل المصن في يد الصانع في القرن الكهر باقى وهو بهذه الآلام وازديدها بهذا بنا ليعتدنا الى أحوال أخرى وعوالم لا ندر بها ، إذن فلماذا يهذبنا يوم القيامة ، إذن فلتشكل . قلت له هذه المسألة لم تقب عن أصحاب رسول الله ﷺ فانه قال لم ﷺ ﴿ جنة القلم بما هو كائن أو كان ﴾ قالوا له يا رسول الله إذن نتكل فقل ﴿ اعملوا فكل ميسر لما خلق له ﴾ وأيضا ما دخل الكلام على القضاء والقدر في أمة إلا كان سببا في هدمها ونزاعها ، وقد قال ﷺ ﴿ اذا ذكر القدر فأمسكوا ﴾ الخ فكان يتحاشى ما يقوله أنت الآن . فقال ولكن أنا بدأت حديثي معك بأن أكون حرا والحديث معك مع طوله أرجعنا الى ما كنا فيه . قلت سنسمع الساحة ما هو أقرب الى الطمأنينة وسرور النفس . قال نعم . قلت يقول ﷺ ﴿ كل ميسر لما خلق له ﴾ قال نعم . قلت ﴿ ويانه ﴾ اتنا في هذه الأرض بالبحث عرفنا أن كل مخلوق قد أعطى كل ما هو في حاجة اليه فالطيور والحشرات والانسان سواء في هذه القضية (وقراء هذا التفسير موقوفون بهذا) قال نعم . قلت والأمثلة كثيرة على ذلك . قال نعم قرأتها في تصديقك وفي غيره . قلت وأنت موقن به . قال نعم . قلت الحمد لله إذن تدخل في المقصود أن مما يحتاج اليه هذا الانسان أن يكون معه سوطان سوط من الجنة وسوط من النار (وبعبارة أخرى) أن يكون مع كل انسان جنة ونار فالجنة والنار العاتقان يمتد منهما فرعان لكل امرئ في هذه الدنيا فبفرع الجنة يهتدون وبفرع النار يهذبون . فقال وكيف يقبل هذا ، أنا والله لم أر الجنة ولم أحسن بالنار . فقلت له لا تخلف سقر الآن حالا فاصبر ولا تهبل . قال اذا ثبت هذا يكون عجباً . فقلت أأنت أنت بمدرسة دارالعلوم . قال بلى ولكني أدرس في الخارج . قلت أفأنت ترى أن لك أصدقاء وأخوانا . قال بلى . قلت فإذا كنت وتأخرت غذا ترى . قال أحزن ويحزن أهلى وأخجل . قلت حسن ، إذن عندك شيء موجود يحزنك ويحزنك على تصديقك . قال نعم . قلت أرأيت لو أنك لعبت وكسبت طول السنة ثم سقطت في آخر السنة ثم رأيت ضيقك يزعمك ويوبخك فهل يسكت هناك أن تحببه بقوله ان الله قضى على بذاك أفأنت تسمعه بكلمك بلا حرف ولا صوت بكلام مستمد من كلام الله القديم الذي ليس بحرف ولا صوت فيقول لك لماذا نمت عن دروسك وابتعت شهواتك وقد سبقك اخوانك ولم يحفظوا بالقضاء والقدر كما احتججت أنت أأبست لك قدرة وذكرك . ألم يرسل لك والدك النقود . قال بلى والله يحصل ذلك كله ولا تنفع الهجج ولا الأقوال ولا الاحتجاج ولا الاتكال على القضاء والقدر . وهذا التأنيب والتوبيخ لن يحصل لمن هو بليد ولا لمن هو لاملال عنده يتفرغ به لطلب العلم . قلت إذن عرفت أن العذاب مقتر بغير الذنب فكل من قهر مكلف بما قهر عليه لا يكاف الله تعالى إلا وسعها وهذا هو قوله تعالى جوابا على احتجاج المشركين على القضاء والقدر

كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا - فهذه المسائل فرغ منها القرآن ولم يتركها مشركوا العرب اليها بل تكلموا فيها فأجيبوا بما سمعت . قوله ﴿ كل مبسر لما خلق له ﴾ معناه ما تحس به في نفسك فيها ذم ضايرنا توبخنا وتفتنى أفندتنا اذا قصرنا . قال نعم . قلت فمن أي البلاد أنت . قال من مديرة أسبوط . قلت قوم أهل شهامة ومروءة وكرم . أفرايت ان وقعت في فعل فاحشة وشاعت عنك هذه في قريتك وأنت شاب ومن أسرة شريفة ومن أهل العلم فإذا ترى من أسرك إذن . قال آتني الموت وأخفني عن أعين الناس اذا قدرت . قلت فاذا عصمك الله من هذا العار جلة ثم رفعك العلم وجعلك من عظماء بلادنا . قال أجد في نفسي سرورا وغبطة وأسرأ أهلي بذلك . قلت فهل تحس بذلك الخزي الذي تحس به النفس في الحال الأولى . قال لا ومن أين يأتي . قلت هذان هما القرآن المستدان من النار والجنة في عقول الناس الآن . وهذا التوبيخ وهذه العترات على الخيبة وعلى التجاح بلا حرف ولا صوت هما المستدان من كلام الله الذي ليس بحرف ولا صوت . يكلم كل امرئ بكلام خفي - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينهيم بما هموا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم -

﴿ غرائب تبكيث الضمير ﴾

كان خياط اسمه (شوارد) في مدينة (نورويتش) بالإنجلترا قتل زوجته (وكانت تكبره بأعوام كثيرة) بأحدى آلات مهنته سنة ١٨٥١ ثم فرق ما بين لجها وعظماها ودفن الرفات الباقي في مكان بضاحية البلدة وبعد ذلك ببضعة أشهر صادف أن كلما بنش مكان الرفات واستخرج منه عظمة آدمية ظهرت على أثرها بقية العظام فذاغت الاشاعات في البلدة عن أن رفات زوجة (شوارد) قد كشف . ولكن أحد أطباء البلدة وكان على شيء من الشهرة صرح مؤكدا بعد فحصه العظام أنها ليست من رفات المسز (شوارد) في شيء بل هي لامرأة في مئة الشباب قد لاتجاوز العشرين من عمرها فذهب هذا الرأي القطعي بكل الشكوك التي حامت حول (شوارد) وانقضت عشرون سنة كان (شوارد) قد أترى في خلالها وأصبح في بلهية من العيش وقد تزوج مرة ثانية بعد تلك الأعوام الطوال فصادف انه ذهب الى مدينة لندن لقضاء بضعة أيام وفيها هو يطوف بها في إحدى الليالي ولاغرض له يرمى إليه إذ تصادف انه مر بالشارع الذي كان قد تعارف فيه لأول مرة منذ ثلاثين سنة بزوجه التي قتلها ومثل بجثتها أشنع تمثيل فاستولى عليه تأنيب الضمير فجأة ولم يستطع له دفعها ولا عليه قلبا وفي نفس تلك اللحظة أبصرت عيناه أحد رجال البوليس واقفا في الجانب الآخر من الشارع فهرع اليه واعترف له بحريته اعترافا مفضلا فقادته الجندی الى مخفر البوليس ولكن (شوارد) بعد اعترافه هناك أيضا بساعات قلائل أراد أن يجمد اعترافه بيد أن الوقت قد فات إذ أن الاستعلامات التي قام بها البوليس في خلال تلك الساعات كانت قد أثبتت لرجاله أن لابد في الأمر من شيء . وعلى الأثر استخرج رفات زوجة الأولى وحسه جهاذة الألباب بكل وسائلهم الطبية المستطاعة وكان تقريرهم يقضي ببدانة (شوارد) بالجرمة إدانة لا اغلات له منها . وكان لابد من أن يدفع ثمن الجناية فأعدم شنقا يوم ٢٠ ابريل سنة ١٨٧٠ م

فقال حسن جدا . ولكن عني سؤال واحد ليم به الموضوع . قلت قل . فقال إن الله جعل العذاب في الآخرة ولم يجعله في الدنيا . فقلت . كلا . العذاب في الدارين معا وهذه غفلة دخلت على المسلمين أدخلها الجهل وقلة العلم . قال أي كتاب الله تعالى . قلت نعم بل كتاب الله هو الذي أوضحها . ألم ترأى قوله تعالى - فلا تهبك أمواهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليذهب في الحياة الدنيا ويحق أنفسهم وهم كافرون - انظر أليس التعذيب في الدنيا بضعة هو الذي قرره معك . قال نعم . قلت ان الانسان متى كانت وجهته المال والولادة

وليس لنفسه سوى المال والولد كانا سبب ذل نفسه في الدنيا وهذا عذاب آخر غير العذاب الذي تسكنا فيه .
 إن نفس الانسان خلقت في الأرض لتعلم وتعمل ولكن الجهل يفهم المرء أن الحياة في الدنيا للتمتع بالشهوات
 وهذه الشهوات نفسها تؤذيها لأنه سجن نفسه فيها مع انها من السماء أى من عالم أوسع فانهصرها في المال
 والولد ذل لها فيسلطان عليها فتذل بهما كما ذلت بالكسل في حديثي مملك . قل ثم ماذا . قلت ان جميع
 قصص القرآن أنت بالعذاب في الدنيا أولا مثل - أغرقوا فأدخلوا نارا - ومثل - لهم عذاب الخزي في الحياة
 الدنيا ولعذاب الآخرة أشد . ومثل - سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم -
 وجميع الخسف والفرق وإرسال الحاصب المذكور في القرآن عذاب دنيوى وهكذا قال في الثواب - وأتينا
 أبصره في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين - والقرآن كله طافح بذلك ، وكفى دليلا على ذلك أنه ﷺ
 وقف على قلب بدر ونادى قائلا يا أيها الجهل يا فلان يا فلان - لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد
 ربكم حقا - فقال الصحابة له ﷺ كيف تسكلمهم وهم قد جيفوا (بشدب الياء) فقال انهم لأسمع لما
 أقول منكم ولكنهم لا ينطقون . فهذا منه ﷺ ليفتح لنا باب العلم في هذا الزمان لأن هذه آية في القرآن
 - ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم
 فأذن مؤذن بينهم - الخ وهذه الآية مسوقة للآخرة لا الدنيا . فوقوفه ﷺ على قلب بدر ومناداته لقتلى
 فريش تعلم منه لنا أن الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة والمناداة في الدارين بدليل انه ﷺ ناداهم وهو
 في الدنيا وأصحابه معه . ذلك كله دليل على أن الثواب والعقاب يتبدلان من الدنيا بالعقل والنقل والنبوة هي
 التي وضعت ذلك . ومن ذلك مسرات المجتهدين باجتهادهم وحزن القاصرين من أجل تقصيرهم ومن ذلك
 براعت الجذو والاجتهاد بما في الأئمة من الولوع والخوف من التعبير والتم والحجل أمام الناس في هذه الدار
 كما أوصاهنا هنا . ولذلك يقولون اليوم كما قمتنا في (سورة الحج) عند قوله تعالى - ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم
 من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر - أن النابغين في الأمم تحدث لهم صفة تورثهم الصفة فيجتنون في العلم
 والعمل حتى يزيلا تلك الوصمة فذلك انما هو خزي وضع لهم في أفئدتهم امتد لهم في أنفسهم فخرهم للرفق والسعادة
 فقال أريد ايضاح مسألة الخزي على شريطة أن تكون من نفس القرآن بما هو أوضح مما تقدم . قلت
 يقول الله تعالى في (سورة آل عمران) - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتنا عذاب النار - فذكر عذاب
 النار بعد بيان أن هذا العالم ليس مخلوقا باطلا بل بحكمة وذلك يستدعي أن تقف النفس على عجائبه وبدائمه
 فأردفه بطلبهم من الله أن يقهم عذاب النار . وقد قال علماءنا كما أوضحته هناك في تفسير هذه الآيات ان
 عذاب الخزي أشد على النفس من عذاب النار . ولذلك تسمع العاتية يقولون في أمثالهم ﴿ النار ولا النار ﴾
 وتقول مريم - يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا - فالحياة بلا شرف يكون العدم أفضل منها والجهل
 أقبح شئ عند الناس وهذا واضح هناك فأقرأه فانك ستجد أن نفوسنا خلقت لتعرف هذا الوجود وتدرسه
 وأن الجهل عار عليها ولا تزال مضطربة للجهل به حتى تعرف والا فهي في عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولهذا
 قال بعدها - ربنا انك من تدخل النار فقد أضرته - فكأنه أبان أن عذاب الخزي أشد من عذاب النار
 ثم أظهر الحقيقة واضحة بعد ذلك فقال - ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا نخونا يوم القيامة إنك لا تخلف
 الميعاد - وهذا كقوله - لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشد - كما ذكرنا عذاب الخزي
 الآن ظاهر في أم الاسلام . أحاط بها الخزي لأنها جهلت ما خلق الله في السموات والأرض فلم تعلم ما أبدع في
 الكائنات فنعها الخيرات الخبوءة في أرضه لأنه تعالى لا يرضى أن يعطى النعمة إلا لمن يطلبها باستحقاق ويستاق
 إليها . فانظر كيف تلازم العذبان عذاب الخزي وعذاب الأجسام ، فقالوا نحن المسلمين نخزي أمام الأوروبي
 بسبب الجهالة وبسبب أنهم ينظرون إلينا فنظرك الى الحيوان لجهلنا وأجسامنا متعبة معذبة لأنهم أحاطوا بأبناء

العرب من كل ناحية يرسلون اليهم طيارتهم ومدافعهم ويقولون لنا في مصر إياكم أن تحملوا سلاحا إياكم أن تعملوا بالناصركم به والأضر بناكم السلاح وقد قتلوا منا قوما وأخذوا منا ألف ألف أيام الحرب العاتية فمروضهم للنار وقتلوا منهم كثيرا فقتل هذا عذاب جسمي مضاف لعذاب الخزي بجهل ما أبدع الله في السموات والأرض فلما أتممت هذا القول رأيت هذا الشاب ظهرت عليه أمارات السرور والانفعال وقال الحمد لله قد نلج صدري وأسأل الله أن يطيل حياتك ومن ذا الذي كال يخيل له أن ماسمعه سماعا منسجج ونحن نحس به في أنفسنا عملا كأنه مجسم أمامنا . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب يوم ١٤ يناير سنة ١٩٢٩

﴿ جوهرة باهرة في ذكر ما يناسب هذا المقام من كلام علماء الأرواح ﴾

اللهم لك الحمد . قد تجلى نورك في الآفاق وظهر وبهر في حسنه واشراقه وجماله . ضربت لنا الأمثال في أنفسنا وفي الآفاق وأبدعت عالم الصور وعالم الأرواح على وفاق ونظام ابتهجت به القلوب وأشرقت به النفوس فلاح له فجر الفلاح في عالم الأشباح ونحت من ظواهر الأنوار خوافي الأسرار

﴿ البنائون والجوهريون ﴾

رأيانا يا الله أن فطرنا تجلت لها مواهب من لديك فعرفت كيف تضع الأشياء مواضعها . نظرت في الجبال فرأت في ظواهرها الاحجار وأنواع الجير والكلس والى الأرض فوجدت فيها الطين والرمل فألهمتها أن تجمع هذا وذاك وأن تبني بها المساكن والحصون لحفظها من الحر والبرد والعدو والوحش في القفار . ثم هي نظرت نظرا أدق فوجهت نظرها الى مافي باطن الجبال وأعماق البحار فاستخرجت الأحجار الكريمة والمعادن الطريفة من اللباس والياقوت والزمرد والذهب والفضة والدر والمرجان فأرأتها جيلة بهية وعلمت أنها قليلة الوجود لانتابها إلا بمشقة فأدركت هذه الأنفس التي أترتها بنورك وأفضت عليها من سنانك وشعوس اشراقك لأنك نور السموات والأرض ان هذا الجبال لا يناسبه إلا الجبال وأن ما يهوزها العناء والنصب في الجدة والطلب عزيز ثمين فلم تضع تلك الأنفس هذه النفائس إلا فيما يوافيها ولم تهدمها إلا لما نفعها . فإذا صنعت ؟ أهدهت للفوائ وزينت به الجوارى الحسان . هذه أفعال البنائين وأعمال الجوهريين كل أعطى ما يوافق مشربه ويوافي صنعه فوضه في موضعه وقرأ - وكل شئ عنده بمقدار -

﴿ رجال السياسة ونظام المدن ﴾

ثم رأى رجال السياسة وعلماء الديانات من سائر الأمم والأجناس أن بناء الأمم وحفظ كيانها واستقامة أمرها لا يتم إلا بظواهر التشابه والنشاكل فأمروا الجمهور أن يتباعد عن الزنا والسرقة والنم والقتل والإيذاء والإضرار بالناس وأن يكون الجميع على مشرب واحد ورأى متناسب فكان مثلم كمثل البنائين الذين يضعون الأحجار مع ما يناسبها والطين والأجور كذلك غيرناظرين الى مافي بواطن الجبال من الجواهر والالى مافي أعماق البحار من الدر والمرجان فيسجنون السارقين ويقتلون القتاتلين ويقيمون الحق ويدلون بالقسط ويضعون مع الشعوب فعل البناء مع الأبنية بحيث اذا اختل حجر من أسجار البناء أولبنة من لبناته أو مدرة أو أجرة من حائط أسرع في اصلاحه وضبطه أورمى به وكسره وأتى بأسرخل محله . هنالك يقوم الحائط وهكذا يقوم نظام الأمة وتبقى الى حين حتى اذا غفل الحكام وثام الوعاظ وعلماء الدين تداعت الأمم الى السقوط وهوت الى الخنض كما يتدهى البناء الى الانهيار ويسقط اذا أهمله القاطنون بأمره وهم ساهون لاهون

﴿ حكام الأمم والجوهريون ﴾

وهنا جاء دور الحكماء والمفكرين من الأمم الذين نسبتهم الى علماء ظواهر الديانات ورجال القضاء والفقهاء ورجال السياسة كنسبة الجوهريين الى البنائين . فكما أن البنائين يكفون في بنائهم بوضع أحجارهم

وتناسبها بضبطها باللائم أو بانتظام اللبسات بضبطها بالطين الخلوط بالطين المحافظ لها من الاختلال والسقوط هكذا رجال الشرائع الدينية ورجال السياسة المدنية يكتفون من أهم التي هم قوامون عليها بظواهر الأخلاق وبوادر الأحوال وحسن المعاشرات وترك المنازعات والقتل والسرقة وهتك الأعراض وما أشبه ذلك وأن بروهم قد اجتمعوا في الأعياد والمواسم واللواكب والصلوات والجماعات فيكتفون منهم بذلك ولا يبالونهم بأجبرته ولا يفتشون عن قلوبهم ولا يسألونهم عما في ضمائرهم يقولون ﴿ لنا الظواهر والله يتولى السرائر ﴾

أما الحكماء والمفكرون قائمهم يقولون أيها الناس نحن لانكتفي منكم بالظواهر ولكننا ذكركم بأن الجوهر غير الأحجار ومن ذا الذي يقيس الصدف بالجواهر أو القشر باللب أو الجبر بالمدن والأحجار الكريمة . فكما لاتناسب بين الجوهر التي تنحلي بها الحسان وأحجام الأحجار هكذا لاتناسب بين عالم أرواحكم وظواهر أخلاقكم لأن اكتفى البناء بقتاسب الأحجار وضبطها والرجل السياسي والقاضي بظواهر المدنية والمعاشر ليطالب الحكماء مطلباً أسوأ من هذه النفوس الإنسانية وليقول لكم ماصورته ﴿ إن عالم الأرواح بعد مفارقة الأبدان أشبه بالأحجار الكريمة والمعادن النفيسة فهذه لها مقام أجل وأجسى ولن تكون إلا فبا يناسبها وما يشاكلها ثم يقولون لهم ستفوزون فرزا ويصطفى كل من كان أجل وأسمى ويجعل في أجل مكان وكل من كان منكم غير مصطفى ولا مستقى ولا ينه في ولا جلال يرجع القهقري إذ لاتناسب بين البهرج والذهب الصرف

وهل ذهب صرف يساويه بهرج ؟ والجمال هنا والسفاه ﴿ بأمرين • اثنين ﴾ لثالث لها ﴿ أحدهما ﴾ العلم ﴿ وثانيها ﴾ العمل . فالأرواح التي جلت بالعلم وصفت بالقهم وانتظمت بالحكمة وأشرقت بنور ربها وتجلت لها هذا العالم على قدر طاقتها فهذه تكون شموسا مشرقة تجاور الملائكة والنبين للساكنة والمناسبة . أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبين - الخ - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - ويشترط مع ذلك أن تكون أعمالها مطابقة لذلك العلم قائمة بواجبها . فالعمل مطابق للعلم والظاهر للباطن فهو أولئك هم الذين يصطفون ليكونوا أربابا ويعيشون مع الملأ الأعلى - في مقعد صدق عند مليك مقتدر - ﴿

هذا هو الذي تجلى لنسبي وانشرح له صرى يوم الثلاثاء ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩

ولقد رأيت مقاما يناسبه في كلام (عمانوئيل) الذي حدثتكم عنه أيها الذكي في سورة التوبة وأسمعتكم تاريخ حياته وإن أباه كان أسقفا في الدين المسيحي وأنه هو كانت له منزلة رفيعة في الدين وفي الدولة ولكنه لما اطلع على عالم الأرواح تغيرت عقيدته في نظام هذا الوجود وأخذ يهدم ما بناه الجمل في أوروبا بأيدي صغار رجال الدين الذين شوّهوه فقال يا قوم والله لاتثليث واتى رأيته المسيحي بعد الموت يبحث عن إله ثان وثالث فلا يجد إليهما سبيلا . ولقد تقدمت ذلك في (سورة التوبة) وفي غيرها فأرجع إليه إن شئت . ثم انظر ما يقوله في كتابه المسمى ﴿ السماء والعالم ﴾ ما يناسب هذا المقام فتدبأ في صفحة ١٩٤ من هذا الكتاب وما بعدها مالمخلصه أن الإنسان يجب أن يعرف العلوم الإلهية والعلوم الدينية وعلى مقدار ذلك يعرف ذكؤه وحكمته وقسم الذكاء ﴿ قسمين ﴾ قسم كاذب وقسم صادق قالني أدرك الحقائق ادراكا نفسيا لا تقليديا وأجبه وامتلأت به نفسه وأشرقت بها اشراقا وصارت من جوهرها فهذه أرواح حكيمة تكون مع الأرواح العالية أما الأرواح التي قرأت ظواهر العلوم وإن كثرت ورويتها أوفهمتها ولكن لم تتأثر بها ولم تعشقها ولم تخرج بها نفوسها فهو أولئك وإن اشتهروا بالحكمة فهم ليسوا من الفضلاء ويكونون كالعمامة ويوضعون في منازل الجهلاء وهكذا أولئك الذين يفعلون الخير لا لنفس الخير بل لأجل الصبب والذكر أو من خوف الفضيلة والعلو أو الخوف على المال ونحوه ولو خافوا وأنفسهم لأهلكوا الخرت والنسل . فهو أولئك يوضعون هناك في المنازل التي تناسب نفوسهم لا ظواهرهم لأن المدلل على المواطن لا الظواهر فالعلم بهذه الدنيا وجاها وعمل الخير إن لم يكونا محبوين حبا حقيقيا فمزجيين بالنفس بحيث يصحان بمقعة لها فإن صاحبها لا يكون من المقربين

ولما اطلعت على هذا القول وجدته يناسب ما في ﴿ إحياء علوم الدين ﴾ للإمام الغزالي من حيث غواه
 وتذكرت ما قاله في الإحياء ان عليين لأولى الألباب وهم الذين هذا وصفهم . أما الهبة المحسوسة فانها تكون
 لقوم ظهوروا بالصلاح وبواطنهم مشغولة فهو لاد يدخلون الجنة ولكن أولئك يرفعون الى الملأ الأعلى وقد تقدم
 في (سورة البقرة) في أولها عند ذكر الجنة والنار فقد نقلت النص هناك فالرجع اليه ان شئت
 فلما سمع صاحي ذلك قال ان هذا القول وان كان في ذاته حسنا وجيلا فقد ذكرت العلم والصلح
 وأبنتهما ولكن مقام الكلام انما هو أمر الضمير قد جله الرجل الانجليزي قاتل زوجته الذي أزرجه ضميره
 فقلت ان ما كتبتة الآن انما هو مقدمة لما سيأتي . اعلم أن هذا الانسان حين تضعه أمه من بطنها لا يجب
 إلا نفسه فهو يطلب كل شيء لنفسه وكما شدا قليلا أدرك أن غيره له حقوق . فكل ما تراه في نوع الانسان
 من حقد وغيظ وطمع فهو راجع الى حال الطفل الأولى ﴿ وبشارة أخرى ﴾ هذا النوع الانساني كله فيه
 أخلاق الأطفال وعلى مقدار الترقى في العلم الحقيقي لا المزيّف يعرف الانسان هذا العالم ويعب الانسانية . هذا
 أول الأمر وآخوه . هذا النوع الانساني لو كشف الغطاء عن عقول أفراده لأدركوا أن الذي غرس الكراهة
 والطمع انما هو الجهل وأن الذي ينقذهم انما هو العلم الحقيقي إذ لاسعادة لهم إلا بأن تستخرج نواتج قواهم
 وعقولهم . فانظر الى رزق الانسان لماذا لم يكن من الأرض وحدها ولماذا تراه مأخوذا من السماء والأرض
 معا . قل من يرزقكم من السماء والأرض . ولماذا نرى له عينين بهما يصير السماء والمطر حتى يعرف أن
 رزقه اشتركت فيه السماء والأرض . أمن يملك السمع والأبصار . أقول أيضا لماذا كان رزقه منهما
 وحواصيه ترى ذلك فأذنه تسمع الرعد المؤذن بالمطر وعينه ترى نفس المطر والزرع . نحن علمنا علما لاشك
 فيه بما ذكر في هذا التفسير أن صانع هذا العالم حكيم متقن . فانظر الى شجرة التين المرسومة في سورة الطهر
 وتأمل فيها وفيما شرحته هناك . ألم تر أن كل جنس وورقات كوّنت دائرة وبين كل ورقتين (٧٧) درجة من
 الدائرة ؟ فلماذا لم يحصل خطأ في هذه الهندسة ولو في درجة واحدة من درجات تلك الدائرة المشتتة على
 دائرتين حلزونيتين . هذا هو فعل صانع الكون في أمر تراه أماما في نبات ؟ فهل يكون حكما متقنا في هذا
 ثم هو يفضّل عن الاتقان في رزق الانسان . أي لماذا لم يحصل رزق الانسان من الأرض وحدها على
 قدر طاقة الانسان كما فعل في (حشرة الأرض) المرسومة المشروحة في (سورة النحل) فيما تقدم . ألم تر أنها
 خلقت حياء فالملكة والراعا جميعا عصى العيون وهنّ مع ذلك يعملن أعمالا تهجز العقول وجعل الله قوتهم
 من داخل بيوتهم ولهنّ قدرة أن يستخرجن الماء بحيث يستنبطن من الاكسوجين المنديج في المواد الغذائية
 مع الادروجين السكامن فيها ماء فلا احتياج الى ماء السماء قالوا بدليل انها تعيش في الصحراء والجبداء التي
 لا نبات فيها ولا حيوان ولا ماء ولا مطر وتبنى أماكن تصلوا على الأرض نحو (أ) أمثا وتمتد أميالا لا يقطعها إلا
 الديناميت . فهذه رزقت عما بين يديها فلا تحتاج الى مطر من السماء ولا الى أعين بها تبصر المطر . إذن فلماذا
 رزق الانسان من السماء والأرض معا ولماذا أعطى الأعين التي بها يصير الانسان السماء والأرض . عجبا ليس
 نفس هذا الخلق وهذا التقدير في جسم الانسان وحواصيه ورزقه دليلا على أن هذا الانسان خلق ليعرف
 العوالم كلها . وأيضا يرى الانسان انه كما استفاد رزقه من السماء والأرض لن يتم له ذلك إلا بمساعدة الانسانية
 كلها لاسيما في هذا العصر الذي ظهرت فيه الطيارات والطرق الحديدية والكهرباء والتلغراف (البرق) والتلفون
 وهكذا . إذن خلق الانسان وتركيب العالم الذي خلق فيه يوجب أن يعرف العالم الذي هو فيه وأن يجب
 الانسانية كلها والا فهو مذهب ظالم فهذه حكمة قوله تعالى . قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك
 السمع والأبصار . كما تقدم . وهنا تنظر الى جزء هذا الانسان . جزاؤه أن يعطى على الخير خيرا ويعطى على
 الشر شرا وكما أعطى قوة بها يتناول الغذاء وينظر السماء والأرض أعطى قوة كلمة فيه تؤنبه على التفسير

وتحتمل على العمل الصالح وهذه القوة مستمدة من عوالم أخرى يمر عنها الجنة والنار . فهذه القوة الكامنة فيه تظهر آثارها في الحياة الدنيا وفي الآخرة . أما في الحياة الدنيا فاننا نحس بوخس الضمير وبالمذلة على جملتنا بما حولنا وعلى تقصيرنا وهذا واضح في مواضع كثيرة من هذا التفسير . وأما فيما بعد الموت فاجب كيف نرى في كتاب (السجدة وجهن) الذي حدثك عنه هنا وفي مواضع أخرى من هذا التفسير فان مؤلفه رجل من علماء الأرواح فتراه يقول (إن الانسان إما أن يكون متصفا بالعلم والعمل المطابق له وإما أن يكون خاليا منهما وإما أن يكون عمله مطابقا لعله كثيرا أو قليلا) وهذه الصور جامعة لكل أحوال الانسان فان كان عالما بالخير عاملا بالفضيلة فانه بعد الموت يرفع الى الجنة ولا يزال . وان كان مولعا بالشر ولا يعمل سواه أخذته الملائكة الى جهنم بلا سؤال . فان كان على هيئة الصورتين الآخرين بحيث يعمل ولا يعمل (وبعبارة أخرى) تكون أقواله وعطاؤه خلاف باطنه فينطق بالحكمة ويضمر الشر فهذا يمتحن ويبقى في عالم البرزخ مدة حتى تعرف أخلاقه وهناك تطلق له الحرية في الكلام فتطلب عليه الحقائق التي في نفسه فيسلكم أولا قليلا بما في باطنه ثم يزداد تسكمه بحقائق نفسه قليلا قليلا ثم يربح بحيث يكون ذلك كالجنون المتقطع في الدنيا . فمن الأحوال التي هي أشبه بالجنون يبين كل مافي نفسه ومتى أفارق ندم وحزن وعجب كيف يفضح نفسه وهكذا يزيد حاله حتى يعرف باطنه تماما وحينئذ يحكم عليه للفنشون من الملائكة الذين يمتحنونه ومتى تم الامتحان جعلاه فيما غلب عليه إما في جنة إن غلبت على قلبه الفضائل أو في نار إن غلبت عليه الشرور والامتحان يكون من دقيقة الى شهر الى سنة الى ثلاث سنين الى ثلاثين سنة . ويقول انه لا روح هناك يزيد امتحانها عن ٣٠ سنة وطول الامتحان راجع الى ثلث المستكن في النفس فعلى مقدار المكابرة والسكنان تبقى الروح بعيدا عن الجنة والنار . هذا مايقوله ذلك العالم الروحاني ومدارك الكتاب كله على ذلك . ويقول في صفحة ٢٧٦ ما نصه

(إن أعمال الانسان متى كشفت له بعد موته فان الملائكة التي أعطيت وظيفة التفتيش تنظر الى وجهه وتفحصه وتفتش جميع جسده وتجد الأعمال مرسومة على جميع الجسد وأوائلها مرسومة على السماغ . قال وهناك يظهر كل شيء في ذاكرة الانسان وليس المرسوم هناك الامور العائمة فقط بل الامور الخاصة أيضا فكل فكرة وكل حكمة تسطر في دماغ الانسان وهل جسده) انتهى ما أردت تلخيصه من هذا الكتاب فقال صاحبي وهل كلام هذا الروحاني الافرنجى منطبق على ديننا . فقلت انه مجزء للقرآن أرسلها الله في آخر الزمان . يقول الله تعالى - خلق الانسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستهجنون - وقال - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - قاله عز وجل ربنا آيات في كل شيء . قال وما آيات هنا . قلت انظر الى قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن بملك السمع والأبصار - فانظر كيف غاب على عدم التبصر في النظر وفي العمل في الدنيا وفي الآخرة . أما في الدنيا فانه يقول - فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون - وقال في الثواب - وآتيناه أجروا في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين - فهذه كتاب الله أرانا أن عذاب الناس في الدنيا راجع لجملتهم وتقصيرهم وهذا العذاب الدنيوي يحس به المسلمون وبعض به القرعجة وأهل الأرض اليوم قاطبة لأن أهل الأرض الغالب والمغالوب كلهم جهلاء بالحقائق وعلى قدر الجهل هم جميعا معذبون عذابا دنيويا ثم انظر الى الانسان بعد الموت فهذا علم الأرواح يحدثنا بما جاء به القرآن . ألم تر الى قوله تعالى - ولوترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أضغاث اليوم يجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون * ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وترككم ماخولناكم وراء ظهوركم - الى قوله - وصل عنكم ما كنتم تزعمون - فانظر أليس معنى هذا أن العذاب

كما يقع في الدنيا يقع بعد الموت مباشرة والملائكة هم الذين يتولون هذا العذاب الذي قاله ذلك العالم الروحاني الأوروي . ثم ان هذا الانجليزى الذى قتل زوجته قد وقعت له حال نادرة فأقرّ بقتلها لما وصل الى المكان الذى رآها فيه أول مرة وأحبها فانتقل الى عالم الروح ونسى الجسد كما يحصل بعد الموت إذ يظهر الانسان خفاياه شيئا فشيئا وإذا فطن بعد الاظهار ينكر ما قاله ويجب كيف جنّ بهذه الدرجة . فهكذا هذا الانجليزى القاتل لزوجته بعد ما أقرّ أمام الشرطة رجوع وقال أنا لم أقتل وذلك كما يحصل بعد الموت في أول الأمر إذ ينكر الانسان بعد الاقرار ثم يزايد الأمر وبعد ذلك يبعد الظاهر مع الباطن . إذن ضايرنا في هذه الحياة مملوءة بالآراء المخزونة فيها وقد ختمت بنحتم وطبع على القلوب حتى يأتي يوم تظهر فيه الحقائق وهذا نفسه قوله تعالى - فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يفادى صغيرة ولا كبيرة إلا أفساها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا - وقوله تعالى - بل الانسان على نفسه بصيرة * ولوأني معاذيره - وقوله تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون * يومئذ يوفيه الله دينهم الحق - الخ

الله أكبر . إذن هذه العلوم الروحانية أصبحت في هذا الزمان تفسيراً للقرآن . إذن هذا هو الزمان الذى أخبر به القرآن إذ قال - سنريهم آياتنا - الخ وقال - سأوريكم آياتي - الخ . وإذا قال قائل من الفرنجية ومن المسلمين ان هذا القول من هذا الافرنجي خرافة . نقول له انظر بعقلك هذه الهندسة والنظام فكيف يرزق الانسان من السماء والأرض وكيف يعطى العقل والحكمة ؟ فهل هذا الصانع للعالم يتقن الحشرة وحواشها ويجعل كل حاسة محكمة ثم هو يجعل رزق الأرض على النهج المتقدم وحواشها ورزق الانسان على ما ذكرناه من السماء والأرض وهكذا حواسه أقرّ وأجدر ولانكون هناك نتائج لما على مقدار حالها . إذن الانسان محبط به عوامل وفي داخله غرائز كلها متعدات على انه ملزم أن يرقى رقىا متواصلا وأن تقصيره يردبه ويهلكه في كل مرحلة من مراحل حياته . هذا ما فتع الله به صباح يوم الأربعاء ٢٣ يناير سنة ١٩٢٩ والحمد لله رب العالمين

(المقال الذى ألقته على مسامع ذلك الطالب)

فقال لقد قرأت عيني بما سمعت منك في أمر الجنة والنار عقلا وقلوبا ولكنى لم أزال أطلب الافاضة في أمر الله سبحانه وتعالى فأنت قلت في أول الحديث ان الله عز وجل ثابت وحق واستدللت بأن القضايا ثابتة مثل القضايا الهندسية مثلا . وأيضا قلت لى ان الانسان والأرض التى هو عليها عالم ضئيل . كل هذا حسن ولكن لماذا يعاودنى الفكر فى كل حين للبحث ؟ ولماذا أجد عقلى لا يقف عند حد ولا عند ما سمعته منك . فقلت ان هذا رسول من الله تعالى لقلبك أن يستمر في البحث حتى يقطع . قال ولكن ليس عندي اقتناع للآن . فقلت فاسمع إذن . لقد علمت كما قلتمنا في (سورة النور) عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - في مسألة قطرة الماء التى وجد العلماء انها تحوى من الذرات عدد (٥) على يمينه (٢٠) صفرا تقريبا وأن هذه الذرات متباعدات جدا ويكون مكان الذرات خاليا فيبينها أبعاد كأبعاد ما بين الشمس والأرض أى بالنسبة لأحجامها وقد تقتم هذا هناك وأن هذه الأعداد تقرب من أعداد كواكب السماء التى عدت بقدر (٢) على يمينه (٢٤) صفرا . إن هذا العالم كله يرجع للجواهر الفردة والجواهر الفردة ترجع لأنوار كهربائية فهاهى إلا ذرات ضوئية تدور منتهى واحدة حول الأخرى كاتدور السيارات حول الشمس والذرة الضوئية الدائرة يسمونها كهربائية سالبة والذرة الضوئية الثابتة يسمونها موجبة وهذه الدائرة تجرى في الثانية (٦) ملايين مرة حول الثابتة . وباختلاف مقادير هذه الذرات مع اختلاف مقادير الحركات في الثانية تختلف العناصر المركبات منها وهذه العناصر بينها نسب عجيبة متراها في (سورة العنكبوت) قريبا

وهذه العناصر منها هذه المركبات من شمس وسيلرات وأرضين وأقمار وإنسان وحيوان ونبات ومعادن فكل ما نشاهده حولنا ومحيط بنا يرجع لأنوار تجرى في أماكن خاليات وكأننا نعيش في خيال وكأن الوجود الحقيقي ماهو إلا موجود لآراء لأن آثاره تظهر لنا من كلام علماء اللادة أنفسهم أنه لا معنى لوجوده بل هو فقط ضوئية في أماكن خالية و ماهو الضوء ؟ الضوء ليس شياً سوى حركات في شئ سموه (الآثير) و ماهو الآثير ؟ هو عالم عرفه الناس بقولهم لاغير . أما حواسهم فانها لم تقدر على تصورهِ . إذن اجتماع علماء العصر الحاضر أظهر أن كل مآثره ونسجه ونشمة ونذوقه ونفسه ان هو إلا حركات لعالم لا يدركه وأن أسباب هذه الحركات وراء عقولنا . إذن الموجود الحقيقي غير ما أدركناه بحواسنا . إذن هناك وجود حقيقي أورث وجوداً ظاهرياً وهو الموجود الحقيقي . وهنا نقول أيهما هو الأصل العلم أم الوجود . فقال العدم هو الأصل فقلت الناس اعتبروا التفريق عندما فإذا رأوا إنساناً مات وتفرقت أجزأؤه أورأوا حيواناً هلك وأكله غيره سموه معدوماً و ماهو معدوم بل هو مفرق الأجزاء والأجزاء موجودة لامتدومة . وإذا كنا على حساب اصطلاح الناس بمقتضى حواسهم قد حكمنا بخطئهم في عدهم ما تفرقت أجزأؤه معدوماً فليكن كذلك حكمنا على حكمهم على الموجود الحقيقي الذي هو السبب في الوجود الظاهري المجازي . فإذا أخطأوا في قولهم ان الميت معدوم وجوابه أن يقولوا مفرق الأجزاء فقد أخطأوا في حكمهم على الموجود الحقيقي بأن وجوده من الأزل يحتاج الى البرهان لأن العدم هو الأصل . فقال نحن إذا حكمنا بخطأ الناس في قولهم عدم الميت لا نحكم بخطئهم في قولهم وجد الإنسان بعد العدم فانه كان معدوماً فإذا حكموا بأن الأصل هو العدم فقد حكموا بما يشاهدونه فإذا قالوا إن الموجود الحقيقي الأصل فيه هو العدم والوجود يحوجه دليل فهم على حق . فقلت هذا الظن أيضاً منهم خطأ فان الذي وجد بعد العدم كالإنسان والحيوان والكلوكا وب كالشمس فهؤلاء جميعاً كانوا موجودين وإنما الأجزاء كانت مفرقة فاجتمعت . فأجزاء الطفل التي زارها كانت موجودة قبل وجوده فهذا اجتماع فقط بعد التفرق . ففضية أن العدم سابق على الوجود ناشئة من اشتباه الناس في الأمر يظنون اجتماع الأجزاء وجوداً وتفرقها عدماً . والوجود والعدم راجعان للأوصاف والأوصاف أعراض . فقال إذن أنت تحكم أن العدم لا يسبق الوجود . فقلت نعم . فقال وماذا تقول في أن العالم حادث . إذن في رأيك هو قديم . قلت له لقد نسبت ما قلناه في هذا المقال . ألم أقل لك ان التحقيق في عصرنا الحاضر انه لا عالم موجود وإنما هذا العالم عبارة عن صفات لعالم يسمى الآثير إذ هو نور وما النور إلا حركات في الآثير فالعالم حركات لاغير إذن العالم وجوده تبع لغيره وهو الموجود الذي عرفناه بقولنا فرجع الأمر الى مذهب أفلاطون القائل بعالم المثال أوهو الذي يسمى اليوم (عالم الآثير) وهو يقول ان كل ماهو حاصل الآن في عالمنا ماهو إلا ضرب أمثال لعالم المثال (اقرأ جمهوريته فان هذا واضح فيها) . فقال إذا لم يكن العالم له وجود فكيف تقول ان النبات أو الحيوان كانت أجزأؤه موجودة قبل وجوده هو . فقلت ذلك باعتبار مرتبة الحواس ومرتبة الحواس مرتبة غير حقيقية فهذا التعبير راجع للوجود المجازي كما قلتمت لك . فقال إذن أنت ترى أن العالم اليوم وجوده باعتبار آراء علماء العصر الحاضر راجع لحركات لعالم لآراءه . فقلت نعم والموجود الذي لآراءه الأصل فيه الوجود لا العدم لأنه لا دليل على عدمه فإذا كان موجوداً من الأزل فهذا هو الأصل . قال ولكن أنت قلت ان العالم حركات لعالم لآراءه . إذن الله متحرك وهذا كفر . فقلت الله لا يتحرك وإنما هو خالق للحركة في الآثير . فقال إذن الآثير عالم قديم . قلت هنا يتف عظمى عقلى لا يدرك ذلك العالم وإذا كان ذلك الأمر موجوداً فلا أدري كيف يوجد وكيف هو وأنا لا أعتدى طوري ولكن أقول الذي ثبت من أقوال علماء عصرنا الحاضر أن عالمنا لا وجود له باستقلال والآثير الذي قالوه أنا لا أعرفه ولاهم يعرفونه فلنرجع الى قنوسنا ولنشهد عليها بالجبر (الجزء من الإدراك ادراك) لا يعرف الله إلا الله فالأولى أن نعتبر بعجزنا . قال فاضرب لي مثلاً

هزئت من الحقيقة . فقلت نعم أضرب لك مثلاً لله في خلقه بنا فقله ضرب الله مثلاً لنوره بالفتيل والشمس .
 اعلم أن الإنسان منا في كل وقت يتصور صوراً بحيث يخيّل له السماء والأرض والشمس والقمر . قال نعم
 وهذا خيال . قلت نعم هو خيال ولكن أهدنا الخيال موجود . قال . كلا . قلت بل هو موجود . ألم يكن
 للخيال نتيجة في الظاهر . أليس كل ما فعله لا يتحرك له إلا بعد الصور التي أبرزتها نفوسنا في خيالنا . قال
 بلى . قلت وهذه الصور على مقتضاها نفعل فنبني بيوتنا ونثقب صناعتنا . قال نعم . قلت فهل المصنوع
 ينتج الموجود . قال لا . قلت إذن هذه صور موجودة ولكن وجودها ضعيف لسرعة زوالها . قال لا . قلت
 انه لحنى . قلت إذن ثبت لك بالبرهان أن الخيال صور لها وجود بديل ظهوراً كآثارها . قال نعم ولكن قد
 سمكت بأن علاناً لا وجود له . قلت نعم الآن في الوجود المجازي فلا تخطأ أحدهما بالآخر . إذن فلنجعل
 نفوسنا مع خيالها ضرب مثل وضرب الأمثال جائز شرعاً وعقلاً ونقول إن هذا العالم هو نعمة من نعمات
 الله تعالى وقبسة من نوره فتنبهنا إليه تعالى . والله المثل الأعلى . كسبته خيالنا إلى نفوسنا . فإذا كانت
 نفوسنا الضئيلة أمكنها أن تحدث صوراً ثبت بالبرهان أن لها نوعاً من الوجود المجازي وهي إنما ضعفت لضعف
 سببها القريب في نفوسنا . فهكذا تكون نسبة العالم إلى الله تعالى فإذا قدرت نفوسنا على صور خيالية لأزهارها
 حواسنا فآله عظيماً وحكمته التامة وقدرته العظيمة يخلق صوراً عظيمة أزهارها حواسنا وتعظم عندها لضعف
 خيالنا نسبتاً إلى قوة صور السموات والأرض كسبته ضعف نفوسنا إلى عظمة الله خالقنا وهذا المثال ينتج أن
 العالم موجود وجوداً مجازياً وأنه مستمد من الله كل حين وأنه إذا تركه الله لحقة لم يبق له وجود كأن صورنا
 الخيالية إذا غفلنا عنها طرقة عين لم يبق لها وجود . إذن العالم العلوي والسفلي والجنان والنيران عوالم لا
 استقلال لها وهي بيد الله فنحن الآن موجودون وجوداً كوجود الخيال للتحليل . وهذا يوضح لنا قوله تعالى
 - لا تأخذه سنة ولا نوم - لأن من تصور صورة وأخذته سنة أو نوم ذهبت تلك الصورة ويوضح لنا أيضاً - إن
 الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده - أي كأننا نتخيل صوراً
 خيالية لا وجود لها إلا باستحضارنا فإذا تركنا هذه الصور أو غفلنا عنها فلامسك لها بعدنا (وهذا التمثيل
 جائز كما مثل الله لنوره بالشمس والكواكب) ويضرب لنا هذا أيضاً قوله تعالى - ما يكون من بحوى
 ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم - ويضرب لنا قوله تعالى
 - وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون - ويضرب لنا - وما من غائبة في
 السماء والأرض إلا في كتاب مبين - إذن العلم الحديث وفق ما بين المذاهب كلها وأصبحت الفلسفة والتصوف
 وعلم الطبيعة كلها علماً واحداً . فنحن الآن موجودون في وجود مجازي وهذا الوجود المجازي نحن فيه مأمورون
 بالجد ولا نصل إلى الوجود الحقيقي إلا إذا نصبتنا وتعبنا وحصلنا كل علم وكل فن واتخذنا وسخرنا كل ما أمامنا من
 الوجود المجازي وأصبحت الأمم أحراراً ففعلوا ولو اتحاداً مجازياً هناك يرجعون إلى ربهم ويشاهدونه وماداموا
 ناقصين يحسبون في هذا الوجود المجازي ويعذبون ويذلون وهم في جهنم خالسون وجهنم في قبضته والنار في
 قبضته وهولاً يتنام ولا يفل . هذا ما فتح الله به يوم السبت ٢٦ يناير سنة ١٩٢٩ م

هذا وسأتبع هذا المقام أيضاً في آخر (سورة النحل) عند قوله تعالى - وقال الحمد لله سبيريكم آياته
 فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون - فهناك سأذكر (مسألتين الأولى) تاريخ الفلسفة الذي اعتاد
 الناس في زماننا أن يدرسوه أي أني أذكر النموذج الذي كتبه الأستاذ (سنتلانه التلياني) في كتاب (تاريخ
 الفلسفة) وأبين فيه مذهب أفلاطون وسقراط وأرسطاطاليس وكيف كان سقراط يرى أن العلم لا يتم إلا بالصدد
 والتعريف وأن السعادة للإنسان لا تتم إلا بالعلم وأن الشقاوة لا تكون إلا بالجهل . إذن لابد من العلم الصحيح
 والعلم الصحيح بشدة العناية بالتمارين . ثم أذكر أن أفلاطون تفهيمه قال (لا يصلح العلم إلا بأمر ثابت

والحدود والتعاريف لا ثابت لها في ذواتها ﴿ فهناك قال لابد من عالم يسمى عالم المثال فيه جميع صور الموجودات وعالمنا أنشئ على منوال ذلك العالم وحينئذ يمكننا أن نفهم كيف ثبت العلم لأننا وجدنا له شيئاً ثبت فيه . ثم نذكر مذهب (أرسطاطاليس) بعد (أفلاطون) واعتراضه على مذهب أستاذه وأن ذلك العالم المثالي لا يصح أن يكون محلاً للعلم لأنه لا وجود له ولكن الذي يركن اليه ويستند العلم عليه هي الصورة القائمة بالمادة كصورة الكرسي والمزلة والشجرة والحيوان فهذه الصور هي المحل الثابت للعلم وأبين بعد ذلك كيف كان هذا الرأي أدخل في الضعف والصف من سابقه ثم أذكر الحقيقة واضحة إن شاء الله بالعقل ثم أعرض عليها المذاهب بحيث يكون الرأي السائد في زماننا ثابتاً على قراره ممكن من العقل في هذا الزمان

هذا مأسألاً كره في المسألة الأولى هناك إن شاء الله ﴿ المسألة الثانية ﴾ تقسيم العلوم المعروفة في القرون الوسطى بحيث تمت إلى العلوم المستحدثة بسبب وهناك يكون أمام الأذكاء صفحة من العلم تبدو ظاهرة تفصيلاً لقوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - فهذا العلم مما في أنفسنا وقد أبرزه الله في زماننا وأدخلناه في تفسير الآية والله هو الولي الجيد انتهى

﴿ الطليقة التاسعة في قوله تعالى - ويوم تشق السماء بالغمام - ﴾

لقد علمت فيما سبق من هذا التفسير أن الكواكب التي تبلغ مئات الملايين لها فيما يظن له البشر ويظهر في العلوم سيارات حولها والسيارات لها أفكار كما هي حال شمسنا وسياراتها وأقارها وأن هذه الشمس العظيمة التي هي أعظم من شمسنا كانت قديماً عبارة عن غمام طائر في الجوّ يعبرون عنه بالسديم جمعه سديم وأن هذه الشمس يوماً ما سترجع إلى سيرتها الأولى أي أنها تهدم وتحلل وترجع في الجوّ كما كانت وتخلق بعد الملايين من السنين خلقاً جديداً وتتكوّن بهيئة كواكب جديدة يخلق الله فيها خلقاً جديداً . ولقد سبق في بعض السور السابقة دليل العلماء على ذلك أنهم شاهدوا في هذا العصر ستين ألف كوكب تتخلق من جديد فبعضها قارب أن يتم تكوينه وبعضها مبتدأ في تكوينه وبعضها بين بين وكلها تجهز لتكون عوالم كما نرى عالم شمسنا وسياراتها وأقارها . فهذا هو الذي دلّ العلماء على أن هذه الشمس ومحوها كانت قديماً عبارة عن غمام طائر دائر كما يرون ذلك اليوم . ولقد ذكرت ذلك في (سورة إبراهيم) عليه السلام عند قوله تعالى - يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسماوات - وكذلك في (سورة الأنبياء) عند قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناها - فهكذا هنا يقول الله - ويوم تشق السماء بالغمام - أي أن شمسنا وكواكبها وبعض الشمس الأخرى وسياراتها تصبح أشبه بالغمام لأنها صارت ناراً متفرقة في الجوّ . والسماء هي الذي نشاهده من هذه العوالم اللطيفة التي تنتهي باللون الأزرق الذي نشاهده . ومستحيل أن يكون اللون إلا في المتلون والمتلون هو هذا العالم المسمى بالآثير الذي شرحناه في (سورة البقرة) وقلنا إن من ينكر السماء قائماً هو جاهل بجهل علوم المتقدمين وعلوم المتأخرين فإن المتقدمين والمتأخرين جميعاً ينكرون وجود الغلاء بل هم جميعاً يقولون إن الفضاء مستحيل بل هو ملاء بما يسمى بالآثير وهو الذي يجعل ضوء الكواكب الينا فارجع إليه هناك ترابراهيمين القدماء والمحدثين عند قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - الخ فأنظر وتجب كيف سباهادنا وغماماً وقال انهما كانتا رتقاً ففتقهما وكل ذلك دائر على هذا المعنى فتجب من القرآن وحكمه وعجابه وأنظر كيف يقول هنا - ويوم تشق السماء بالغمام ونزل الملائكة نزلاً • الملك يومئذ الحق لارحم - الخ

﴿ الطليقة العاشرة في قوله تعالى - ويوم يصفى الظالم على يديه - الخ ﴾

هذه الآية مقابلة للآية المتقدمة في الطليقة السابعة إذ جعل هناك سبحانه الناس بعضهم لبعض فتنة وأن الصدوق فتنة وامتحان لعدوه . فأما هنا فانه يقول - ويوم يصفى الظالم على يديه يقول باليتى اتخذت مع

الرسول سبيلا * يوليئتي لئن لم أتخذ فلانا خليلا - وهذا القول ينطق به الشاعر العربي إذ يقول
عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثر من الصحاب
فان الداء أكثر ما يهكون * تراه من الطعام أو الشراب

وفي المثل « عدو عاقل خير من صديق جاهل » واعلم أن الانسان اذا كانت فتنته بعدوه عظيمة فهي
بصديقه أعظم وترى الناس مولعين بالأصدقاء جاذبين في مرضاتهم فيقعون في التهلكة والأحباب هم الذين بهم
يشبه الانسان في عاداته وأخلاقه وأحواله وأعماله وطباعه فالأحباب هم جنة الانسان وناره . ولا ترى لما
ولازانيا ولا فاسقا إلا وهو منسب بصاحب له أو صديق قد تخلى بأخلاقه وسار على منواله . وترى الأحباب
اذا وقعت الواقعة وظهرت الحقائق يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا كالصوص والقلة وما شبه ذلك
فكل هؤلاء يصبحون أعداء متى وقوا في الضيق وهذا قوله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
إلا المتقين -

الصدقة على (أربعة أقسام) صداقة تأتي سريها وتذهب سريها وهي التي سببها الشهوات فان الشهوة
سريعة الاقصاد فاذا ما انتفى أمرها ذهبت حوارثها وانطقت فلا صداقة إذن كما تراه في الزناة والسراق وقطاع
الطرق . وصداقة تأتي سريها وتذهب بطيها وهي الصداقة العقلية فانك تحب العالم أول ما يهيجك قوله ولا تذهب
الصدقة إلا بعد أمد طويل وأسباب كثيرة . وصداقة تأتي بطيها وتذهب سريها كالصدقة مع التجار
فان الانسان لا يثق إلا بعد معاملة واختبار ولكن متى ظهر الفش حصل التافسر سريها . وصداقة تأتي بطيها
وتذهب بطيها كالصدقة المربة أسبابها من أشياء مختلفة فانها تأتي ببطء وتذهب ببطء فاذا أحب امرأة لامور
كثيرة كالجاه والمال والجمال وكان لكل واحد من ذلك حظ من الحب فلن يذهب الحب إلا بطيها

فتبين من ذلك أن صداقة الشهوة تذهب وأن النفس متى ظهر بين الأصدقاء فرقهم وذلك كله في الدنيا
وأحوال الآخرة تضارع أحوال الدنيا في أمور كثيرة . وعلى ذلك ترى الناس يتبع بعضهم بعضا في الأخلاق
والأعمال واذا ماتوا وعرفوا الحقائق أصبحوا كالصوص اذا وقوا أمام القضاة في الدنيا فان كلا يجعل الذنب
على صاحبه فيصبح الأخلاء أعداء . أما المتخلصون الصادقون فلا ذنب ولا لوم فيقول الظالم الذي ظلم نفسه بترك
التعقل واتباع صاحبه - يوليئتي لئن لم أتخذ فلانا خليلا * يوليئتي لئن لم أتخذ فلانا خليلا - وهذه الحال
كحال الرؤساء والملوك التي حمرت في (سورة البقرة) - إذ تبار الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورواوا العذاب
وتقلعت بهم الأسباب - . فهنا يقول الله تعالى إن الصداقة تنقلب شقاوة وحزنا وأسفا كما تنقلب اللذات
آلاما . وترى الانسان اذا مات اتحدت في قلبه نار الحسرات على فوات الشهوات التي اعتاد عليها فانقلبت
الشهوات آلاما هكذا هنا انقلبت المودات والمحبات شقاوة وحسرة وندامة لأنها ضلال والضلال يتبعه الخسران
والهلاك فلرؤساء يوم القيامة بنافعين ولا أصدقاء بنافعين بل كل مسؤول عن نفسه

(ضعف السياسة في الأمة الاسلامية اليوم)

واعلم أن قوله تعالى - ويومئذ يظلم الظالم على يديه بقول يوليئتي لئن لم أتخذ فلانا خليلا - الخ هي الحاصلة
اليوم فان لم يكن بلغظها فبمعناها (ويانه) أن أم أوروبا أصبحت عريقة في اصطناع السلاح والكرع
والأعمال الحربية وأضافت الى ذلك قوة دوائها ومكرها وخداعها فلما رأت أم الاسلام نائمة جاهلة استعملوا
الصدقة خير سلاح لهم فترسل البولة سفيرها الى الأمير المسلم فيوحى اليه أن قائد جيشك خائن وترسل رجلا
آخر الى القائد فيفهمه أن أميرك خائن ولا يزال الفريقان يجذآن ويحتالان حتى يفرقا بينهما ثم تتدخل البولة
الأجنبية بالسلاح وتحتل البلاد فاذا تم الأمر ظهر الحق وعلم الأمير والقائد أنهما كانا غشوعين فيعص الظالم أي
الأمير والقائد على يديه يقول يوليئتي لئن لم أتخذ فلانا خليلا

﴿ حكاية ﴾

لقد جاء في الجرائد المصرية أن الأمير عبدالكريم بيلاذ المغرب الذي يحارب الأسبان قد سلب الأسبان عليه رجلا من أمته يسمى الرسول له شوكة وقوة فقام الأمير عبدالكريم على الرسول وحل به وغلبه وأسره فوقف وزير الأسبان في قومه خطيبا وقال نحن لا بهننا الرسول ولا هو له قيمة عندنا فسواء خذل أم نصر فلانناي . هذا كلام الوزير الاسباني فكأنه لما كان قويا انتفع به فلما سقط في حومة الوغى خذله ولم يبال به وهذا هو تفسير قوله تعالى - وكان الشيطان للانسان خذولا - فهذا نوع الخذلان وهذا المثل يكفيك فقد ساق الله لتفسيره هذه الآية والله هو الولي الحيد

ولكن بعد ذلك سلم الأمير عبد الكريم نفسه لفرنسا لما عرف أن قومه قد أحيط بهم من كل جانب والله الأمر من قبل ومن بعد

﴿ اللطيفة الحادية عشرة في قوله تعالى - وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - ﴾ ومعنى هجره تركه وانصد عنه • وجاء في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتجاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به ويقول يارب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه ﴾ هذا ما ذكره علماء التفسير رحمهم الله

ومن معاني الهجر التوقيف إذا سمعوه أزعجوا الله هجر وأساطير الأولين فيكون أصله مهجورا فيه والمعنى الأول أُلقي بحال المسلمين اليوم وما بعده أُلقي بحال الكفار • والمهم اليوم أن أحدثك أيها الذكر في حال المسلمين وكيف هجروا القرآن • وإعلم أن المصحف قد شكاف فلا إلى الله وقد تلقى بالمسلم وشكالي ربه وقال اقض بيني وبينه وبالفعل قد قضى الله بين المصحف وبين المسلمين وعجل العذاب لكثير من الأمم الإسلامية هذا هو العذاب المجل • سلب الفرحة علينا وأخرنا في مصاف الأمم وسيكون هذا من أسباب عذابنا في الآخرة وتأخرنا هناك عن دخول الجنة لأن المسلم اليوم محروم من القيام بشعائر دينه على الوجه الأكمل • محروم من التكبر • محروم من العلم وذلك لأنه لم يعقل ما في المصحف وزاد الطين بلة دخول أهل أوروبا في بلاد الاسلام واستيلاؤهم على الأوقاف وعلى الأمور الدينية فضصف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وهذا عقاب مجل قبل المؤجل • إن الأنبياء إذا شكوا أهمهم إلى ربهم عاقبهم وهذه شكوى من رسول الله ﷺ شكوا أولا أهل مكة فعوقبوا بغزوة بدر وأسلم أبناءهم وانتهى الأمر وشكنا نحن وإيماننا التكفر في معاني المصحف • ولأذكر لك ﴿ سأتين اثنين ﴾ عما أمهله للمسلمون قبل إصباح المقام فأقول

لماذا لا ينظر المسلمون في أول سورة نزلت • إيت أول سورة نزلت • اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذي علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم • كلا إن الانسان ليطغى • أن رآه استغنى • إن إلى ربك الرجعى • أرايت الذي ينهى • عبدا إذا صلى • أرايت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى • ألح

أفم ينظر المسلمون إلى الابتداء كيف كان • ألم تكن أول كلمة بعد البسملة - اقرأ - فكان أول مطلوب لنبي هذه الأمة ﷺ ولأمت القرامنة • وبماذا يقرأ • يقرأ باسم الرب والرب فيه معنى الترية المذكورة في أول فاتحة ثم أوضح الترية فابتدأها بقوله - الذي خلق - فالخلق كلمه في ترية الله تعالى والخلق إما بمعنى التقدير وإما بمعنى الإيجاد وهذا يحتمل سائر المخلوقين من ملك وانس وجنّ وسماوات وأرضين ثم خصص فقال - خلق الانسان من علق - وخلق الانسان نتيجة عوالم تقسمت أي نتيجة عوالم الشمس والقمر والأرض والسيارات والنبات والحيوان والماء والأرض والجبال والأنهار • كل ذلك مقدمات لخلق الانسان • والتصير بعلى إشارة إلى ما ذكرنا في هذا التفسير من سلسلة الحيوانات الممتدة من أدنى مخلوق حتى إلى الانسان وإلى

الكشف الذى أظهر أن أصل الجنين علة صغيرة جدا . وقد تقدّم إيضاحها وإيضاح تكوين الجنين وعلاقته بسلسلة الحيوانات وأن علم الجنين من العلوم الطبيعية الحية التى حضّ الله عليها فقال سبحانه - وفى أنفسكم أفلا تبصرون - والنظر فى النفس يتقدّمه النظر فى الجسم والنظر فى جسم الانسان هو العلم الحبيب والحكمة البديعة والآية الربانية والحكمة الصمدانية . إن جسم الانسان هو لوحه المقهوه وآياته البينات فاذا عاش المسلمون وماتوا ولقوا ربهم وهم على عن أجسامهم جهلاء برهم فكيف يلقونه وقد أنزل عليهم أوّل ما أنزل - اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق - وذلك يجرّ الى علوم الطبيعة كلها . علوم الطبيعة التى يقرؤها أهل أوروبا كلهم فى المدارس التحضيرية والمسلمون يأمنون . علوم الطبيعة التى أنشأها الله بيده ونظمها بحكمته وألقاها لنا كتابا مقروءا وأنزل كتابه اللفظى مصداقا لكتابه العلمى

يا محبا للمسلمين كيف يكون أوّل ما أنزل على نبينا ﷺ طاب القراءه وفهم الترتيب والبحث فى الخلق كلها والبحث فى الانسان ثم يعقب ذلك بقوله - اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم - فآله كريم لأنه خلق الخلق ورباه كما قال تعالى - يا أيها الانسان ما غرتك بربك الكريم • الذى خلقك فمواك فعدلك • فى أى صورة ما شاء ربك - ولكنه أكرم لأنه - علم بالقلم - فكرم الله عام على الانسان والحيوان فنعمة الشمس والقمر والنبات والحيوان وتسوية خلقنا ونظامنا . كل ذلك منه كرم ولكن الكرم الدائم هو نعمة العلم والحكمة لأن نعمة العلم والحكمة غذاء للأرواح وغذاء الأرواح أبقى من غذاء الأجسام والعلوم والمعارف عبارة عن جنات وأعقاب وفواكه مما نشتهى وفوق كل لذة فى عالم الأجسام فبقاء العلوم بقاء الأرواح فى هناء وبكثرتها قربنا من الله وهذا هو مقصود قوله تعالى - اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم - نغلقه للعالم كرم ولكن القراءة والكتابة والعلم من الله زيادة فى الكرم فالمسلمون اليوم رضوان لله بكرمه ولكنهم أبوا أن يتقبلوا زيادة الكرم وزيادة الكرم بالعلوم . فقوله - علم بالقلم - إشارة الى أن القراءة والكتابة يبنى أن تعلم وقوله - علم الانسان ما لم يعلم - إشارة الى تعميم العلوم فاذا كان أهل أوروبا يعلمون أبناءهم جميعا تعلما إجباريا الى سن (١٤) سنة فالمسلمون أولى بهذه المكرمة وأحق بهذه النعمة وأولى بهذه المنة . وكيف نام المسلمون آمادا طويلة وكيف نسوا القرآن وهجروه وكيف ظنوا أن القرآن أغفل العلوم

(القرآن وتقصير المسلمين فيه)

اعلم أن المسلمين فى غابر الأزمان أيام الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم نظروا فى أحوال العصر الذى هم فيه فوجدوا الأرض يعوزها العدل والأخلاق والسيرة الحسنة فنظموا البول وأداموا الممالك وقتلوا العدل وبشوا حسن المعاملة بين الناس بقدر امكانهم ففتحوا باب الحرية فى البيانات ونظموا الأمم وفعلا ما أمكنهم فله فنشط علماءهم للتأليف وحكمائهم للتدوين وقام الأئمة رضوان الله عليهم للتصنيف والتأليف وكان هناك مذاهب ومذاهب فى الاحكام الشرعية والعلوم الفقهية وساروا شوطا بعيدا فى العدل الى أن اقترضت البول العربية وجاءت الحروب الصليبية . فى أثناء ذلك فترت الحرية من الشرق الى الغرب واستيقظت أوروبا من سرحانها وهذبت تعاليم المسلمين الدين المسيحى فزججوا الى عقولهم ونظموا مذهبهم وانتقل العلم من الشرق الى الغرب وهنا رجعوا الى الطبيعة وقرؤوها والمسلمون فى انحطاط

كانت فى العصور الأولى (دولتان) فارس والروم وقد دالت الدولتان وانحللتا وحلّ الاسلام محامها وأظهر العدل ونام الناس فى عدلته وأمنوا . فالقرآن إذن أقام العدل الذى وجده بعد أن أراد أن ينقضى أقام الاسلام جدار العدل الذى أراد أن ينقضى فى البولين الضيقين فارس والروم . أقامه وقضى أمدا طويلا وفتح باب الحرية كما قلنا فاستيقظت الأمم الشرقية والغربية فقرأت العلوم . فعلى الاسلام اليوم بعد تأليف هذا التفسير أن يقوم بسطوته ويهذب الأمم ويعلمها العلوم الطبيعية . فكما أقام العدل أيام الصحابة

والتابعين فليقم العلم اليوم . فلذا قرأ العلوم أهل أوروبا على أنها ولجبات فليقرأها المسلم اليوم على أنها قر في الى الله وليكن عدل المسلمين في الصور الأولى نبراسا لهم في العلم اليوم . إن الاسلام مهذب للأمم هذبهم في إقامة العدل سابقا فليذهبهم اليوم في نظام العلوم وليقم المسلمون بما عليهم ولتقم أمة العرب قبيل الأمم بالحكمة وتدرس الوجود حبا في ربها وأنسا بخالقها وقر في الى الله

ألا يقيم المسلمون بما عليهم وليسمعوا قول الله - اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم - فقوله - علم الانسان ما لم يعلم - كلام علم يقتضى البحث والتقيب وترقية العقول بالعلوم ثم أتبعه بقوله - كلا إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى * إن الى ربك الرجعى * أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى - فانظر كيف ذكر الصلاة بعد أن شرح العلوم . انظروا أيها المسلمون كيف جعل الاسلام مؤخرا عن الإيمان . لم يذكر الصلاة إلا بعد ما استوفى العلوم . سيقول جاهل وما هذا التقديم والتأخير . أقول انه لم يعلم هذا القول إلا الجهالة الكتماء . واذا كنا نرى الأئمة رضوان الله عليهم يذكرون في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم - أن ما قدمه الله يقيم وما أخره الله يؤخر ويرجعون في ذلك الى ما ورد في بعض الأحاديث فأوجب بعض الأئمة كالشافعي رضي الله عنه الترتيب فكيف صح التدقيق في غسل الأعضاء وأيها يقيم ولا يصح التدقيق هنا وأن قراءة علوم الطبيعة مقدمة على غيرها وتعليم القراءة والكتابة له القسح المولى في الاسلام على غيرها . إن العلوم عن مثل هذا جاء من امراض العلماء في الاسلام عن هذه المباحث . ومن عجب أن تكون هذه السورة أول ما أنزل على رسول الله ﷺ فكيف يكون هذا أول ما أنزل على نبينا ﷺ ولا تفكر فيه

(سورة الفاتحة)

واعلم أن هذا النظام بعينه هو الذي جاء في (سورة الفاتحة) فانه بدأ بالحمد لله لأنه ربي العالمين لأنه خلق العالم ورباه وهو كما قال - خلق * خلق الانسان من علق - والخلق من علق ثم الترقى شيئا فشيئا هو معنى الترية فكأن هذه السورة تفسر معنى الترية المذكورة في الفاتحة والمذكورة في هذه السورة ولم يذكر العبادة ولا الهداية للضراط المستقيم ولا الاستعانة بالله في ذلك إلا بعد ما ذكر الترية ونظام العالم . فالفاتحة سار القول فيها على نظام يشبه نظام أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ وكان الله أمر بقراءة الفاتحة في كل صلاة لتذكرنا بأول سورة نزلت إذ أمرنا فيها بالقراءة والقراءة منصبه على أن نعرف ما ربه الله من الخلوقات وكما أخرت أحوال العبادات في الفاتحة أخرت أيضا في (سورة اقرأ) وملخص هذا كله تعميم التعليم فبالت شمرى كيف نام المسلمون عن قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - . لقد علمت أن آباءنا هذبوا الأمم بعلوم الفقه وأقاموا العدل وذلك من مائة وخمسين آية من القرآن ونحن اليوم رأينا الأمم تقرأ العلوم كلها وتنظم دولها فلتنم النظام الأرضي ولتقم بتعليم العلوم بنظم أشرف وهو أن يكون ذلك تابعا لأمر الدين أى أن يكون العلم عندنا أرق بما عندهم كما قال ﷺ (اذكر الله عند كل حبر وحجر وشجر) فليعلم المسلمون العلوم اليوم وليكن لهم نظام أشرف من نظام أوروبا وليقم فيهم علماء يهذبون الأمم في عاومها كما هذبوها في عدلها وأن تأخير المسلمين اليوم عن الأمم في العلوم لحكمة انهم هم المهذبون للأمم . إن نبينا ﷺ رحمة للعالمين رحم الله به الناس في العلوم الفقهية وإقامة العدل وسبرحهم بالنظام العلمى الأعلى الذى سيكون على أيدي المسلمين . سيقرا المسلمون هذا التفسير وسيعملون بوصايا القرآن في سجماته آية وخمسين تصرحها وفي غيرها تلويحا أن يقرأوا علوم العالم كله . سيقروا ذلك كله وسيقومون بما عليهم من نظام هذه الأرض ويحققون - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -

﴿ القرآن كالبهر الملمح ﴾

القرآن أشبه بالبحر فيه الماء وفيه السمك وفيه الدر والمرجان وفيه مخلوقات بدية عجيبة وقد أخذ منه أسلافنا علم الفقه وهو بعض ما فيه وما علم الفقه إلا كالسمك . فأما الدر والمرجان والماء الذي به حياة كل شيء فيكون في المستقبل . إن في البحر جوهر وان في البحر در . ان في البحر ماء يكون بخاراً بحرارة الشمس فيرتفع البحر فيصير سحباً يحلوا فيحيى به الله الأرض بعد موتها ويصكون من الحيوان والنبات والانسان . هذا هو البحر وهذا هو القرآن . فليفكر المسلمون بعقولهم وليستخرجن العلوم من مكانها كما استخرجت الحرارة الشمسية القطرات المائية من البحر المحيط فصارت أمطاراً سقت كل شيء . أخذ أسلافنا السمك منه وهو علم الفقه فلأخذ نحن من العلوم التي بها حياة العقول كما أن ماء المطر به حياة كل شيء ولننص على الدر والمرجان كما غاص أكبر آبائنا ولكن بقي ذلك مدفوناً في الكتب بعيداً عن الأمة فليُنشر ذلك للأمة ولتعم الأمة بما عليها لنفسها وللأمة وليقرؤا - وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً - انتهت اللطيفة الحادية عشر

﴿ اللطيفة الثانية عشرة في قوله تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّاً من الجهّين - ﴾

قد تقدم شرحها في اللطيفة السابعة في قوله تعالى - وجعلنا بينكم بعض فتنة تصيبون -

﴿ اللطيفة الثالثة عشرة في قوله تعالى - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - الخ ﴾

اعلم أن الناس أشجار مقابفة فروسنا مرفوعة الى أعلى تتعاطى بها الطعام والشراب ورؤس النبات الى أسفل ورؤس الحيوان متجهة الى الجهات الأربعة وانما كنا على هذا الخط لأن النبات لاحظه من الاستقلال إلا كنهه من الاتصال عن الأرض فأرأسه ملازم للطين لاحتراكه لظاهره . فأما الحيوان فانه يتحرك الى سائر الجهات ويختلف في قبول الفرائض اختلافاً عظيماً وهو في ارتقاء درجاته على أقسام كثيرة يتبدى من أدناه الى أعلاه . فانظر الى خلق الله وعجائب صنعه وتفكر في حكمته سبحانه وتعالى وانظر كيف خلق وكيف صور خلق النبات لازماً للأرض وخلق الحيوان على أنواع كثيرة وكلما ازداد فرازاً وقوى كان أبعد عن الانكسار على الأرض وكان أقدر على السبي وثرى السباع والتمور أرقى من الطيأ والغزلان فهي تأكلها وترى القرد أرقى من الجميع لما لها من الذكاء والفهم والتقليد للانسان وثرى الانسان انتصب قائماً فكانت رأسه أعلى ويداه ورجلاه لأسفل بعكس كل نبات فصدق قولنا ان الانسان نبات معكوس وهذا معنى قوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتاً - فمن نحن نبات ارتقى ارتقاء تاماً ولكن نظرنا معنى الآية التي نحن بسند الكلام عليها وهي - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - فالحشر على الوجوه الى جهنم يراد به ميل النفوس الى الامور الأرضية وذلك أن الانسان يعيش في هذه الأرض ويصادف فيها لذات وآلاماً فإذا عاش ومات وهو لم يفهم منها إلا لذاتها وجهل اللذات العالية وهي حب هذا النظام العام وتكميل النفس الانسانية فان مثل هذا يوضع بعد الموت في عوالم منحلة على قدر عقله لأن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون فخل هذا يحشر على وجهه فليس من الذين ترتفع رؤسهم الى أعلى لأن ميلهم حيواني وشهواتهم نباتية فكانه ما فهم الانسانية ولا عقل لذاتها العالية وعكف على الشهوات المعتادة عند الحيوان والنبات فترى من الحيوان ما يحب على الأرض جواً فهو لا تكون نفوسهم راجعة منكوسة الى أسفل . والأخلاق الشهوية النباتية ترجع الى الماء واللبس والسكن والزينة والنساء والمال وجيع ما هو من هذا القبيل والأخلاق السبعة ترجع الى القوة الغضبية من الحسد والكبر والظلم وما أشبه ذلك . فهذه الصفات كلها التي تبلغ ما يقارب المائة كافي علم الأخلاق تحيط قيمة المرء في الآخرة ويرى نفسه متعلقة بتلك الأخلاق فتحي محبوبة فيها عن ربها كما قال تعالى - بل وان على قلوبهم ما كانوا يكسبون - كلا لأنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - وكل امرئ يعرف

من نفسه اذا فكر هل نفسه متأهله للقاء الله فان عرف أن هذه الدنيا ولقائها تبعه وتنسب ذكر الله فليعلم أنه بعد الموت يكون معلقا بما كان معلقا به في الدنيا ويبقى محجوبا عن ربه طالما لنفسه وذلك جزاء الجاهلين وهذا من نتائج قوله تعالى - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - اى انهم يمالون الى أسفل الامور فلا يبالون أعلاها ويحجبون عن ربهم وهم الذين خسروا أنفسهم لأن النفوس الانسانية عالية الرأس مرفوعة لها خسيصة منحة منخفضة وانما وجوههم - يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة - وأما الآخرون فليست وجوههم ناضرة ولا الى ربها ناظرة لأنهم يحشرون عليها وتلصق بالأرض كما يلصق النبات لأنهم يمالون الى العوالم الأرضية محبسون على حبها لم يشفقوا ما أدركته العقول من الجبال

(جوهره في قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تقيرا -)

اعلم أن الله ضرب الأمثال لهذه الأمة وللاهم السابقة . فأما ضربه الأمثال للاهم السابقة فهو المذكور في هذه الآية . وأما ضربه الأمثال لهذه الأمة فمثل قوله تعالى - مثل الذين اتخضوا من دون الله أولياء كمثل الضنكوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت الضنكوت لو كانوا يعلمون - الى أن قال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون -

يقول الله في الأمثال لا يعقلها إلا العلماء ويقول في اختلاف الألسنة والألوان لا يعقلها إلا العلماء كما سيأتي في (سورة الروم) إذ يقول تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - (بكسر اللام) ويقول في سورة أخرى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض - الى قوله - انما نحشى الله من عباده العلماء - إذن الذين يعرفون اختلاف الألوان والألسنة ونحو ذلك هم الذين يعرفون آيات الله وهم الذين يحشرون الله فهكذا لا يعرف الأمثال إلا العلماء بها . واعلم أن الأمثال كثيرة في كل لغة وعند كل أمة ولها مقاصد فقال لأجلها ألف لها (الميداني) كتابه (الأمثال) ولأذكر لك مثلا سهلا لتقيس عليه ونشرح هذا المقام شرحا بقدر الطاقة وبما يفتح الله فأقول

(١) من الأمثال قولهم « قال الحافظ للوند لم تشقى قال سل من يعقنى فان من ورائى لم يتركنى وراى » ومعلوم أن الحافظ لم يقل للوند شيئا ولا الوند رد عليه شيئا وانما هذه جلة يراد بها اظهار العجز عن اتعرف ذنبا باكره غيره عليه . إذن المثل هو قول منقول من معناه الى معنى آخر وهو في علم البيان استعارة تمثيلية وهذا معام لمن درسوا ذلك العلم ولذلك كان هذا العلم وأمثاله من العلوم التي لا بد منها لمن يريد تفسير القرآن (٢) وقولهم « الصيف ضيعت اللين » فهذا قول نطق به رجل كبير السن لامرأة كانت زوجته فأجبت شابا وتزوجته في زمن الصيف وجاءت لهذا الشيخ تطلب اللين على عادتها في زمن الشتاء فأقارها انك ضيعت اللين في زمن الصيف . ولكن هذا القول نطقه نحن الآن على من ضيع فرصة فاته فأتى ليطالبها بعد أن فاته . فإذا طلبنا من رجل أن يشاركنا في أرض ايزرعها أو في تجارة ليدبرها ثم ننحى عن ذلك وشاركنا غيره ثم جاء وقال أريد ما كنت طلبت فانا نقول له (الصيف ضيعت اللين) مخاطبة بهذا وهو لم يطلب لبنا ولم يكن ذلك التضییع في زمن الصيف بل مرادنا انك أضعت الفرصة فليكن وحده يكون اللوم علينا . اذا فهمت هذه المقدمة فاسمع لما ألقى عليك الآن . اعلم أن الأم السابقة كانت تضرب الأمثال بالقصص والأحاديث المستملحة وتعطى أبنائها الحكم تارة على ألسنة الحيوانات وآونة على ألسنة الأنبياء وأخرى على ألسنة الملائكة وطورا على ألسنة الملوك وهكذا فترى

(١) كتاب (كلیلة ودمنة) يجعلها على لسان الحيوانات

(٢) وكتاب (ألف ليلة وليلة) على ألسنة الملوك والجن والعفاريت

(٣) وكتب اليهود على ألسته الملائكة تارة والأنبياء تارة أخرى

وهكذا أهل بابل وأهل الهند وأهل أوروبا يجعلون الأمثال على ألسته العشاق كما في كتاب ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ ومن عجب أن الأمم كلها توغلت في القدم كانت أمثالها غالباً ترجع الى الملائكة والآلهة التي اخترعوها على مقدار تلك العقول وليس عندهم في ذلك مضى وكلما اقترب زمان الأمم كانت أمثالها أقرب الى العالم الأرضي كالأنبياء والملوك وأهل زماننا لما أصبحوا أقرب الى (الديموقراطية) جعلوا الأمثال على ألسته العشاق فالمدار في كل عصر على ماغلب على أهله فان كانوا صابئين أو ما أشبههم كالأمم القديمة ذكروا للملائكة والآلهة المخترعة وان كانوا شديدي الخضوع للملوك أو متعلقين بالأنبياء ضربوا بهم الأمثال وهكذا وسأبين ذلك واضحا الآن . واعلم أن ضرب الأمثال منهج عجيب ومقام عزيز يظنه العامة طريقاً معبداً وأمرها سهلاً وما هو بمعبود ولا سهل ولكنه يحتاج الى أعمال الروية والفكر والنظر وليس يدركه إلا أهل العلم والدراسة والحكمة وسأريك برهان ما أقول الآن فهناك أسمعت ﴿ ثلاثة أمثال ﴾ تجمع أهدم أمثال الأمم الشرقية والغربية لتطلع على الأمثال التي ضربت لتلك الأمم حتى تعرف كيف كانت عظاتهم ولتفهم بنوع ما قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تنزيهاً - ولأقصرك من أمثال الهنود على ﴿ مثلبين ﴾ ضربوها ليفهموا النوع الانساني كيف تخدعنا الشهوات وتضلنا اللذات وتقوينا الأهواء وتسرعقولنا فنون الجبال وزينة الحياة الدنيا ثم أقي على ذلك بمثل ضربه أهل (بابل) ونقله اليهود عنهم . وهذه الأمثال ضربت على نخط القدماء في توجيه النصيح على ألسته الملائكة كما هو دأب تلك الأمم لأنهم لا يعبدون في هذا دنبا ولا خروجا عن الأدب بخلاف ديننا القويم فانه فيه لا يجوز وان كان القول مجازاً وانى أردت بهذا

(١) أن أين حقيقة الأمثال

(٢) وأن يفتح للمسلم مجال اتساع دائرة العقل

(٣) وأن يفهم المقصود من الكتب القديمة اذا اطلع عليها

(٤) وأن يعرف أن الاسلام يتفق في المعنى مع العلوم ومع كل دين وان اختلفت الظواهر

(٥) وأن يكون المسلم مستأسناً بكل علم فلا يأنف من قراءة العلوم القديمة التي نقلت عن الأمم لأن حصر

العقول بضع مجد الأمم ويذلها

واعلم أن الله عز وجل طبع هذا الانسان على خصلة لاتفارقه وخلقة تلازمه وهي أنه لا يتعلق إلا بما بعد عنه ولا يحب إلا ما تنفع عليه وهو يحتقر كل مبدول له ولا يرغب فيها عنده . ألا ترى رعاك الله أنه قد بذلت له نجوم السماء كي ينظرها كل ليلة وهي أجل وأبهى من الجواهر والخطى ولكنك تراه يفضل قطعة (الناس) على هذه النجوم الجميلة . لماذا هذا ؟ لأن النجوم له مبدولة ولأنها كانت غير مبدولة لدفع ثمن النظر اليها غالباً ولكانت النظرة اليها تشتري بمال وثير . ومن هذا ما نشاهده من تنافس التجار على الآثار القديمة المدفونة تحت الثرى فما ذلك إلا لتدبرها . ومن ذلك اننى في هذا اليوم أعني يوم الثلاثاء ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٣٨ زرت (دار الآثار العربية) بمصر فأخبروني هناك بأنه يؤمها كل يوم من السائحين (٤٠٠) نفس كل واحد يدفع (١٠) قروش . لماذا هذا ؟ لأجل أن يشاهدوا شيئاً ممنوعاً عنهم ولو كان مبدولاً لهم لاختفروه . من ذلك أنى رأيت (سجادة) تاريخها (٥٠٠) سنة اشتراها أحد أغنياء مصر بثمانية آلاف جنيه . ومنه أيضاً قطعة قماش من نوب ابن هارون الرشيد رأيته بعينى رأسى بلغ ثمنها (٣) آلاف جنيه . وهكذا اناء من العقيق رأيته هناك كان يأكل فيه بعض ملوك المماليك في مصر فدفعت فيه الحاكم الانجليزى (١٦) ألف جنيه فلم ترض الحكومة المصرية . هكذا أخبرنى الحال في المصلحة . فهذا التغالى في الأثمان للقرابة لا غير اذا عرفت هذا فلتنظر في الأمثال انها انما جعلت أدلة للتعليم لغرابتها وبدايع تنوعها والتصرف فيها

حتى ان الانسان اذا سمعها وفكر في أصل المعنى وفي المقصود منه كان لهذا أمراً في نفسه . فلفظ من قول القائل فلان كريم وبين قوله كثيراً لمداد وجبان الكلب رجب الذراع وهكذا فاضرب الأمثال أبلغ من الحقائق هذا أهم الأسباب في قوله تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام وذلك لأن الجهال من سائر الأمم اذا سمعوا أى قصة صدقوا لفظها ووقفوا عنده ولكن العقلاء هم الذين يفهمون الحقائق وما يقصد من الكلام

الآن سأخبر لى أن أقصّ عليك قصص الهنود لتعلم كيف كانوا يضربون الأمثال لتعليم شعوبهم وكيف يحترسون من خداع الدنيا . ولأذكر لك قبل ذلك كما تقدم في هذا التفسير وشرحه في غير ما موضع أن الأمم القديمة كلها موحدة بلغة واحدة وسرا ومشركة أمام الشعب فعند الهنود كما عند قدماء المصريين كان التحدث من طبع العادة وهكذا جميع الأمم السالفة

فلما وصلت الى هذا المقام قال لى ذلك الصالح العالم الذى اعتاد أن يجادلني في التفسير فيها معنى ؟ لم كل هذه المقدمة . الأمثال جعلتها ولم تزيد ضرب ثلاثة أمثال من أمثال الأمم القديمة في هذه الآية . فقلت أردت بذلك إزالة تلك الفتنة التى طست على عقول كثير من الأمم الاسلامية إذ حرموا من العلم الذى طبق آفاق الشرق والغرب والناس جميعا انتهلوا منه . فقال لها هذا العلم الذى زعم أن الناس انتهلوا منه وحرم منه للمسلمون فقلت علوم الأمم القديمة والحديثة في رواياتهم التى أودعوا فيها علومهم . ألا ترى رعاك الله أن بنى اسرائيل ذكروا قصصاً أودعوا فيها حكمهم وضمنوها علومهم ومواعظهم وهكذا اليونان وأهل الهند أودعوا قصصهم الحكمة وحشوها في حكاياتهم فلما قرأها العلماء أنكروها وقالوا هذه خرافات . واثى لأجيب كل الجب من أمة قرأ علم البيان ولا تخطئه . قال وكيف ذلك ؟ فهل علم البيان يعلم الناس الخرافات . إن الخرافات ضلال العقول . فقلت على رسلك إن علم البيان فيه الاستعارة الخيلية كما تقدم والاستعارة بقصد منها المعنى المنقول اليه اللفظ لا غير ففجبت كل الجب من أم فهم قول القائل ﴿ الصيف ضيبت اللبن ﴾ وتخطأ به جماعة الرجال ولا ترى فيه بأساً ثم تراهم يهلون ويجزعون اذا سمعوا ما أقص من قصة هاروت وماروت التى وضعت بهيمة مثل أو رواية لم يقصد منها إلا مغزاها على طريقة الاستعارة الخيلية والخرافة إنما تكون فيها اذا قصد لفظها فأما المعنى المنقول اليه اللفظ فليس خرافة بل هو موعظة حسنة . اللهم إن هذا هو الذى قصده البى ~~عليه~~ في قوله ﴿ حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ﴾ كما في البخارى وقال الشراح لأن سند أحاديثهم منقطع فنحنث بلا سند . ولعمري لم يقصد ~~عليه~~ أن يعلمنا الخرافة بل قصد أن يجعلنا أمة تعرف أحوال الأمم ومواعظها فترقى . إن الأمم جميعها لم تقدر أن تصور الفضيلة والزيلة إلا بهذه الوسيلة وهى تشويق القراء بطريق القصص بهيمة تأخذ بلب القارئ والله يقول - ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أهلهم يكونوا يرونها - وهذا في هذه السورة ويقول سبحانه في آية أخرى - أفلم يعبوا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التى فى الصدور -

ولاجرم أن علم الآثار والحديث التى عرفت العالم المتحدين وقرؤا كتب الأمم القديمة أفادهم وعرفتهم وساعد في رفع أهمهم والمسلمون بقوا مكتوفى اليأمام الأمم فالأمم يسمعون ويعقلون والمسلمون لا يريدون أن يسمعوا أو يضفوا ويقولون قد استغنيا بالقرآن ويقول الله لهم فى القرآن - كلا . ان قارئ القرآن بلا علم بالمعنى ولا عمل بالعلم كحيث الجار يعمل أسفارا بئس مثل القوم ؟ فهل يجبكم أيها المسلمون أن تعرفوا القرآن كله وتذكروا قوله - أفلم يعبوا فى الأرض - فصل السير فى الأرض ونظركم هوائى الأمم من كتبها وآثارها والاحتراست مما وقعوا فيه والأخذ بالأحسن من أعمالهم يخالف للقرآن وهو الذى حفى عليه بنفس هذه الآية ويوجب التاركين له ؟ فهل النظر فى الأرض وتعلم أحوال أهل الأرض والنظر فى السموات . كل ذلك

لا يهيجكم مع ان القرآن يأمر به . فقال صاحبي هذا عجب ثم عجب كفى كفى • إن من البيان لسحرا •
فذكر لي المثل الأول من أمثال الهنود حتى أعرف كيف كانوا يظنون قتلعت عندهم قصة تسمى { قصة
العابد المقتول } ولمنصها أن عابدا يسمى (كندو) على شاطئ نهر جاماني اشتهر بالعبادة في غابة كثيرة
الأشجار تغلف أبواب السماء (للملائكة) أن يشاركهم في العظمة عند الله ويسكن معهم السماء فأوهزوا الى
واحدة من الحور العين وهي (براموتنا) أن تظهر جلالته فنزلت الى الأرض وفي طلعتها الربيع والنسيم فلما
رأها العابد بهره جالها وبقيت معه ليلتي وأيلما تعذب تلكت فاستيقظ قبل الفجر ليلة فقال اني لم أصل ليلة
والفجر قرب فسحرت من وقالت أنت من منذ مئات الليالي فدهش وقد كان يظنها ليلة واحدة فعرف أن
المرأة خدعته وفرح الملائكة الذين حسدوه بذلك

فلما سمع صاحبي هذه القصة قال كيف يقرأ هذا المسلمون وكله كفر صراح مثل المعبودات الثانوية ومثل
الأرباب الهندية . ولا جرم أن ذلك يفيد { أمرين اثنين • الأول } ان الآلهة الصغيرة معبودة { وثانيا }
ان اتصافهم بالالهوية فيه تعدد للآلهة والأمر ظاهر البطلان . وأيضا الآلهة كما انصفت بحسد العابد انصفت
بالاحتيايل في الافساد فهو لاء شياطين لا آلهة . فقلت له قد قست في هذا التفسير مرارا أن العلماء منهم
موحنون واستباحوا التعدد على حسب زمانهم وهذا عندنا كفر وأما كونهم آلهة فهذا مجاز يراد به الملائكة
وأما كونهم يحسدون ويغادعون ويقتلون العابدين فحقا هذه صفات الشياطين ولعلم هذه الشعوب بأنهم انصفت
الشياطين قبلوها على أنها ضرب أمثال وكان هذا مباحا عندهم . ولا جرم أن هذا الحسد موجود بين الناس
وما ضربوا الأمثال بالملائكة إلا ليفهم ذلك الناس لا غير فقراءتها ومعرفه مغزاها شيء والاعتقاد والكفر شيء
آخر . ولا جرم أن هذه الأمثال ليست الأمثال التي ضربها الله لهم . كلا . بل هي أمثال تبث أخلاق القوم
وأزلت آلتهم الصغيرة لجعلتهم في مصافهم فلذلك صار الحرب والنداء في عموم النوع البشري علما تقليدا للآلهة
التي ضربوا بها الأمثال وهذه طرق أبلغها القرآن فهذه أمثالهم لا أمثال الله وكل دين نزل من السماء خلطه
الناس بأهوائهم كما أوضحه قريبا في هذا المقام ، ثم قلت وفي هذه القصة مصداق القرآن ، الأثرى رعاك
الله أن القرآن ذكر أن هذا الدين تقمته أديان . قال بل . قلت أفلا ترى أن هذا من أقدم الأديان وقد
ذكر الزهد في الدنيا والعبادة بالليل واضلال الشهوات للناس وخداع الهوى لهم وذلك كله شره القرآن شرعا
وإفيا . إذن كان الناس من قديم يصلون بالليل وتتجاف جنوبهم عن المضاجع وكانوا يقولون إن تارك
الدنيا يقرب من الملائكة ويحب في السماء ، إذن هذه القصة مصداق لدين الاسلام فالله يقول - قل ما كنت
بدعا من الرسل - ويقول - كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم - إذن القصة أهميتها أن
هذا القرآن لم ينزل فيه ما ليس من طبع البيانات التي تناسب أهل الأرض وإن ضلوا في التعبير فقد كان قبلنا
أم يصلون ويتركون الشهوات . إذن هذه أمور عامة لخاصة وهذا من أجل البراهين على صدق النبوة

فلما سمع ذلك صاحبي قال حسن فها القصة الثانية : فقلت كما أن القصة الأولى مثلت فئة العابدين بالنساء
الجليات . ولا جرم أن الدنيا كلها فئة تمثل بالمرأة . هكذا القصة الثانية الآتية جعلوها مظهرة مضارب القرد
(الطالوة) ان طالوة الزهر كانت معروفة منذ القرن العشرين قبل الميلاد فقد ورد ذكرها في رواية { نال
ودامان الهندية } وهي من فصول كتاب { مهابارته } الشهير أحد أسفار الهنود المقدسة عند الهنود وقد
وضع قبل الميلاد بعشرين قرنا . وذلك أن الناسك (فاسا) الذي عاش آلاف السنين على الأرض في
زعمهم نظم ديوانه { مهابارته } وهو ٣٣٠٠٠ بيتا وهو من أنهر المؤلفات في فصاحته وقصصه ونواوده
وابناء الحروب والمعارك اشترك فيها الآلهة مع الناس وهومثل (الالياه) لوميروس وهذا الكتاب (١٩) فصلا
وفي الفصل الثالث منه رواية { نال ودامان } وهي ترى الى تقييح لعب القمار وهي (٥٠٠) بيت وذلك أنه

كان وراء نهر الكنج في بلاد الهند ملكة (نشاواه) وملكته (فيلونه) وملك الأولى يدعى (نال) والثانية يدعى (فيم) وابنته جميلة فتاة اسمها (دامان) اشتهرت بالجمال حتى خطبها الآلهة في السماء وعلم بها ملك (نشاواه) وعرف جمالها فغالج قلب (نال) حبها ولما صر به سرب من الأوز اصطاد منه واحدة فقالت له ان أطلقني اذهب الى (دامان) الجيلة لتتزوج بها ففرح نال وبات صريع غرامها فذهبت الأوزة الى فيلونه ورأتها (دامان) الجيلة فقبضت عليها فقالت لها أنا جئت لأعرض عليك زواج (نال) فاطليه فباتت دامان موهنة ومرضت وأخبرت أباه بذلك فدعا (نال) فتزوجها . وكان لئال أخ اسمه (بوسكار) فأوحى اليه أن يلعب مع أخيه الزهر وإله الشر يساعده فاجب مع أخيه نفس (نال) كل ملكته ثم زوجته فاستولى بوسكار على الملك وطرده هو وزوجته لأنها أتت أن تكون مع (بوسكار) فسارا في البرية يا كلان العشب ثم لقا ركباً أوصلهما الى (ملكته فيلونه) ففاسى مع صهره هناك ثم أعطاه صهره جندا فتوجه به الى ملكته فلم أخوه له بالحب وتولى الملك ثانيا وأصدر أمره بعدم لعب الزهر (الطاولة) على مال وإنما يكون ذلك للتسلية فلما سمع صاحبي ذلك قال فلذكرى القصة الثالثة التي ذكرها أهل (بابل) ونقلها بنو اسرائيل في رواياتهم فقلت تلك القصة على طراز روايات الهند (وملخصها) أن الملائكة في زمن ادريس عليه السلام لما رأوا ذنوب بني آدم عبروهم وقالوا هؤلاء خبيثاء فقال الله لهم اختاروا منكم ملكين لأزلمها الى الأرض فأركب فيهما الشهوة وأنا أقول لكم انهما لن يصبرا عن الشهوات فاختارا (هاروت وماروت) فزلا وصارا قاضيين يحكان بالعدل وعند المساء يصعدان الى السماء وحضرت لهما امرأة فارسية يقال لها زهرة تشكو زوجها فأعجبها بها وطلبها منها شيئاً فقالت لا حتى تشربا الخمر لأنها خيرتهما بين الخمر وعبادة الصم فرضيا بالخمر لأنه أهون فوقعوا في الرنا ولما رأهما رجل قتله خوف الغيبة فلم يقدر بعد ذلك على الصعود الى السماء وعذبهما الله الى يوم القيامة في (بابل)

هذه الرواية مثل سابقتها لاسباب الأولى . فانظر كيف كانت هذه الروايات كلها ترجع الى أن الملائكة أو الآلهة في عرفهم هي التي تفتن بالنساء ويحصل وائام للملائكة أولآلهة كوقائع الملوك الأرضية مع الرعية ونسائهم الجيلات

هذه (ثلاثة أمثال) من أمثال الأمم التي أشار لها الله وهي في خواها كالقرآن من حيث تحريم الخمر والانصراف الى اللعب وان اختلطت بأهواء القوم من حيث العقائد الزائفة كما سأوضحه قريباً وأما ذكرتها هنا لمناسبة قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - فالذكر هنا يدلنا على نوع الأمثال وسرها وكها راجعات الى تقويم الأخلاق واصلاح النفوس البشرية وان كانت محرقة فان الانسان اذا سمع أن العابد في القصة الأولى فنته حوراء مرسله له من الجنة ثم قدم بعد معاشرتها مئات الأيام وهو في حال الاسترقاق في جبالها ثم قدم بعد ذلك . وإذا علم أن لعب (الترد) قد أزال ملك ملك من ملوك الهند ولم يرجع له ذلك إلا بعد العناء . وإذا علم أن نفس الملائكة الطاهرين قد فتنهم الدنيا فانه إذ ذاك يعتبر ويحترس . هذه من نوع الأمثال التي كان يضربها الناس اتباعاً لما جاء في دياناتهم وان أزعج عقائدهم وكانوا بها يصلحون أهمهم . أما عندنا فهذا ممنوع منعاً باتاً . ذلك لأن ديننا يسر طريق الفساد . ذلك أن هذه وان كانت أمثالا قد يظنها الجهلة انها حقائق وينادي الزمان بتبر عقائد المصوم فيقولون إن الملائكة يصون الله وهو كافر أو أن هناك في السماء آلهة وهذا كفر فسد الله هذا الباب منعاً للشر والجهل في العقائد . ولما كانت الأمثال لا يعقلها جميع الناس قال تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - (بكسر اللام) إشارة الى أن أكثر الناس جهال لا يعقلون أن هذا ضرب أمثال وحقيقته متممة والتي يعرف المقصود منها إنما هم العلماء ودين الاسلام للعلماء والجهلاء . فإذا رأيت بعض المفسرين قل أمثال هذا في تفسيره فاعلم انه اتبع في ذلك الحديث

الشريف ﴿حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج﴾ ولما كان الناس يحملون هذا على الحقيقة لاعلى المجاز أخذوا يذنبون تلك الروايات ونسبوا للمفسرين التخريف في القرآن وما هم بمخترفين إلا إذا اعتقدوا صحة هذه الروايات على لفظها فأما المغزى فهو التهذيب والعجب ثم اعجب هذه الروايات الثلاث كيف دللتنا على آراء الأمم الهندية والمصرية والبابلية وأن آراءها متشابهة . فبهذا تعرف - مير تلك الأمم وأمثالها وتفهم معنى قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تكثيرا - وانما تبرهم لأنهم حرفوا في نفس الأمثال . ومن عجب أن يوحى الله أهل مكة وأمثالهم فيقول - ولقد أتوا على القرية التي أمطرت معازيل سوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا - يوحى الله أمة الدعوة ناعيا عليهم عدم اعتبارهم بذلك القرية التي أهلكت وهي بطريقهم هكذا ينسب الله على المسلمين الحاليين ما يرون من الأمم التي خربت بذنوب أهلها وتقصر بهم كأهل الأندلس من المسلمين وكأهل أمريكا الأصليين وكما يرون من الذل في مصر والشام وبعض بلاد العرب فهو لاء مكبلون في الذل أفلا يعتبرون فيحترسوا من التقصير ؟ فإذا قال قائل نعم . ومؤمنون فنقول له - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون -

وعما يؤسف له أن الأمم الغربية اتخذت الروايات الأدبية بابا لرقبها كما فعل الأمثال إذ ألف أحدهم في القرن التاسع عشر ﴿رواية وردة﴾ التي تعرف آداب قدماء المصريين وحريتهم قبل ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح فكانت هذه الرواية سبب النهوض الأدبي في (ألمانيا) والمسلمون لا يعرفون في الأمم ولا الدول ولا الممالك ولا يثيرون العزائم والحلم ولا يذكرون في قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - أليست هذه هي أيام الله تعالى وهي ماضية بالأمم أمة بعد أمة . اللهم إن القرآن نزل لرقى الأمم . وإذا رأينا الله يذكر لقمان عليه السلام ويسمى سورة باسمه ويقول - ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله - فليس معنى هذا أن الحكمة خاصة بلقمان فلا نقرأ إلا حكمته . كلا . فان الله يقول - فبشر عباد الذين يستمعون القول فينبهون أحسنه - ولم يخص القول بقول علماء الاسلام ولا لقمان . وقال في آية أخرى - يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الأبواب - فالحكمة ليست خاصة بلقمان بل هي نور من الله نستضيء به من أى حكيم فالسليم يقرأ كل حكمة وكل علم . هذا تمام المقال في قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - الخ . انتهى صلبح الثلاثاء ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٨

﴿الانسان في هذه الأرض كتاب لا يدرسه ويعقله إلا المفكرون -﴾

لقد خيل الى هذا الانسان وهيكلة المنصوب وقد أشرقت النجوم ليلا والشمس نهارا على الأرض وأضاءتها وازدهرت بالازراع والأنهار والحيوان وانتقلت الأحوال وعمرت الأرض وأشرقت بنور بها فبرز هذا الكتاب ليقراء المفكرون ويدرسه المستبصرون . هذا الهيكل أمره عجب . نرا . قد جعل منار الحكمة والعلم والفضائل والارذائل . فانظر ماذا ترى

(١) ترى طعاما يزدره فيهضمه فيكون الدم فينتظم الجسم انتظاما

(٢) ومابقى من هذا الطعام بعد الذي -حول الى دم يصيرفضلة غليظة أو رقيقة فينزل على الارض فيكون سببا للزحمة ونحيا به أرضنا فتبارك الله الذي لم يضع من الوجود شيئا فائدى ببقى ولا منفعة له في أجسامنا بعد الدم رجع الى الأرض حتى يحول فيها الى طعام آخر نهضمه مرة أخرى فما أشبه هذا الطعام الذي لم يصلح دما في أجسامنا ونزل سببا للتليذ ببقى في فصله سنة أخرى حتى يعقل دروسه ثم يرتقى الى أعلى في الدراسة العلمية ثم إن هذه الفضلة منزلة أسفل فلذلك خرجت من السيلين أسفل هذا الهيكل المنصوب

(٣) أما الدم الذى استخرج من هذا الطعام المهضوم فانه يدور دورته في الجسم كما تراه مرسوما موضعا في (سورة المؤمنون) عند قوله تعالى - وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون -

هو يدور في الجسم كما يدور الماء سواء بسواء فهو يخرج من البحر بخارا ثم يكون سحابا ثم مطرا فأنهارا ثم يجري الى البحر كزوجة أخرى وذلك ليحدث في البحر على طول الأزمان والآماد وآلاف السنين قارة أخرى ينشأ في قاع البحر ستة فسة حتى تظهر تلك القارة بعد مئات آلاف السنين . هذه حال الماء فهو يدور ليحدث قارة على أقل تقدير إذا ترك مهمل . وهذه القارة لا تظهر إلا بعد الآماد الطوال لا في الحال ولكن هذه الأنهار في حال دورتها كدورة الدم في الجسم لها آثار أخرى حالا فهي تسقي الزرع وتغذي الفرج ويكون الانسان والحيوان وأنواع النبات ويكون ذلك أتم إذا جعلت للنهر سدود وجبوس فهناك ترى العمران أتم والنظام أكمل كما نرى في نيل مصر وغيره من الأنهار التي نظمتها نوع الانسان

(٤) فلننظر إذن في دم الانسان ماذا فعل ؟ رأينا يدور كما يدور الماء في الحيوان والأرض وفي أثناء دورانه في الجسم يغذي الأعضاء المختلفة كما يفعل مثل ذلك الماء في الأرض ثم نرى الدم من جهة أخرى قد حصلت منه فئيلة وتلك الفئيلة أعدت لايجاد هيكل آخر كهذا الهيكل الانساني ومثله أكثر الحيوان في ذلك . إن الانسان يكون من دمه تلك الفئيلة المنوية ليكون منها انسان آخر كما كثير الحيوان كما رأينا الأنهار تخلف منها في البحر طبقات ستكون قارة على مدى الزمان تشبه القارة التي يجري فيها الماء أو تخلفها بعد حين إذا استدار الزمان وتغيرت الأحوال

(٥) لم تكن الذكورة والانوثة في الانسان والحيوان شرطا لبقاء النوع . كلا . إن بقاء النوع قد يكون بالانقسام أو بغيره وقد تكون الولادة بلا أب كما تقدم في (الحمار) في البحار وذلك مشروح في أول (سورة صريم) بمناسبة ذكرها وذكر عيسى . لمراقبة لم يكن الذكران والاناث شرطا في الذرية . كلا . فهاهي ذه سائلة المسيح التي قصت لنا باب (الحمار) فرأينا الأنثى تلد الآلاف بلا ذكر وهكذا تلك الحشرة التي رأيتها بعيني فصر بالأشجار وقد ذكرت في أول (سورة الأنفال) موضحة عما إيضاح فهداه قد تقوم الأنثى فيها مقام الذكر فلا تحتاج اليه وتبيض آلاف البيض الذي لا يرى إلا بالمنظار العظيم فانقسام الانسان وأكثر الحيوان الذي ذكر وأنتى ليس ضروريا للتناسل ولكن هي الحكمة العظمى والآية الكبرى في التكوين قضت الارتقاء فكان الذكران وكانت الاناث

(٦) هنالك تجلج لنا هذا الانسان بمنظر بهيج فظهرت الذكورة والانوثة على مسرح الوجود وهنا تجلج العمل الإلهي والابداع والجلال فكان العشق والنقش والتصوير والشعر والموسيقى وتفريد الطير وعلوم القضاء في سائر الأمم بين النساء والرجال وأحكام العقد والطلاق والنفقات وقصائد الشعر وروايات الحب والفرام وكثير وعزة وقيس ولبنى وتوبة ولبلى . ثم كان هناك الزهاد والزهاد والمجاهدة لكبح جماح هذه الشهوة لحفظت فذكت العقول وحفظت العلوم وظهر العباد وهنالك علوم أيضا وعلوم فهذه الشهوة بارسها كانت علوم في الفقه والحب ونحوهما وبجسها كانت علوم التصوف والعبادة وهكذا

لا يكاد الانسان يشعر بقوة الشباب حتى يشعر كل من الصنفين الذكور والاناث بالحاجة للآخر فإذا حصل تبهيج النفوس وتترقى الوجوه وتخطط الملابس وتنفق تجارتها وتعمر الأسواق ويكثر الشارون والبانعون وتنصب الزينات ويعتني الذكران والنساء بأجسامهما وينسقون ملابسهما ويقفون دروسهما وينظمون الأشعار ويؤلفون الروايات ويتصفون بالنضائل وتقام المراسم وما أصل هذا كله إلا أمر واحد هو الذرية أصل هذا الحب وهذا الفرام وهذا الجلال وهذا النقش وهذا التصوير وهذا الفناء وهذه الموسيقى وهذا الشعر . كل ذلك لأصل واحد هو التناسل

فاجب لتناسل جاد بنير أب ولاحب في (الحمار) قد أصبح في نحو الانسان مبدأ لكل زينة وجل وشعر وتصوير . له ألفت كتب الفقه في النفقات ونصبت لهاكم وبنيت السجون للذين من الرجال الذين لا ينفقون

وقام القضاء في الديانات من مسيحيين ووثنيين ويهود ومسلمين وقد ألفوا كتباً لذلك

هـب لهذا الانسان ولهذا الوجود . نرى له نفساً داخلاً وخارجاً لاصلاح السم ثم هو نفسه يكون في أثناء ذلك مبدأ الكلام . النفس انما جعل لاصلاح السم ولكن الحكمة عظيمة جداً فقد جعلت له حكمة أخرى وهي الكلام وفهم العلوم هكذا هنا التماسل أمره سهل لاحتياج الذكور ولكن بخلق الذكور والاناث ظهرت علوم وصناعات وقضاة وحج وغرام وشرائع وديانات . جل الله وجل العلم . أصل فترعت منه فروع شتى كما فترعت المادة الى كواكب وشموس وأقمار وهي عناصر محدودة معلومة

(٧) بعد ذلك تعالى الانسان وتعالى وأخذ يبعث في العالم العلوي ونظر في أمر الملائكة وأخذ يتخيل الملائكة والأرباب وأزلمهم جميعاً الى حظيرة الانسانية ؟ فإذا قال . قال انهم جميعاً يأكلون ويشربون ويتزوجون ويعشقون ويحاربون ويهلكون الأعداء

الانسان يقيس كل شيء على نفسه فلما رأى أنه هو أحب وعشقى وحارب قال ان الآلهة تحب وتمسق وتحارب هذا هو السبب في ضرب الأمثال في الروايات الهندية السابقة والبابلية . إن الانسان قديماً لم يعقل الا له إلا كما يعقل نفسه . إن العشق الذي بين الذكور والاناث الذي خلق لأجل التماسل قد جعل وسيلة لتساع دائرة الوجدان والعقل ولارتقاء الانسان من هذا المستوى الحيواني ولذلك قال العلماء (الحب ثلاث درجات دنيا وهو الحب للعتاد ووسطى وهو حب العلم وحب أعلى وهو حب الله تعالى) إذن الذكورة والانوثة في الحيوان التي ليست ضرورية للتناسل قد جعلت سبباً لارتقاء الانسان درجات بعضها فوق بعض في العلم وفي حب الله (٨) قلنا ان الانسان الأول لم يعقل الله إلا على مقدار عقله وعواطفه حبا وعشقا وحرماً واستعباداً ولذلك لا نجد أمة من الأمم السالفة إلا والحرب من طباع دنيا . الآلهة عندهم محاربون آكلون شاربون متزوجون عاشقون والنون فيقولون الأب والابن ولكن جاء الاسلام فقال . كلا . ثم كلا

أيتها الانسانية قفي قفي يا محمد قل لهم - الله أحد - فلا كثرة في الالهية - الله الصمد - فلا خوف له فأذن لادم له وبناء عليه لا يلد كما قال - لم يلد ولم يولد - فلا زوجة ولا حب ولا عشق ولا غرام - إياكم أن تقيسوه عليكم . فأما الحرب فانه لا يحارب - ولم يكن له - أي وليس له - كفوا أحد - فهذه السورة ضاعت الروايات المتقدمة وغيرها وتجلت الرحمة واستمد الانسان حديثاً الى التعاون تدريجاً . وهناك يظهر انسان جديد لا يمجذ ذلك الإله العاشق المحارب الذي يلد ويشارك البشر فيلد عيسى كما يلد ملوك اليابان ونحوهم ولا يحارب بل هو رحن رحيم . فإذا لم يكن الإله محارباً فمن الذي يقلده الانسان . إن الناس قديماً أغرموا بالحرب لأن رباب الديانات القديمة وصفوا أربابهم بالحاربة والقرآن أمر بالحرب حتى تضع أوزارها ومتى وضعت أوزارها كيف المسلم عن الحرب وهناك لا يمجذ ذلك الإله المحارب بل الإله الرحمن الرحيم الموصوف بالقدس والسلام . اختفت تلك الروايات الحربية الغرامية وسحل عملها الروايات التي تحدث عواطف الرحمة وانتشال الضعفاء وارتقاء الشعوب . إن القرآن جاء في مقدمة أهم مستكون أرق من هذه الأمم يمجذون لهم رباً لا يأكل ولا يشرب ولا يتزوج ولا يلد ولا يغالبه أحد بل هو الغالب وأذن كيف الناس عن الحرب والضرب لأنهم سيكونون أمة واحدة وأسرّة واحدة يرضى بعضهم بعضاً ويعطف بعضهم على بعض وهذا قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - على ألسنة الأنبياء فزين للقوم الشيطان أهملهم فأثوا بأمثال غير أمثال أنبيائهم وأثروا الدين على حسب عقولهم فتهربوا من تقيدهم * والدليل على ذلك تلك القرية التي أمطرت مطر السوء وهم يترجون عليها ولا يستنبطون بها كأنهم لم يروها وإذا رآوك استهزؤا بك لأن ما جئت به لا يلائم ما تلقفوه عن آباؤهم فاعتبروا الحق ضلالاً وتعداوا في غواتهم وجروا عليها . إن هؤلاء لم يصدوا إلا أهواءهم . ان أكثر هؤلاء عطلوا أسماءهم وأبطأوا عقولهم بل ما هم إلا كالأغنام بل الأغنام خير منهم . انظر الى الظلال كيف تمدها وكيف تقبضها وكيف

كانت آثاراً للشمس المشرقة المنظمة السبر التي جعلناها دليلاً على الظل فأبنا أضاعت بنورها تركت آثاراً من الظلال تابعة لها مدّاً وانقباضاً وطولاً وقصراً بحيث يتبع حساب الظل حساب سير الشمس صباحاً ومساءً ثم اتنا نسلخ النهار من الليل فيكون الظلام وذلك ان أضواء الشمس تسكو الحق ووجه الأرض بنورها فلما مالت إلى الغروب سلبنا ذلك وبقى الظلام على حاله فنام الناس وكان الليل لباسهم سائر لأجسامهم واستراحوا بنومهم فإذا طلع النهار نشرناهم في الأرض لطلب الرزق الخ

هذا ملخص المعنى من قوله تعالى ها - وكلاضربنا له الأمثال - الى قوله - وجعل النهار نشورا - ذكرته بمناسبة ضرب أمثال القدماء الذين أنزلوا الديانات على حسب عقولهم وجاء الإسلام مغيرة لوجهة نظر الإنسانية الى سبيل تؤدي الى المحبة والاخاء واتحاد الأمم والصفاء العام والرحمة التي اتصف بها الخالق وسيستخذها الناس لهم نبراساً فاقه واحد ورحيم والناس يستحدون ويتراخون و - الجدلدة رب العالمين * الرحمن الرحيم - الذي لا يحارب ولا يشقى - مالك يوم الدين - وحده - إذن فمن ذا يحاربه ؟ فله العبادة وبه الاستعانة والهداية

ومن الأمثال عند القدماء ما جاء من الحكم في نصائح (بتاح حنب) من علماء المصريين القدماء فيها « لا يعملنك علمك على التكبر واستقم مع الجاهل والعالم لأن الباب لم يلق دون الفن ولأنال أستاذ ما يدعيه من الكمال لنفسه » ومنها « ما أعظم العدل الثابت الأركان الذي لم يكسر صفوه منذ أمد قديم »

ومن ذلك ما ظهر من الروايات أيام ارتقاء هؤلاء القدماء منهم في الأسرة الثانية عشرة واتصالهم بالأمم المجاورة لهم مثل لبنان وسوريا والصومال والنوبة وجزيرة كريد . فقد كانت إذ ذاك عندهم هذه القصة (قصة البحري الفريق) ذلك انه ركب سفينة كبيرة فيها (١٥٠) ملأها من نخبة المصريين الذين امتازوا بالشجاعة كالأسود فبيناهم جلدون في الاقتراب من البر إذ اشتدت الرياح وارتفعت الأمواج من كل جانب فغرقت السفينة وهلك من فيها أما هو فالتقه موجة على جزيرة فوجد فيها ما يقتات به وسمع صوتاً كصوت الرعد اذا هو ثمان ميين يقترب منه طوله (٣٠) ذراعاً وطول لحية ذراعان وجسمه كالذهب وبعد محادثة قص عليه البحري قصته فأكرمه الثعبان وبقى معه مدة مكرماً ثم حضرت سفينة جلته الى بلاده ثم إن الجزيرة بعد أن غادرها رجعت لجة بحر . وأعجب من أن هذه القصة أشبه بقصة (السندباد البحري) التي لحصتها لك في أول (سورة يوسف) وكذلك تشبه قصة (حبي بن يقظان) التي ذكرناها في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - واذا قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى - وما قبلها من الآيات . وتشبه أيضاً رواية (روبنسون كروزو) الانجليزية التي نسجت على منوال رواية (حبي بن يقظان) وتشبه ما جاء في كتاب (ألف ليلة وليلة) من أن ابن ملك مصري قد أنذر له أبوه حلة فيها صورة فتاة جميلة وجعلها في خزانة وأقفلها ولم يأذن بأن ابنه يراها لصفرته ولكن هذا الابن اطلع عليها بواسطة الخازن سرا فوجد صورة الفتاة مرسومة في حلة من الحرير الأخضر جميلة جالاً فاتحاً وانما صورة بنت ملك اللجان فأخذ يسي وسافر مع جند من جنده وشاركوا في السفن في البحار وهلكوا إلا هو ودخل جزائر كثيرة وقاسى أنواع العذاب ثم وجد ابنة ملك اللجان ونال مراده ورجع بها الى أبيه سالماً غانماً بعد ما قارب الموت

فهذه الروايات والقصص يتبع بعضها بعضاً وقد ألقاها الله على قلوب الأمم . فانظر كيف اتصلت القصص من أيام قدماء المصريين وتشابهت الأمثال عند قدماء المصريين وعند الأمم الإسلامية والانجليزية . إذن الله مع كل الأمم ومع كل أحد - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو راسمهم - فهو لم يدع أمة إلا ألهمها ووعظها على ألسنة أنبيائها وعلمائها ولم يهلك أمة إلا بعدما أبان لها سبيل الرشاد

ومن الأمثال المضروبة للأمم ما جاء عن الملك (جورج) عامسة (٢١٠٠) ق م في مدينة (بابل) الذي

هزم أهل (عيلام) سنة (٢١٠٠) ق م في تلك المملكة وملك البلاد وقد عثر المؤرخون في زماننا على خمس وخمسين رسالة من رسائل علمه وأهم ما عثروا عليه القوانين التي سنّها في زمانه وقد جمعها من قوانين أسلافه وسطروها على لوح من الحجر ورسم صورته فوقها وكأنه ينسلها من الشمس التي كانوا يتقربون إليها وقد وجد هذا اللوح في معبد قديم . واعلم أن الكشف الحديث كله مصداق لهذه الآية فأنه ضرب الأمثال لكل أمة من الأمم - وما كنا عن الخلق غافلين - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رآهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولأننى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم - ألا ترى أنه علم أن الفارمضطهد من الناس قلّونه بالسواد لبشابه سواد الليل حتى لا يقع فريسة لأعدائه من الآدميين وغيرهم . وهو الذى لما أعطى الزناير لونا براقا أعطاهم سلاحا تدافع به عن نفسها ما يفتاجها من الطيور فلذلك صارت آمنة . وهو الذى أعطى السمك الذى في قاع البحار هيئة جيلة عبقرية بهجة أشبه بما في قاع البحار من الحشائش والأشجار البهجة والأزهار البهية ليخفى عن قاصديه بالأذى . أنظر هذه العجائب في أول (سورة المؤمنون) عند آية - وما كنا عن الخلق غافلين - هذه هي العناية الإلهية بالحيوونات فهكذا عنايت بالإنسان فهو سبحانه عدل وعدله شامل لم يترك أمة بدون مرشدين - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير - وهذا معنى اسمه الهادى ومعنى - إن ربي على صراط مستقيم - وبهذا تفهم آية - ألبذكر الله تلمعن القلوب - فإن الإنسان ربما يخطئه له أن الهداية خاصة بأمة فيقول في نفسه إن تلك الأمم لا هداية عندها فيظن سوء المعاملة فيذكر الله ومعرفته نظامه تطمئن النفس وتعلم أن العدل جار مجراه في كل أمة من الأمم وكل جيل من الأجيال وحيوان ونبات - فتبارك الله أحسن الخالقين -

(الطيبة الرابعة عشرة في قوله تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأتى تكون عليه وكلا -)

لعلك عرفت أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فإذا مرّ بحجر أحسن منه ترك الأول وعبد الثانى . ولعلك فهمت ما ذكرناه عن الحسن أن الآية واردة في كل متبع هواه . وقال ابن عباس في معنى الآية « رأيت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي » ويقال أيضا « ألهى إله معبود » أفلا ترى أن أكثر الناس يعبدون هواهم . أفلا ترى أن الناس مغمورون في هذا العالم الموزون المنظم الذى صنع بحكمة وهم في أنفسهم لى الآن لم يصلوا الى تلك الحكمة في أنفسهم بل هم للهوى عابدون أما صنع العالم من حكمة فانههم يرون الأشجار والأوراق والأزهار والكواكب والنجوم والأقمار وأجسام الانسان والحيوان كلها مركات بحكمة . أفلا يرون هذا كله ثم دم من أنفسهم غافلون . نعم نظم الانسان ما حوله وما أحاط به اتبع في أكثره العقل والحكمة وهم عن أنفسهم في غفلة جاهلون . انظر كيف وزن سير الشمس وحسبه بعلم الفلك والجداول الحسابية واتخذ له من المعادن ما يميل له - سيرها - وبعض الناس صنع ساعة تبين سير الكواكب جميعها والساعات والدقائق والثواني والسنين . كل ذلك حسن . وقد كمال الناس الأنحجام ووزنوا الأثقال وقاسوا الأطوال وضبطوا حساب ذلك كله بل انهم فوق ذلك قاسوا علق ماء الأمهار ونقصها وحسبوا الضغط الجوى والرياح وسرعته والأمطار ومقدارها على وجه الأرض ومقدار ماؤها بالوزن طول السنة أو الأشهر وقتروا سرعة القطرات الجارية على وجه الأرض وعرفوا مقدار الحرارة في القطرات والكهرباء والنور والماء ووزنوا ذلك كله بما لا يفت منه تغير ولا قطير ولا كثير ولا قليل فالوزن عم كل شئ عند الناس مما قلّ وجلّ وعظم وصغر فلم يفر الحار من النور ولا البارد من الظلمة ولا الفصح من الحجر ثقلهما ولا الشمس والقمر لعظمهما بل تراهم ضبطوا أبعاد كل كوكب عرفوه وحججه ووزنه والعناصر التي تركب منها بما رأوا بلا نظير المعظمة من ضروب أنواره وفنون أشعتها التي تماثل الأشعة الناشئة من المعادن التي على الأرض والعناصر المعروفة بهذه الأشعة الواردة الى الأرض مع ضوء الشمس والكواكب أمكنهم معرفة العناصر وردّها كل شعاع الى عنصره وبذلك عرفوا أن عناصر الأرض من عناصر الشمس بل انهم أدركوا أن عنصرا في الأرض كسفوفه في

عناصر الشمس قبل أن يكشفوه في الأرض ثم وجفوه . كل ذلك عرفه الانسان وظلمه وضبطه ولكنه مع هذا كله
جهول في أمر نفسه فهو مضيق لقواها وملكانها مطير لذلك في الآفاق ظانا انه لا وزن لأقواله ولا آرائه ولا نظراته
ولا لوبائمه ولا نظراته كلا ومن فلق الحب والنوى لا - يعزب عن ربك من متاع ذرة في الأرض ولا في السماء
ولأصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين - . فإذا كنت أيها الانسان قبلوزنت الضوء وحسبت ووزنت
الحرارة الحق يقو حرارة جسمك بدرجات فعرفت الصحة والمرض بها وعرفت كل طائر يطير وسبحان يسير وكوكب
يجري ورسمت ذلك في جداولك ؟ فهل تظن أن نفسك التي هي أرق وأعلى من كل ما ترى وما تسمع مهملة الحساب
ليس لها كتاب . وإذا كنت ترى أن لكل شيء ميزانا فلنفسك ميزان في داخل جسمك كما للكهرباء
والضوء والحرارة ولها ميزان يزنها وأنت لا تشعر وهذا الميزان بين جوانحك تظهر لك ثمراته ولا تعرف إلا
علاماته . فكل كلمة تقولها ونظرة تنظرها وفكرة لك خاطرة ترفع نفسك أو تخفضها والجوارب تعلك
والتهذيب يريك . ألم تر أنك إذا أسكت عن الكلام فيما لا يعينك أياما وغادرت ما تعتاده من ذلك أمدا
طويلا وجدت النفوس اليك ماثلة والعقول تحرك متعبة لأن ميزان عقلك ارتقى درجات فأحست نفوسهم
بما لديك وشعرت بما ارتقت وما ذلك إلا أنك أعرضت عن كل ما لا فائدة منه ولم تلح هواك وترك القول
الذي فيه الافتخار والحديث عن نفسك غفلت في النفس آثارها وأجبت فيها أنوارها لجذبت النفوس إليها
وأزمنتها العطف عليها فغنت إليها وهي ساكنة وعطفت عليها وهي ساكنة وأصبحت نفسك أشبه ببرج الحمام
حفظت فيه آراءه كادت تطير لجذبت سواها من أمثالها وهي تسير كما تسمته في هذا التفسير . ولا يصلحك
صدق هذا القول إلا الجوارب فاحفظ لنفسك آراءها واكتم فيها أخبارها بضعة أيام ولا تظاهر بما لديك
من المغاخر تحمد النفوس حنت اليك والقلوب عطفت عليك . فأما إذا مرتقت حجابها وهتكت ستارها
وأزحت خمارها فإن كل امرئ يقول ما لها فتصبح العوبة في يد الجاهير

هذا مثل ضربته لك في اتباع الهوى وعبادته وكيف يصبح الناس عبيده إذا أطاعوه . وإذا كانوا عبيدا
للهمى فاتهم اليه يذلون . فأما من ملك هواه فقد علمت ماذا من العز جناه . أفلمست ترى أن هذا يفهمنا
قوله تعالى في أول السورة - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - وقوله - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - وإن
من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

أفلمست ترى أن الذي أطلق العنان للسانه أولبصره أولجناحه فتكلم بلا استبصار ونظر لغير اختبار وتفكر
فما ليس له اعتبار قد عبد هواه وأي فرق في العبادة بين هذا وبين من صنع المثال فاتخذه معبودا فالأول
سلم حواسه وعقله لهواه والثاني أبرز من هواه صورة وسلم لها قياده في العبادة فسينا الأول فاسقا وسينا
الثاني كافرا وهما في شرعة الجهل سيان صنوان لا يفترقان غاية الأمر أن الأول ضل في الفروع والثاني ضل
في الأصول ولكن الضلال عهدهما والجهل لزمهما . كل ذلك لأن أعمال النفس اليوم موزونة كما وزنت
الأمور المحيطة بها ونتائج الزنة ترسم على جبينها وتظهر في أحوالها وأخلاقها وآدابها ومعاشرتها - ومن لم يجعل
الله له نورا فإنه من نور -

﴿ الانسان اليوم أكثره في جهالة كما قال تعالى - إن الانسان لظالم لظلوم كفا - ﴾

إذا أردت أن تعرف ما عليه الانسان اليوم في الكرة الأرضية وتفهم حقيقة الناس في الأمم الشرقية
والغربية فاقرأ كتابي ﴿ ابن الانسان ﴾ الذي ألفته وأرسلته الى مؤتمر الأجانب في انكلترا وجعل في جلة
المقررات الرسمية وهذا الكتاب قدم لها في سنة ١٩١١ قبل الحرب العاتقة بنحو (٣) سنين وأبنت فيه أن
الدول كلها يغالب بعضها بعضا وقد ضاعت قواها العقلية كما أضاعت الأنهار مائها في البحر الملح لا يولي ماؤها
على المزارع والرياض والبساتين إلا قليلا وأكثرها ينصب في البحر بلا فائدة هكذا عقول الناس تنهب هباء

منشورا في الهباء مع الهواء وجهل الناس انهم اعضاء جسم واحد وانهم لو اتحدوا لاستخرجوا ما في الطبيعة من علم وما في الأرض من حكمة وما في البحار من عجائب ولكنهم خائبون خائنون لبعضهم فهم يدبرون المكاييد لبعضهم فتضع القوى والمسلكات فيما لا فائدة فيه وهم بذلك ضالعون تائهون صم بكم عى فهم لا يهتدون انما مثل القوى الانسانية والعقول البشرية اليوم كمثل البخار وكمثل الكهرباء . كان الناس قديما يرونهما ولا يلتفتون اليهما فعلقا اليوم فاندتهما وانتفعا بهما . فاما العقل الانساني اليوم فانه مهجور متروك منبوذ مجهول يضعه الناس في الحيل السياسية والأخلاق الأسدية والحروب الدولية ولوانهم اجتمعوا غار برا به الطبيعة وكانت تلك الحيل لاستخراج كنوز الأرض لأصبح الناس في نعمة وهم سعداء . ذلك هو تضيير قوله تعالى - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - وأمثالها من الآيات . فهذه هي عبادة الهوى وكيف يكون الهوى إلهام معبودا ويظهر أن أهل الأرض مخلوقون ليرتقوا في العالم الذي بعده لأن أهواءهم اليوم غالبية والعقول سيكون لها السلطان شيئا فشيئا كما نرى الشيوخ أقرب الى التعلق من الشبان لغلبة الهوى على الآخرين . انتهى

(الطليقة الخامسة عشرة في قوله تعالى - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا -)
 هذه الطليقة مفهومة من سوابقها . انتهى الكلام على المقصد الأول من (سورة الفرقان)

(المقصد الثاني)

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا • ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا • وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَكْسَا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا • وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا • لِنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسَخِّبَ بِهَا خَلْقَنَا أَنْسَامًا وَأَنْفُسًا كَثِيرًا • وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا • وَلَوْ شِئْنَا لَجَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا • فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا • وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا • وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا لَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا • وَيَسْتَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا • وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا • قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مِنْ شَاءِ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا • وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبٍ حَبِيرًا • الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا • وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ تُقُورًا • تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ

بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَرَأَ مُنِيرًا • وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا

التفسير اللفظي

قال تعالى (ألم ترالى ربك) ألم تنظروالى صنعه (كيف مَدَّ الظل) بسطه ذم الأرض من حين طلوع الفجر الى وقت طلوع الشمس فلا هو ظلمة الليل ولا هو وقت اشراق الشمس (ولو شاء لجعله ساكنا) دائما لايزول ولا يذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) فان الأشياء تستبين بأضدادها ولولا الشمس ما عرف الظل (ثم قبضناه اليها) أخذنا ذلك الظل الممدود الى حيث أردنا (قضا يسيرا) سهلا غير عسير أو قليلا قليلا جزأ جزأ بسبب ضوء الشمس الذى ينسخه (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) جعل الظلام كاللباس فان كلا منهما ستر لما أحاط به (والنوم سباتا) راحة لأبدانكم وقطعا لأعمالكم وأمل السبت القطع ويطلق على الموت لأنه يشبه قطع الحياة ومنه المسبوت لليت وقال تعالى - وهو الذى يتوفاكم بالليل - (وجعل النهار نشورا) وهو فى مقابلة الموت المذكور فى أحد المعنيين السابقين فكأنه سبحانه يقول جعلنا سباتكم أى موتكم بالنوم فى الليل وجعلنا نشورك أى انبعاثكم من النوم الذى يشبه الموت بالنهار فيه ينشر الخلق للعاش كما ينشرون بعد الموت للحساب • قال لقمان لابنه • كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشور • فالنوم واليقظة نموذج لموت والنشور (وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدي رحته) البشريع تخفف بشر بالجمع جمع بشور بمعنى مبشر أى مبشرات بأقدام المطر • وقرئ - نشرنا - أى ناشرات للسحاب جمع نشور وهو إمام على وزن فعلل مخففا وأما على وزن سحج جمع سحاب (وأنزّلنا من السماء ماء طهورا) أى بليغا فى طهارته وهو فى اللغة إما اسم لما يظهر به كالوضوء لما يتوضأ به والوقود لما توقد به النار وأما صفة كما ذكرناه هنا وأما مصدر بمعنى التطهر تقول تطهّرت طهورا حسنا • وقال عليه الصلاة والسلام (إلا بطهور) يفتح الطاء أى بطهارة • وأما قول ثعالب • انه ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره • وهو مذهب الشافعى فذلك زيادة بيان للطهارة وليس هذا معنى الطهور لأنه لازم وصيغة المبالغة من اللازم لازمه فطهور لا يفيد التطهر لأن اللازم لا يفيد معنى التمديد (لنحيى به بلدة ميتا) أى لنحيى بالمطر بلدة أو مكانا لأنبات فيه فنجعلهم من دانا بالشجر والنبات والأزهار والأعمار وذلك للأرض أشبه بالحياة للإنسان والحيوان (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وإناسا كثيرا) أى ونسقى الماء أنعاما وحى البهائم وأما ناسى مما خلقنا وسقى وأسقى لفتان • قال الشاعر

سقى قومي بنى نجد وأسقى • نعيما والقبائل من هلال

والاناسى جمع أنسى كالكراسى جمع كرسى أوجع انسان وأصله أناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وأدغمت الياء فى الياء • يقول الله أنزلنا الماء فأحيينا به الأرض فأنبتنا للنبات وخلقنا الأنعام لتأكل النبات وتشرب الماء وخلقناكم لتشربوا الماء وتأكلوا النبات والأنعام وهذا المعنى يفيد ترتيب الذكر فقدم الأرض ثم الأنعام ثم أشتر الانسان لاحتياجه الى ما تقدمه (ولقد صرفناه بينهم) أى صرفنا المطرين الناس مرة ببلدة ومرة بأخرى وجعله ثلجا أو بردا ومطرًا أو مخزونا فى باطن الجبال ينزل شيئا فشيئا لئلا يجرد الأنهار على طول السنة وجاريا فى نهر ونازلا فى بحر وبخارا مرتفعا من البحر للملح وغبيرة وسحابا تصرفه الرياح وإذا صار ثلجا كبر حجمه وإذا كبر الحجم كان سببا لتكسير الأحجار القائمة فوقه فيكون من ذلك العيون النابتات ويفتح الماء لنفسه طريقا الى الخارج ويكون فى مجارى تحت الأرض اما فى غورها البعيد كالسيل الباطنى الذى يخرج من جبال القمر وراء خط الاستواء ويمرّ فى مجارى تحت الأرض المصرية جارى الى البحر الأبيض وهذا النيل

صالح للشرب لصفاء مائه ولما في غورها القريب كلباء المحدث الذي يستخرجه الناس لسقي أرضهم بالوادي
والسواقي والآلات الرافعة فان ذلك الماء مخلوط بمادن قد اتصف بأوصافها كالكبريت والملح والفضة والنشادر
وما أشبه ذلك والناس يسقون منه زرعهم ويستشفون به ونحو ذلك . أما الذي في القور البعيد فهو بعيد المنال
جدا يحتاج الى عمق يصل الى (١٠٠) متر أو (١٥٠) أو نحو ذلك وماؤه يرتفع أكثر من القسم الثاني لأنه
ينزل من مكان أعلى وراء خط الاستواء في مكان ينزل منه النيل الظاهر الذي لا يصح شرب مائه إلا بتصفيته
وفي بعض الأيام يجب عليه لقتل ما فيه من المودة الضارة . فهذا كله داخل في قوله تعالى - ولقد صرفناه
بينهم - فهو جامد يشبه الحجر وسائل يشبه الزيت وسائر المائعات وجسم بخاري يشبه الهواء وهو غادر رائج في
الجو وفي النهر وفي الفئران وفي أجسام الحيوان واليات والانسان ومنفصل عنها سائر الجو طائر للسحاب
وهكذا دواليك وهو مع ذلك في البحار صقيل يظهر فيه كل كوكب من شمس وقر والناس يتطهرون ويشربون
وهم غافلون عن جلاله فيكون قلوبهم حجرة وهم يتطهرون كل يوم من المياه الحسنة الأشكال البهجة
الزينة والمنظر المعلقة للأجسام حياة وطهارة . يقول الله ولقد صرفنا الماء بين الناس على أنحاء شتى فلا يمر
ساعة ولا ليل ولا نهار إلا كان لنا فيه آثار فنزله على قوم ونحجبه عن آخرين بحيث يتبع أحوال الحق والشمس
التي تجري بحسب ما يرى في الحسن ويكون هناك صيف وشتاء وبيع وخريف وفي كل ذلك أطوار شتى للمطر
والشتاء عند قوم صيف عند آخرين وهكذا الربيع والخريف في نصف الكرة الشمالي والجنوبي فنحن صرفنا المطر
بينهم كما صرفنا الليل والنهار فالشمس جارية من عند قوم ذاهبة لآخرين . هكذا المطر والسحاب - صنع الله
الذي أتقن كل شيء - . فعلنا كل ذلك التصريف (ليذكروا) ليشذكروا ويتفكروا (فأبى أكثر الناس
إلا كفورا) أو صرفناه بينهم ليعتبروا أو يعرفوا حتى النعمة فيشكروا فأبى أكثرهم إلا كفر النعمة وجودها
وقلة الاكترائها (ولوشئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) نبيا ينذر أهلها فتخف عليك أعياء النبوة ولكن بمنناك
الى اقربى كلها وجنانك قبل النذارة لتستوجب بمبرك ما أعدنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة (فلاتطع
الكافرين) فبإيدعونك اليهم موافقتهم ومداومتهم (بقرآن جهادا كبيرا) شديدا (وهو الذي
صرح البحرين) فلاهما مجاورين متلاصقين بحيث لا يبايزان من مرج دابة اذا خلاهما (هذا عذب فرات)
قاطع للعطش من فرط عذوبته (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة أو مر ملح زقاق لا يصلح لقطع العطش
بالشرب منه (وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرة الله تعالى (وحجرا محجورا) وتنافرا بليغا أو سترامنوعا
فلا يلبى أحدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب (وهو الذي خاق من الماء بشرا) جعله جزأ من مادة البشر
ليجتمع ويسلس وبقيل الأشكال والهيئات بسهولة أو من النطفة (جعل له نسا وصهرا) أى جعله ذا نسب وصهر
والنسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه وقد حرم بالنسب سبعا وبالسبب سبعا وبجمعهما قوله تعالى
- حرمت عليكم أمهاتكم - الآية فارجع اليها في سورة النساء أو قسمه (قسمين) ذوى نسب وهم الذكور
ينسبون اليه وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن كتوله تعالى - فجعل من الزوجين الذكر والأنثى - (وكانت
ربك قدرا) إذ خاق من مادة واحدة بشرا عجيب الصنع يدع الحلقة (ويعبدون من دون الله مالا يغفهم
ولا يضرهم) يعنى الأوثان وكل ما عبده فليست تنفعهم ان عبدها ولا تضرهم إن تركوها (وكان الكافر
على ربه ظهيرا) مظاهرا ومعينا على معصية ربه فهو يعاون الشيطان على معصية الرحمن (وما أرسلناك إلا
مبشرا ولنذيرا) (من أجر إلا من شاء) (قل ما أسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة المأخوذ من قوله
- مبشرا ونذيرا - (من أجر إلا من شاء) (لا فعل من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) أى أن يقترب اليه
ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعات وهذا من أحسن الأساليب التي جاءت في علم البديع كقول الشاعر
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب

يصف الشاعرين المدحيين بأنهم لا عيب فيهم إلا عيبا واحدا وهو أن سيوفهم مغلظة من مقارعة الأبطال
 هكذا يقول لأسالك عليه أجرا إلا شيئا واحدا وهو أنكم تقتربون إلى الله فهذا هو أجري وإذا كان هذا هو
 أجري فهو دليل على غاية الاخلاص والصدق في الدعوى وذلك دليل على أن السعادة القصوى أن يكون العمل
 محورا بالله لا لغاية أخرى فكأنه جلال . وإذا كان الجلال مطلوباً لله فهو خير مطلوب فالنبوة لتكميل
 الخلق فأجرها لا يكون عرضا دنيويا بل سعادة النبوة في نفس النبوة أي في نتائجها . والأنبيا بالنسبة للناس
 كالآباء بالنسبة للأبناء فالأب لا يطلب من تعليم ابنه إلا رقي ابنه وسعادته هكذا لا يطلب الملائكة من الناس ولا
 الأنبياء من الأمم ولا الحكماء ولا العلماء المتخصصون إلا هداية الناس ويرون في نفوسهم لذة لا تضارعها لذة ولا
 يفرحون بجمال ولا بمقدار . ومن هذا الحديث الشريف ﴿لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حور
 النعم﴾ وهذا كلام إذا سمعه صفار أهل العلم غنوا أن المقصود ثواب الآخرة وحده وما يدروا أن قائل ذلك
 يستلذ بإيمان رجل أكثر مما يستلذ بحور النعم فلا تنتظر يا محمد إلى ما عندهم من مال يعطوك أجرا ولا تخف من
 شرهم فلامهم رازقوك ولا هم مؤذوك ملامت قائما بهدياتهم فمنحهم نصيبك ما بكفيك ونكفك شر من يؤذيك
 وتفضل ذلك مع كل من هو على طريقك سائر وهذا معنى قوله (وتوكل على الحي الذي لا يموت) فأما الأحياء
 الذين يموتون فانهم إذا ماتوا ضاع من توكلت عليه منهم (وسبح) نزهة عن صفات النقصان (بمحمده)
 مثنيا عليه بأوصاف الكمال طالبا مزيد الانعام بالشكر على سوابقها ومن صفات النقصان التي يزه عنها أن
 يكل إلى غيره من توكل عليه (وكن به بذنوب عباده خيرا) أي كفي الله خيرا بذنوب عباده فهو خير
 بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم (الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش)
 قد تقدم الكلام على هذا فيما سبق موضحا معنى الله بهذا عباده على التوكل عليه إذا قاموا بما وجب عليهم من
 الدقة في العمل والبات فيدأ يقوم على الوجه الأحسن فإذا فعلوا ذلك فليتوكلوا على الله في نتائجهم ويفرحوا بما
 يجي به القدر لأنه هو المحسن كما أن خلق السموات والأرض حسن . خلق السموات والأرض في ستة أيام
 والاستواء على العرش عبارة عن الظلم البديع وإدارة شؤون الملك الموضح في سورة ﴿يونس وهود﴾ فمن تخلف
 بأخلاق الله على قسراطته البشرية في الأعمال الأرضية من الأفراد والأمم فهو حري أن يتوكل على الله والله كافيه
 لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا وأتقن صنعا وقوله (الرحمن) فاعل استوى وقوله (فأسأل به خيرا) أي
 فأسأل هذا ذكر من خلق السموات والأرض في ستة أيام واستواء الرحمن على العرش وعن الرحمن علما بضره
 بحقيقته لأن خلق السموات والأرض في ستة أيام معناه أمر غير ما يفهمه العاقل لأن اليوم يطلق على ألف سنة أو خمسين
 ألف سنة أو أكثر من ذلك . والاستواء على العرش ليس معناه الجلوس عليه فذلك مستحيل بل هو يرفع عما
 ذكره هناك في سورة ﴿يونس وهود﴾ فليس كل امرئ يعرف ذلك فليست الناس في العلم وليجئوا في
 البحث ولا يفتقروا عند ظاهر اللفظ فاضلال في الوقوف فمن كان جاهلا فليقت عند ظاهر اللفظ ويترك البحث في
 معناه ومن كان ذكيا فعليه بالبحث والدراسة بسؤال العلماء فإن العلماء إذا قرؤوا مثل هذا فهموا غير ما يفهمه
 العاقل . وأيضا كان القوم لا يعرفون الرحمن فإن هذا الاسم المشتق من الرحمة الذي هو أبلغ من الرحيم لم
 يكونوا يتبادرونه بل يعرفون الرحيم والراحم والرحوم . ولما كانت هذه الأمور الثلاثة تحتاج إلى العلماء بالعلوم
 المختلفة كعلم الأرتمطاطي حتى يعرف لم يختص عدد السة بالذكر مع أن العوالم خلقت في آلاف آلاف آلاف
 آلاف الآلاف فلم اختار عدد (٩) وكل العلوم جميعها من فلكية وطبيعية حتى يعلم كيف يكون الاستواء بطريق
 الاجال وكلم اللغة العربية والاطلاع الواسع فيها حتى يعرف الرحمن . ولما كان الأمران الأولان قد تقدم
 بحثهما في ﴿يونس وهود﴾ وغيرهما من هذا التفسير . وسيزيد الأول منهما بحثا وتقيا في لطائف هذا
 المقصد إن شاء الله . لم يبق إلا الثالث الذي ذكره الله تعالى بقوله (ولذا قيل لهم اسجدوا للرحمن) اجسّدوا

١٠ (قلوا وما الرحمن) أى لا تعرف الرحمن فנסجد له بل نعرف الرحمن والرحيم وأما الرحمن فليس يطلق عقدا
 جهل الله . فهذا سؤال عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم أو سؤال عن معناه لأنه لم يكن مستعملا
 في كلامهم (انسجدوا تأمرا) أى انسجدوا لأنى تأمرنا بالسجود له ولأمرنا بالسجود بالحمد من غير علم منا
 به (وزادهم) قوله - اسجدوا للرحمن - (نفورا) تباعدا عن الإيمان ولما كان الرحمن مشتقا من الرحمة
 وهو أبلغ من الرحيم أردف ما تقدم بهجته رحمة ونور جلاله وسعة ملكه ليعرف معنى الرحمن فقال (تبارك
 الذى جعل فى السماء بروجاً) البروج فى اللغة القصور العالية أو القصور فيها الحرس وهى هنا إما البروج الاثنا عشر
 وهى الجبل والثور والجزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والقرب والتوس والجدى والدلو والحوت .
 وأما السجود الكبار التى عدها المتقدمون نحو ألف وعدها للتأخرون أكثر من مائتى ألف ألف . وانما سميت
 البروج المتقدمة بهذا الاسم لأنها للكواكب السيارة كالنازل لكانها . واشتقاق البروج من التبرج لظهورها
 (وجعل فيها سراجا وقرا منيرا) أى شمساً متوقدة وقرا مضيئا (وهو الذى جعل الليل والنهار خلقة) يخلف كل
 منهما الآخر بأن يقوم مقامه عند مضيئه والخلقة فعله من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف فيها كل
 واحد منهما الآخر أى جعلهما ذوى خلقة وقوله (لن أراد أن يذكر) متعلق بقوله - جعل - أى لن أراد
 أن يتخط باختلافهما ويتذكر آلاء الله فيهما ويتفكر فى صنعه (أو أراد شكورا) أى شكر نعمته به عليه
 فيهما . انتهى التفسير اللفظى للقصد الثانى وهنا (أربع لطائف)

(١) فى قوله - ألم ترالى ربك كيف مذل الظل -

(٢) وفى قوله - وأنزلنا من السماء ماء طهورا - الى قوله - وكان ربك قدبرا -

(٣) وفى قوله - الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام -

(٤) وفى قوله - تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً - الخ

(اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - ألم ترالى ربك كيف مذل الظل -)

تقدم بحث الظلال مطولا مستوفى فى السور المتقدمة قبل سورة الكهف فلننظرها نظرا أخوفقول
 انظر إليها الذكى نظرة أوسع عما كتبناه وتأمل فى هذه الدنيا . انك لاتجد فيها إلا نورا على نور كما تقدم
 فى (سورة النور) إذ جاء فيها - الله نور السموات والأرض - ثم ضرب المثل هناك فأنت اذا تأملت لاتجد
 فى هذه الدنيا ظلالا وظلاما إلا قليلا جدا . الا ترى أن الكواكب العظيمة المشرقة التى بلغت مئات الملايين كلها
 مضيئة بأنفسها لا ظل لها بل هى مشرقة ليلا ونهارا لا انتهاء لنورها . واذا أردت أن تعرف جميع الشمس
 فانظر شمسنا هل تظل ليلا ونهارا . لا ظلام لا ظلام . فاذا كانت شمسنا على صفر حجمها بالنسبة للشمس
 الأخرى لا ظلاما فما بالك بالشمس الكبيرة التى شمسنا بالنسبة لها صغيرة مثبت أن الكون نورى فى نور ولا ظلمة
 فيه اللهم إلا ظلا قليلا وما هو ؟ هو ظل الأرض التى نكسها . واعلم أن الأجرام على (ثلاثة أقسام) أجرام
 مضيئة وأجرام معتمة وأجرام شافة . فالأجرام المضيئة هى هذه الشمس فالعالم كله نور كما قلنا والأجرام المظلمة
 المعتمة هى الأرض التى نحن عليها والقمر الذى يجرى حولها وماشابه هذين الجرمين من كل سيار يجرى حول
 الشمس وقد أصبح متعبدا كتجمد الأرض سواء أكان فيه سكان كما فى أرضنا أم خلا من السكان كما فى
 التى يقال انه قد ضرب بعد أن كان يصلح للسكى ويقال بطريق القياس ان حول الشمس الأخرى سيارات
 كأرضنا وأقمارها وكلها فى الحسب كما فى سيارتنا فلنرجع الى أرضنا وفرا فانا نجد أن الشمس متى أشرقت على
 وجه الأرض أضاعت وكان هذا نهارا ويكون الجانب الآخر ليلا ولامعنى ليل إلا أن الشمس حجبت عن وجه
 من الأرض فأصبح مظلم . هذا معنى الليل . ومعنى النهار أن تتجه الأرض الى الشمس بالوجه الآخر فالليل
 ما هو إلا ظل الأرض والنهار ما هو إلا ضوء الشمس وهكذا للقمر ليل ونهار كذلك ومن ظله يكون كسوف الشمس

لأنه يحجب ضوءها عنا فيقال كسفت الشمس . ولا معنى لكسوف القمر إلا وقوعه في ظل الأرض المخروطية ويكون ذلك في أنصاف الشهور لوقوع الأرض وقت الاستقبال بينهما . فأما الكسوف فإنه يكون في أواخر الشهور لوقوع القمر بين الأرض والشمس . إذا فهمت هذا عرفت قوله تعالى - ألم تر إلى ربك - أى إلى صنعه وعجائبه وإتقان فعله - كيف مدّ الظل - وراء الأرض من الناحية الأخرى المخالفة للناحية المقابلة للشمس . ومعلوم أن الدنيا كلها نور في نور لأن هذه الكواكب كلها نور مشرقات . وإذا كانت هناك سيارات للشموس الأخرى فهي في جانب الشمس ضئيلة لا تذكر ولا تؤثر ظلها فلا الدنيا كلها نور لأن - الله نور السموات والأرض -

يقول الله نجيب أيها العبد من صنع ربك كيف ابتدع أجراما قليلة جدا كالأرض وجعلها معتمة بسبب برودة ظواهرها وبهذه العتمة صار لها ظل من ورائها ولولا ذلك ما كان في هذا العالم خلال يستريح الناس فيها ولا لهم وقت مناسب للنوم فيه . ولو كانت الأرض شفافة كالهواء وكالزجاج وكالزجاج لم يكن لها ظل - فأنه هو الذى اخترع الأجسام المظلمة رحمة منه ليكون لها ظل - فيكون الليل والنهار وفي النهار تختلف الظلال اختلافا كثيرا بسير الشمس فأنه لما خلق الشمس مثلا جعل الهواء وجعل الجسم الأثيرى الذى فوق الهواء شفافين وجعل الأرض معتمة فالشفاف واسطة لوصول الضوء والعميم يمنعه فيكون ظلام الليل والظلال الأخرى النهارية . ثم إن الأرض لو كانت ساكنة وكان وجهها المأذى للشمس ثابتا لا يتحرك لم يكن ليل ونهار ولم تكن هناك رحمة بالناس والحيوان تاتى لذلك أعقبه بقوله - ثم جعلنا الشمس عليه دليلا - فإن ضوء الشمس بحسب الظاهر ينتقل فيكون نور الشمس ناسخا لظلمة الأرض بحيث يكوّر الله كل واحد على الآخر . فقوله - ثم جعلنا الشمس عليه دليلا - حكمة أخرى غير حركة الظل فالظل نعمة وتغيره نعمة أخرى والمراد بالظل على هذا المعنى ما بين الظلام والامس وقوله - ثم قبضناه لينا قبضا يسيرا - متمم لما قبله لأنه ينسخ الشمس الظل يكون التدرج فيه وهو معنى - قبضناه لينا قبضا يسيرا - انتهت الطليقة الأولى

(المطيعة الثانية في قوله تعالى - وأنزلنا من السماء ماء طهورا -)

اعلم أن هذه الآية وتركيبها من أعجب العجائب فإن لفظ - طهورا - هنا كقوله تعالى في (سورة الحجر) - وأرسلنا الرياح لواقح - كلامها وضع رمزا لعلوم واسعة ولكن أكثر الناس عنها معرضون (وبيانه) أن قوله - وأرسلنا الرياح - إنما نزلت في مقام الامتنان بارسال الرياح وإزالة الماء من السماء لتحياء به الأرض بعد موتها . فقوله - لواقح - جاء كفتح لعل لقاح النبات . وإذا كنت اطلعت على ما كتبناه في كتبنا أوماجاه في (سورة الحجر) في التفسير هاك . أقول إذا اطلعت عليه هناك رأيت عجبا عجبا في بدائع صنع الله تعالى من الاقحاح ولولا هذه الكلمة لم يكن لذكر ذلك في التفسير معنى وعلم الاقحاح أهم ما في علم النبات لأن عدد الأوراق في الزهرات التى فيها أعضاء الذكور وأعضاء الاناث عليها مدار تقسيم هذا العلم . هكذا هنا فإن الله امتن على العباد بإزالة الماء من السماء وذكر هذه اللفظة وهى - طهورا - مع أن المقام مقام النعمة يسقى الأرض به وإخراج النبات وسقى الحيوان والانسان . فأما الطهارة فليس المقام لها فإن يقال إن الماء أنزله الله لحياة الأرض والنبات والحيوان والانسان ولتنظافة الانسان وثوبه ومكانه . فالله حيائنا ولتنظافتنا . هذا ملخص ما يفهم من الآية . فأنه عز وجل له علينا المنة إذ جعل الماء حياة لنا ولزرعنا وحيواننا وطهارة لنا ولا جرم أن طهارة الظاهر تتبع طهارة الباطن فلا خير في ظاهر لا يتبعه الباطن . إن الله عز وجل جعل الماء شفافا تسطع فيه الكواكب والشمس والقمر فلورأيت في الليالى المظلمة لألفت الكواكب فيه مرسومة فالله يحينا وينظفنا وإذا نظرنا إليه وجدنا جوهره يسع العالم الذى تقابله فهو مرآة للعالم المقابلة له . الماء يكون بخارا ويكون سحبا ويكون ضبابا وثلجا وبردا كما تقدم . يقول الله - ولقد صرفناه بينهم ليدركوا فأتى أكثر الناس

إلا كفورا - ؟ كم الناس كفروا النعمة لأن الماء لو أنهم فهموه وفقهوه لكان فيه للناس غنية ولكن كافيًا لهم ولكنهم كفروا النعمة . نظروا إلى الماء من حيث أنه حياتهم وإن كانوا متدينين نظروا إليه من حيث أنه به نظافة أجسادهم ولكن أكثر الناس كافرون بحقيقته فاعطت نفوسهم إلى الدرك الأسفل . أفلم ير الناس إلى اشراق الكواكب فيه وإنها مرسومة . أليس هذا نبراسهم عسى أن يتذكروا أن أنفس الناس يجب أن تكون مشرقة : ترسم فيها العلوم كما ارسمت الكواكب في الماء . الروح أطفئ من الماء والماء وسع الكواكب ؟ فلماذا لا يفهم الناس من هذا أن تشرق نفوسهم بالعلوم والحكمة والأخلاق وبالفقه كما أشرق هذا الماء بالكواكب وظهرت فيه ورسمت في خلاله . هذا كتاب كتبه الله بيده في الطبيعة وقال - ولقد صرفناه بينهم - وقال في القرآن - ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل - ولكنه شدّد هنا فقال - فأني أكثر الناس إلا كفورا - . هنا يقول الله - صرفناه - وفي القرآن يقال الله - صرفنا - وفي الماء يقول - فأني أكثر الناس إلا كفورا - فكان الماء كتاب وكان الذي لا يفهمه ولا يعمل بما فيه كفور - . فهذا الماء صاف شفاف كما قمتنا بحسب طبعه وهو يسع الكواكب المقابلة له كما قمتنا . هكذا فلتكن قلوب الناس خالية من المعاصي والمطامع فتشرق عليها العلوم . ومن أغلقت نفسه بالظلم والتنويم يشرق فيها العلم كما لا تظهر صور النجوم في الماء الكدر . وأيضا ان النظر في أمر الماء يدل على بقاء الأرواح فإذا كان الصفاء والكسوف في الماء يختلطان من حيث قبول انطباع الصور وعدم قبولها كما يحصل في أرواحنا هكذا يكون تصريف الماء حرارة وبرودة إذ يكون سائلا وبخارا وثلجا فإذا كان داخلا في أجسام الناس والحيوان والنبات فانه يكون سببا في الحياة كما ان الأرواح في الأجسام كذلك وإذا خرج من الأجسام بالبخار صار بخارا كاتخرج الأرواح بالموت إلى عالم آخر وكما أن البخار يرجع فيصير سحبا فينزل مطرا على اليابسة فيدخل الأجسام ثانيا هكذا أرواحنا خروجا من أجسامنا لا يمنع بقاءها ورجوعها ثانيا إلى عالم الحياة . فإذا كان خروج الماء من أجسامنا بصفة بخار لم يدل على أن الماء فني بل إنما هو صار بخارا والبحار لم يفن بل هو موجود فعلا ويرجع ماء وهكذا فالله تعالى بهذا التصريف يفهمنا أن الماء لم يفن بل الماء من آدم إلى اليوم وإلى أن تفنى الدنيا هو هو لم يتغير فالله الآن هو الماء إلى يوم تفنى الأرض هو الماء الذي كان منذ مئات الآلاف من السنين وهو المطر وهو البخار وهو الأنهر وهو الذي يرجع إلى البحر الملح وهو الذي يكون بخارا وفناؤه سيكون يوم تفنى الأرض فليس تحت الشمس من جديد فالله الذي شر به أجدادنا هو الماء الذي نشر به أوليغره . ولكن ذلك لم يفن . فما أن يكون هذا منه وإما أن يكون ذلك قدر رجع إلى البحر وهو فيه إلى الآن وسيرجع بخارا يوما . هذا ملخص المعنى . فإذا كانت هذه حال الماء الذي هو مركب من أكسوجين وأودروجين فما بالك بأرواحنا التي لا تركيب فيها . إن الحكماء قرروا أن الجسم كلما كان أكثر تركيبا كان أسرع انحلالا وكلما قلّ تركيبه عسر انحلاله وطال أمده وجوده . ألا ترى الأشجار فانها أسرع انحلالا من الأحجار لأن الأحجار أقل تركيبا من الأشجار فالله أولى لأنه أقل تركيبا إذ هو مركب من الأكسوجين والأودروجين ولا انحلال لهما إلا في أيام خراب الأرض وتبديلها أو تحليله في العامل الكيميائية وهذا لأن الماء قليل التركيب بخلاف النبات والحيوان والإنسان فالروح التي لا تركيب فيها لا فناء لها . فاذن يكون في تصريف الماء عبرة لنا وهي بقاء أرواحنا بعد الموت والصفاء في قنوسنا المرموز له بصفاء الماء وهذا من أهم أغراض الرسالة فالرسالة إنما جعلها الله تهذيب الأرواح وتذكيرها بعبادها ورجوعها إلى عالم الأجسام مرة أخرى وهو يوم القيامة ولذلك ذكر بعد ذلك قوله تعالى - ولوشنا لبعثنا في كل قرية نذيرا - وذلك لتذكير الناس بما يصرف الله في القرآن وبما يصرف في الماء وفي غيرها لتصفو قلوبهم ويأخذهم في الحكمة والعلم . هذه هي المناسبة الداعية لذكر الرسالة مع الماء وأيضا الرسالة والعلم حياة للنفوس والماء حياة للأجسام

﴿ زيادة كشف وإيضاح ﴾

﴿ اتقان الصنعة من موجبات دوامها إما بأن تقى معنى أو بأن يتجدد أمثالها ﴾

اعلم أن اقتران ذكر الماء والتصرف فيه بقوله تعالى - ولولنا لبغنا في كل قرية نفيرا - داع للبحث والتفكير والموازنة بين القرآن وبين الماء وكذلك الانسان . فها هو ذا بعد أن ذكر ذلك بين كيف يتصرف في الماء بقوله - مرج البحرين - الخ وكيف يتصرف في الانسان فقال - وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا - الخ . فهنا قرآن وماء وانسان تصرف فيها كلها . ولقد رأيت كيف تصرف في الماء فيها كسبناه هنا وأزيد عليه بأن أشير الى ما تقدم في (سورة الأنعام) من التصرف فيه بالاشراق والنور . ذلك ان هذا الماء المذكور في هذه الآية يكون مشرقا مضيا جيلا سواء أكل في الأقطار الاستوائية أم في القطبية . ألا تعجب من كيف تذب الله فيه مادة الفوسفور كما تقدم في الأنعام . فذهب من الحيوانات التي نموت في البحر من حيواناته . فلما أذاب الفوسفور اتقد نورا وظهر على هيئة شهب وذوات أذناب وقوس قزح وظهر وبهر وجل وكانت له أشكال باهرة مختلطة مزدوجة يراها المسافرين في البحر . ألا تعجب من كيف كان ذلك أيضا في الطليين ؟ ماذا فعل الله هناك . الحق هناك بارد والبرد جعل الماء ثلجا . فانظر ماذا ترى . ترى الثلج لذا أشرق عليه نور الشمس أوضوه الصباح هناك يلعب ويكون من لمعانه أتولر وبهجة لتألق في قلباتها عما في بحر خط الاستواء . هذه هي الصنعة اللقنة . تفان وتفان واتقان واتقان وأنوار وأنوار . لم يحجب ذلك من مفرط ولا برد شديد . ففي كليهما لم يعدم وسيلة يهربها العقول ويحسن بها الأشكال في الماء فضلا عما تقدم من أنواع الصور والأحوال . هذا هو الماء وهذه تصرفاته المذكورة في الآية فانظر في أمر القرآن تراه قد اشتمل على حكم ومواعظ وأخبار وأحكام وأمثال ووعد ووعيد وأنواع من البسديع وتفان في القول وحسن التمييز فدام على مدى الزمان دام هذا الوجود لحسن اتقانه . ودام هذا القرآن لحسن اتقانه فهذه الدنيا وهذا الوجود كان دوامه لحسن الاتقان في الصنعة كما ترى في الماء وهكذا القرآن واعلم أن الكتب يكون دوامها على حسب حسن التفان والاتقان فيها فعلى مقدار تفنتها واتقانها تدوم كما دام الماء ونظام الوجود لحسن التفان وعلى تفان واصفبه بحسنه • يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

بقي علينا أن ننظر في أمر الانسان مئرى نظامه فيه ذلك التفان كما رأيت في نظام الماء . الماء يكون مجزوا بالنبات مختلطا بجسم الحيوان بدور في دورة كل منهما وهو بحر وماء ونلج الى آخر ما قسم وهو شيء واحد هكذا هذا الإنسان ترى له روحا واحدة ومن محب انها هكذا

| | | | |
|-------|----------------|----------------------|-----------------|
| مخيلة | في مقدم الدماغ | مشكلة | باللسان أيضا |
| مفكرة | في أوسطه | ماضفة | بالأسنان |
| ذاكرة | في مؤخره | هاضمة | بالعدة |
| حافظة | في مؤخره | مجرية الدم | بالشرابين |
| كاتبه | باليد | مصفية الدم | بالرئة |
| ناظرة | بالعين | موزعة الدم | بالقلب |
| سامعة | بالأذن | طابخة الدم | بالكبد ونحوه |
| باطنة | باليد أيضا | حافظة القلب وما حوله | بالضامع |
| ماشية | بالرجل | حافظة الماء | بالكلية |
| ذاتقة | باللسان | مخرجة الفضلات | بالسبيلين وهكذا |

الشمس والجمعة وهي القابلة لأفعال مختلفة في كل عضو بحسبه فهي تنزل على حسب الآلات فهي في السماع عقل وفكر وخيال وذكر وحفظ وهي في الحواس سمع ونظر ألمح وفي الهائرة الغضائية هاضمة وفي السوائر التنفسية مصفية ويدخله الأكسوجين ومخرجة الأديروجين فمن هذا عرفنا حسن النظام في الماء وفي الإنسان وفي القرآن ، هذا قوله تعالى - ولقد صرفناه بينهم ليدكروا - وقوله - مرج البحرين - وقوله - وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا - الخ

إن دوام الأشياء على مقتضى حسن اتقانها . فأمثال الهرم بالبلاد المصرية بقاؤه لحسن الصنعة وكذا الماء والسكواب وأمثال القرآن كذلك . أما مثل الحيوان والنبات فحسن اتقانها كان سببا في تجدد الأعضاء فحسن الاتقان في النظام كان سببا في تجدد هذه الأشخاص وقتا بعد وقت والحمد لله رب العالمين ﴿ الطليقة الثالثة في قوله تعالى - الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام - الخ ﴾

اعلم أي لما وصلت الى هذه الطليقة قال لي أحد الفضلاء وقد اطلع على ما سبق ذكره في سور مختلفة كسورة يونس وهود وغيرها قرأ ما كتبت على قوله - استوى على العرش - وعلى ما ذكرته في قوله تعالى - في ستة أيام - فقال ان ما ذكرته هناك لاخبار عليه ولكن لايزال في النفس شيء مما قلته في ذكر - ستة أيام - ومعلوم أن السموات والأرض لم يصنعها الله إلا في ملايين الملايين من السنين وإذا كانت الأرض لم يتم صنعها إلا في مئات الملايين فبالك ببقية العوالم كالشمس ونواحيها . وإذا كانت الطبقة الصوانية التي هي فوق الكرة النارية التي هي عبارة عن باطن الأرض لم تكون على رأى بعض العلماء إلا في نحو ثمانية مليون سنة فبالك ببقية الطبقات . فإذا مسألة الأيام الستة لاجرم انها مدد عظيمة . هذا هو الذي يؤخذ مما ذكره في هذا التفسير . اما الذي يهمني الآن أن أعرف لم اختار عدد (٦) ولم لم يقل عددا آخر مع انه لو قال أى عدد لصح لأنها أزمان طويلة فلتقرر بأى عدد . فقلت اعلم أن الجواب على هذا لا يعرف إلا بعلم الارتماطيق وهذا العلم هو أصل جميع العلوم الرياضية وهذا الفن قد كتبت مجله في كتابي ﴿ الفلسفة ﴾ التي جمعت فيه سبعة عشر علما هي مجموع العلوم التي كان يقرؤها القدماء في الحكمة والمقام لا يسع التفصيل ولكن أذكر هنا مجالا لتعرف لم اختر عدد (٦) في التوراة والانجيل ومتى عرفت مأسا ذكره لك استندت بسبب اختيار الستة فاعلم أن العدد كانه مركب من الواحد لأن اضافة واحد الى واحد يكون اثنين والاثنان أول العدد لأن العدد يشتر بالعدد ولا تعتمد في الواحد فالواحد خاص بالعدد الأول الذي منه كل الوجود والاثنان أول العدد والثلاثة أول العدد الفرد وجميع الأعداد لا تخلو من الزوج والفرد إذن هي ﴿ قسمان ﴾ أزواج وأفراد . فإذا أضفت الى واحد ٢ و ٣ و ٤ وهكذا تكونت عندك الأعداد الفردية كلها الى ما لانهاية لها . وإذا أضفت الى اثنين ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٢ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٧٣ و ٤٧٤ و ٤٧٥ و ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٧٩ و ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٥ و ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٤٨٨ و ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٤٩١ و ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤٩٤ و ٤٩٥ و ٤٩٦ و ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٤٩٩ و ٥٠٠ و ٥٠١ و ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٥ و ٥٠٦ و ٥٠٧ و ٥٠٨ و ٥٠٩ و ٥١٠ و ٥١١ و ٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ و ٥١٦ و ٥١٧ و ٥١٨ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ و ٥٢٢ و ٥٢٣ و ٥٢٤ و ٥٢٥ و ٥٢٦ و ٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٢٩ و ٥٣٠ و ٥٣١ و ٥٣٢ و ٥٣٣ و ٥٣٤ و ٥٣٥ و ٥٣٦ و ٥٣٧ و ٥٣٨ و ٥٣٩ و ٥٤٠ و ٥٤١ و ٥٤٢ و ٥٤٣ و ٥٤٤ و ٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٧ و ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٥٥٣ و ٥٥٤ و ٥٥٥ و ٥٥٦ و ٥٥٧ و ٥٥٨ و ٥٥٩ و ٥٦٠ و ٥٦١ و ٥٦٢ و ٥٦٣ و ٥٦٤ و ٥٦٥ و ٥٦٦ و ٥٦٧ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٠ و ٥٧١ و ٥٧٢ و ٥٧٣ و ٥٧٤ و ٥٧٥ و ٥٧٦ و ٥٧٧ و ٥٧٨ و ٥٧٩ و ٥٨٠ و ٥٨١ و ٥٨٢ و ٥٨٣ و ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٨٦ و ٥٨٧ و ٥٨٨ و ٥٨٩ و ٥٩٠ و ٥٩١ و ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ و ٥٩٥ و ٥٩٦ و ٥٩٧ و ٥٩٨ و ٥٩٩ و ٦٠٠ و ٦٠١ و ٦٠٢ و ٦٠٣ و ٦٠٤ و ٦٠٥ و ٦٠٦ و ٦٠٧ و ٦٠٨ و ٦٠٩ و ٦١٠ و ٦١١ و ٦١٢ و ٦١٣ و ٦١٤ و ٦١٥ و ٦١٦ و ٦١٧ و ٦١٨ و ٦١٩ و ٦٢٠ و ٦٢١ و ٦٢٢ و ٦٢٣ و ٦٢٤ و ٦٢٥ و ٦٢٦ و ٦٢٧ و ٦٢٨ و ٦٢٩ و ٦٣٠ و ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٣ و ٦٣٤ و ٦٣٥ و ٦٣٦ و ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١ و ٦٤٢ و ٦٤٣ و ٦٤٤ و ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٧ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥٠ و ٦٥١ و ٦٥٢ و ٦٥٣ و ٦٥٤ و ٦٥٥ و ٦٥٦ و ٦٥٧ و ٦٥٨ و ٦٥٩ و ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٢ و ٦٦٣ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٦٧ و ٦٦٨ و ٦٦٩ و ٦٧٠ و ٦٧١ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٦٧٥ و ٦٧٦ و ٦٧٧ و ٦٧٨ و ٦٧٩ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٦٨٤ و ٦٨٥ و ٦٨٦ و ٦٨٧ و ٦٨٨ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٢ و ٦٩٣ و ٦٩٤ و ٦٩٥ و ٦٩٦ و ٦٩٧ و ٦٩٨ و ٦٩٩ و ٧٠٠ و ٧٠١ و ٧٠٢ و ٧٠٣ و ٧٠٤ و ٧٠٥ و ٧٠٦ و ٧٠٧ و ٧٠٨ و ٧٠٩ و ٧١٠ و ٧١١ و ٧١٢ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٥ و ٧١٦ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧١٩ و ٧٢٠ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٣ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٧ و ٧٢٨ و ٧٢٩ و ٧٣٠ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٣ و ٧٣٤ و ٧٣٥ و ٧٣٦ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٣٩ و ٧٤٠ و ٧٤١ و ٧٤٢ و ٧٤٣ و ٧٤٤ و ٧٤٥ و ٧٤٦ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٤٩ و ٧٥٠ و ٧٥١ و ٧٥٢ و ٧٥٣ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٦ و ٧٥٧ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٢ و ٧٦٣ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٦ و ٧٦٧ و ٧٦٨ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧١ و ٧٧٢ و ٧٧٣ و ٧٧٤ و ٧٧٥ و ٧٧٦ و ٧٧٧ و ٧٧٨ و ٧٧٩ و ٧٨٠ و ٧٨١ و ٧٨٢ و ٧٨٣ و ٧٨٤ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٧٨٧ و ٧٨٨ و ٧٨٩ و ٧٩٠ و ٧٩١ و ٧٩٢ و ٧٩٣ و ٧٩٤ و ٧٩٥ و ٧٩٦ و ٧٩٧ و ٧٩٨ و ٧٩٩ و ٨٠٠ و ٨٠١ و ٨٠٢ و ٨٠٣ و ٨٠٤ و ٨٠٥ و ٨٠٦ و ٨٠٧ و ٨٠٨ و ٨٠٩ و ٨١٠ و ٨١١ و ٨١٢ و ٨١٣ و ٨١٤ و ٨١٥ و ٨١٦ و ٨١٧ و ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢٠ و ٨٢١ و ٨٢٢ و ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢٥ و ٨٢٦ و ٨٢٧ و ٨٢٨ و ٨٢٩ و ٨٣٠ و ٨٣١ و ٨٣٢ و ٨٣٣ و ٨٣٤ و ٨٣٥ و ٨٣٦ و ٨٣٧ و ٨٣٨ و ٨٣٩ و ٨٤٠ و ٨٤١ و ٨٤٢ و ٨٤٣ و ٨٤٤ و ٨٤٥ و ٨٤٦ و ٨٤٧ و ٨٤٨ و ٨٤٩ و ٨٥٠ و ٨٥١ و ٨٥٢ و ٨٥٣ و ٨٥٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ و ٨٥٧ و ٨٥٨ و ٨٥٩ و ٨٦٠ و ٨٦١ و ٨٦٢ و ٨٦٣ و ٨٦٤ و ٨٦٥ و ٨٦٦ و ٨٦٧ و ٨٦٨ و ٨٦٩ و ٨٧٠ و ٨٧١ و ٨٧٢ و ٨٧٣ و ٨٧٤ و ٨٧٥ و ٨٧٦ و ٨٧٧ و ٨٧٨ و ٨٧٩ و ٨٨٠ و ٨٨١ و ٨٨٢ و ٨٨٣ و ٨٨٤ و ٨٨٥ و ٨٨٦ و ٨٨٧ و ٨٨٨ و ٨٨٩ و ٨٩٠ و ٨٩١ و ٨٩٢ و ٨٩٣ و ٨٩٤ و ٨٩٥ و ٨٩٦ و ٨٩٧ و ٨٩٨ و ٨٩٩ و ٩٠٠ و ٩٠١ و ٩٠٢ و ٩٠٣ و ٩٠٤ و ٩٠٥ و ٩٠٦ و ٩٠٧ و ٩٠٨ و ٩٠٩ و ٩١٠ و ٩١١ و ٩١٢ و ٩١٣ و ٩١٤ و ٩١٥ و ٩١٦ و ٩١٧ و ٩١٨ و ٩١٩ و ٩٢٠ و ٩٢١ و ٩٢٢ و ٩٢٣ و ٩٢٤ و ٩٢٥ و ٩٢٦ و ٩٢٧ و ٩٢٨ و ٩٢٩ و ٩٣٠ و ٩٣١ و ٩٣٢ و ٩٣٣ و ٩٣٤ و ٩٣٥ و ٩٣٦ و ٩٣٧ و ٩٣٨ و ٩٣٩ و ٩٤٠ و ٩٤١ و ٩٤٢ و ٩٤٣ و ٩٤٤ و ٩٤٥ و ٩٤٦ و ٩٤٧ و ٩٤٨ و ٩٤٩ و ٩٥٠ و ٩٥١ و ٩٥٢ و ٩٥٣ و ٩٥٤ و ٩٥٥ و ٩٥٦ و ٩٥٧ و ٩٥٨ و ٩٥٩ و ٩٦٠ و ٩٦١ و ٩٦٢ و ٩٦٣ و ٩٦٤ و ٩٦٥ و ٩٦٦ و ٩٦٧ و ٩٦٨ و ٩٦٩ و ٩٧٠ و ٩٧١ و ٩٧٢ و ٩٧٣ و ٩٧٤ و ٩٧٥ و ٩٧٦ و ٩٧٧ و ٩٧٨ و ٩٧٩ و ٩٨٠ و ٩٨١ و ٩٨٢ و ٩٨٣ و ٩٨٤ و ٩٨٥ و ٩٨٦ و ٩٨٧ و ٩٨٨ و ٩٨٩ و ٩٩٠ و ٩٩١ و ٩٩٢ و ٩٩٣ و ٩٩٤ و ٩٩٥ و ٩٩٦ و ٩٩٧ و ٩٩٨ و ٩٩٩ و ١٠٠٠ و ١٠٠١ و ١٠٠٢ و ١٠٠٣ و ١٠٠٤ و ١٠٠٥ و ١٠٠٦ و ١٠٠٧ و ١٠٠٨ و ١٠٠٩ و ١٠١٠ و ١٠١١ و ١٠١٢ و ١٠١٣ و ١٠١٤ و ١٠١٥ و ١٠١٦ و ١٠١٧ و ١٠١٨ و ١٠١٩ و ١٠٢٠ و ١٠٢١ و ١٠٢٢ و ١٠٢٣ و ١٠٢٤ و ١٠٢٥ و ١٠٢٦ و ١٠٢٧ و ١٠٢٨ و ١٠٢٩ و ١٠٣٠ و ١٠٣١ و ١٠٣٢ و ١٠٣٣ و ١٠٣٤ و ١٠٣٥ و ١٠٣٦ و ١٠٣٧ و ١٠٣٨ و ١٠٣٩ و ١٠٤٠ و ١٠٤١ و ١٠٤٢ و ١٠٤٣ و ١٠٤٤ و ١٠٤٥ و ١٠٤٦ و ١٠٤٧ و ١٠٤٨ و ١٠٤٩ و ١٠٥٠ و ١٠٥١ و ١٠٥٢ و ١٠٥٣ و ١٠٥٤ و ١٠٥٥ و ١٠٥٦ و ١٠٥٧ و ١٠٥٨ و ١٠٥٩ و ١٠٦٠ و ١٠٦١ و ١٠٦٢ و ١٠٦٣ و ١٠٦٤ و ١٠٦٥ و ١٠٦٦ و ١٠٦٧ و ١٠٦٨ و ١٠٦٩ و ١٠٧٠ و ١٠٧١ و ١٠٧٢ و ١٠٧٣ و ١٠٧٤ و ١٠٧٥ و ١٠٧٦ و ١٠٧٧ و ١٠٧٨ و ١٠٧٩ و ١٠٨٠ و ١٠٨١ و ١٠٨٢ و ١٠٨٣ و ١٠٨٤ و ١٠٨٥ و ١٠٨٦ و ١٠٨٧ و ١٠٨٨ و ١٠٨٩ و ١٠٩٠ و ١٠٩١ و ١٠٩٢ و ١٠٩٣ و ١٠٩٤ و ١٠٩٥ و ١٠٩٦ و ١٠٩٧ و ١٠٩٨ و ١٠٩٩ و ١١٠٠ و ١١٠١ و ١١٠٢ و ١١٠٣ و ١١٠٤ و ١١٠٥ و ١١٠٦ و ١١٠٧ و ١١٠٨ و ١١٠٩ و ١١١٠ و ١١١١ و ١١١٢ و ١١١٣ و ١١١٤ و ١١١٥ و ١١١٦ و ١١١٧ و ١١١٨ و ١١١٩ و ١١٢٠ و ١١٢١ و ١١٢٢ و ١١٢٣ و ١١٢٤ و ١١٢٥ و ١١٢٦ و ١١٢٧ و ١١٢٨ و ١١٢٩ و ١١٣٠ و ١١٣١ و ١١٣٢ و ١١٣٣ و ١١٣٤ و ١١٣٥ و ١١٣٦ و ١١٣٧ و ١١٣٨ و ١١٣٩ و ١١٤٠ و ١١٤١ و ١١٤٢ و ١١٤٣ و ١١٤٤ و ١١٤٥ و ١١٤٦ و ١١٤٧ و ١١٤٨ و ١١٤٩ و ١١٥٠ و ١١٥١ و ١١٥٢ و ١١٥٣ و ١١٥٤ و ١١٥٥ و ١١٥٦ و ١١٥٧ و ١١٥٨ و ١١٥٩ و ١١٦٠ و ١١٦١ و ١١٦٢ و ١١٦٣ و ١١٦٤ و ١١٦٥ و ١١٦٦ و ١١٦٧ و ١١٦٨ و ١١٦٩ و ١١٧٠ و ١١٧١ و ١١٧٢ و ١١٧٣ و ١١٧٤ و ١١٧٥ و ١١٧٦ و ١١٧٧ و ١١٧٨ و ١١٧٩ و ١١٨٠ و ١١٨١ و ١١٨٢ و ١١٨٣ و ١١٨٤ و ١١٨٥ و ١١٨٦ و ١١٨٧ و ١١٨٨ و ١١٨٩ و ١١٩٠ و ١١٩١ و ١١٩٢ و ١١٩٣ و ١١٩٤ و ١١٩٥ و ١١٩٦ و ١١٩٧ و ١١٩٨ و ١١٩٩ و ١٢٠٠ و ١٢٠١ و ١٢٠٢ و ١٢٠٣ و ١٢٠٤ و ١٢٠٥ و ١٢٠٦ و ١٢٠٧ و ١٢٠٨ و ١٢٠٩ و ١٢١٠ و ١٢١١ و ١٢١٢ و ١٢١٣ و ١٢١٤ و ١٢١٥ و ١٢١٦ و ١٢١٧ و ١٢١٨ و ١٢١٩ و ١٢٢٠ و ١٢٢١ و ١٢٢٢ و ١٢٢٣ و ١٢٢٤ و ١٢٢٥ و ١٢٢٦ و ١٢٢٧ و ١٢٢٨ و ١٢٢٩ و ١٢٣٠ و ١٢٣١ و ١٢٣٢ و ١٢٣٣ و ١٢٣٤ و ١٢٣٥ و ١٢٣٦ و ١٢٣٧ و ١٢٣٨ و ١٢٣٩ و ١٢٤٠ و ١٢٤١ و ١٢٤٢ و ١٢٤٣ و ١٢٤٤ و ١٢٤٥ و ١٢٤٦ و ١٢٤٧ و ١٢٤٨ و ١٢٤٩ و ١٢٥٠ و ١٢٥١ و ١٢٥٢ و ١٢٥٣ و ١٢٥٤ و ١٢٥٥ و ١٢٥٦ و ١٢٥٧ و ١٢٥٨ و ١٢٥٩ و ١٢٦٠ و ١٢٦١ و ١٢٦٢ و ١٢٦٣ و ١٢٦٤ و ١٢٦٥ و ١٢٦٦ و ١٢٦٧ و ١٢٦٨ و ١٢٦٩ و ١٢٧٠ و ١٢٧١ و ١٢٧٢ و ١٢٧٣ و ١٢٧٤ و ١٢٧٥ و ١٢٧٦ و ١٢٧٧ و ١٢٧٨ و ١٢٧٩ و ١٢٨٠ و ١٢٨١ و ١٢٨٢ و ١٢٨٣ و ١٢٨٤ و ١٢٨٥ و ١٢٨٦ و ١٢٨٧ و ١٢٨٨ و ١٢٨٩ و ١٢٩٠ و ١٢٩١ و ١٢٩٢ و ١٢٩٣ و ١٢٩٤ و ١٢٩٥ و ١٢٩٦ و ١٢٩٧ و ١٢٩٨ و ١٢٩٩ و ١٣٠٠ و ١٣٠١ و ١٣٠٢ و ١٣٠٣ و ١٣٠٤ و ١٣٠٥ و ١٣٠٦ و ١٣٠٧ و ١٣٠٨ و ١٣٠٩ و ١٣١٠ و ١٣١١ و ١٣١٢ و ١٣١٣ و ١٣١٤ و ١٣١٥ و ١٣١٦ و ١٣١٧ و ١٣١٨ و ١٣١٩ و ١٣٢٠ و ١٣٢١ و ١٣٢٢ و ١٣٢٣ و ١٣٢٤ و ١٣٢٥ و ١٣٢٦ و ١٣٢٧ و ١٣٢٨ و ١٣٢٩ و ١٣٣٠ و ١٣٣١ و ١٣٣٢ و ١٣٣٣ و ١٣٣٤ و ١٣٣٥ و ١٣٣٦ و ١٣٣٧ و ١٣٣٨ و ١٣٣٩ و ١٣٤٠ و ١٣٤١ و ١٣٤٢ و ١٣٤٣ و ١٣٤٤ و ١٣٤٥ و ١٣٤٦ و ١٣٤٧ و ١٣٤٨ و ١٣٤٩ و ١٣٥٠ و ١٣٥١ و ١٣٥٢ و ١٣٥٣ و ١٣٥٤ و ١٣٥٥ و ١٣٥٦ و ١٣٥٧ و ١٣٥٨ و ١٣٥٩ و ١٣٦٠ و ١٣٦١ و ١٣٦٢ و ١٣٦٣ و ١٣٦٤ و ١٣٦٥ و ١٣٦٦ و ١٣٦٧ و ١٣٦٨ و ١٣٦٩ و ١٣٧٠ و ١٣٧١ و ١٣٧٢ و ١٣٧٣ و ١٣٧٤ و ١٣٧٥ و ١٣

ناقص وأما كامل فلزائد مثل عدد ١٢ وهو عدد يزيد مجموع مضاربه عنه . فمضارب ١٢ هي ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٦ - والمجموع ١٦ وهي أكثر من (١٢) والعدد الناقص هو ناقص مجموع مضاربه عنه وذلك مثل عدد (٨) لأن مضاربه (١-٢-٣-٤) وهذه عددا (٧) وهي أنقص من (٨) والعدد الكامل هو ما يساوي جميع مضاربه وذلك مثل العدد (٦) فإن مضاربه هي ١ و ٢ و ٣ التي مجموعها (٦) وكذلك عدد (٢٨) فهو عدد كامل لأن مجموع مضاربه هي (١ و ٢ و ٤ و ٧ و ١٤) هو عدد (٢٨)

وهكذا قد توصل العلماء بقاعدة المتوالي الزوجية وهي المتوالي الهندسية التي أسما (٢) وحدها الأول ٢ مع تكرار حدها الثاني وهو (٤) أن يستخرجوا الأعداد الكاملة التي هي قليلة العدد بحيث تكون في الأحاد عشرة عددا واحدا وفي العشرات كلها عددا واحدا وفي المئات كلها عددا واحدا وفي عشرة الآلاف الأولى عددا واحدا ومن عشرة الآلاف إلى مائة ألف لا شيء منه فيها . وهكذا رأى العلماء أن العدد الكامل نادر جدا وهما كجدوله

٦
٢٨
٤٩٦
٨١٢٨
١٣٠٨١٦
٢٠٩٦١٢٨
٣٣٥٠٣٣٦
٥٣٦٨٥٤٥٢٨
٨٥٨٩٨٦٩٠٥٦
١٣٧٤٣٨٦٩١٣٢٨
٢١٩٩٠٢٢٢٠٦٩٧٦
٣٥١٨٤٣٦٧٨٩٤٥٢٨
٥٦٢٩٤٩٩٣٦٦٤٤٠٩٦
٩٠٠٧١٩٩١٨٧٦٣٢١٢٨
١٤٤١١٥١٨٧٨٠٧٤٢٠٤٨٦
٢٣٠٥٨٤٣٠٠٨١٣٩٩٥٢١٢٨
٣٦٨٩٣٤٨٨١٤٣١٢٤١٣٥٩٣٦

فترى في هذا الجدول أنه من (١) إلى (١٠) لا يوجد إلا عدد كامل واحد وكذلك من (١٠) إلى (١٠٠) ومن مائة إلى (١٠٠٠) ومن (١٠٠٠) إلى (١٠٠٠٠) ومع هذه القلة لا يصح اطراد القاعدة فلا نقول أنه من (١٠٠٠٠) إلى (١٠٠٠٠٠) تقريرا أو من هذا إلى واحد مليون يوجد عدد كامل لما ظهر من هذا الجدول أنه من (١٠٠٠٠) إلى (٨٠٠٠٠٠٠٠٠) ونحوها لا يوجد إلا عدد كامل واحد ولذلك قال أحد علماء الرياضة كما قال أستاذنا المرحوم علي باشا مبارك وهو صادق في المقال (إن في ندرة الأعداد الكاملة إجماعا لندرة وجود الكمال) انتهى المقصود من العدد الكامل في علم الارتماطيق

أفلاترى أيها الذكي أن عدد (٦) في القرآن وفي التوراة في خلق السموات والأرض يراد به التنبيه على أول عدد كامل والعدد الكامل كما علمت عز وجوده . كيف لا وهما أنتذا لم تر في الأعداد من (١) إلى مليونين عددا كاملا إلا خمسة أعداد وليس في الأعداد من (١) إلى (٣٣) مليون ونصف

مليون إلا هذا العدد وستة أعداد معه كرايت . ولا شك أن سبعة في ٣٣ مليون ونصف مليون تعتبر نادرة جدا جدا . فبه الله به على أنه لما خلقه في ستة أيام راعى أكمل الوجود وأنه بحيث أنه اختار من أنواع الوجود ما هو أكمل ولأريب أن صور الموجودات لانهاية لها فاذا خلقها الله على هذا اللفظ فهو أحسن وأجل الأنماط والاشارة لذلك بلفظة (٦) التي هي عدد كامل فهو يشير إلى الكمال المطلق في الوجود المعبر عنه بقول الحكماء (ليس في المكان أبعد مما كان) فاذا اختار في التعبير أكمل الأعداد وأولها في الكمال فلا بد أن يكون اختار في خلقه أكمل الأوضاع وأولها وأحسنها في الكمال وهذا هو معنى قوله تعالى - الذي أحسن كل شيء خلقه -

فقال صاحب حسن ما تقول ولكن خبرني رعاك الله أليس يكتفى فيه بالآيات الواردة في حسن الخلق وجاله

ومانا ولهذا الرمز . قلت له على رسلك أيها الأستاذ اعلم أن هذا حسن في العدد وحسن العدد مطلوب كحسن المحسوسات ، قال فهل جاء هذا في القرآن . قلت قال الله تعالى - والشفع والوتر - فأقسم الله بالشفع والوتر وهما جميع علم الارتماطيقى الذى هو أساس العلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وفلك وموسيقى فهى كلها مبنية على علم الارتماطيقى وهذا العلم راجع للزوج والفرد وهما المذكوران فى الآية والله أقسم بهما ولا معنى للقسم إلا شرف المقسم به والمقسم به هو العدد وشرفه يقتضى البحث عنه من حيث دلالاته على الابداع والاتقان كالسكواكب التى أقسم بها والشفق والشمس والقمر والنجوم فهكذا أقسم بالأعداد جميعها فإذا علم المسلم أن الله لا يعتبر العدد فقد أخطأ من زعم ذلك وعليه يكون اختياره أيام لهذه الحكمة الجببية ولولم يكن فيه سوى الخوض على مزاولة هذا العلم الذى هو أسى العلوم الرياضية لكفى . وإذا رأينا علماءنا رضى الله عنهم ألفوا الكتب الضخمة والأبواب الواسعة فى تكفين الميت وغسله والعلالة عليه وفى الحيض والاستحاضة وفى الطلاق وأمثاله ولذلك آيات فى القرآن محذورات ؟ أفلا ينبى أن يؤلف فى علم الأعداد الذى أقسم الله به ما يضارع تلك الكتب . عجباً وألف عجب لأمة الاسلام ، أيجوز أيها الأمة العريقة المجد الشريفة المنزع أن ينزل الكتاب علينا فتحفظون البعض وتنسون البعض

أيجوز يا أمة محمد الذى هو خاتم الأنبياء أن تقفوا بالنوع الانسانى وقفة تترى بشرفكم . خبرونى فى أى آية أقسم الله بالحيض والنفس . خبرونى فى أى سورة من القرآن أقسم الله بالدين وبالطلاق . خبرونى فى أى آية أقسم الله بالبيع وبالطبة والميراث وأتمم قد قتم بما يطلبه الدين فى هذه العلوم وأرضيتم الله وخلقه فما بالك تعرضون عما أقسم به الله فقال - والفجر - وليال عشر - والشفع والوتر - وقال - والشمس ونحوها - والقمر اذا تلاها - وقال - والليل اذا يشئ - والنهار اذا تجلى - وهكذا . هذه هى الأشياء العظيمة التى أقسم الله بها ؟ هل أقسم بها لتصدقوه . كلا . والله انما أقسم بها ليحكم على فهمها وإدراكها والتأليف فيها أكثر من التأليف فى الأحكام الشرعية . علم الله أن أمة الاسلام ستكون عالة على الأمم فأنزله فى القرآن هذه الأقسام وحرض أهل العلم على استخراجها وإظهارها للأمة ليقرأها اللاحقون كما قرأ الأحكام الشرعية السابقون وسيكون فى هذه الأئمة من يدرس العلوم كلها كما درست الشريعة سابقا ، سيكون فى هذه الأئمة من يقرأ - والشفع والوتر - ويقرأ علم العدد الزوجى والفردى ويعرف نظام الله فى الأعداد التى هى سر الوجود عجباً وألف عجب يقول (فيثاغورس) الفيلسوف (إن العدد أول الموجودات) ويقول الفلاسفة بعده (إن الحساب فى الطبيعة دال على حاسب والحاسب هو الله) فكان الفلاسفة عرفوا الله من طريق علم العدد ولذلك جعلوا الواحد دلالة على الله عز وجل

(حكاية)

لما وفد الشعب على ملك الروم من قبل عبد الملك بن مروان سأله مسائل منها ؟ كيف يتصور الانسان نعماً فى الآخرة فلا ينقص ؟ وكيف يكون نعم يؤخذ منه ولا ينقص ؟ فهل لهذا مثال فى الدنيا فقال نعم السراج يؤخذ منه ألف سراج فلا ينقص . فقال ملك الروم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبطلون ولا يتقوتون هل لهذا نظير فى الدنيا فقال نعم الجنين فى بطن أمه لو أنه بال أو تقوط لقتلها . قال ، الله واحد ليس قبله شئ فهل هذا معقول ؟ فقال نعم العدد أوله واحد وليس قبل الواحد شئ اهـ

(رؤيا منامية)

اعلم اى أيام أن تخرجت من مدرسة (دارالعلوم) ووظفت مدرسا بالمدارس الأميرية كان انجاء نفسى لما أنا فيه الآن وكان ذلك غالبا على فأخذت أفكر فى هذا الوجود وبيننا أنا نائم ليلة اذا جماعة أشبه بقوم من بلاد الغرب يقرؤن فى قصة أبى زيد الهلالي فوقف بجانبهم فقال أحدهم ؟ هل أنت تعرف هذه القصة فقلت

حالاتهاية له ثم يقال له عند واحد الخ والاجابة عليه بأنه واحد كما جئت هذا الجواب حق في علم ماورد الطيعة
لأنهم قالوا إن الواحد مساو للوجود ، فكل ما يصح أن يقال عليه موجود يصح أن يقال له واحد حتى ان
الكثرة مع بعدها عن طباع الواحد يقال لها كثرة واحدة فعلم الالهي ينظر في الواحد وأقسامه والكثرة
ولو احسها كما ينظر في الوجود وأقسامه ولو احسها . وقد قسموا الموجود الى المقولات الستة ، وأيضا الى القوة
والفعل والقديم والحديث والتام والناقص والعلة والمعلول ، وقسموا الواحد الى واحد بالجنس وواحد بالنوع
وواحد بالعرض وواحد بالمشاركة في النسبة وواحد بالعدد الى آخره . وعلى ذلك تكون الاجابة التي أجبت بها
أن العدد الذي لانهاية له يقال له واحد صحيحة في علم ما رواء الطيعة لأن كل موجود كثيرا أو قليلا يطلق
عليه اسم الواحد فالواحد مع الموجود أيضا كان . وأيضا ان اضافة (٢) مكررة الى واحد تنتج أعدادا كلها
فردية الى ما لا ينتهى فهما كان العدد فهو واحد وأيضا هو فردى . انتهى ما أردته في هذا المقام والحمد لله
رب العالمين

وأما الطيعة الرابعة فهي مفهومة مما تقدم من سابق التفسير . وهما ﴿ جوهرتان ﴾ الأولى ﴿ في
قوله تعالى - وهو الذي مرج البحرين - الخ ﴾ والثانية ﴿ في قوله تعالى - وهو الذي خلق من الماء بشرا - الخ ﴾
﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح
أجاج وجعل بينهما برزخا وسجرا محجورا - ﴾

اعلم أن الله عز وجل قد ذكر البحر في مواضع كثيرة في القرآن ، فتراه في (سورة الرحمن) يقول
- مرج البحرين يلتقيان • بينهما برزخ لا يبغيان • فبأى آلاء ربكما تكذبان - وتراه يقول في (سورة
النحل) - وهو الذي سخر البحر لنا كلوا منه لحيا طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر
فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - ويقول في سورة أخرى - هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى
إذا كنتم في الفلك وجري بهم برح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجعلهم الموج من كل مكان وظنوا
أنهم أحبط بهم - الخ • فبالت شعري ما هذا الوصف والتذكير وكثرة التكرار • يقول الله - ومن آياته
الجوار في البحر كالأعلام - ويقول ان البحر يخرج منه اللؤلؤ والمرجان ، ويقول بأى نعم ربكما تكذبان
أياها الثقلان . فالبحار آيات واللؤلؤ والمرجان آيات وسير السفن فيه آيات ولما علم الله عز وجل قبل أن يخلق
الناس على الأرض أن النوع الانساني لاسيا المسلمين منهم سيشملهم الضرر ويسمهم داء الجحالة والبلاهة البغراء
أزل القرآن وقال فيه في (سورة يس) - يا حشرة على العباد • يقول الله على طريقة الاسلوب العربي
- يا حشرة على العباد - كما يقول الانسان يا حشرة على فلان قد فاته الفرصة واعتزته النكبة وحق به الويل
والتبور ، فهو هنا يقول إن هذا النوع الانساني حوى أن يتعسر عليه لما أصابه من الجبل فهم اذا سمعوا
المذكرين لهم بالعلم من الرسل استهزؤا بهم ، ثم أتبع ذلك بذكر (١) هلاك الأمم (٢) واحياء الأرض بدموتها
بالنبات (٣) واخراج الحب منها (٤) وظهور الجنات من التخيل والأعقاب فيها (٥) وتضجير العيون فيها
(٦) وانسلاخ الليل من النهار (٧) وجري الشمس (٨) والقمر (٩) وانه خلق لهم السفن في البحار ثم ختم
ذلك كله بقوله - وما تأنيبهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين - وانما ذكرت لك هذا مع أنه
في (سورة يس) لأذكرك بأن هذا الانسان جدير بالحسرة عليم حقيق بالشفقة لأنه جهول وكيف لا يكون جهولا
وهو لا يسمع النصيح اذا أتى له من رسول ولا يقل ما يراه من محاب الدنيا حتى قال الله عز وجل في هذا الانسان
انه مهما عرضت عليه آيات المنم عليه بالقرية فانه يعرض عنها ولا جرم أن للسلم يصلى عليه ذلك فانه يشتر
بأنه مؤمن بالله ويقول كفا في ذلك وهو يقرأ صباحا ومساء في القرآن والقرآن نبي عليه الاعراض عن نفس
الآيات . إن المسلم تسنعه سوانح البر وسوانح البحر فيعرض عنها ويقول أنا مؤمن بالله تعالى والبحار ومالى

وللجبال ومالئ والأشجار وهذا دأب كثير من الفقهاء في الاسلام وكثير من الصوفية وكل هذا غرور وهؤلاء جميعا قد شغلهم الغرور لأنهم أعرضوا عن الآيات التي أتتهم ؟ فهل بقي للمسلمين بعد ما بيناه في هذا التفسير وغيره غفر في الجهالة . كلا . ثم كلا . هذا جلال الله وهذه عجائبه تجل في هذا التفسير وفي أمثاله من كتب مؤلفي العلماء في عصرنا . فانظروا وانجبوا . هذا (الورد أقبري) مؤلف كتاب (جلال الطبيعة) يصف عجائب البحر فيه من صفحة ٣٣٣ الى صفحة ٢٤٨ باحثا عن جلاله وعجائب الله فيه . فيا عجب لكل المحب . قوم من أوربا يعرفون بمقوله وحدها جلال البحار ويفرحون بجمال ربهم ويهيمون بآياته ونحن لنا عقول ولنا دين يفتنا الله بالإعراض عن آياته فيه ثم هم يسبقوننا لمعرفة ربنا . أفليس هذا مما تجزع له القلوب وتنشق له المرائر وترتعد الفرائص ولا أقول إلا ما أمر الله به في المصائب - إنا لله وإنا إليه راجعون - ثم أرجح فأقول ، لقد آن زمان لارتقاء المسلمين وانتشالهم من الجهالة وارتقاهاهم إلى العلياء . اللهم اليك المشتكى اللهم أنت البر الرحيم فخرج هذه الأمة المسكينة من الدل إلى العز ومن الجهل إلى العلم وأنا واثق ومؤمل بإجابة الدعاء فقد أجيب دعاء زكريا إذ طلب ولدا يخلفه في بني اسرائيل ليقوم بأمرهم لأن الدعاء اذا كان لأجل المنفعة العاتقة استجيب . وهامهم أولاد الصالحون في بلاد الاسلام يدعونك أن ترفع الأضرع من الأمة الاسلامية وأن تشوقهم للعلم ، فهؤلاء يوقنون باستجابة دعائهم وأنا من هؤلاء المؤمنين لآسيا أن أتت أكبر جدا من أمة بني اسرائيل . إذن فلا ذكر البحار وعجائبها من كلام (الورد أقبري) وأبدأ بقول الشاعر الذي خاطب البحر

إن في صدرك الرحيب رجلا • جعوا البأس والنهي في الصدور
أخسستم مدافع مرعدات • فأصموا عن دواعي النفر
وهم اليوم بعد طعن وضرب • في قرار غير المقام القرير
لك ما شئت من نصارود • لم يك البحر بالقديم الفقير

(الحيوانات في البحار)

(١) منها (الخطبوط) وهو يعيش في ماء (نيوفوندلاند) ويبلغ على صغر بدنه (٦٠) قدما من طرف إلى طرف

(٢) وهناك نوع من الحيتان المسألة يبلغ طول الواحد منها (٧٠) قدما

(٣) ومن آياته وعجائبه (الكاشولات) فهذه حوت يطوف في أنحاء المحيط طولا وعرضا قد انصف بشدة الرحمة على من سلهه وبالفضب والبطن بمن عاداه وشاكسه وقاومه وأنيابه محدودات يسطو بها على الحيوانات البحرية فيلتهمها ، ومتى مس بجند صغير من ركاب سفينة اندفع إليها وعاونه على ذلك أهله وعشيرته وما أكثرهم وما أقواهم حتى ان هؤلاء يوما ما هاجوا مركبا أمريكية خطموها وأغرقوها في البحر جزاء ما كانوا يفعلون

(٤) وأقوى من هذا وذاك وأضخم جثة وأعظم بطشا (الزوركال) ويبلغ طوله (١٢٠) قدما ، يقول وربما كان هذا مبالغة ، ولقد علم باليقين أن أكبر فصائل الحيتان جثة وأطولها فصيلة (سبال) وأحوت منها لا يبلغ إلا (٨٠) قدما أو (٩٠) قدما

(٥) ذكر (سكورسي) ان قريص البحر يغني من سطحه أميالا والميل المكعب من البحر لا يحوى أقل من (٢٣٨٨٨٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) أي (٢٣٨٨٨٨) ألف ألف مليون . ويقول إن هذه الخلوقات لا تقوى في البحر كثيرا ولكنها تغطي مسافات من السطح لا يحصيا الحصر ولا يحيط بها الحساب

وهذه الحيوانات الصغيرة تجعل ماء البحر ملوئاً بألوان عجيبة يشاهدها التوتية والسلكون في طرق البحار (٩) الحشرات وبعض ذوات الثدي التي تعيش في الماء لا تبعد عن البر إلا قليلاً . ومن هذه (بحر البحر)

(٧) الحيتان العظيمة المسكفة للأمواج تسكن الأعماق بطبيعتها . ومن أعجب العجب أن طائراً بحرياً يسمى (الصخاب) قوى الجثة عظيم الصوت كأنه صوت الحمار يبلغ طول جناحيه الممدودين ما (١٥) قدماً وقد يبقى ساعات متواليات طائراً لا يقع وقد ينام محلقاً في الهواء . فهذا الطائر في ضخامته يشبه الحيتان في قاع البحار من حيث الضخامة كأن هناك مناسبة بينهما

(٨) ما أعجب منظر البحر لركاب السفن إذ يرصدون في ظلمات الليالي مناظر النجوم فيعرون عجبا وجالا باهرا يأخذ بالألباب فإذا رجعوا إلى النظر فيها حولهم رأوا حول المركب عجائب وبدائع الأشكال والألوان في الحيوانات البديعة البهجة المتفتنة الأشكال البديعة المناظر

(٩) إن جبال البرّ قاصر على سطح الأرض فإن الجباب النباتية والحيوانية ليست تكون إلا على سطح الأرض . أما عجائب البحر فهي (ثلاثة أقسام) قسم منها في ظواهر الماء وقسم منها في قرار البحر وقسم ثالث بينهما . إذن جميع أقسام المياه في البحر مملوءة بالعجائب . أما الطبقة العليا من البحار فأمرها معلوم فيما تقدم هنا وفي مواضع كثيرة من هذا التفسير كالذي تقدم في (سورة آل عمران) وغيرها . فأما الطبقة الوسطى فإن فيها السمك المعروف بالسمك الهلامي (المدوزا) باللغة الانجليزية (والحسك) وهي دوبيات صغيرة كالذر . أما الطبقة السفلى فقد كشف العلماء كثيرا من أنواع المخالوقات فيها فقد وجدوا سمكا يعيش على عمق (٢٧٥٠) قامة (القامة مقياس طوله ستة أقدام) وهذه يسمونها القرارية أو الدركية وهذه لا يسلمها النور لأن ضوء الشمس معدوم على عمق ٢٠٠ قامة وبعد ذلك يكون الظلام الحالك وهناك لا يكون للحيوان عيون ألبيّة . ومن عجب ما ذكره (سرويل تومسون) عن نوع من السرطان له عيون إذا عاش قرب سطح الماء فإذا عمق مسكنه وصار ما بين (١٠٠) و (٤٠٠) قامة من السطح فقد عيّن . وهكذا ما يعيش منه على بعد (٥٠٠) إلى (٧٠٠) قامة

(١٠) إن بعض الحيوانات البحرية لالون له بل هي شفاقة وبعضها براق لماع في غاية العجب فسفوري الجسم وقد يكون له أعضاء ساطعة ذات شعاع يكاد يذهب بالأبصار . وترى السمك الذي يعيش في الأعماق فضي اللون جيلاً بيا غالباً وبعضها أحمر وبعضها أسود ومتى حركت أعضائها اللباعة صارت بهية اللون جداً وهذا السمك قد جعل الله له هذه الأعضاء النورية تحت سلطانه فإن شاء أضاء بها ماحوله من الماء وإن شاء أطفأ النور ، فكان أن الله خلق شمساً وكواكب بهما استضاء أهل الأرض هكذا خلق سبحانه هذه الحيوانات الساكنات في الظلمات هذه الأعضاء للشرقة تنصرف بها على حسب مطالبتها في المعاش ، فإن رأى الحيوان فرسته استعمل النور المأخذ لكشفها ، وإذا أحسّ بعدو مفاجئاً أطفأ ذلك المصباح . ومن عجب أن هذا النور كما يستعمله السمك لاقتصاص فرسته يستعمله أيضاً لاكرهه عدوه المفاجئ له على البعد عنه إذ هذا النور متى سطع وظهر لأعين الحيوان المهاجم بهر بصره فيكاد سنا نوره يذهب بتلك الأبصار فيفرّ المهاجم حالا . أقول فهذا النور عند هذا السمك فعل ماضية راحة أنظر بان في حيوان البرّ إذ يجعل الرائحة التي يطلقها على عدوه سبباً في ازعاجه وبعض الحشرات التي لا تنجم من مائدها الذي أمسكها إلا إذا أنزلت عليه سائلاً في جسمها كرية الرائحة فبذلك تعيش ولا تخاف من عدو يضاجها فبهاض الخلاق العليم

(١١) وهل أتاك نبأ السمك المعروف بعفريت البحر ، ذلك الذي له زعاف شائكات ورؤس ضخمة يسكن قرب شواطئ البحار وله ثلاثة خيوط ألوانها تضرب إلى الحمرة يطلقها في الأمواج ويجعلها كأنها حبال

للميد تقوم له مقام نسج العنكبوت وشبكات الصيد فان العنكبوت نسيجها يسطط القباب وأنواع الحشرات وقد جعلت بيوتها منسجة كذلك . أما هذا فليس له سبيل الى ميد السمك الصغير إلا بأن يطلق تلك الخيوط الحمر قصبتها تلك السمكات عشيا بجريا وماهى فى الحقيقة إلا حبال قد أرسلا ذلك الشيطان العفريت وقد اختبأ هو فى الرمال أوفى وسط حشيشة البحر فتأتى تلك السمكات للمسكتات لتأسها فينتقض عليها فيفتريها هذا اذا كانت قريبة من سطح الماء ، فأما اذا كانت فى قاع البحار حيث الظلام حالك فلا ضوء هناك ولا شعاع فمن أحجب العجب أن تصير هذه الحبال رابطة لملحة لتظهر فى الظلام وتفتقر تلك السمكات الصغار

أقول أيها المسلمون . أليس هذا قول ربنا فى القرآن - وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقوله - إنا كل شئ خلقناه بقدر - وقوله - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - وكفى بنا حاسين - وقوله - وما كنا من الخلق غافلين - وهكذا آيات كثيرة . أيها المسلمون كفى كفى ، ظهر فى هذا التنصير أن أم الاسلام المتأخرة لم يدرس أكثر علمائهم هذا القرآن ولو درسوه لكانوا أعلم الأمم بهذه العلوم . أيها المسلمون أنا فى عجب من أن يكون هذا القرآن ديننا وهذا الجهل مفتنا ، إن هذا لإثم كبير وعار عظيم اللهم إني أدت ما أقدرت على وأنت اللهم المعبود . اللهم أنت المنتقم من عريف من المسلمين وسكت ولم ينفع هذه الآراء فى أقطار الاسلام ويعلم المسلمين بما يراه ملائما لأهل زمانه والله هو الولي الحيد

(١٢) إن النباتات البحرية لا تعيش على أعماق من (١٠٠) قامة كما هو آثر ما يعم الناس اليوم ، وقمر المحيط الاطلاطى وهو بحر الظلمات ما بين (٤٠٠) الى (٣٠٠) قامة ماهو إلا طبقات مؤلفة من مادة بيضاء طباشيرية وأعظمها أهداف مهشمة مكسرة وتحت هذه الأعماق تكون الموائد صلبة أوطينية صافية تميل الى لون الحمر وقد تسون فيها مواد بركانية ، وقد قلوا ان كرتنا يسقط عليها فى العام الواحد مائة ألف ألف شهاب

(١٣) إن أقصى أعماق البحار يشه أعلى الجبال وقد سجدوا البحر فبلغوا (٣٩٠٠٠) تسعا وثلاثين ألف قسم ولم يصلوا لصفه وأعمق مكان فى الاطلاطى (٣٨٧٥) قامة وذلك فى شالي جزائر (فوجينيا) وبلغ عمقه (٥٣٧٠) قامة فى مكان آخر ، وليس هذا هو منتهى ما يمكن الوصول اليه . فهذا ما وصل اليه الناس وسيعلم الناس بعد ما لم نعلم من عمق البحار

(الجزائر المرجانية)

الجزائر (ثلاثة أنواع) جزائر هي قسم من البر ويصلها مقدار من الماء قليل الصق كجزيرة سيلان وجزائر بركانية وجزائر مرجانية وهذه الأخيرة عندها كثير جدا وأكثرها فى المحيط الهندي والهادى الباسيفي فهناك ترى جزائر كشعبة مستديرة الشكل وقد تكون بشكل الخاتم أو الحلقة ، وكثيرا ما يكون فى وسط الجزيرة حوض ضحل ضارب مائل الى الصفرة والخضرة معا وهذا غالبا ملء المياه المحيطة به فانها سوداء لغوط سمقتها . ولهذه الجزائر سواحل رميلة بيضاء غالبا وغالبا ما ترى مكسوة بنخيل الكوكو (الشكولاته) والجزائر المرجانية المعروفة باسم (بلكاديغ) و (ملاديغ) أى بحيرة الجزائر أى (١٠٠٠) جزيرة و (١٠٠٠) جزيرة (انظر أشكال المرجان وهي (قسان) قسم شجرى وهي (شكل ٣٣) و (شكل ٣٤) و (شكل ٣٥)



(شكل ٣٣ - رسم المرجان بويّة شجر)



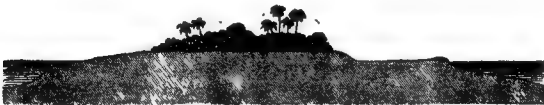
(شكل ٣٤ - منه صورة أنوى للرجان)



(شكل ٣٥ - صورة غير المتقدمة للمرجان أيضا ظهرت فيها شعور حيوانات ضاحكة مستبشرة كأشجار النبات)
 وقسم بيئة الجزائر وهي إما بركانية حلقية مثل (شكل ٣٦)

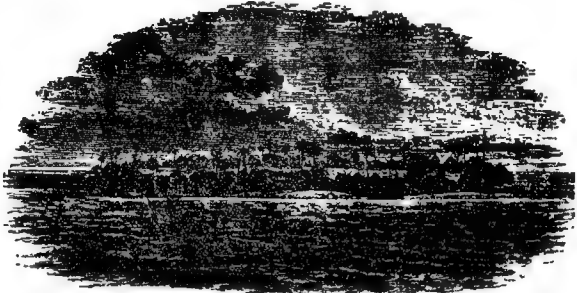


(شكل ٣٦ - رسم جزيرة حلقية من المرجان داخلها بحيرة عميقة قليل جدا)
 ولما جزء من جزيرة بركانية مثل (شكل ٣٧)



(شكل ٣٧)

واما جزيرة تاتة بركانية مثل (شكل ٣٨)



(شكل ٣٨ - رسم جزيرة المرجان المسماة « جزيرة الرمل الأبيض » وترى فوقها شجر الشكلاته وهذه في غرب أمريكا الجنوبية في غرب كالو)
هذه الصور الثلاث من كتاب (علوم الجميع) تأليف العلامة (روبرت براون) وهو باللغة الانجليزية (تذكرة)

يزعم بنو آدم انهم أكثر آثارا وأتظم أعمالا ؟ هل صنعوا جزيرة واحدة عاش فيها الحيوان والناس وانتفع بها الناس . فهذا المرجان بني جزائر تعد بالآلاف ومئات الآلاف عاش فيها الحيوان والنبات والأعجار واستكن في بيئاتها أنواع الحيوانات فعاشت قرية الهين سعيدة بعيدة عن مهالك البحر المحيط . فأى عمل للانسان يضارع عمل هذا الحيوان الصغير - قتل الانسان ما أكفره - إنه كان ظلوما جهولا - فكم للمضول من عمل أعظم من عمل الفاضلين ، فكيف ينتز هذا الانسان بترعة يحفرها أو يدق في الأرض أوهرم فوقها أو قصر مشيد - إن ربك هو الخلاق العظيم - انتهى يوم الأربعاء ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٢٨

(البحر الملح)

اعلم أن الحكمة في كون ماء البحر ملحا انه بهذه الملوحة يحفظ ما فيه من جثث الحيوانات المائية من ظهور الفساد فلو لا الملح لأتت الماء وفسد الجوف ولم تصالح الأرض للسكنى فالملوحة في البحر حكم الملوحة في ماء العين ، فلو لا ملوحة ماء العين لأتت الحديقة ، فهذا الملح يحفظ العين ويمنع نقي ماء البحر ، وعسى أن أوفى الكلام حقه في (سورة النحل) عند قوله تعالى - وجعل بين البحرين حاجزا - ولكن أقول هنا من لطف الله عز وجل ورحته انه جعل البحر ملحا للحكمة التي ذكرناها ، ثم هو تطف فأرسل شعاع الشمس الى ماء البحر فخرج البخار تاركا الملح في البحر صاعدا في الجوف متراكما سحبا فيه ماء صالح للشرب ، فبارك الله الحى القيوم ، جعل الماء ملحا عند الحاجة الى الملح . ولما احتاج الانسان والحيوان والنبات الى ماء عذب خلصه بحرارة الشمس فحصل الانتفاع به . فهذا هو البحر الملح وهذا هو العذب . ومن عجب انك ترى المطر ينزل على الأرض ويجرى ينابيع تحتها منها العذب ومنها الماء المصدق ولا يختلط أحدهما بالآخر . وإذا جلست بجانب البحر الملح وحفرت قليلا في بعض المواضع أقيمت هناك ماء حلو . أليس هذا عجبا ؟ حاولت سطح البحر مرة فوقه حلو في البخار الطائر منه في الجوف والسحاب والأنهار ، فالحلو يحيط بالملح من سائر الجهات

فلا ماء البحر الملح يختلط بماءات افقاع لائق الطيبين ولا بما فوقه في البحر لأنهم حرب منبذوك له ملحه وترى الأنهار
كانيل والفرات ووجهة تصب في الحار كالبحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي وبحوها ومع ذلك لا يطغى البحر
الملح عليها فيصير مائها ملحاً ولا الأنهار الصابة في البحر تجعله حلواً . فهذه تجميع الحواجز التي دبرها الله لحفظ
البحرين المتجاورين فلا يلبى أحدهما على الآخر بتلك الحركة المائجة المحركة ، تبارك الله رب العالمين
ومن هذا القبيل أن المجارى المدنية تحت الأرض لا تختلط أحدها بالآخر وقد تقدم هذا في (سورة الأنعام)
مشروحة . وأعجب من هذا أيضاً أن الهواء يجتمع فيه أصوات الانسان والحيوان والموسيقى والرياح الهابطة
فلا يختلط أحدها بالآخر ، وكذلك يحمل الهواء أنواع الروائح كلها ، وأيضاً تجد ذرات القلح التي تخرج من
الأزهار وتسير في الجو من أعضاء الذكور إلى الالاث تنخدع بجاذبي لا يفضله أحدها بالآخر إلى أن تقع على
الأزهار التي هي من جنسها وقد تشاهد تلك الفترات طارئات كالسحاب من عشرات الأنواع وهي متباعدة
لا تختلط إحداها بالآخرى . وهذا قوله تعالى - وكل شيء عنده بقدر - وقوله - مرج البحرين يلتقيان -
بينهما برزخ لا يبغيان -

وأعجب من هذا كله أن الشمس تحمل مورجيج المخلوقات وترسلها في كل مكان ونحن لانراها وانما الذي
يحس بها هي آلة التصوير (الفوتوغرافية) فحي سلطت علمها على قوم جالسين التفتت تلك الصور ورسالتها
إلى لوحة التصوير وراها في الخزانة للظلمة . فهذا دليل على أن مورجيج المخلوقات على الأرض سالمة في
الجو الهوائي لا يختلط أحدها بالآخر فصور بني آدم والحيوان والنبات والجبال والبلاد كلها طارئات طول النهار لا
استتلاط فيها . كل ذلك يذكرنا به قوله تعالى هنا - وهو الذي مرج البحرين هذا عنب فرات وهذا ملح
أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً - انتهى

(الجوهرة الثانية في قوله تعالى - وهو الذي خلق من الماء بشراً - الخ مع قوله قبلها في
الماء أيضاً - ولقد صرفناه بينهم ليدركوا - وقوله بعد ذلك - تبارك الذي جعل في
السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقرا منيراً -)

في يوم الخميس الخامس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨ أى في مساء ذلك اليوم خرجت للرياضة كما قال
توبة في محبته ليل

وأخرج من بين البيوت لملنى • أحدث هناك النفس بالليل خاليا

فتوجهت إلى شاطئ النيل الشرقى كعادتي ووقفت قبيل غروب الشمس فوق قنطرة هند النيل أمام مصر
القديمة إذا البحر في حال لم أعهد لها ومنظر لم أشاهده من قبل ، نور أحمر يرتقلى يكاد يقترب من الأرض وأمر
عجب فرفقت طرفي إذا السماء مفضاة بسحاب يمتد من الغرب إلى الشرق أشبه بسلاسل الجبال المتوازية
فعدتها نحو عشرين جبلاً سحاييا والشمس قد أذنت بالغروب وتلك الجبال مشرقة اللون حربية وقد
امتدت في أقطار السماء كلها وكلما كانت أقرب إلى الشمس كانت أبهج لونا وأزهى حمرة مشوبة بصفرة برتقالية
وكلما تباعدت إلى الجنوب أو الشمال رأيتها مسودة كأنها تنطب حظها لبعدها عن الشمس . أما تلك المقتربة
منها فما أجل طلعها وما أبهرها وأحسنها . جالواى جبال . وبهجة وأى بهجة . تراها فتدخل بينها أودية
زرقاء اللون كرياض كستها الطبيعة أزهار البنفسج . وما أشبه ذلك المنظر البهج الذي يكاد يضيء إلا بمنظر
الجنود مصطفات لملك عظيم الشأن وقد أخذ يودعهم ليتقدم علمكته وهم صفوف وراها مغوف يمتنون له
بالجلال والاعظام أو كسكنه ازدهت بالجبال وأشرقت بالحسن وقدموع لجبالها المهيون بها - من كل حذب
ينسلون - وهم بمنظرها فرحون

الله أكبر . منظر هذا العالم جيل غفل عنه مغار العقول . جهل الناس هذا الجبال في الأرض وفي السماء

ذلك أن كل حيوان قد حبل بينه وبين هذا الجبال بما أودع فيه من عمل حياته وسعى لذريته ثم هم من الأرض واحلون ؟ فأنى هؤلاء أن يتجهجوا بالجبال الذي يشاهمهم وهم لا يملكون . منظر السماء في ذلك التاريخ كان بهيجا وجيلا والناس غادون وراحمون وهم لا ينظرون فكان الجمهور همى أمام أجمل الغائات صم عند سماع أجمل الأصوات . ذلك أن الناس أكثرهم عن الجبال محجوبون وعن الجباب معرضون . نحن ثنا الشمس والقمر والنجم والفلك والماء في السحاب والبحار . يلقن كلهم بلغة فصيحة ويقلقها أولوا الآلاب إن في قلب الليل والنهار والصبح والمساء روايات تمثل لكم وأتم لاتنظرون . شمس تشرق فتكسوا الأرض جلبابا ذهبيا وتبرقع المزارع والهواء والجبل والماء والسحاب يراقع مختلفات الألوان فهي على الهواء زرقاء وعلى الزرع خضراء وعلى الزهر صفراء وأوجراء وهكذا

أما البحار في (خط الاستواء) وما قرب منه غطت ولاسحج . ترى الأمواج ترى بالسرر اللامعات والماس الجبل والازرجدا الأخضر والازرود وقوس قزح وهيئات متنوعة من لجين وفشار ومن هيئات المصاييح المشرقة في أكثاف السماء . كل ذلك لما فيها من الفوسفور البديع المنبت في تلك الأرجاء (انظره في سورة الأنعام) وهكذا نرى ما هو أعجب عند القطبين من جبال جاريات من الثلج بديعات عائمات فوق سطح الماء تمثل القصص الخيالية والأعمال السحرية وتصطمم تلك الجبال وتتدخل أجزاءها وهناك تكون أنواع من أفاين الصور وبدائع الألوان مما لا يكاد يتصوره الخيال (انظره في أول سورة الكهف عند قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها -) وهذه كلها صور للماء في حليه سائلا وجملدا تلجيا . للماء خلق لسقى النبات والانسان حتى يعيشا ولكن الحكمة الواسعة لأحد لا بداعها ولانتهية لصنعها . ماء ينزل لسقى وللحياة يستعمل هو نفسه زينة ونورا . فهو في ليلة ١٥ نوفمبر جنود يحيى ملكة النهار الزاهية الى ملكة الليل فكان الجيوش معدة لغرد الأعداء وقتلهم هي أيضا يحيى الملوك اذا قدموا أو ودعوا . ذلك لسعة هذا الوجود والمتفان في التصوير والابداع والجبال . الليل والنهار يشرقان معا . هذا بالمس المرصع في القبة الزرقاء . وهذا بالنهار الكاسي وجه الغبراء . نجوم مشرقات بهجت جيلات متلائات ليلا تقول للنفوس المستعدة في الأرض هلموا الى وقالوا انزل عليكم نأ الحكمة والعلم والجبال . تقول - هازم اقرؤا كتابه - فيرونها صفوفا تتلوها صفوفا وصنوفا تتلوها صنوفا قد اذنت للنظرين وحيت المفكرين حتى اذا أقل الظلم وأقبل موكب الصباح أخذت تصير للعالم وتبدل المشرق والمغرب وتهمز جيوش البيض سود الجيوش وكلما ازداد موكب النهار اقبالا ازدادت جهافل الليل إدارا وأخذت تلك الغائات الهبات المطالع الناعسات الطرف المشرقات في السايح تتلوى بالجباب تودع العاشقين وتصددهم أن ساعود لتروا جاني ولا تزال مواكب الصباح ترد تباعا حتى اذا أقبل الجمع وتكامل أشرفت الغزاة اشراقا يهر الجيع . هناك يتم سلطان النهار ويدبر تمام الادبار سلطان الليل وتتبعه الأنظار الى مناظر الجبال والبحار والأنهار والحقول والرياض ويستبدلونها بالنجوم الزاهرات في الدجئات . وههنا يتجلى النهار في ثوب قشيب ويجو غر الطفل صار شابا ضحى كها ظهرا شيخا عصرا ثم يودع الحياة عند الغروب . وهناك تسفر غايات الليل ويرفن القناع ويدون سافرات ضاحكات بهجت مشرقات ويقن لصاقهن بالأسمر حوجوا اليها وأقبلوا علينا

هذه هي الرواية التي يمثلها الليل والنهار وهما لا يفتان يملآن رواية وراء رواية والمناظر مختلفات وليس يعقل اختلافها من الناس إلا قليل . ولما غفل الناس عن ذلك الجبال ألهموا أن يصنعوا هم أنفسهم أعراسا وولائم وأعيادا فيها يفرحون وفي أيامها يتجهجون فهم كمناع في قصر ملك معه دوزاؤه وخواص دوك وهم يشاهدونه كل حين متجهجون بمنظره فرحون بقربه وفي القصر عبيد منكودون لا يرون الملك إلا في عربته سائرا أوفى موكبه متجليا وفيه حيوانات ودواجن لاتنقل هذه الكرامة ولا تأبه لهذا الجبال . هذه

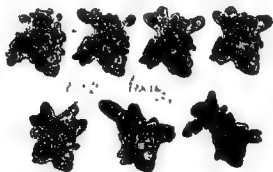
نظرات النفوس الحكيمة في بدائم السموات والأرض . فإذا رجعت الى أنفسها وتأملت أجسامها رأت في هذا الجسم المركب من أمشاج وأخلاط مظلمة أرضية ما يفوق ما في الكواكب من جمال وما في السموس من جلال وما في البحار من لآلئ . وما في الجبال من فضاء . ماذا يرون ؟ يرون جنودا بحار يرون وجيوشا من أعدائها مجندلات وعملات عظيمة كلها في داخل هذا الهيكل الجثائي . فكما أن العقول الضعيفة غفلت عن الخليل الذي تملكه المشرقات والشمس في العوالم الأرضية والسواوية هكذا زاهية جامدة أمام البهجة والعلم والجمال المودع في أجسامها . وكما يرى الحكيم منظر السماء فيعقل البهجة والجمال هكذا ينظر في أمر جسمه فيرى عجبا عجبا يذهله بل ينسبه منظر المشرقات في الدياجي البهجات المناظر . فبالت شعري من ذا الذي كان يعتقد أو يظن أو يتوهم أن في جسمي أنا آلاف في آلاف من الجيوش البيضاء شاكية السلاح الحاذق القوي تصطف صفوفا وتحارب جيوشا تعد جنودها بالآلاف والآلاف وتجندلها في ساحات الوض من (الحيوانات الثرية وهي المكرويات) وهي أنواع مختلفة وتلبس جنودى أنا لكل حال لبوسها . فبالت شعري من ذا الذي يقول هذا ولا ينسبه إلى الجهالة والجنون . وهل كان أحد في الأرض يعتقد أن الورم في الجرح ماهر إلا هذه الجيوش المتكاثرة اجتمعت لتلك الجيوش الداخلة في جسمي لتحدث في مرضي . أليس هذا من الهب أن جسمي يكون فيه هذه الجيوش المسلحة الواقعة بالمرصاد لكل فائك به ثم هي تملكه وتنصر عليه بل إنها تأكل الأعداء أكلًا وتصلح ما أفسدوا من جسمي ؟ هل كان للعقل في هذا مجال ؟ اللهم لا . لا مجال لعقولنا في هذا لولا تعليمك لنا في هذه السنين ثم ما هذه الدول والممالك والجنود المجندة ؟ أهذه كلها لجسمي وحده الجسمي هذا تخلق هذه الجيوش والممالك ؟ الحياتي أنا تكون تلك الدول والممالك والحيل والحروب والجوع والجيوش . اللهم حارث عقولنا في وضعك وأصبحنا لأنرى أمفردنا جمع أم جعلنا مفرد ثم كيف يكون جسمي مع أن علمي به قليل جدا يكاد يبلغ سمة السموات والأرض في التدبير والكثرة . مما لك جسمي لا حصر لها وعمالك الوجود لا حصر لها فتناسوى الكبير والصغير في العظمة والجرأة . ثم أقول يا من تجلبت بجلايب الكبرياء وتردبت بأردية الجبال ونثرت أرواحا في هذه التربة ودفنت نفوسنا في هذه الأجسام الترابية وأحطتها بكل لطف ورحمة قد حنت أرواحنا إليك وشاقتها بإوسام الأصباح وبواهر الاسماء ؟ ففى تكشف لنا عن جالك لقد لمنا من خلال الحجب المسدلة علينا لواع من نورك فعلمنا أنك رجتنا بالحجاب وأنعمت علينا ببصيص من نورك ولوانا كشفنا به تمام الكشف لطاحت أرواحنا وصرنا إلى العلم مادنا لم تكمل فينا المواهب العالية التي بها نستطيع ادراك ذلك الجلال ولكننا تشرق في نفوسنا الذكرى بعد الذكرى والشوق يقبض الشوق ثم بعد هذا كله ما أنا إذن . أنا أقول بأعلى صوتي أنا أجهل نفسي جهلا تاما وأنتظر من الذي أبدعني أن يزجني في عوالم تكشف القناع لي عن نفسي وعن هذا العالم . نعم من ذا الذي كان يخطر له أو يهيجس في نفسه أن كل حيوان وكل نبات ترجع إلى ما يسوونه خلية فاعلمية منها منشأ جميع الأحياء . إذن الوحدة ظاهرة في هذا الوجود منها تركب كله كما أن الأعداد تركبت من الواحد . إذن هذا توحيد علمي والديانات توحيد قولي واعتقادي . وإن آيت يالصاح إلا الافصح فهالك مقالا لدكتور مصري في (طبيب العائلة) تحت العنوان الآتي وهما هذا

﴿ سر من أسرار نظام الحياة ﴾

انك لتجد يد الله وقدرته البليغة راقمة كل شئ في الوجود جل "أودق" وراهما تجلبتين على الأخص في الحياة ونظامها وتطوراتها منذ الخلية . هذا النظام وما به من غريب ومدش هو ما أقصد إلى تبيان جانب منه بهذه الكلمات القليلة لأن المقام لا يسع التوسع على الرغم من خطر الموضوع خطرا هو فوق ما تتصوره العقول . إن ظهور الحياة على الأرض كان لغزا من الألغاز الغامضة التي قبت في حلها الأجيال وعظماء البشر

من حكماء وعلماء ولكن شغف الانسان بالتطلع والاستقراء تخفايا الوجود وأسرار الطبيعة جعله لا يمل ولا يكل من السعي حتى ظفر بكثير مما تصبوه له نفسه وخصوصا فيما كان له مساس بكيفية ظهور الحياة على الأرض فقد ظل يفكر ويستعين بعقله ومداركه ثم تدرج في بحثه واستقصائه الى أن ظفر بنتائج باهرة سارة قربته كثيرا من الحقيقة التي نشدها منذ القدم ولذا تقرب منها اتخذها عماده في تقرير العلم الراهن وتوسع فيها الى السجلات الباهرة التي وقف عند حثتها في أيامنا الأخيرة وتلخص هذه الحقيقة فيما يلي

ظهرت الحياة على الأرض لدى الخلية باليسبغ وانتهت بالركب . ابتدأت بخلية واحدة وانتهت بملايين الخلايا مندمجة في شبح واحد . ابتدأت بالشئ الذي لا يقوى على الإدراك والعقل وانتهت بالإنسان الذي هو أكل مخلوق . واعتقد أن الله الذي جلت قدرته وتعالى حكمته عند ماشاءات مشيئة ابداع هذا الوجود أراد لكامل هذا الوجود أن يظهره من يدركه ويدرك صنعه ويدرك قوته فأبدع الفكر وأودعه الانسان الذي انما كانت الغاية من اظهاره أن يكون أقوى أداة مفكرة في العالم . فالحياة ابتدأت بصنع الله للخلية وانتهت بصنع الله للفكر وبه اتصل المخلوق بالمخلوق . فظلم الله الخلية ودبرها على نسق تدريجي وبسط لها بقوته أسباب التدرج والرقى والتوارث والتسلسل والتفرع والتشعب وأعد لها صور مختلفة وأشكال وأوضاع ووظائف وغايات متعددة مختلفة فنها النبات وعليه قوام حياة الكائنات الأخرى . ومنها الميكروبات والأسماك والطيور والحشرات والحيوان والانسان وكان من المدهش انها كلها ترجع في أصل الخلية الى وحدة متحدة دالة على وحدة الابدالقوية القادرة التي أبدعتها ألا وهي الخلية ، تلك الخلية التي ظهرت بمؤثرات وتفاعلات كيميائية وطبيعية جعلتها تتحرك وتعيش وتتضاعف وتتفرع وتتوارث وترقى على مرور الأجيال والأزمان وتتجنس وتنوع وتستقر في النهاية على ماهي عليه الآن جاهلين على كل حال ماذا تدور لها المقادير في مستقبل الدهور والحدائل . هنا ترى من المفيد أن يعلم الناس أن كل كائن حي يتبدى عند خلقه بأن يكون خلية اشارة من الطبيعة الى أن ذلك الكائن الحي مهما تضاعف في تراكيبه وأعضائه يرجع في نشأته الى تلك الخلية الواحدة (أو بصارة أخرى) اشارة الى الوحدة التي نشاهدها مسيطرة على هذا الوجود ، كذلك من المفيد أن يعلموا أن كل بيضة تتطور في نموها تطورا غريبا مدهشا حيث تظهر فيها لدى نموها كل التطورات والتغيرات التي طرأت على نوعها منذ الخلية الى الآن . وبحق تعتبر هذه البيضة أنها خلاصة تاريخية للتطورات التي تطورها نوع ولبيدها بمرور كل هذه العصور التي قصاها متتفلا في تطوراتها من حالات الى حالات . وعلى كل حال فإن الانسان لم يك في الواقع في مجموعته إلا خلايا لا تعد ولا تحصى مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا متينا متضامته تضامنا قويا في الصحة والمرض على السواء وهي كلها وليدة الخلية الأولى ، فكل حي في الوجود نبات أو حيوانا أو ميكروبا يتركب من خلية أو أكثر . ومن الأسرار المثيرة للعجاب أن من المخلوقات المشاهدة حتى الآن كائنات حية لا تتركب إلا من خلية واحدة (انظر شكل ٣٩)



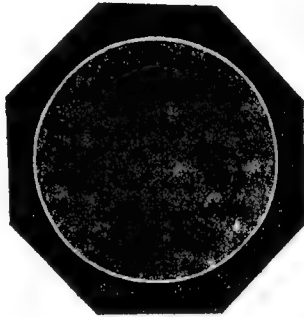
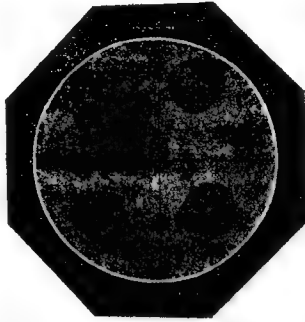
(شكل ٣٩ - صور للاميبا مأخوذة عن فلم سينما توغرافي للاميبا وهي تتحرك ، أخذت بسرعة ٣٠ صورة في الثانية ، والصورة السبع التي ترى هنا منتخبة من حركة الاميبا في ثانية واحدة)

وقد تنقسم الى قسمين ويسمى كل واحد منهما خلايتين ولكنهما لا يتصلان بل يعيشان ككائنين حين منفردين ،
وتوصل الدم الى مرة مئات من هذه الأجناس (بروتوزوا) ذات الخلية الواحدة تعيش في المستنقعات والبحر
والبحار وهي أبسط كائن حي عرف حتى الآن ، وإذا دقت النظر في محتوياتها لا تجد لها أكثر من غلاف داخله
مادة غشائية لزجة تسمى (البوتوبلاسم) فإذا صادفت هذه الخلية ذرة من نبات تراها تندفع اليها وتحيط بها
بسهولة فلا تستمر لفترة إلا وترى نفسها داخل في ذلك الغلاف ومحاطة بأكملها بهذه المادة اللزجة مع قليل من
الماء فتضم بواسطة كيميائية قسرية وتصبح جزءاً من ذلك البوتوبلاسم وهذا كل ما فيها من وظيفة المهضم ،
وغريب أنك تجد خلايا لا تعيش إلا في سوائل الجسم (الدم والنف) تعيش هيئة مستقلة كما تعيش الكائنات
ذات الخلية الواحدة المسماة (بروتوزوا) في قاع المستنقعات والبحار كما قلنا ، وانك لو أخرجتها من تلك
السوائل ونظرت اليها (بالمكروسكوب) ومنجت معها قليلا من الترات للمادة لرايتها بعينيك تمنع ملامستها
الكائنات المذكورة في أساليب غذائها وهضمها على السواء . هذه الكائنات ذات الخلية الواحدة التي تعيش
في سوائل الجسم هي التي نطلق عليها اسم الكرات البيضاء وهي كانت معروفة قبل عصر باسثور ، أما في عصر
باسثور فقد ظهر بفضل فكره الواسع وصغريته المتتعة مدهش له العالم طرا ، ذلك أن قد ظهر لنا عالم خفي
كنا نجهل هو عالم الميكروبات وبرهن لنا على أن هذا العالم الخفي على جميع الحيات العديدة وأن عوارض هذه
الحيات لم تكن إلا نتيجة تسمم الجسم متى تسلطت هذه الميكروبات من الخارج الى داخل الجسم ، ثم أتى لنا
بعده ليستدبر برهن على أن قبح الجروح نتيجة تسلط هذه الميكروبات على الجروح ، وأن هذا القبح هو
الخلل الخلويات الناتج من فتك هذه الميكروبات بها (انظر شكل ٢٠ في الصفحة التالية)

ثم أتى بعدها (كوين هابم) وبرهن على أن في كل موضع ملتهب من الجسم سواء كان نتيجة ميكروبات
أو صلته فإن الورم الذي يطرأ عليه يكون عبارة عن تراكم الكرات البيضاء بكميات كثيرة تخترق الأوعية
الشعرية وتتصل الى ذلك الموضع المتهب ومنه ينشأ الورم ، ثم أتى بعدهم (مينشيكوف) وأرانا بأعيننا أن
الغاية من تراكم الكرات البيضاء وخروجها من الأوعية الشعرية وذهابها الى اللواضع المتهبة هو الدفاع عن
الخلايا ومقاومة الميكروبات الطارئة الضارة بها والتغلب عليها بأكملها وهضمها وأكل سمومها وأكل الخلايا التي
فسدت بسبب فتك الميكروبات بها . كل ذلك رأيناه بأعيننا وتأكدنا من حمل هذه الكرات البيضاء
الضرورية للحياة وذلك سميت بالغلاندا الأكلة أي (الفاجوسيت)

هذه المدهشات علمت واكتشفت أسرارها وأسرار وظائفها وهي مع ذلك خلية واحدة للجسم الانساني ،
فكم لله في بقى صنعه من أسرار لا زال امرها غائبا مجهولا من الانسان

(أعنت هذه الكرات البيضاء وهي تزود البكرودين)



(شكل ٤٠)

تنقى الكرات البيضاء بكروب الاتراكس

- (١) تنقى الكرات البيضاء بكروب المقدريا
- (ب) تنقى الكرات البيضاء بكروب السربوبوكوك
- (ج) تنقى الكرات البيضاء بكروب ابلو الرابعة
- (د) تنقى الكرات البيضاء بكروب الكوكيليد

(بهجة الجوهرة في هذه الآية - وهو الذي خلق من الماء بشرا - الخ وأن المصل رجع

في الركوع والسجود من الحق الى الخلق ، والفيلسوف رجع من الخلق الى الحق)

تباركت يا الله ، جعلت الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا كما في آية (الطبرات) وجعلتهم - نسا وصهرا - كاهنا
ففرى قبائل ودولا في القارات الأرضية شرقا وغربا ، وترى أسرات وجاعات بينهم علاقات واشتراك يسكنون
قرية واحدة ، ثم ترى جسم الانسان وحده فيه أنواع الحواس وهي خمس قد قسمت عليها العوالم التي تتركها
قلعين المناظر وهي عشر والأذن السموعات وهكذا . وفيه أيضا أعضاء مختلفة لكل عضو منفعة خاصة كالخلاف
منافع الحواس . كل هذا يذكره المصلون في صلواتهم وأكثرهم ساهون ، فيقولون لا ارفع (خضع لك سمي
وبصري وعني وعظمي وعصب وما استقلت به قدمي لله رب العالمين) ويقولون الساجد (سجد وجهي للذي
خلقه وصوره وشق سمعي وبصري تبارك الله أحسن الخالقين)

فهاهنا ذا الراكع يذكر جماعات الحواس المتضامات من السمع والبصر ومثله الساجد ثم كل منها يذكر جماعات الأعضاء المتضامات من العظام والعصب والمخ . فيا سبحان الله . جماعات في الأم كجماعات المدن كجماعات الحواس في الجسم كجماعات أعضاء الجسم داخلا وخارجا وكلها راجعات لنظام وحدة كلية . فالأم تكون أهل الأرض جميعا والأسرات تكون البلدة الواحدة والحواس والأعضاء تكون الجسم الواحد ؟ وم تكون هؤلاء كلهم ؟ تكونوا من الماء المذكور في هذه الآية والقاعدة في الجميع واحدة . فهل لك أن أسمكت الآن ماهوا بعد مدى وأقرب هدى . انظر كيف كانت نفس أجسامنا مركبات من خلايا وهذه الخلايا جماعات بينها اشتراك كاشتراك السلول وأهل القرية والأسرة والحواس والأعضاء في الجسم الواحد . فهناك ما جاء في بعض المجلات العلمية

(حياة الخلية)

كان الفضل في اكتشاف الخلية أو وحدة تركيب الأنسجة في جسم كل كائن حي لاخترع النظارات المكبرة وأذهان العلماء المشتغلين بها مثل (شوان) و (شليدن) و (فيرشو) وقد أوجد هذا الاكتشاف ما يسمى بنظرية الخلية وهي تلخص في أن كل كائن حي يبدأ حياته خلية مفردة لأن قسما من الخلايا المفردة لم يقع بحالته الوضعية وصارت كل خلية تبني لنفسها جسما كبيرا بانقسام الخلايا التي تتناسل منها واستمرت هذه الكائنات الكثيرة الخلايا في تقدمها حتى استطاعت لكثرة ما فيها من الخلايا أن تقسمها أقساما وتجعل لكل قسم عمله الخاص ومن هنا نشأت الأعضاء والأجهزة المختلفة التي نراها في جسم الحيوان أو في تركيب النبات

(الوجود التضامى)

ولما اجتمعت الخلايا وكوّنت جسما واحدا ووزعت الأعمال المختلفة على كل طائفة منها صارت حياة الكائن المتمثل هي عبارة عن مجموع قواها الحيوية ومع ذلك فلكل خلية حياتها الخاصة . ويقول العالم السرلانكستر (يمكن أن نعتبر الحيوانات والنباتات العديدة التي بنيت أجسامها من خلايا كثيرة كائنات حية مركبة وأن خلايا كل جسم حي مثل السكان في مدينة لكل جماعة عملها ولكل فرد كفايته . وأن الغاية من أعمال هذه الجماعات وتضامنها هو تحقيق غرضها المشترك وهو الحياة للحيوان أو النبات التي توجد فيه)

(أساس الحياة)

ويعد الهيلوى أو المادة الأولى (البروتوبلاسم) أساس الحياة الطبيعية وهي المادة التي تحيا بها أجسامنا والتي ترتكز عليها حياة الخلية فان أول شيء يتكون في أى حيوان أو هيلوى ثم الخلية والخلية تتولد منها خلايا وهكذا الى أن تتكون جميع أعضاء الجسم ويتم بناء هذا الكائن الحي

(من أين تولد الخلية)

لا تولد الخلايا الحية إلا من خلايا حية سبقتها في الوجود وباتصال الذكور بالاناث . وقد حاول كثير من العلماء اثبات التولد الذاتي أو تكون الكائن الحي بنفسه فأخفقوا في إيجاد أقل الكائنات في التركيب انتهى هذا ثم انظر ماذا ذكره (السيروألفرولودج) وهاك ما ورد في نفس المجلة بنصه

(الجسم والروح)

يقول (السيروألفرولودج) رئيس الجمع العلمي البريطاني (أنه من أغرب الامور أن تكون أجسامنا قادرة على تكوين أناس ممانا كله من مواد الغذاء فان نفس هذه المواد الغذائية كان من الممكن أن تصير دجاجا أو كلابا ولم يفعل ما قامت به من المجزآت المدهشة إلا ما فيها من العوامل الحيوية ذات اللزاي الخاصة التي حسنت أن يصير هذا انسانا ولم يجعله قردا مثلا بل جعلته انسانا بشكل خاص يتقدم فيه بعدة عوامل وراثية أو خلافاها ترجع الى أبيه وأخته وأسلافه . أما الأجسام فتبل وترجع التراب الى التراب كما قالت الكتب الملقنة . أما

تلك العوامل التي قامت بالمجزة فانها تبقى في كائن لطيف لم يفرك العلم حقيقته ولكنه لا يستطيع أن ينسكو وجوده وأثره وهو الروح) انتهى

هذا كلام (السراوليفرلودج) ولعمري ما هذا إلا معنى تسبيح المصل في سجوده وركوعه وثناؤه على ربه . يسبح المصل في الركوع والسجود أى ينزهه عن الحوادث والأجسام ثم يذكر نعمة السمع والبصر وأعضاء الجسم وهذا معنى (سبحان الله وبحمده) فهنا تنزيه عن الحوادث مع خلقها منه والحمد عليها منا نحن فالسراوليفرلودج يقول إن هذه الروح هي التي دبرت هذا الجسم وخصته بكونه انسانا مثلا فأرجع الأجسام والحواس الى الروح والروح ليس بقدر العلم على معرفتها ولا على انكارها فهي إذن - من أمر ربى - فالعالم (قسيان) عالم الخلق وعالم الأمر والأول هو المذكور من أعضاء الجسم والثاني هو الروح والله خالقها وهو مزده عن الحوادث وعن ملاينة الأجسام . فالسر (أوليفرلودج) سار بكلامه من الخلق الى الحق بقله هو لا بد منه أى ان الفلاسفة ينتهون بعد مشاهدة المادة الى خالقها . إن هذا هو الذى جرى عند أعظم حكماء هذه الذكرة الأرضية . واعلم رعاك الله أن فلاسفة اليونان ابتدؤوا نظريهم على هذا الخط فقام (تاليس) قبل الميلاد بخمسة مائة سنة فقال (إن هذا العالم أصله الماء ومنه اشتق ما هو أقل منه وهو الأرض وما هو أخف منه وهو الهواء) ثم قام (أنكساجورس) بعده فقال (كلا بل الأصل هو الهواء) وفعل به ما فعل (تاليس) بالماء ثم قام بعدهما (ديموقراطيس) فقال (ويحكما كيف حصرتما العالم في عنصر واحد . كلا . بل الأصل هو الجزء الذى لا يتجزأ فإذا قام من قبلى واستغنى عن صانع للعالم بعنصر فانا استغنى عنه بهذه الأجزاء التى لا تتجزأ إذن العالم هو كلنا من الأول الى الأبد)

هنالك حاراليونانيون وظهروا فيهم (السوفسطائية) الذين ينسكرون الخفائق وقام بعدهم (فيثاغورس) وهو يوناني فظفر فرأى هذا العالم فيه نظام وابداع وحساب وحكمة فقال (كلا إن أصل العالم أرقى من المادة فليكن هو العدد لأن كل شئ له نظام معدود) ثم قام الفيلسوف (أبنيوقليدس) فقال (إن هناك محبة وعداوة فالأولى تجمع والثانية تفرق وما العالم إلا جمع وتفرق) فقام بعده في القرن الرابع قبل الميلاد (أنكساجورس) وقال (كلا هذا لا يكفي إن هذا العالم له عقل منه فهذا العقل فصل مع المادة ماضيه الذى يدير الساعة فهو أولا نظمه فسلرت ثم تركها فهي تجري أبدا وأما لأن هذا النظام لا يكون بلا عقل) ثم قام بعده سقراط فقال (هذا رأى أبتر . إن الآلة لاتصنع من نفسها فلا بد لها من مديريديرها ويلاحظها أبدا . إذن الذى صنع هذا العالم هو الذى يسله وهو معه دائما يدبره ويحكم صنعه ولا يتركه والا لقدس ثم جاء أفلاطون وقرره هذه النظرية بشكل أتم وأبهى وأبهى . ثم قام (أرسطاطاليس) فأيد الذين قبله والى هنا انتهى علم جميع الأمم شرقا وغربا

إذا عرفت هذا أبها الذكى فاعلم انك قد ظفرت بكلم لم يحرزه سواك . ومتى عرفت هذا وحفظته وعقلته فاعرض على هذا الجدول عقول أبناء أمتك الذين تعيش معهم فستسمع أحدهم يقول انى لا أستدق إلا بالحواس فاعلم أن هذا المسكين لم يزل طفلا أشبه بما قاله (تاليس) أو (ديموقراطيس) وإذا سمعته يقول لمن أسئله وهل الله يحتاج الى صلاتى فاعلم أن هذا لا يصدق بأن الله محيط بالكائنات فهو أشبه أنكساجورس قتل لأبناء الشرق إن الدلالة (ابنسر) الفيلسوف الانجليزى ومثله (ستلان التليانى) يقولان بأعلى صوتهما وعلى مسمع من أوروبا قاطبة اننا لم فصل فى هذا العالم (أى فيما هو المقصود من الفلسفة وهي هذه المباحث) الى (سقراط) و(أفلاطون) . كلا . ويقولان ان جميع فلاسفة أوروبا لم يزيدوا على ما ذكر فيها كتبنا هنا وغاية الأمر ان أحدهم يختار قول (تاليس) مثلا أو قول (ديموقراطيس) والفلسفة طفوليتها فيعلمه ثم يقوم آخر ويختار مذهب (سقراط) فيعلمه . إذن من درس هذه القرائد التى ذكرتها هنا فقد حفظ أمهات المذاهب

التي اليها ترجع جميع أقوال علماء أوروبا في العصر الحاضر وأقوال المقلدين لهم من المتعلمين نصف تعليم في بلاد الشرق هؤلاء هؤلاء مقلدون ولكن السلم في صلاته قد جمع خلاصة للذاهب وأتبع أهلها فقال (سبحان ربك العظيم) وذكر الأعضاء والحواس وما تحتها من الخلايا التي دخلت ضمنها فهي كلها مجموعت مشتركات في حياة الفرد كذا التي جسمت الروح التي صارت أقرب الى ربها المقرب من الملائكة . وهذا آخر ما انتهت اليه الفلسفة وذلك بقراط وأفلاطون الى آخره . فالتفلسفة ساروا من الخلق الى الخلق الى الخلق والسجود وهذا في الفاتحة والقشيد إذ يحمده الله ويقول إن التحيات له ثم هو بعد ذلك يطلب منه الهداية والاستقامة الخ وطلب منه الصلاة والسلام على النفوس العالية والصالحين . وإذا قل المصلي في سجوده تبارك الله أحسن الخالقين بعد ذكر أعضاء جسمه وحواسه فذلك مقابل لما في الآية هنا - تبارك الذي جل في السماء بروجا - فهذا الفصل وتلك البركة كما اجتمعت فيها الشمس التي لا يعرف عددها فصارت علما منتظما هكذا بها انتظمت أعضاء الانسان والخلايا التي لا يعرف عددها وهن مشتركات في نظام الجسم الانساني وحياته فكما أن الانسان حيوان صغير هكذا العالم كله حيوان كبير وهذا كله يشير له قول المصلي في سجوده (سجد وجهي للبح) وهذا العالم الصغير يحد حتى يرجع الى ربه فيصير روحا طاهرة وهذا سر قوله تعالى - واسجدوا اقترب -

هذا معنى كون الاسلام دين الفطرة ومعنى قوله تعالى - وأن الى ربك المنتهى - فاليه انتهى مباحث الفلاسفة وهناك وقف نظرم وصار جميع الباحثين يأخذ كل منهم من سلسلة المباحث ما يوافق عقله بقدر طاقته وسيأتي ايضاح هذا المقام في (سورة النحل) في آخرها إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الخميس (٧) فبراير سنة ١٩٢٩
(لطيفة في قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقروانا منيرا -

الى قوله - وأرأاد شكورا -)

تباركت يا الله وتعاليت أبدعت نجوما وشموسا وتلايلات في سمائك واتخذت في أقطارها جيلات ، مبررات مشرقات . أبدعتها بالحكمة وزيتها بالجمال وقلت لها املي أقطار السموات وأفيضى نورا على المخلوقات لتبتهج بك القلوب ولتتشقق العقول ولتترج بك النفوس . أيتها النجوم وأيتها الشمس أنن بهجة عبادي مقبلات الزمن مطبات الضياء منمبات الزرع مكثرات الضرع أنن بأمرى مجريات الرياح الحاملات السحاب بنوئتك وحاراتك نما النبات واتعن الحيوان وبكن غنت القمارى على أعوادها والقواخت في دوحاتها وراحت الحشرات المنيات وغلت تجمع السمل وتلقح الثبات كل صلب وكل مساء . وبظام سركن انتظم لعبادى علم الحساب بأنواعه فرفروا الستين والشهور والهور ويهجتكن انطلقت ألسنة الشعراء فتفتنوا في وصفكن بأقاني القول وبدائع الحكم وروائع القنون . ففككن يقول الشاعر

كأن إسبيلا في مطالع أفقه • مفارق لآلم يبعد بعده إلفا
كأن بنى نعلش ونعشا مطائل • بوجودة أضلن في مهمم خشفا
كأن سهاها عاشق بين عود • قاذوة يسر وآونة يخفى
كأن قدامى النسر والنسر واقع • قصص فلم تسم الخواص في ضفا

سقتها القراع الضيغية جهدها • فما أغفلت من بطنها قيدا صبع
بها ركز الربيع السهاك وقطعت • عرى النور في حبلى الثريا بأدمع
ويستبطأ المريج وهو كأنه • الى النور نار القابس المتسرع
ويسم الأشرار لجرا كأنها • ثلاث جامات سدكن بموضع

وتعرض ذات العرش باسطة لها • الى الغربى تفورها يد أطلع
(من سقط الزند للمرمى)

وكم تفزل فيك عبادى الشعراء ، فانت تفرس الخيال لشعراء عبادى كما انك تفرس القول والحكم
المستودعات فى قوى الحكماء والفلاسفة الفكرية إذ يحسبون سرك ويقلون بعض سرك وهم بك فرحون
إذن أنت مسرح القوتين الخيالية والفكرية ومناط العالمين عالم شعراء وعالم حكماء الحكماء . وقدمتلك
زينة للناظرين وأغنت بمرآك الصادقين والواردين ، ومنحتك الجلال بهجة للعالمين ، زينتك أهل زينة
وأبهج حلية وأعلى منار ولم يقتصر التفنن فى محاسنك على شعر الشعراء وحساب الحكماء بل تعدى ذلك الى
غيرهم من سائر الخلق فقد أنزلوك منازل حيواناتهم التى ألغوها ودواجنهم التى ربوها ليقرؤوك من متاولهم
حتى كأنك بين ظهرانيهم مألوفة لهم

(١) فهاهم أولاد عبادى الآريون سكان الهند صوروهم جميعك بصور حيوانات يعرفونها وذلك فى كرتهم
المصورة قبل المسيح بنسبة قرون لجمالك بجمعة ووزين وشجرة كبيرة فيها كلب وصورة زنجى منضم الجثة
واصراف مغطاة بوشاح

(٢) وهاهم أولاد عبادى العرب سموا بصنك باسم بنات نفس الصغرى والفرقدى والجندى وبنات نفس
الكبرى والقائد والعناق والجون والسها والحلية والحوض والنباء الخ

(٣) وهاهم أولاد الصينيون قد سموا أكثر من ثلثائة اسم ذكروا فيها أسماء كثير من عظمهم
(٤) ولقد تمدى العرب عبادى فى الخيال وأخذوا يقولون انك الرامى وكتب الرامى والشاة والأغنام
والضباع والكف الخشب وسنام الناقة والخباء والعز والجندى وبمسك الالعة والحية والبلبل والثلث
والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجندى والبلبل والحوث ، وسموا هذه
الانثى عشر بروجاً

(٥) وهاهم أولاد عبادى أهل (سكندنافيا) قد سموك بالكلب والركبة والمفزل
(٦) وكذلك عبادى فى الأقطار الشمالية (الاسكيمو) سموك (صائد القطا) والقط حيوان بحرى عندهم
فهاهم أولاد عبادى اتفقوا فى مشارق الأرض ومغاربها على تسميتك أيتها النجوم بما لديهم من الصور
المألوفة الحية وغير الحية ليستزولك من سباتك الى المعاني القريبة من متناولهم استنباساً بك وفرحاً بمرآك وأنا
بمشاهدتك . أيتها النجوم وبأيتها الشمس أنتن جلال وأى جلال . أنتن أنس وأى أنس . أنتن مشيرات
الضحى والغرام . أنتن المنشآت لحب العلوم . أنتن المضمرات نزل الشوق للقاءى ومشيرات نيران الحب لجلالى
أنتن عنوان جلالى وكللى . أنتن حلية عوالمى . أنتن العرائس المصطفيات لأحبابى من عبادى وما العرائس
الزينات المجلوات فى الأرض إلا نموذج لزينتك وجالككن حتى اذا فرسوا بأقل الجبالين طمعوا فى أكملها
بهاه وأبهامها حسناً ولألاء

(٧) ولقد عمل عبادى الذين يطربون الناس بالنغمات دواوين الفناء والألحان من نظام مسيرك وهكذا
الشعراء هؤلاء استمتموا الحساب ونظامه من حسابك فأصبحوا لا يفرقون بين حساب الأبيات الشعرية
والأوزان الفنية والحركات الطلعية (انظر هذا فى سورة يوسف عند قوله تعالى - وقطعن أيديهن - وفى
مواضع أخرى من هذا التفسير مثل ما تقدم فى سورة الرعد عند قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار -)

أيتها النجوم . أيتها الشمس . أيتها الأقمار . أنت اللاتى هلم بك القدماء والمحدثون من مخلوقاتى حتى
دخلت فى العبادات وصورت على منادى بعض الأموات وأزلتك فى القرآن فقلت - تبارك الذى جعل فى
السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقراً منيراً - انتهى صباح يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨

هذه اللقاة جاشت في صدرى في هذا التاريخ . ولقد تقدم في هذا التفسير أن قسما المصريين أغرموا بجمال الكواكب وهاموا بها هياما شديدا وأولعوا بها وأحبروا الله حاجا وجعلوها رمزا لملكه وصلة بينهم وبينه ونحن معاشر المسلمين أمرنا بالتزلفيا لتدعونا الشوق الى مبدعها الحكيم وخالقها العظيم ولكن قسما من المصريين جعلوها معبودهم وهذا المعبود هو بلعهم لأن الرب أجل من أن يذكر على اللسان بل الذى يذكر انما هم مخلوقاته ولذلك تنوعت الآلهة وكثرت الأصنام احتراماً لتمام الآلوهية . أما الاسلام فقد قوض هذه الأركان وهدم الأوثان وقال أبها الناس اعبدوا ربكم فليس تعظيمه بالإشراك ولا تقديسه واحترمه عبادة الأوثان بل هو المعبود قولا وفعلًا والمذكور سرا وعلا . ولقد ترى في تفسير (سورة يونس) صورة منطقة البروج وحولها الكواكب العروقة عند قسما المصريين قد كشفوها مرسومة على صندوق أحد الظلماء فالكواكب معظمت عندهم في حياتهم وعبودتهم . ومن ذلك ما ذكرته لك هناك من أن الهرم الذى تراه مرسوماً هناك مشروحا مذكورا سببه قد بنى بمخاض كوكب الشعرى المعبود العظيم عند القوم وقد كانوا يجعلون صورة الهرم مع الميت فيما بكوكب الشعرى الذى بنى الهرم بمخاضه . وإذا مات الميت وجعوا وجهه الى جهة الهرم الرموق بنظر ذلك الكوكب . هذا ما عثر الباحثون والكاشفون عليه في خبايا الأرض وأحافيرها وطواميرها ونواويسها بالبلاد المصرية في داخل الأجداث . ولقد عثروا على غرام الأحياء بالكواكب في البلاد المصرية فوجدوا بها متكتنا في القلوب بحيث امتزج بالهم والعمل والدين (انظر ما تقدم في سورة يونس) فانك ترى في أولها هناك حساب الهرم وانه بنى على سبر الشمس وعلى مقتضى دائرتها السنوية وأن محيط الهرم منسوب لمحيط مدار الأرض حول الشمس وارتفاع الهرم منسوب لبعد الأرض عن الشمس حتى اذا هدم الهرم أمكن أن تعرف مقاييسا من نفس مدار الشمس . وترى هناك مقاييس مصر كالارتفاع البلدى ومكاييلها كالأردب وموازينها كالرطل كلها مستخرجات من مساحة الهرم البليدة على مدار الشمس وعلى بعدها عن الأرض فالرجع اليه إن شئت تجد العجب العجيب . وههنا أريدك نبيانا جيلا بما قرأته في كتاب مترجم حديثا ترجمه أحد القاطنين بالمتحف المصرى فآثرت نقل ما يناسب المقام منه لتعجب من جلال الله الذى أشرق على الكواكب الراقصات في جوار السماء فأرقت أهل الأرض وهاموا بالجمال والبهاء وجعلوه عبادة لله وإن كان هذا لا يوافق ديننا لأنه أشرف الأديان ولأن الله يقول لنبينا - لكل أمة جعلنا منسكاً لهم ناسكوه فلا تلتفتوا عنكم فى الأرض وأدع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم - فهناك ما نقلته من ذلك الكتاب تحت عنوان ﴿ الرقص وأنواعه وأوصافه ﴾

﴿ الرقص وأنواعه وأوصافه ﴾

﴿ عند قسما المصريين ﴾

قال مونسترية « كان قسما المصريين يرقصون حول الهياكل والمعابد على شكل دائرة ويتخيّلون الهيكل كالشمس في كبد السماء فيدورون حوله تمثيلا لمنطقة البروج أى كادور الكواكب والنجوم والسيارات حول الشمس دورتها اليومية والسنوية » وقال لوسيان « كانت حركات الرقص عند قسما المصريين تشبه في السرعة اتحدار الماء وتماوج لبيب النار في الهواء وخيلاه الاسود وغضب الفهود وترنح القسmon فهو أبدع ما يكون »

قد دلت الآثار المصرية التى يرجع تاريخها الى (٥٠٠٠) سنة على أن المصريين هم أقدم الشعوب مدنية وأوسعهم حضارة وقد توسعوا في المدنية وفنونها حتى اقتنوا فن الرقص وأحكموا قواعده . وعما هو جدير

بالذكر انهم لم يتخذوا الرقص للخلاعة والملاهي كآراء الآن بل كان عند خدمة للشعائر الدينية ونحوها المحركات الفلكية وتمثيلا للأفهام الموسيقية . وكانوا يقصدون من الرقص جملة فوائد دينية وديوية . أما الدينية فهو ما كانوا يتقربون به حول الهياكل والمعابد فقد قال كستيل بلاذ : « إن تعجيد الخالق عند قدماء المصريين أذاهم الى انشاء الأناشيد المقدسة واحداث الرقص اظهارا لسرورهم وأقراهم وقيامهم بشكر النعم وتمثيلا لعبودية والخضوع لمقام الربوبية حتى اعتبر قدماء الشعوب أن الرقص جزء جوهري من دياناتهم ولم يكن ذلك قاصرا على المؤمنين منهم بل العاصيون أنفسهم وهم الذين يعتقدون أن الالهة منحصرة في نظام الطبيعة . كانوا يرون أن مجموعة الأناشيد وأنواع الرقص ممثلة لاتحاد الكالات في ذلك النظام وكفيلة باحترام الطبيعة ومجدها » ومن العجيب أن قدماء المصريين بلغ احترامهم الرقص عندهم لدرجة أن اعتقدوا أنه من ضمن التعاليم المتزلة فقد قال ديودور الصقلي للتأريخ اليوناني المولود في القرن الأول ق م ان أسوريس (وهو المعبود العظيم) كان يحترم توت (هرمس) ويحبه نظير مائصره وبه في الهبة الاجتماعية من علوم الفلك والموسيقى والرقص والألعاب الرياضية وغيرها من الفنون التي بلغت عندهم درجة الكمال وسبقوا بها الأمم في مدارج الرفعة وسعادة الحياة . قال مونسترية في كتابه الذي وضعه سنة ١٦٨٣ وسماه « الرقص القديم والحديث » مانصه

« إن الرقص عند قدماء المصريين كان يمثل الحركات السماوية على نموذج الألحان الموسيقية وكانوا يرقصون حول الهياكل والمعابد على شكل دائرة ويتخيلون الهيكل كالشمس في كبد السماء فيدورون حوله تمثيلا لمنطقة البروج أي كما تدور الكواكب والنجوم والسيارات حول الشمس دورتها اليومية والسنوية » ولم نغتر في النصوص المصرية القديمة على تفصيلات هذا الرقص الذي القديم حول الهياكل ورغبة ما قاله لوسيان المولود في القرن الثاني للسبع في بلدة ساموزات التابعة لسوريا القديمة « ان مجموعة الكواكب ودائرة النجوم والسيارات هي محور لهذا الرقص الفلكي ، والرسوم المنقوشة في المعابد والهياكل لم تدل على أي بيان لهذا الرقص الفلكي وقد كان له قوانين محترمة كغيره من الفنون . أما (أفلاطون) فقد وصفه وصفا مبهما حيث قل عن قدماء المصريين انه كان من واجب الشبيبة المصرية أن لا تخرن إلا على الرسوم والألحان البالغة حد الكمال لذلك كانوا يختارون نماذج مخصوصة للرقص ويمثّلونها ويضعونها في الهياكل والمعابد وكان محذورا على النقاشين والرسامين الذين يحضرون هذه المشاهد أن ينقلوا شيئا عنها أو يمثلوها في الخارج حذرا بانما يقتضى نصوص قوانين البلاد وقد قدسوا كل أنواع الرقص والأغاني

قال (مينار) في كتابه الذي سماه « تاريخ الشعوب الشرقية » إن المصريين القدماء كانوا أكثر الأمم تدينا وكانت أكبر اجتماعاتهم الدينية محافل طرب لميلاد لهم وعودته أو مجامع حزن وبكاء لموته وكانت هذه الاحتفالات تشتمل على أنواع من الأناشيد المقدسة وأشكال من الرقص الديني

وقال أيضا لوسيان أن الرقص والفناء كانا مقسمين عند قدماء المصريين ومن لوازم الاحتفالات الدينية وذكر (هيردوت) أن المصريين هم أول الشعوب الذين وضعوا الاحتفالات الدينية ومنهم أخذ اليونان جميع عاداتهم وتقاليدهم . وكان عند المصريين أعياد كثيرة في كل سنة لأنهم كانوا يجعلون لكل معبود عيداً خاصاً به . وكانوا عند ما يذهبون الى مدينة (يوبسط) للاحتفال بعيد المعبودة (ديان) يركبون السفن في النيل والنساء يلعبن فيها بالساجات والرجال يضربون بالناي مدة السفر ويغنون ويسقفون وكلما رست السفينة على شاطئ يمتدحون حفلة راقصة . وقد وصف (إيليه) الروائي الروماني المولود في القرن الثاني للبلاد حفلة عيد من أعياد المعبودة (اسيس) فقال « كان النساء في ذلك اليوم يلبسن الثياب البيضاء ويضعن على رؤسهن أكاليل الزهور تلويع على وجوههن علامات الهبة والسرور ويفرن الطرق التي يمر منها الممثل المقدس بأنواع اللورد والرايين وينشدن نغمات لحنية ويضربن بالناي ويلبهن كوكبة من أعظم المصريين لاسين الملابس

اليضاء القبية ويقنعون بالأشيد المقتسة ثم يأخذ بعضهم جماعات من الرجال والنساء من كل الطبقات المتأهلة للأسرار الإلهية لابسين حلا باهرة من السكتان الأبيض وكان النساء يضمن على رؤسهن المظرة المنسوجات الشفافة وكانت رؤس الرجال محلوقة ويضربون على الأعواد التي يتحفونها من النحاس والفضة والذهب بتوقيعات مطربة منمعة ، وكانت الأتمة تشترك في عيد الجهل (أييس) لإحياء مراسمه وتقليده واجبالا لغامه . ومن عجيب ما اتفق أن (كيز) ملك الجهم رجع منهزما من حربه مع إحدى الممالك فدخل مصر في عودته فصادف دخوله يوم احتفال المصريين بعيد ظهور الجهل (أييس) وهم لا يسمون انظر الخلل وقامون بمظاهر الأفراح لهذا العيد وكان كثير قد دخل مصر قبل هذه المرة فلم ير من المصريين مثل هذا الاحتفال فظن أنهم يشمتون فيه وأن هذه الولائم والمأفول أقاموها فرحاً بخلدانه وتشفيها في انهزامه في الحرب فاستعصر رؤساء مدينة (منفيس) وسألهم لماذا يقيم المصريون الآن معام الأفراح والزيارات عند ما فقدت جنودى في ساحة القتال ورجعت بالفشل ولم أزدك منهم يوم دخلت (منفيس) أول مرة منتصرا فأجابوه ان هذا اليوم صادف ظهور الجهل (أييس) مصبدهم فأقاموا له الأفراح ومظاهر الأعياد فلم يستقم وأصر على اعتقاده أن ذلك شامة به وأعلن غضبه على المصريين وأذاقهم أنواع النكال والعذاب

قال (دى كاهونك) في كتابه الذى وضعه سنة ١٧٥٤ وسماه (الرقص القديم والحديث) ما نصه « إن الرقص عند قدماء المصريين كان أمرا جوهريا في الدين وقد تفتنوا فيه حتى اخترعوا رقصا خاصا لعيد مصبدهم الجهل (أييس) وذلك أنهم كانوا اذا مات الجهل أخذوا يبعثون من جهل غيره مستوف للشروط والتعليقات الخاصة له حتى اذا وجدوه فرح به الكهنة وخصصوا خلعتهم جهورا من السيدات مدة أربعين يوما ثم يضعونه في قارب وينهبون به الى الميكل بمدينة (منفيس) مصحوبا بالكهنة وسراة القوم وجاهر عظيمة من طبقات الشعب ويستملون لهذا الاحتفال ألف آلة موسيقية يوصون عليها بمختلفات الأنغام وبدائع الأغاني ثم يغمسون الاحتفال بأنواع الرقص للمنمعة . وكان اذا مات (الجهل) أييس هذا أقام الكهنة في الليل ثم أخرجوه منه وحظوه ودفنوه بكل الاجلال والاكرام ورقصوا الرقص الجنائزى على شواطئ النيل وفي المقابر والطرق وهم الأسف والحزن الشعب أجسه ومتى ظهر لهم جهل آخر تبدلت الأترار أفراسا وانقلبت الماسم مواسم وأقاموا الأعياد والولائم وأنواع الرقص مدة سبعة أيام . ثم توسعوا في حفلات الرقص حتى اتخذوها شعارا لجنائزهم فقدمت في آثارهم على رسم راقصات لا يأت ثيابا صفراء ومنهن ثلاث واقفات يضربن الطبول وثلاث آخر رتيان الميت . ويوجد في مقابر (طيه) منظر جميل يمثل حفلة مأتم الأمير (حورع) وفيها امرأتان تقفان لبت أواتى مدينة حمولة زهورا وطررا وثلاث نسوة آخر رقصن ويضربن آلات موسيقية

ويوجد أيضا رسم لرمنيو يمثل النساء راقصات ضاربات على الطبول حدادا على الميت بينا الرجال بأبدعهم صى من الجنائز ين يضربونها في الهواء جملة العيين والبسل ليطردوا الأرواح النجسة في زهمهم . واشتهر الرقص عندهم أيضا في الحروب وقته الأثيوبيون وقد وصفه (لوسيان) فقال (كان الأثيوبيون اذا أرادوا الحرب يرقصون أولا في ميدان القتال ولا يصقون رماحهم الى الأعداء قبل أن يرقصوا ويظهروا حركات جاسية يهتدون بها الأعداء . ثم ازدلوا توسعا في الموضوع فاخترعوا الرقص الحديث الذى عرف بالرقص العاتل الذى أخذه عنهم جبع الشعوب القديمة والحديثة) وقال ديودور الصقلى (انه لما ذهب اسوريس الى اثيوبيا كان يصعبه سبع بنات يعرفن كل الفنون وأنواع الفناء والرقص وهن اللاتي نشرن هنالك هذه الفنون البلية

(حقة الرقص)

قال (بلرون) في كتاب الرقص (إن الآثار المصرية القديمة تمثل أنواع الرقص العاتل . ولاحظ أخيرا روسيليني سنة ١٨٣٤ أن حركات الرقصات المصريات في الزمن القديم أكثر شبها بحركات الرقص في عصره

وكان الرقص عندهم على (نوعين • النوع الأول) يكون بحركات القدمين والذراعين (والنوع الثاني) بحركات كل أعضاء الجسم • قال لوسيان (إن الرقص عند قدماء المصريين كانت حركاته تشبه في السرعة انحدار الماء وتماوج طيب النار في الهواء وخيلاه الأسود وغضب الفهود) وترى الفصول فهو أبداً عما يكون) ويوجد بالمتحف المصري تحت نمرة ٢٣٣٣ بالسور الأسفل حجراً كتبت في أحد قبور الأسرة الخامسة يمثل حلة راقصة وفي أسفلها ترى امرأتين تصفان وأمامهما الراقصات يتأيلن على إيقاع التصفيق وفي أعلاه ترى رجلاً يضرب آلة شبيهة بالعود وآخرون ينفخان في البراق المثقب (الثاني) وبجانبيهم المغنون المطربون وقد وضع أحدهم يده على وجهه ليتمكن من ضبط صوته ورفع آخرون أيديهم ليحسبوا الإيقاع ويرشدوا الموقفين كما هي العادة المتبعة اليوم • وكانت الموسيقى تتبع دائماً الرقص وأهم آلات الطرب عندهم الطبلبة والقنطرة والربابة والعود والصنج والثاني والأجسة وغيرها ومحفوظ منها نموذج بفرقة من السور الأعلى بالمتحف المصري

وكانت أبواب الراقصات تصل إلى أقدمهم مع اتساع الأبدان وهي من الشفاف الذي يظهر منه هيئة الأعضاء وحركاتها • قال (لافاج) في كتابه الذي وضعه سنة ١٨٤٤ وسماه (الرقص القديم والحديث) • إن الرقص عند قدماء المصريين كان على (نوعين • النوع الأول) مجرد حركات بسيطة (والنوع الثاني) تمرلين رياضية يتأيل الجسم فيها إلى كل جانب بينما تخطو القدمان بسرعة بعض خطوات قليلة مع مد اليدين وتحريكهما يمنة ويسرة ومن هذا أخذ المتأخرون الرقص الحديث وحقنوا فيه في كل زمان ومكان قد رأينا في قبر (قي) رسماً يمثل امرأة ترقص على الطرزالحديث ونظناها الأيمن معتمد على أطراف قدميها وذراعيها فوق رأسها وكانت حفات الرقص تجعل عادة ختاماً للولائم والأفراح والرسوم الموجودة في المتحف المصري ومقابر (سقارة) و (بني حسن) و (طيبة) تبهن على أن الرقص قديم جداً وأنه باق على حاله لم يتغير منه شيء منذ (٥٠٠٠) سنة وأنه كان معتبراً عندهم علماً وفناً له قواعد أساسية لا تتغير ولا تزال معاملة محفوظة إلى اليوم عند جميع الشعوب الشرقية والغربية انتهى

وانما نقلت لك هذا أيها الذكي لتتفرق في أمر هذه النجوم وكيف هام ببها هذا النوع الانساني كله وكيف هام الناس برهم وتشوقوا اليه بما رأوا في مصنوعات من الجبال • ولا تظن أن أم الاسلام غفلت عن هذه المباحث الدقيقة فانظر كتاب السباع في الاحياء للفرزاي وكيف أباح السباع اذا لم يثر الشهوة البهيمية بشروط خمسة فاقرأها هناك وانظر في كتاب الاشارات لابن سينا فقد قال ان العبادة مع الفكر موصلة لله وقال ايضاً إن الصوت اللطيف بشروط خاصة موصل الى الله عز وجل • وأنا لست الآن في مقام الأخذ بقول من هذه الأقوال ولكني أريد بذلك أن الأمم كلها اسلامية وغير اسلامية نظرت في الجبال المنظور والجبال المسموع فالمنظور من الجبال والمسموع من التلذذات كلاهما بهياج النفوس الى معالي الامور • وتجد الامام الفرزاي في الاحياء يصل المغاني عند القوم وبين ما يوصل الى الحكمة وما يكون قاطعاً للنفوس عن الوصول • فانظر كيف شغف قدماء المصريين بالكواكب في الموازين وبحوها وفي فهمهم وفهمهم وما تتم • وهكذا الأمم جميعها قديمها وحديثها تلعب (الفرز) وما اتقد إلا مثال للنظام السماوي فالجبران اللذان يرميها اللاعبون كل واحد منهما له ستة أوجه عدد الجهات الست وفي كل وجهين متقابلين (٧) نقط فان كان في أحدهما (١) كان مقابله (٦) وان كان (٢) كان مقابله (٥) وان كان (٣) كان مقابله (٤) وهكذا فهذان الجبران يمثلان عالم الأفلاك الدائري مدله والقطر السبع تمثل الكواكب السبعة المعروفة عندهم التي تأتي بالسعد والنحس في عرفهم وما يصيب للاعب من خير وشر كالذي يصيب الخي من خير وشر بسبب استعمال ما تأتي به هذه الكواكب من سعد ونحس فالحق واللاعب كلاهما يأتيه ما كان مجهولاً عنده وذلك بطريق المصادفة والمدار على حسن

استنار ما جاء له وبضدها تميز الأشياء . فهذه دلائل على أن هذا الانسان كان مقرراً بالكواكب فرحاً بها متعبها للعالم العلوي . ومن عجب اني رأيت اليوم رأياً للعالم المخترع الكبير الأمريكي المسمى (اديسون) في أصل الحياة يقول انها أتت لنا من عوالم أخرى مجهولة لنا فتجمع بهذا الى ما كان عليه القدماء إذ كانوا مقررين بالكواكب والعوالم العلوية وأن منها السعد ومنها النحس ولكن اديسون لا يعين ذلك العالم الذي أتت منه الحياة وإنما يقول هو عالم غير العالم الأرضي مستديلاً بأن الأرض كانت كرة غازية فلما ظهرت فيها الحويصلات الحيوية في البئر والبيض والحويوان والانسان احتلتها تلك الحياة ونظمت شؤونها وهي وان كانت طارئة على الأرض تميز بين بيئة السجاجة واستعدادها وبيئة المرأة وتعطى كلا منهما حياة تناسبه وزاد على ذلك أن الخلية الواحدة من خلايا جسم الانسان تحتوى على ملايين القترات التي أعطيت قوة التعقل والتفكير والتدبر والعمل وهي طوائف كلوائف الناس فكل له عمل وهذا هو السبب في اتنا نرى الجرح اذا سال دمه يلتئم وهذا الالتئام ناشئ بأعمال متقنة مبنية على علم بل يقول انها تعقل أكثر من الانسان . ويقول أيضاً هو محدثه كجاءه في جرائده المصرية يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨ انه لما أغلق أحد العمال عليه باب السيارة انطبق على أصبعه فطار منها الظفر فها هوذا أخذ يتدمل ومن أين هذا الاندمال ؟ انما تصنعه تلك الخلايا اللاتي تعد باللايين في أصبعي وهي تعقل ما تفعل ومنها المدبرات أمراً والعاملات والصانعات . أقول وكأنه نطق بقوله تعالى - ان كل نفس لما عليها حافظ - وقوله - فالمدبرات أمراً - وقوله تعالى - بأيدي سفرة - كرام بررة - وقوله تعالى - وما منا إلا له مقام معلوم - وقوله تعالى - وان عليكم لحافظين كراما كاتبين - يعملون ما تأمرون - وهكذا من آيات أخرى . ويقول (اديسون) المخترع المشهور المذكور أيضاً (ان هذه الخلايا المتحددة ما هي إلا عمالك متحدة منظمة فإدام العمل بينها قائماً على السداد بقيت واذا حصل اضطراب غادرت تلك الحياة التي جاءت لها من عوالم أخرى وكأنه نطق بقوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - وما قاله محدثه أيضاً ان أباه أخذته قودا وسافر الى أوروبا وشاهد ما أراد من البلاد يرجع مسروراً وكانت سنة فوق الثمانين ولما بلغت سنة فوق (٩٣) سنة قال يابني اني أريد أن أموت فقال له ولماذا قال لأن كل ما كنت أريد الاطلاع عليه وعمله في هذه الأرض قد تم فلامعني لبقائي وأنا متوجه الى أختك لأموت عندها فحاولت منه فلم أقدر فتوجه لها وهو صحيح الجسم قوى متين ومات بعد ثلاثة أيام . قال وإنما مات لأنه أحس بأن تلك الخلايا في الجسم رأت انه لاملامة بينها فشمت البقاء على الاجتماع فأفترته بالاحرف ولاصوت ففارق الحياة . أقول وما قرأته في كتاب (الأسفلر) للشيرازي أن سبب الموت الطبيعي أن الروح لا تزال تزداد حرارة والجسم يزداد برودة بتقديم السن حتى لا يقدر الجسم على حفظ الروح لشدة حرارة جها للعالم العلوي فتنتقل منه وهذا الرأي أيضاً خاص بصاحبه كما ان رأى (اديسن) المذكور (مخترع الفنوغراف وغيره) خاص به - وفوق كل ذي علم علم -

وانت خبير ايها الذكي انه لم يقل هذا على انه يقين عنده بل يقوله من باب القرض لا غير ونحن فنعتبره كذلك . ومن عجب ان يكون هذا القرض هو الذي ألقاه بطريق اليقين عنده وفي نظره الشيخ الباغ الذي نقلت عنه كثيراً في (سورة الكهف) وغيرها إذ يقول هو ويقول الشيخ الخواص (ان الجادات جميعها تعقل) وهذا القرض الذي فرضه (أديسن) والقول الذي قاله الشيخ الخواص والباغ ذكرته هنا تريوما لاتعليما ودعا الى ذكرها مسألة الكواكب وأن القدماء فرحوا بها وعشقوا وجهها بالتفكير فيها وغلطوا بها بجهلهم وهزلهم بل قالوا انها سبب سعدهم ونحسهم فقلنا ان بعض أهل عصرنا يرجع الحياة في الأرض الى تلك العوالم هذا والقرآن لم يدع فرصة تمر إلا ذكر السموات والأرض وأمر بالتفكير فيها وهذا معناه أن المسلم عليه ان يكون أحرص على جلال هذه العوالم من الأمم السابقة لأننا خير أمة أخرجت للناس وهل خير الأمم بمجهلون

ما علمه من جملة منهم من جعل الله وكلمة . لما أنا فأقول سيكون بعدنا أم إسلامية يكونون أرق من الأمم السابقة واللاسلطة وهذا التفسير بمحمد الله من مقتضات تلك النعمة البهيمية والحمد لله رب العالمين . انتهى مساء يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨

﴿ بهجة السموات ﴾

(كيف تعرف صور النجوم السماوية)

أعلم أن علم الفلك قد خلا فيه الأتكون خطوات واسعة . ولقد كنا نتعلمه في (دارالعلوم) في أواخر القرن التاسع عشر وهذا صورة ما تلقينا حقلته من كتاب المرحوم استاذنا حسن حنفي بك فلاذكريه عليه هنا من صور النجوم ومن الآراء المعروفة إذ ذاك ولكن الذي عرف بعد ذلك أكثر مما يدرك أن العلم اليوم سريع الخطو حتى أن الأجرام السماوية التي عرفت للآن أبعد ما يصل نوره لنا في مائة مليون سنة وهذا القدر عظيم جداً فهو فوق العقل البشري . وقد عتوا بنجوم المجرة (٢٠) مليونا وهي الآن تعد بثلاث للملايين فهناك مائة الكتاب للذكور

﴿ وصف السماء . الصور السماوية . النجوم المشهورة ﴾

(٢٥) الاحصائيات . الكرات والخرط السماوية

الفلكيون بمعرفة الطرق التي بها تعيين الأوضاع المنبوعة للنجوم على الكرة السماوية أمكنهم أن ينشؤا إحصائيات فيها النجوم مرتبة على حسب كبر مطالعها المستقيمة وأمام كل نجمة مطالعها المستقيم وبيلها واستعملوا هذه الاحصائيات لوضع النجوم بأوضاعها النسبية على كرة صناعية وذلك بأن يرسم على سطح هذه الكرة الصناعية دائرة عظيمة من تقطع ما مثل (ق) فتعبرها القطب الشمالي مثلا وتكون هذه الدائرة العظيمة هي دائرة المثل ثم ترسم جلة دوائر أخرى موازية لها وتكون هي الموازيات التي ترسمها النجوم تبعاً للحركة اليومية ثم ترسم جلة دوائر عظيمة تدل على دوائر الليل ثم تعلم على سطح هذه الكرة جلة تقطع بين كل واحدة منها بالمطلع المستقيم والميل لنجمة مطابقة ويتحصل حينئذ على كرة سماوية كالكرات الصناعية المهيئة لسطح الأرض . وكذلك تنشأ خرط سماوية بطرق المباحث

(٢٦) الصور السماوية . النجوم الأصلية - لأجل مساعدة الفلكية في دراسة النجوم قسموها من القدم إلى مجموعات متباعدة تسمى (الصور السماوية) وهي صور كائنات حية وغريبة تصورها رسمها على الكرة السماوية وليس كل هذه الصور مشابهة لسمياتها بل البعض فقط وذلك كالنجوم الأصلية من صورة الثور فإن لها وضعا مثليا يشابه نوعاً للجزء العظمى من رأس هذا الحيوان وكذا العقرب والاكايل والحية والتنين . وليبيان نجوم كل صورة تستعمل الحروف الهجائية فالحروف (أ) و(ب) و(ج) و(د) تدل على أربعة نجوم أصلية من كل صورة بحيث أنه بالمرور من صورة إلى أخرى تكون هذه الحروف مهيئة لنجوم تختلف عن بعضها في الضوء

(٢٧) عدد الصور . قد عدت (بطليموس) ٤٨ صورة منها ٢١ في الشمال و١٥ في الجنوب و١٢ في الجزء المتوسط بالقرب من دائرة العدل في المنطقة التي يظهر أن الشمس تقطعها في سيرها السنوي ويشتمل مجموع هذه النجوم والأربعين صورة على (١٠٢٩) نجمة منها (٣٩١) للصور الشمالية و(٣١٨) للصور الجنوبية و(٣٢٠) للصور المنطقية . والاثنتا عشرة صورة المنطقية اعتبرت المنازل المتتالية للشمس في مدة ستة أسابيعها هي (حمل) ثور . جوزاء . سرطان . أسد . سنبله . ميزان . عقرب . قوس أورامى . جدى . دلو . حوت) وهي مجموعة في قول بعضهم

حمل الثور جوزاء السرطان • دوى الليث سنبل الميزان

ورى عقرب بقوس جدى • نزع الملو بركة الحيتان

والاحدى والعشرون صورة الشجالة هي (الذب الأصفر أو نبات نفس الصغرى • الذب الأكبر أو نبات نفس الكبرى • التنين أو العناب • المذهب • العوا • الاكليل الشجالي • هر كول أو الجاني على ركبته • النسر الواقع أو السلحفاة • السجاجة • ذات الكرسي • برشاوش • ملك العنان • الخواء • الحية • السهم النسر الطائر • السفين • الفرس الأعظم • الفرس الأصفر • المرأة المسلسلة • الملك الشجالي أو السلتا) والخمس عشرة صورة الجنوبية هي (قيطس • الجبار • نهر الأردن • الأرب • الكلب الأصفر • الكلب الأكبر • السفينة • الشجاع • الكاس أو الباطية • الغراب • المهراب أو الجمرة • سنطورس • الذب • الاكليل الجنوبي • الحوت الجنوبي)

(٢٨) والنجوم التي تتكون منها الصور المعروفة عند الأقدمين تنقسم الى أقدار فأصاها تسمى من القدر الأول ثم ما يليها في الضوء يسمى من القدر الثاني وهكذا والقدر السادس يشتمل على النجوم التي هي آخر ما يمكن رؤيته بالعين وهذا الترتيب اعتباري لأن آخر نجمة من القدر الثالث مثلا يمكن أن تكون هي أول نجوم القدر الرابع ولذا يوجد اختلاف بين الفلكيين في هذا الاعتبار ، ولكن المتأخرين حافظوا على هذا التقسيم وعلى رأى الموسيو (أرجيلاندر) يحتوى نصف الكرة الشجالي على ٩ نجوم من القدر الأول و ٣٤ من القدر الثاني و ٩٦ من الثالث و ٢١٤ من الرابع و ٥٥٠ من الخامس و ١٤٣٩ من السادس • والمجموع هو ٢٣٤٢ وأما نصف الكرة الجنوبي فيحتوى على ٤٦٨٤ نجمة منها ١٨ من القدر الأول و ٦٨ من الثاني و ١٩٢ من الثالث و ٤٢٨ من الرابع و ١١٠٠ من الخامس و ٢٨٧٨ من السادس • وأشهر الخراط لا تغطي اليوم سوى ٢٠ نجمة من القدر الأول وهي مرتبة على حسب ضوئها

| أسماء | أسماء | أسماء |
|-------------------------|---------------------|---------------------|
| (١٥) الطائر | (٨) الشعرى الشامية | (١) الشعرى الجبانية |
| (١٦) السباك الأعزل (نير | (٩) كتف الجبار | (٢) سويل الجين |
| السنبلة) | (١٠) آخر النهر | (٣) (١) من سنطورس |
| (١٧) فم الحوت | (١١) الدبران | (٤) السباك الرابع |
| (١٨) ب من السجاجة | (١٢) ب من ستورس | (٥) رجل الجبار |
| (١٩) رأس الثور المؤخر | (١٣) (١) من السجاجة | (٦) الصبوق |
| (٢٠) قلب الأسد | (١٤) قلب العقرب | (٧) الواقع |

(٢٩) عدد النجوم المنظورة - يظهر أن عدد النجوم التي ترى بالعين عظيم جدا . ولقد حصر الموسيو (أرجيلاندر) ٣٣٥٦ نجمة ترى بالعين وتمتد على القبة السماوية بين القطب الشجالي و ٥ من ٣٩ من الميل الجنوبي وهذه المنطقة تشتمل تقريبا على ٨ من ١٠ السطح الكلي للكرة وبهذه النسبة يكون للعشرين الآخر (٨٤٤) نجمة ويكون العدد الكلي للنجوم التي ترى بالعين (٤١٠٠) نجمة • وبعض الراصدين ذوى البصر الحاد أمكنهم رؤية بعض نجوم من القدر السابع حتى أن العدد السابق وصل الى ٦٠٠٠ نجمة تقريبا أو يزيد من ذلك • وإذا استعملت النظارات يزيد هذا العدد كثيرا ويصل الى (٢٠٠٠٠٠) نجمة تقريبا في جميع السماء من ابتداء القدر الأول لغاية القدر الخامس عشر

(٣٠) وصف السماء - أسهل طريقة لمعرفة الصور السماوية هي مقارنة السماء بالخراط السماوية المنشأة على

حسب القواعد . وإذا لم توجد خطوط أريد ذلك فبمساعدة بعض قط تعبرمبدأ يمكن إيجاد المجموعات النجمية الأصلية وفي قطرنا (مصر) نجعل المبدأ صورة الدب الأكبر
 الدب الأكبر (شكل ٤١) - إذا وجه الإنسان نظره جهة الشمال فإنه يرى صورة الدب الأكبر وتحتوى على سبع نجوم أصلية وجميعها من القدر الثاني ماعدا النجمة (د) فهى من القدر الثالث والنجوم (هـ) و (و) و (ز) تكون ذنب الدب الأكبر (انظر شكل ٤١)



(شكل ٤١ - الدب الأكبر)

(النجمة القطبية) - إذا مد الخط (ب ا) من جهة (ا) بعد يساوى (ا ر) فإنه يمرّ بالقرب من نجمة من القدر الثاني أو الثالث وهى النجمة القطبية التى تستعمل فى إيجاد جميع الصور المهمة المنظورة فى سماء مصر وهذه النجمة لا تبعد عن القطب إلا بقدر درجة ونصف وبواسطة النجمة القطبية يسهل معرفة الأرباع نقطة الأصلية فإنه بالنظر إليها يكون الشمال أمام الناظر والجنوب خلفه والشرق عن يمينه والغرب عن يساره ، والنجمة القطبية هى ثالث نجمة من ذنب صورة مشابهة للدب الأكبر إلا أنها أصغر منها وموضوعة بعكسها وتسمى الدب الأصغر (ذات الكرسي) - إذا وصل بين نقطة (د) من الدب الأكبر والنجمة القطبية بمسقيم ومد من جهة النجمة القطبية بكمية تساويه توجد ذات الكرسي وهى تشتمل على جلة نجوم من القدر الثالث وهذه الصورة هى فى مقابلة الدب الأكبر دائماً بالنسبة للنجمة القطبية

(الفرس الأعظم) - المرأة المسلسلة - (شكل ٤٢) - إذا مد الخط الذى عين النجمة القطبية من جهتها فإنه يقابل صورة الفرس الأعظم وبإضافة النجمة (ا) من المرأة المسلسلة إليه يتكوّن ما يسمى مربع الفرس الأعظم وزوايا هذا المربع تشغلها نجوم من القدر الأول فإذا وصل بين (ا) من الفرس الأعظم و (ا) من المرأة المسلسلة توجد النجمتان (ب) و (ج) من المرأة المسلسلة اللتان تأخذان فى الاقتراب من النجمة القطبية (برشاوش) - إذا مد الخط (ب ج) من المرأة المسلسلة يمرّ بالنجمة (ا) من برشاوش ، ومربع الفرس الأعظم والخط (ب ج) من المرأة المسلسلة والنجمة (ا) من برشاوش تكون جلة شكلها يشابه الدب الأكبر إلا أنه ذو امتداد أعظم منه

(القول) - النجمة (ا) من برشاوش توجد أيضاً على امتداد الخط (ا ج) من مستطيل الدب الأكبر وإذا مدّ هذا الاتجاه الأخير قليلاً من جهة (ا) يقابل (ب) من برشاوش وتسمى القول وهى نجمة شهيرة جداً بتغير ضوءها تغيراً عظيماً ، والقول هى أضوأ نجمة من رأس القول موضوعة فى يد برشاوش (انظر شكل ٤٣ فى الصفحة التالية)



(شكل ٤٢)

(السنبل) - (الساك الأعزل) - (شكل ٤٣) نحو الجهة المقابلة لنصف الكرة وتقريبا على امتداد قطر مستطيل اللب الأكبر توجد صورة السنبل وتحتوى على نجمة من القدر الأول تسمى الساك الأعزل (انظر شكل ٤٣)



(شكل ٤٣)

(الأسد) - (قلب الأسد) - اذا مد الخط (ا ب) من اللب الأكبر في الجهة المضادة للنجمة القطبية فانه يمر بصورة الأسد، والنجمة (ا) من هذه الصورة هي من القدر الأول وتسمى قلب الأسد (الجوزاء) - رأس التوأم المقدم ورأس التوأم المؤخر (شكل ٤٤) • انظر الثاني (ب د) من مستطيل اللب الأكبر عندنا من جهة (ب) يقابل جهة نجوم شجرة منها (ا) و (ب) أو رأس التوأم المقدم ورأس التوأم المؤخر من صورة الجوزاء (انظر شكل ٤٤ في الصفحة التالية)



(شكل ٤٤)

(الكلب الأصفر) - (الشعري الشامية) - النجمة (أ) وهي الشعري الشامية من الكلب الأصفر توجد على امتداد الخط الواصل بين النجمة القطبية ورأس التوام للقدم من جهة هذه الأخيرة وإذا مد الخط (د ب) من جهة الشعري الشامية فإنه يقابل النجمة (أ) أو الشعري البمانية من الكلب الأعظم وهي أضواء نجوم السماء (ذوالعنان) - (العويق) - (شكل ٤٤) إذا مد الخط (ب ج) من المرأة المسلسلة من جهة (أ) من برشاوش توجد نجمة من القدر الأول وهي (أ) من ذى العنان أو العويق (الثور) - (البربان) - (شكل ٤٥) إذا مد الاتجاه (د أ) من الذب الأكبر من جهة ذى العنان فإنه يمر بصورة الثور ويمر بالقرب من البربان أو عين الثور وهي نجمة من القدر الأول وفي صورة الثور توجد الثريا وأرجل التوامين (انظر شكل ٤٥)



(شكل ٤٥)

(الجبار) - (الكلب الأعظم) - (الشعري البمانية) إذا مد الخط الواصل بين النجمة القطبية والعويق من جهة العويق فإنه يقابل الجبار وهو أجمل صورة في السماء (شكل ٤٤) ويحتوي على سبع نجوم أصلية أربع منها موضوعة على شكل شبه منحرف وفي مركزه توجد الثلاث الأخر التي هي أقل ضوء من الأربع وتوجد هذه النجوم الثلاث على خط مستقيم وتكون مايسى منطقة الجبار أو العسا ورأسان من رؤس شبه المنحرف هما نجمتان من القدر الأول (أ) أو كنف الجبار و(ب) أو رجل وإذا مد خط العسا يقابل الشعري البمانية من الكلب الأعظم التي علت بتخطيط آخر

(العواء) - (الساك الرابع) - (شكل ٤٦) - إذا مد ذب الذب الأكبر فإنه يمر بالقرب من نجمة من القدر الأول منسوبة إلى صورة العواء هي الساك الرابع وهي أضواء نجوم السماء بعد الشعري البمانية (انظر



(شكل ٤٦)

(النسر الواقع) - (الواقع) - الخط الواصل بين السماك الأعزل من السنبلة والسماك الرابع من العواء يمر بصورة النسر الواقع بالقرب من نجمة من القدر الأول هي (١) من النسر الواقع وتسمى الواقع (الساجة) - بجانب النسر الواقع توجد صورة النبلجة المركبة من خمس نجوم مكوّنة صليبا والنجمة (١) من هذه الصورة من القدر الأول

(الاعتدال الربيعي) - على امتداد المستقيم المار بنقطة (د) من النبال أكبر و (١) من الدب الأصغر و (١) من المرأة المسلسلة توجد نقطة الاعتدال الربيعي على دائرة المعدل . والدبران وقلب العقرب وقلب الأسد وفم الحوت من الحوت الشمال تقسم السماء الى أربعة أجزاء متساوية وهذه النجوم الأربع الملقبة بالنجوم الملوكة كانت هي أربع حراس سماء الجحيم بنحو (٣٠٠٠) سنة قبل الميلاد وكان الدبران في الاعتدال الربيعي هو حارس الشرق ، وقلب العقرب في الاعتدال الخريفي وهو حارس الغرب ، وقلب الأسد قريب من المنقلب الصيفي وفم الحوت على بعد صغير من المنقلب الشتوي ولكن هذه النقط تغيرت اليوم . انتهى

هذا هو الذي كنا قرأناه منذ نحو أربعين سنة وكان هذا نهاية العلم في ذلك العصر ، فلا تذكر لك هنا أيها الذي غاية ما وصل اليه علم الفلك في زماننا هذا حتى اذا فارقنا هذه الدنيا كان يحمل ماعند الناس في زماننا من علم الفلك حصلا أمام المسلمين كي يعبدوا باعنا من نفوسهم وداعيا من عقولهم يدعوهن الى مشاركة الأمم في مجننها والمسارعة الى تحصيل علومها ثم الزيادة بما يؤتيهم الله من فضله لأن كتابنا يأمرنا بالبحث والنظر ولأن المحروم من هذه المباحث وأمثالها محروم من السعادة ومن الحكمة ومن النعم السرمدي الذي يحسن به المسكرون العالمون في هذا العالم قبل انصرام آجالهم وفوات أعمارهم فهم مع الناس في أهوال هذه الحياة وقلوبهم في نفس تلك الحال في جنة عرضها السموات والأرض أعتت للفكرين في الدنيا والآخرة والناس حولهم يجهلون وهم بما في نفوسهم فرحون . هذا وإن مدة الأربعين سنة التي مرت بين أيام تعلقنا وبين تأليف هذا التفسير اليوم قد خطا فيها العلم بالفلك خطوات قد بالقرون بل بالآلاف السنين فكيف اذا صرّت أربعون أخرى ؟ كيف يكون علم الفلك إذ ذاك ؟ وكيف يكون المسلمون وكيف تكون حالهم ؟ أيتكونون عالة على الأمم ؟ أم يكون فيهم حكماء وعلماء بكل علم ومنها الفلك وتكون المراصد في نفس بلادهم . سيقرا هذا من بعدنا وسيقروا أناس بعد مرور أربعين سنة وسيقولون لطرب المؤلف ليفرح في برزخه فها نحن أولاء قد علمنا أكثر مما علمت الأمم حولنا وها نحن أولاء شاركنا الأمم في علومها وضررنا في علومها بهم وأخذنا قسطا من الحكمة والعلم ولم نعد مفرورين كأولئك الذين كانوا عن العلم معرضين وبالحكمة جاهلين والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الخميس ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩

وهاك ما جاء في (مجلة المتكلم) في شهر يوليو سنة ١٩٢٨

﴿ ما وراء المجرة ﴾

(العوالم الجزرية وعظمة الكون . أحدث المباحث الفلكية)

علم الفلك أروع الميادين من أسس العلوم وأعلىها بالنفس ، وإذا أريد التدقيق فيه فهو من أعوص العلوم لأنه مبني على أدق القوانين الرياضية والطبيعية ، وهو كذلك أول علم استقرى الإنسان شيئاً من قواعده وأدق علم وصلت اليه معارف البشر وأسسى علم يتفرد له كبار العلماء ، وفيما يلي نبذة من أحدث المباحث الفلكية في موضوع يقتن كل لب وهوسه هذا الكون وعظمة مبدعه ، فقد أثبت علماء الفلك حديثاً أن في الفضاء أكوانا عديدة كل كون منها مثل المجرة التي منها نظامنا الشمسي سعة وعظمة حتى اذا صغرت أرضنا وصار حجمها حجم الجواهر الفرد بلغ حجم الكون الذي يرى بالتلسكوب حجم الأرض ، وبلغ حجم الكون كله على ما يقضى به مذهب (اينشتين) ألف مليون أرض منتشرة حولها في الفضاء ، فما أصغر أرضنا إزاء هذا الكون العظيم ، وما أحقر أمورنا ومنازعاتنا إزاء القوى التي تدبره وتحركه

أدرك القدماء أن في القبة الفلكية أجراماً غير الشمس والقمر والنجوم لأن الذين راقبوا السماء منهم في ليل صافية شاهدوا قرب كوكبة الجبار وكوكبة المرأة المسلسلة تلك الغيوم المنيرة التي ندعوها بالسدم الآن . وقد أشار إليها أبو الحسن الصوفي أكبر علماء الفلك عند العرب فقال انه رأى سديم المرأة المسلسلة وسماه (لطخة سحابة) وأشار إليه والي غيره مما يماثله بكلمة اللطخة أو السحابة ، على أن هذه الأجرام بقيت أسراراً مغلقة على الفهم البشري حتى كشف التلسكوب فآزاح اللثام عن حقيقتها ، فلما استنبط (غلييلو) تلسكوبه الكاسر وجهه الى أنحاء المجرة التي تظهر فيها السدم أو اللطخ السحابية ثبت له انها في الحقيقة مجاميع من النجوم تظهر قريبة بعضها من بعض لبعدها فتعذر رؤيتها نجماً نجماً . وفي آخر القرن السابع عشر استنبط (المراسحق نيوتن) التلسكوب العاكس وعكف العلماء على اقتنائه ، فلما اقتضت مائة وخمسون سنة على استنباطه صنعت تلسكوبات كبيرة واستعمل اللورد (رس) أحدها في البحث عن حقيقة السدم فوجد أن السديم الذي في كوكبة السلاقيين يظهر لدى رؤيته بتلسكوب قوى مجموعة من الكواكب منتظمة في شكل حلزوني ومن ثم صار البحث عن السدم الجديدة والاقطاع لدرس أشكالها وبنائها من أكبر أعمال الفلكيين شأنًا وأعلىها بألبابهم وقد كشفت حتى الآن مئات من السدم اللولبية وغيرها ، وما كاد العلماء يكشفون هذا القدر منها حتى أخذوا يتكهنون في حقيقتها وذهبوا في ذلك مذاهب شتى . هل هي مجاميع من النجوم تظهر لطخاً سحابية لبعدها وانما اذا نظر اليها بتلسكوب قوى حللها الى أجزائها؟ أم هي غيوم منيرة بنور النجوم القريبة منها . أم هي غاز ملتب منتشر في الفضاء ؟

في الجواب عن هذه الأسئلة أثبت (السرولم هجنس) ان من السدم ما هو مجموع نجوم ترى نجوماً . لبعدها الشاسع ، ومنها ما هو في الحقيقة لطخ سحابة من الغاز اللتب لأن خطوطها الطيفية تماثل خطوط غاز بلغ من الحد درجة أخذ يبعث عندها بمقادير القوة التي يتميز بها عن غيره من الغازات . ومن هذا القبيل سديم الجبار الكبير وغيره من السدم المنتشرة في الفضاء ، فاذا بلغت الغازات التي تتألف منها هذه السدم درجة كبيرة من الحد أطلقت تلك الأشعة التي لا تشعها الجواهر إلا حين انحلالها ، وقد أثبت علماء الحلّ الطيفي أن في هذه السدم عناصر الهيدروجين والهيليوم وأحياناً النروجين والكريون وأن فيها عناصر لم يجدوا له مثيلاً في عناصر الأرض فأطلقوا عليه اسم (نيوليوم) أي السديمي . وليست كل السدم على درجة من الحرارة تحملها على ارسال أشعتها الى الفضاء فبعضها مضىء بالتورلنكس عنه الصادر من الكواكب المجاورة له في الفضاء ، وبعضها بارد يمتص نور الكواكب التي يصل اليه فتراه لطخاً مظلمة في سدم الكون . ومن هذا النوع سديم

مظلم في جهة السليب الجنوبي يدعى بالغة الانكليزية تغير العلمية (كيس القسم) وقد سبق الاستاذ (برنر)
 الاميريكي حياته على درس هذا النوع من السدم فذكر (١٨٠) سديا منها تبين من الطلوع الصغيرة الواضحة
 الحدود الى اليوم السديية التي تشاهد قرب كوكبة الحزاة ، فالأجرام الباردة التي تعرف بالسدم تقسم الى
 (قسمين • أولي) غيوم من الغاز الملتب (والثاني) السدم اللولية وما اليها وهي في الغالب مجاميع من
 النجوم تظهر لظنا بعدد . وكان الرأي أولا أن هذه السدم اللولية مجاميع صغيرة من النجوم محيطا بنمسا
 من كل الجهات ولكن لما أختت آلات الرصد والتصوير والحل الطيق ثبت للعلماء انها لا تقاس بنظام الشمس
 لسبب بل كل منها كون مستقل كالمجرة التي تحيط بنا ، وثبت أيضا أن في الفضل أوقا من السدم اللولية كل
 منها سعة سعة مجرتنا ، ولا يقل أن تكون ضمنها لمالك قيل ان كلا منها كون مستقل بنفسه خارج مجرتنا
 وأطلق عليها علماء الفلك من الأميركيين اسم (الأكران الجزرية) ولما كانت لفظة (كون) تطلق عادة على
 كل ما أبعد مبدع السموات والأرض فاستعملها في الاسكيزية والعربية يخرج بنهن القراء عن منظورها
 الأصلي ولكن لمصطلح عليها علماء الافرنج جار بناهم في ذلك ، فالسدم من هذه الجهة تقسم الى (قسمين)
 أيضا (الأول) السدم التي داخل مجرتنا (والثاني) السدم التي خارجها

لا يخفى أن مجرتنا مجموعة عظيمة من النجوم والسدم الغازية وهي تشمل على كل الكواكب التي ترى
 بالعين المجردة وأكوف من الكواكب التي ترى بالتلسكوب وملايين أخرى لا ترى إلا بالآلة الفوتوغرافية فانها
 بعدد لا تترك أثرا في اللوح الفوتوغرافي الحساس إلا بعد ما يتعرض لنورها الضليل القادم من أطراف الفضاء
 ساعات متوالية . والثابت من رصد المجرة بكل وسائل الرصد المعروفة انها قرص عدي الشكل طول قطره
 نحو مائة ألف سنة نورية وسك (٢٠) ألف سنة نورية وأن ظلالنا الشمسي وسطحنا قريبا وفي هذا القرص
 نحو ٣٠ ألف مليون نجمة منتشرة في فضاءه على أبعاد كبيرة ، ولما كانت هذه النجوم لا يبعد أحدنا عن
 الآخر بهذا واحدا فان بعضها يرى مجتمعا كتلا كتلا في أنحاء مختلفة وهذه بعدد تظهر كالطبخ السحابة كما
 ترى في كوكبي كراي وهرقل ، وفي المجرة أيضا سدم غازية بعضها منبر وبعضها مظلم على ما مر

نعود الآن الى السدم التي خارج المجرة وهي تلك الفيوم الغازية المنتشرة في الفضاء خارج المجرة كانتشار
 الجزائر في بحر مرمي الأطراف ، وأشهر العلماء الذين عنوا بدراسة هذه السدم هو الاستاذ (هبل) من علماء
 مرصد (جبل ولسن) الاميريكي فقد أشار له في رسالة حديثة له نشرها في (مجلة الاستروفزكس) (علم الفلك
 الطبيعي) الى نتيجة بحثه في أربماة سديم منها فقال ان منها سدا غير منتظمة الشكل أي ليس لها شكل
 قياسي خاص وأشهرها ما يعرف بسديم مجلان ترى من نصف الكرة الجنوبي ويعسبها رائبها جزأ من درب
 التبان ولكنها في الواقع بعيدة عنه بعدا شاسعا ولكن السدم التي لها شكل خاص أكثر من السدم غير
 المنتظمة الشكل وأكثرها اما اهليلجي الشكل أولويه ، ونور السدم الاهليلجية الذي حلل بالبكتروسكوب
 يثبت انها تماثل مجرتنا الى حد بعيد مما لا يترك مجالاً للشك في انها مجموعة نجوم كمجرتنا ويتعلق تصوير هذه
 النجوم واحدة واحدة بعدد الشاسع ، والمتمثل أن نجومها في طور التكون من الغاز الحامي الى حد الاندما
 وأن الغاز الذي لا بدخل في تكوينها يشاهد كبرقع الحساء ، وبعض السدم في دور الاقتال من الشكل
 الاهليلجي الى الشكل اللولي والبعض الآخر لولبي لا غش فيه تظهر فيه الأذرع المعكوفة التي تظهر عادة في
 السدم اللولية كما ترى في الصفحة المقابلة في سديم السلاق . وقد قيس أبعاد هذه السدم فثبت أن السديم
 الكبير في كوكبة المرأة المسلسلة يبعد عنا نحو ٩٠٠ ألف سنة نورية وأن السديم اللولي الذي في كوكبة المثلث
 يبعد البعد نفسه قريبا ، ويظهر أن أوقا من السدم اللولية الضخمة بعدد عنا أضعاف ذلك ، وقيل بعد الاستاذان
 (هبل) و(شيل) أن في جهة كوكبي شربريكي والنسبة سدا لا يقل بعدد عن مائة مليون من سني الثور

وقد استعمل السيكرسكوب لمعرفة سرعة حركة هذه السدم في الفضاء فظهر أن سديم المرأة المسلسلة سائر نحو
مجرتنا بسرعة (٣٠٠) كيلومتر في الثانية ، ولكن أكثر السدم اللولبية تبتمد عنا بسرعة (٩٠٠) كيلومترا في
الساعة . والطرق التي ابتكرها الباحثون لمعرفة جرم سديم من هذه السدم يتغير بسطها هنا لصعوبتها
ولكن يؤخذ من تطبيقها أن جرم السديم في كوكبة المرأة المسلسلة يساوي جرم شمسنا ألفي مليون ضعف
وأن هذا السديم يستغرق (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة مع أن أرضنا تدور على نفسها مرة كل
٢٤ ساعة . مهما أمعنا ببصرنا وآلاتنا في الفضاء فالتأمل أن نصل الى نهايته لا في الزمان ولا في المكان
وهذه الملايين التي تشع في الفضاء تدهش العقل وتحير القلب ، على أننا نشعر بطمأنينة حين ننظر الى ما كشفه
العلماء عنها فنقول مع بسكال (أنا صغار ، بل من أصغر الكائنات وأعظمها ولكننا نعرف أننا صغار وفي
ذلك سر عظمتنا) انتهى يوم الخميس ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩

(تذكرة)

قد اطلع بعض العلماء على الصور السماوية الست المتقدمة وهي الدب الأكبر والدب الأصغر وذات الكرسي
وأماها فقال أنك قد كتبت هذه المقالة من كتاب أستاذك بدار العلوم منذ (٤٠) سنة . فقلت نعم . فقال
إذن أنت تكتب لنفسك وكأنك نسيت أنك تكتب في تفسير القرآن والتفسير لمجموع الأمة لا للعلماء . فقلت
كيف ذلك . فقال اني لم أفهم حرفا واحدا من هذه المقالة المنقولة وغير ذلك أن تسير على طريقك فكتبت
بهية تلخيص ، فهذا وحده يفهم أكثر الناس ، أما هذا فلن يفهمه إلا قليل . فقلت له انني قد لاحظت في
هذا انه مسائل علمية والعلوم لابد من المحافظة على أوضاعها ، ثم ان الأمر سهل جدا . فقال وكيف ذلك .
قلت له ألم تطلع في (سورة النور) على رسم القارات مع حيواناتها . قال بلى . قلت فهل فهمته . قال نعم
وهو جميل . قلت فهنا كذلك ، فهذه الصور الست التي رأيتهما ما هي إلا أماكن من السماء فيها صور النجوم
قد رسمت ليطلع عليها الناس (وبعبارة أخرى) يقف الانسان ليلا في الحلاء وفي الصحارى القفار أو الحقول
فيري نفس هذه الصور بيننا بل هي أسهل من القارات الأرضية المتقدمة في (سورة النور) لأن القارة لا يراها
الانسان كلها مرة واحدة بعينه في الطبيعة بخلاف هذه الصور فانك تراها جيلة واضحة . فقال زدني زدني .
فقلت أنا ولست في بلاد الشرقية من البلاد المصرية وعشت في أول حياتي مع الفلاحين وكنت أسمعهم يقولون
يا فلان انظر (وند النجم) أى النجمة القطبية . ان وند النجم لا يتحرك والنجوم كلها تتحرك حوله . وكنت
أسمعهم يقولون (بنات نعش) يريدون بذلك الدب الأكبر المرسوم في الصور الست المتقدمة يريدون بذلك أن
النجوم المرموز لها بحرف (ا ب ج د) هي هية النش والنجوم المرموز لها بحروف (ه و ز) هي هية بناته
يكيين وراء النش ، فالمجموعة المسماة بنات نعش هي نفسها الدب الأكبر فالنجوم الأربعة هي الدب والثلاث
التي سميها بنات هي ذنبه ، فتأمل الشكل وقل لي هل فهمت ؟ قال نعم فهمت ولكني لا أعرفه في نفس
الطبيعة . فقلت قف ليلا في العراء كما قلت لك في ليلة حالكة السواد وارض بصرك الى الجهة الشمالية وتأمل
فانك تجد الدب الأكبر المرسوم هنا أمامك في السماء مرتقا فوق الأفق نحو ٣٠ درجة سماوية . فقال وما معنى
هذا . قلت معناه انه يبعد عن الأفق ثلث المسافة التي بينه وبين كبد السماء ، ذلك لأن المسافة ما بين القطب
الشمالي والقطب الجنوبي يجعلونها (١٨٠) جزءا كل جزء درجة ، ومن الأفق الى كبد السماء في سمت الرأس
(٩٠) درجة ، فاذن هذه الصورة في (٣٠) درجة أى ثلث المسافة بين الأفق وسمت الرأس . قال فهمت الآن
ثم ماذا فقلت فهذا الدب ذو النجوم السبعة لا يقبأ أبدا فهو يدور كل أربع وعشرين ساعة دورة حول نجمة
القطب التي تراها عندك في الدب الأصغر أى التي هو يمسك الدب الأكبر في نفس الصورة المتقدمة . قال أنا
الآن فهمت وسأظهرها الليلة في السماء ، ثم جاء في اليوم الثاني وقال لقد نظرت في السماء فوقع نظري على

هذه الصورة ففهمتها حالا بدون نصب بل وجدت الفلاسفة يقولون في هذا وقد النجوم وأخبارها إليه إذا هو
 نفس النجمة القطبية التي في البلب الأصفر ورأيت البلب الأكبر يدور حولها وهي لا تتحرك . فقلت هذا هو
 السبب الذي جعلني أرسم هذه النجوم هنا ، فذلك لعلني أن مبادئ هذه الصور معروفة عند الفلاسفة وأهل
 القري ، وحتى كان القطب معروفا سهل معرفة بقية الصور لمن أراد . ألا ترى أن ذات الكرسي تبعث عن
 النجمة القطبية بمسافة تساوي المسافة التي بين النجمة القطبية وبين البلب الأكبر . قال بل يورق وأنا فاحدتها
 في السماء كذلك فكما أن البلب الأكبر على حال نجمة القطب هكذا ذات الكرسي على محله في هذا الوضع
 والمسافة متساوية والنظر للسماء ليلا يعرف هذا بنظره بدون آلة ولا معتم ثم قال أما أنا الآن فقد فهمت هذه
 الثلاثة في نفسي وفي التصديق نفس السماء . فقلت له إن بعض العلماء في عصرنا يقولون إن هذه النجمة
 القطبية تبعث عنا (٥٠) أضعاف نورية وذلك إلم تعلمنا فلا تدرى هذه المسافة عظمت وزادت بزيادة الكشف
 في عصرنا أم لا ؟ فالتفت في هذه الصور نظري عظيمة الله عز وجل وهذا هو المقصود من هذا كله لأنه إذا كان
 القرآن لا يفهم سره إلا بعد فهم لفظه فهكذا هذه النجوم لا تعرف مجازاتها إلا بعد معرفة مواضعها وأسمائها .
 فقال صدقت والله . فقلت له إذن أنت عرفت ثلاث صور من الصور السماوية في السماء . قال نعم عرفتها .
 فقلت الأمر في البقية سهل لأن هذه جعلت مبدأ منه يمكن معرفة الباقي ، ألا ترى أن الشكل الذي بعد الشكل
 الأول من الأشكال الست وهو (شكل ٤٧) قد عرفنا فيه القوس الأعظم وهو أربع نجوم كهيئة الأربعة التي
 في البلب الأكبر ووراءها ثلاث متصلات بها تشبه الثلاث التي في البلب الأكبر ، إذن هذه السبع كواكب الأكبر
 وقد عرفناه بأمر سهل بسيط وهو أن الخط الذي امتد من البلب الأكبر إلى ذات الكرسي زدناه مداً فوصل إلى
 القوس الأعظم والذي معه هو المرأة للسلسلة وبرشاوش ، فهنا تبين لنا صور البلب الأكبر والأصغر والنجمة
 القطبية وذات الكرسي والقوس الأعظم والمرأة للسلسلة ونجمة النور . فهذه صور عرفناها الآن واضحة في
 نفس السماء وفي (شكل ٤١ و ٤٢) أفلا يكفيك هذا الإيضاح ؟ قال كفايتي ولكن لا يفهمه غيري إلا إذا نظر
 نفس السماء وصبر على الفهم . فقلت وهل الفهم إلا بالصر ، وهل السماء ليس لها حواس ، إن الله متكبر
 ومتعال وهو الذي جعل السماء سقفا محفوظا ومن حفظ هذا السقف أن لا يهتلك إلا الذي تأهل له ، هذه سماعة
 وملاك عظيم وهل الملك العظيم يعطي مجانا والله يقول - وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون -
 فالأمراض عن الآيات السماوية يمنع فهمها والاقبال عليها مفتاح فهمها والله عز وجل رحم بخلقهم ولكنه
 حكيم والحكيم لا يعطى إلا المستحق . فقال الحمد لله قد فهمت هذا المقال حق فهمه . فقلت الحمد لله العليلين
 ثم جاء صاحب بصدده بأيام فقال قد شغلني هذه الصور وقد فقهتها جيدا وأريد اليوم أن تبين كيف
 نعرف الجوزاء والأسد والسنبلة المشروحات في الرسم . أريد منك بيانا مختصرا بحيث أحفظه نهرا وأقبله
 ليلا ومتى عرفت ذلك هان علي معرفة البقية . فقلت أحفظ هذه الحروف الأربعة د ج
 من مريم البلب الأكبر الذي أمامك قال حفظتها . قلت الأمر سهل فابتدئ بالنظر .
 (د ب) من جهة (ب) وسرى خط مستقيم فانك تقابل الجوزاء . فقال نعم . قلت ا ب
 والجوزاء واضحة في الرسم أمامك فانظرها ففهمتها واضحة ورسمت شكلا وهي (٦) منها رأس الثور المقدم
 ورأس الثور للوخر . قال نعم . قلت ثم مد الخط (ا ب) من جهة (ب) أي من جهة تقابل جهة القطب
 وسرى السماء ببصرك فانك تقابل صورة الأسد وهي أمامك في الرسم وفيها كوكب قلب الأسد وترى فيها ما
 يشبه المثلث وما يشبه خطا مستقيما أسفله منعنيا أهلها وبينهما خط وهمي . قال نعم قد فهمت ذلك . قلت ثم
 يبين إلا أن توهم امتداد القطر (ا ج) من جهة (ج) أي من الجهة المقابلة لنصف الكرة تقريبا فانك
 تقابل السنبلة فانظرها هنا في الشكل ثم انظرها ليلا في السماء ففهمتها مستطيل من أهلها بقرب الأسد وبعثت

ثلاث بجانبه شكل شبه منحرف يحيط به ست نجيمات . فهذه الأشكال الثلاثة هي السنبلة . إذن الجوزاء
والأسد والسنبلة التي هي ثلاث بروج من اثني عشر برجاً قد عرفناها بامتداد القطر (د ب) وبامتداد الخط
(أ ب) وبامتداد القطر (أ ج) وهي كلها أملاك في هذا الشكل وبهذا عرفت إحدى عشرة صورة من الصور
الساوية وهي الب الأكبر والب الأصغر والنجمة القطبية فيه وذات الكرسي والفرس الأعظم والمرأة المسلسلة
وبرشاوش والذئب والجوزاء والأسد والسنبلة ومن الجوزاء نجمان أيضاً فنكون عرفنا (١٣) صورة . وإذا
لاحظنا أن الحمل والثور المرسومين في الصور الأخرى هما يتقلمان الجوزاء ظهر لنا أننا عرفنا مواضع الحمل
والثور والجوزاء والأسد والسنبلة . ولا شك أن السرطان بعد الجوزاء إذن نكون عرفنا (٦) بروج أه

(بهجة العلم)

سيأتي ان شاء الله تعالى في (سورة ياسين) عند قوله تعالى - وآية لم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم
مظلون - هجائب تدحش العقول فوق ما ذكرناه فان بعض العلماء يتوقع أنهم سيرون نجوما تبعد عنا (١٠٠)
ألف مليون سنة ، ويقولون انهم شاهدوا نورا وصل الى الأرض دلم على أن هناك شموسا أضواؤها لا حارة
فيها بخلاف شمسنا ونارنا لحرارتها متعددة بنسبتها كما ان قواها الضخمية متعددة بأنوار عقولنا تنسلخها عن كمال
صفاتها كما ان الحرارة الصباحية لأضواء الكواكب لولاها لكانت أضواء تلك الكواكب أضغافا مضاعفة ،
وقالوا أيضا ان هناك شموسا لو وضع منها مقدار حجم الحصة على بعد ألف ميل من جسم انسان شوهه
وأحرقت . فهذه الهجائب للدهشة في زماننا سيرتقي بها أناس ويسعدون بأدراكها ويهبون والهب أول
منازل المعرفة والمجد لله رب العالمين

(إضاح مسألة النور والحرارة)

عجبت لأمر هذه العوالم التي نعيش فيها . أرى الموت والحياة معا في الماء وفي الهواء وفي الحرارة . أقف
على شاطئ البحر فأشرب منه فأحيا ولكني أرى الموت قلب قوسين متى اذا أما دنوت منه ففرقت فللماء موت
وحياة هكذا الهواء فهو حياة وموت ، حياة باستنشاقه صافيا ، وموت باستنشاقه بما خالطه من الفترات الحيوية
القائلة ، والحرارة بها حياة كل مخلوق وبها اذا اشتدت الموت . ومن العجب أن الانسان يعيش ويموت وهو
في أضواء من الكواكب الساوية والنيران الأرضية وهو لا يكاد يفرق بين الحرارة والضوء لانهما متلازمان ،
نوقد الفحم فنحس بحرارة ولكن لا نرى الضوء إلا بعد اشتدادها ، ونرى ضوء الشمس يأتي البنا مصحوبا
بحرارة فلا ندرى أحما أمران متلازمان الى الأبد ؟ أم هما يفرقان ، ولكن انظر الى العقول الانسانية اليوم
والهيب من هذا العقل الانساني الذي يريد أن يخرج بالانسان الى عالم أرقى من عالمنا وذلك الخروج لا يكون
إلا بنوره ، ذلك النور الذي هو أرقى من الأنوار الحسية وهو الذي سنخلص بمساعدته من هذه العوالم التي جعت
بين الموت والحياة معا في موادها ، لم يفرق الماء والهواء والحرارة بين الموت والحياة بل تراها جميعا معجزة
للأسمين ممتدة للعالمين ولكن العقل بنوره يهدينا الله للخروج من مأزق هذه العوالم المتحطة الى عالم يكون
أرقى منها فيه السوام والخلود وهو العالم الذي يتعالى عن المادة ، فهذا العقل العام هو الذي أملى على عالم أمريكا
أمورا ينتظر تحقيقها في المستقبل فقال : « ومن المستنبطات المنتظر تحقيقها قريبا النور البارد » . وأبان أن السلك
المعدني اذا أحمى بالكهرباء في الصباح الكهر باي حتى أضاء فان الضوء لا يبلغ فوق (٤) في المائة من القوة
الكهربائية التي يبدلها الناس في هذا المصباح ، وأما الباقي وهو (٩٦) في المائة من تلك القوة الكهربائية
فانه يصير حرارة . ويقول انه اذا تمكن أحد من تحويل الحرارة الى نور رأى (نور بارد) فان النور إذا ذاك
يكون أرقى من هذا النور المستعمل الآن عشرين ضعفا وذلك بالاكتفاء بأربعة في المائة من الحرارة والباقي
وهو (٩٦) في المائة يصير نورا (وعبارة ٣٠ من المختطف ولعلها ٢٤)

هذا ما يقوله ذلك العالم الأمريكي . أقول وبينما هذا العالم يقول ذلك إذا بطلنا الفلك يقولون ﴿ يا أيها الطبيعي ان ما فكرت فيه قد فصله الله قبل خلق الأرض فانه خلق الشمس الباردة فضوؤها لاحتارة معه وخلق الشمس الجهنمية ﴾ اللهم ان العلم أرق ما في هذا الوجود والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الاثنين ١٨ فبراير سنة ١٩٢٩

(لطيفة في قوله تعالى أيضا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا -)

(عجائب التقويم)

اعلم ان الله كرر ذكر الكواكب والبروج والشمس والقمر في القرآن لأمر عظيم جدا . ان الله خلقنا من طين لازب أى لاصق ومن كان من الطين ان لم يجهن بما يرضه الى العلا فانه لا يفرق الطين . جعل الله أضواء الشمس والكواكب سببا لحياتنا فلو لا الحرارة مأسر سمعنا ولا ارتفع بخار من البحار فالحرارة رافعة له والرياح الجريات بالسحاب ما أثارها إلا الحرارة . إذن الحرارة أصل حياتنا وهكذا الضوء فلو لا الضوء لم نعرف الطرق ولا الأعمال ولا الأيام والشهور والسنين ، وبالضوء ظهرت خضرة النبات ونما ، ولو لا ضوء الشمس والكواكب لم تكن حياة على الأرض ولم يكن نظام لها فالحياة والهداية في المعاش كسبر السفن في البحار والقطرات في اليابسة . كل ذلك مبني على سير الكواكب في السماء فالحرارة بها الحياة والضوء به الهداية وانتظام الحركات به الحساب الذي به تمام النظام . ليس هذا عجبيا ؟ نعيش في الأرض وأصول الحياة من السماء والناس غافلون . وقد شاهدنا هذه العوالم المثبتة فوق الأرض منتظمة ولم نزال يد التي نظمت ، أحسنا بالحرارة وشاهدنا الأضواء ولكن جهلنا تلك النظم التي شاهدناها في الحيوان والنبات . فإذا رأينا الحرارة والضوء من عالم السموات فهكذا لتكن تلك المنظمتان فوسا ليست من عالم الأرض ، فالضوء والحرارة اللذان بهما الحياة من هناك وهما محسوسان فبالأولى والأولى أن تكون النفوس التي صورت تلك الصور الملازمة للتمتع بما يرى وهذا قوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون -

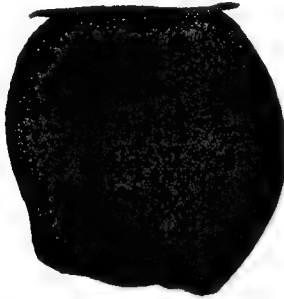
يا الله ، أنت حكمت علينا بالحسب في هذه الأرض مدة فنحن هنا يارب مسجونون ومن عادة المسجون أن يؤتى له بالرزق داخل السجن ويوعد بأنه عند تمام مدته يخرج الى أهله هكذا نحن الآن في الأرض سجننا وحكمت علينا أن لا نتال مطعمنا وملبسنا إلا بالعمل داخل سجننا ولكنك أرسلت لنا ضوءا من المشرقات وجعلت نظامنا متوقفا عليها . تقلبنا في الأرض لطلب المعاش وهذا الطلب لا تمام له ولا نظام إلا بحساب سير الكواكب والشمس فلمشرقات فضل الحياة وفضل النظام ، ولقد سخرت منا جماعة يحسبون سير تلك الكواكب لأجل النظام عندنا فالأفراد يهتدون في الطرق بالأضواء والأمم تعين جماعة لحساب سير تلك الكواكب . كل ذلك فعلته لتضطرنا الى البحث والنظر فنولى وجهنا جهة السماء ونسمع الأنبياء والحكماء يقولون ان هناك عالما آخر توجه اليه اذا متنا وما هذا العالم إلا ما هو فوق أرضنا ، فعل الله ذلك ليشوقنا الى عوالم الجنات في السموات ، واذا كانت العوالم العلوية قد سببت حياتنا ونحن معجبون من التراب لاصقون بالأرض فكيف تكون حالنا اذا توجهنا بأرواحنا من الأرض الى السموات ولم يبق هناك مانع يمنعنا من الرحلة مباشرة فهناك يكون ملاعين رأيت ولا أذن سمعت

هذا ولقد ذكرت حساب السنين القمرية والشمسية في (سورة الكهف) وآخِر (آل عمران) وأز يدعى

ذلك بيانا يشرح الصدر فأقول

إن المصريين كانوا أمة زراعية فكان تقويمها تابعا للشمس ، أما اليهود والأمة العربية الذين لم يكن جل اعتمادهم على الزراعة فانهم قد اكتفوا بالأشهر القمرية . ولما جاء (بوليوس قيصر) الى مصر ووجد تقويمها مرتبكا أمر الفلكي المصري (سوسيجنس) - فوضع تقويما فتر فيه السنة (٣٦٥) يوما وربع يوم

وجعل الأشهر ١٢ مختلفات بين ثلاثين و ٣١ يوما لإفراير فاته (٢٨) ثلاث سنوات و ٢٩ في السنة الرابعة وسارت أوروبا وبلاد الشرق الأدنى على ذلك حتى سنة ١٥٨٢ ذلك أن البابا (غريغورس) الثالث عشر رأى أن حساب (سوسيجنس) جعل السنة أطول من حقيقتها (١١) دقيقة و (١٤) ثانية وعلى ذلك أمر بأن ينقص من كل (٤٠٠) سنة ثلاثة أيام وجرى على هذا التقويم الغربيون ، أما القبط في مصر الذين يتبعون الكنيسة الشرقية فانهم لا يزالون يحفلون بعيد الميلاد (٧) يناير والكنائس الغربية تجعله (٢٥) ديسمبر ذلك لأن الغربيين عرفوا الخطأ فأصلحوه . أوليس من العجب أن المكسيكيين القدماء كانوا يعتمدون على الزراعة وتقويمهم يشبه التقويم الحديث وهذا صورته (شكل ٤٧)



(شكل ٤٧ - تقويم أمريكي وجد في مكسيكا)

وانما ذكرت لك هذا هنا لأريك جلال الله الذي ظهر في هذه الأرض ، فانظر هذا الرسم من مكسيكا وانظر ما تقدم في (سورة يونس) من صور البروج الرسومة في (دفنره) والأخرى الرسومة على صندوق (حتر) ذلك (أولا) لأرى ظني للعلم وعظماؤك لأني كنت أحب أن أطلع على آثار الأمم القديمة في هذه العالوم (وثانيا) لتعلم مع عنابة الله بالأمم واتصاها جميعا الى عوالم السموات كأنه يقول لهم ارفعوا وجوهكم الى السماء فافروها الآن لأنكم ستسافرون اليها بعد الموت - وما كنا عن الخلق غافلين - وفي السماء رزقكم وما وعدون - (وثالثا) ليكون هذا التفسير معروضا علميا تعرض فيه بهجة علوم الشرق والغرب فيشوق الناس للعلم والحكمة أو كسوق الصور الذي يلبس كل من الناس ماشاء من الصور العلمية فيه فيبرق عقله وترقى أمته ، فهذا قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا * وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - فهذا تذكر ومبدأ شكر لأنه لا شكر إلا اذا علم الشاكر بالمشكور عليه فأقول الشكر العلم بنعمة المشكور وقد علمت مع أيها الذكر كيف قوم الله السنين وعلمها لأهل الأرض قاطبة وشوقهم الى الرقي الى عالم أعلى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . انتهى الكلام على المقصد الثاني من السورة

(المَقْصِدُ الثَّالِثُ)

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَشَوَّنُ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا *
وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ

هَذَانِهَا كَانَ غُرَابًا • إِنَّمَا سَأَلْتُ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا • وَالَّذِينَ إِذَا أَفْقَحُوا لَمْ يُفْرِقُوا وَلَمْ
يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَهُمْ ذَلِكَ قُرَابًا • وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا • يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخْلَدْ فِيهَا نَارًا • إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا سَابِقًا فَأُولَئِكَ يَنْتَظِرُ اللَّهُ
سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا • وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ سَابِقًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا • وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِالْغَوْرِ مَرُّوا كِرَامًا • وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا • وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا
وَدُرَّتَانًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لُذُنَيْنِ إِسَامًا • أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ
فِيهَا نَحْمَةً وَسَلَامًا • خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا • قُلْ مَا يَتَّبِعُونَكُمْ رَبِّي لَوْلَا
دُعَاؤُكُمْ لَفَعَدَّ كَذِبُكُمْ فَسُوفَ يَكُونُ زُلُمًا •

بعد ما ذكر الله عز وجل حسن منه وجمال ابداهه بالماء للبارك النازل من السماء وابداهه في البحر
الملح والنهر الخلو ، وكيف يكونان مجاورين ولا يطفى أحدهما على الآخر ، وكيف تكون من الماء والنبات
والانسان والحيوان وكان من النبات والنبون ، وكيف ابداع في نظام كواكبه وشمس وقمره ، وكيف نظم
طرقها وأبداع منازلها ، بعد ما ذكر ذلك كله أخذ سبحانه يصف عباده الذين هم أهل القرب من مبدع هذه
الجهاب ليبين العباد بعد العلماء وليظهر مقام العبادة بعد مقام الحكمة وأن الأولى تابعة للثانية والثانية
مقتمة على الأولى وليفيد المسلمين أن العلم مقدم على العمل فذكر صفات عباد الرحمن ، انهم في النهار يصفون
بوصفين وهما

- (١) انهم يمشون بسكينة ووقار على الأرض
- (٢) ويضعون عن السفهاء فلا يقابلونهم بصيح الكلام ويتاركونهم ، وهم في الليل يهويون بالعبادة
ساجدين قائمين في الصلاة
- (٣) ويدعون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم
- (٤) ويكونون كرماء لائقين ولا مسرفين
- (٥) ويوحسون الله
- (٦) ولا يقتلون النفس إلا بالحق
- (٧) ولا يزنون
- (٨) وينفرون من مجالس الكذابين ومهاضر الخطائين تترها عن مخالطة الأشرار
- (٩) وإذا مروا بأهل الفجور والمشتغلين به كرموا أنفسهم عن التلوث به أي إذا سمعوا الفجور أعرضوا عنه
- (١٠) وإذا وقفوا بالقرآن أودعوا بهجاء الله كانوا متقبلين عليها وسجدوا وبكيا لانهم يحسون
صا ومحيانا لا عراضهم

(١١) ولهم يدعون الله أن يرهم زوجاتهم وأبنائهم مطيعين لله ليكونوا معهم في الجنة
 (١٢) ويكون من دعائهم أن يقولوا ربنا اجعلنا متبوعين في الدين أئمة يقتدى المتقون بنا في الخير
 فغفولاء المؤمنون المتصفون بهذه الصفات الاثني عشرة (١) يحزرون الفرات وهي العلال في الجنة بسبب
 صبرهم (٢) ويدعى لهم بالتصبر وهي التحية (٣) ويدعى لهم بالسلاة ، فالتحية للبقاء والسلامة
 (٤) ويصلون فيها . هذا هو جزاؤهم . غرقات عالية وتعمير وأمان ودوام والشارة بذلك من الملائكة .
 ولما بين العلم والعمل ختم السورة بأن الله لا يعتد بهذا الانسان ولا يعابى به لولا عبادته إذ لا شرف له ولا كرامة
 إلا بالعبادة والأخلاق والأفلاخ بينه وبين الحيوان ، وإذ أنزلت عليكم القرآن فكذبتم وخالفتم
 وقصرتم في العبادة والعلم فسوف يكون جزاء التكذيب لازما وقد تم ذلك بخذلان كفرمكة في يوم برفق
 غيره . هذا هو ملخص المقصد الثالث من السورة

(إضاح لبعض الكلمات)

قوله (هولاً) هيناً أومشياً هيناً وهو مصدر وصف به أى أنهم يمضون في سكينه وتواضع (قائلاً سلاماً)
 أى تسليماً منكم ومشاركة لكم لآخر بيتنا وبينكم ولاشراً أو قالوا سلاماً من القول يسلمون فيه من الأذى والإثم
 (والذين ييتون لهم سجداً قياماً) لأن العبادة بالليل أجمع للفكر وأبعد من الراء أى ييتون في الليل
 بالصلاة سجداً على وجوههم وقياماً على أقدامهم ، وقوله (إن عذابها كان غراماً) لازماً ومنه الغريم فلازمت
 فهم مع حسن محافظتهم مع الخلق واجتهادهم في العبادة وجلون من العذاب ميتلون إلى الله في صرفه عنهم
 (إنها ساءت مستقراً ومقاماً) أى بئس وأفعالها ضمير مبهم يفسره المبرز (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم
 يقتروا) وهذا هو ضد الكرم عند الحكماء (قواماً) وسطاً وعدلاً (حرم الله) أى حرم قتلها (يلق أئاماً)
 أى جزاء الإثم وقوله (يضاعف له العذاب) بدل من يلقي (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) بأن يحو
 سابق معاصيهم بالثوبة ويثبت مكانها لواحق طاعتهم وهكذا يبدل ملكة العصبية بملكة الطاعة (ومن تاب
 وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً) أى ومن تاب عن المعاصي بالترك والتدم ودخل في الطاعة فإنه يرجع
 إلى الله متاباً مرضياً عند الله بمحو العقاب محصلاً للثواب أو مرجعاً حسناً وقوله (والذين لا يشهدون الزور)
 لا يقيمون الشهادة الباطلة أو لا يحضرون محاضر الكذب فإن مشاهدة الباطل شركة فيه (وإذا مروا باللغو)
 أى ما يجب أن يلقى ويترج (مروا كراماً) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه (لم يخروا عليها
 صاعاً وعيماناً) لم يقيموا عليها غير داعين لها ولا متبصرين بمخافها (الفرقة) أعلى موضع الجنة وهي اسم جنس
 أريد به الجمع أى الفرات (بما صبروا) أى بصبرهم على المشاق من مضى الطاعات ورفض الشهوات
 وتعمل المجاهدات (ويلقون فيها نعمة وسلاماً) أى يحميم الملائكة ويسلمون عليهم ، أو يلقون نعمة دائماً
 وسلامة من كل آفة (ما يصبروا بك ربي) ما يصنع بك من عبادة الجيش إذا هيأته أولاً يستد بك (ولادعواكم)
 لولا عبادتكم والعبادة يتقدمها العلم . انتهى تفسير بعض ألفاظ المقصد الثالث من السورة

(جوهره في جلال القرآن في قوله تعالى - والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صاعاً وعيماناً -)
 لهذه على نعمة الحكمة والعلم والشكر له على جلال النور والفهم ، سبحانه اللهم أهنت على هذا
 التفسير وأحسنت بالأهلام والتبشير وجعلت أسلوبه سهلاً يتناول أكثره المتوسطون وبعضه لا يصلح إلا للملوك
 جعلته شارحاً لأياتك سهلاً فهم كتابك مذكراً لأنفسكم ناظماً جواهرها في عقده فذكر به اللهم قلوباً
 واشرح به صدوراً ويسر به أموراً واستخرج به رجلاً يفتلون آياتك . اللهم انك أنت فسرته هذه الآية في
 نفس القرآن وذكرته بمعانيها في حكمك البهجات . أنت قلت - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم
 بشر تنطقون - وعلمت على ذلك ذكر خلق الأزواج لتسكن إليها الخ وخلق السموات والأرض واختلاف

الأسن والألوان ومنامنا بالليل والنهار وإبتداء الرزق وهكذا كون السموات والأرض قائمت بأمرك وقيامنا بعد موتنا وهكذا وذلك في (سورة الروم) وأنت الذي جعلت الليل والنهار آيتين في (سورة الاسراء) والقاتل أيضا - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر - الخ وقد أوضحت سبحانه في سورة البقرة هذا لجلعت من الآيات خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والسفن في البحر والتجارة والنبات والمطر وخلق النبات والحیوان وهكذا في آخر (آل عمران)

فيا الله انك لم تدع في كتابك أسلوا إلا أنزلته حتى جعلت الآيات تشمل جميع العلوم العالوية والسفلية ولم تقصر ذلك على انها آيات بل أقسمت بها فأقسمت بالشمس والقمر والليل والنهار والتين والزيتون والطور والخليل فكما جعلت كل خلقك آيات أقسمت بجميع خلقك حتى قلت - فلا أقسم بمأتبصرون ولا تبصرون - ولا جرم أن ماتبصر ولا تبصر يشمل كل علم وكل صناعة - هذه هي آياتك التي ذكرت بها عبادك وجعلت هذا التفسير إيضاحا لها وشارحا لها ومبينها - وإني يا الله أكتب هذا وأمضي الى عالم أردته لي بعد هذه الحياة وأترك هذا التفسير بين يدي المسلمين يحجة على من قرأه فهو مسؤول بين يديك مسؤول عن نشر كل ما يعلم من هذا الكتاب ومن كل علم من علوم أوروبا وأمريكا واليابان - اللهم إن ذلك كله آياتك التي أقسمت بها اعظما لها واجللا حتى اذا قرأناها عرفنا منها هي التي شرفها الله بالقسم فهي آيات وهي ذات الشرف العظيم بأن الله أقسم بها - اللهم إن المسلمين في القرون الأخيرة قد عموا وصموا عن آياتك واذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صما وعميانا فيقول الغافل من المتعلمين هذه العلوم كفر أو يقول هو كلام النصارى أو يقول هو لامتفعة فيه (انظر ما جاء في سورة الأنعام عند قوله تعالى - تجعلوه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا -) لتعلم ماذا حل بالاسلام بعد القرون الأولى من الجهل الواضح والذل الفاضح وانكسار العقول ومخالفة العقول والمنقول - فلقد الله قد ظهر في هذا التفسير أن ما كان يسمى كفرا هو نفس الشكر وهو نفس القرني الى الله وهو السعادة في الدنيا وهو باب الجنة وهو الروح والريحان وهو مقتضات النظر لوجه الله الكريم وهو مفتاح السعادة ومنهاج السيادة فأصبح الكفر شكرا والذي زعموا انه كلام النصارى وغيرهم هو كلام الله تعالى وهو المشرف بقسمه وهو الذي به النظر لجل وجهه وهو النافع في الدنيا والآخرة - اللهم اني قد أدت بما على المسلمين - اللهم أخرجهم من ظلمة الجهالة واجعل هذا التفسير سببا في اتحاد جميع العقول من المذاهب المتشاكسة والطوائف المختلفة من شيعة وسنية وزيدية وامامية وشافعية وحنفية وحنبلية - اللهم يامقلب القلوب والأبصار كما قلبت أفئدة المتأخرين من الأمم الاسلامية قرأت العلوم التي أمرت بها في كتابك كفرا لانفع فيها نفروا صما وعميانا اذا سمعوها فاشرح الصدور لفهمها وأزل الغشاوة عن الأعين واجلباب عن القلوب وارفع الورك عن الأذان وأثر البصائر - اللهم إن المسلمين متقاطعون متباعدون لحصر عقولهم في الفقه وفي الجدل المسمى علم التوحيد - اللهم إن سر دينك هي نظافة الباطن وجمال النفوس بالأخلاق الفاضلة وهكذا استكمال النفوس بالعلوم التي ترى في السموات وفي الأرض فاجعل هذا التفسير من مشارق الأنوار وسواطع البرهان - انتهى يوم ٢٩ شعبان سنة ١٣٢٥ هـ

(فصوص الحكم في هذه الآيات)

ما أجل العلم والحكمة وما أبهى الفهم وأبهج النظر في هذه الآيات وتأملها - هذه الآيات كأنها لمنحصر في السورة كلها والسورة سميت فرقةنا وهو الفرق بين الحق والباطل ونتيجة هذه كلها النظر في آيات الله تعالى في السموات والأرض في قوله - لم يخفروا عليها صما وعميانا -

في الآية آداب النفس مع الخلق ومع الخلق كالسكينة في المشي وحسن الخطابة مع الجاهلين وقيام الليل والدعامة والاقتصاد والتبرى من الشرك ومن الزنا والنفو والكذب - هذه عشر خصال فمن كان متصفا بها استعد

لفيض العلم والحكمة . ملخص هذه الأوصاف سيكون النفس وتوجيهها لله . فسرعة المني تهوش على العقل وتذهب الحية وهكذا اللجاج مع السفهاء فترك هذين وترك الاسراف والشره الخ كل ذلك يجعل في النفس اطمئنانا وسكونا والهدوء وقيام الليل فذكر بالله تعالى . ههنا (بمن خصال) ترجع لسكون النفس وهدوئها فلاضطراب في الحركات ولا الخطاب ولا الاتناق وهكذا . وخصلتان ترجعان للتذكير بالله القيام بالليل والدعاء وهذه المقدمات العشر للفتح والعلم والعرفان . إن النفس لا يتم لها توجه في الصلاة والدعاء اذا قصت الامور عليها . فلما اذا اطمأنت اعتقادا وعملا بالخصال الثمانية فانها يصدق توجيهها لله تعالى والصلاة والدعاء معراجا للعلم . ومعنى هذا أن النفس بتعود التوجه لله يفتح لها باب العلم والعلم هو المقصود من هذه الدنيا ومن وجودنا ومن هذه الخصال المذكورة . فلأجل العلم خلقنا وبه سعادتنا في دنيانا وبوم القيامة بل هو اللذة القصوى التي تتضاد دونها الجنات الحسية بحورها وقصورها وولدها . إذن نتيجة الصفات العشر المذكورة ما بعدها وهو أن لا يكون الانسان أعشى أصم عن آيات الله أى أن يفكر في هذا الوجود (وبعبارة أصرح) أن يكون حكما عالما أوعبا أوتعلما أى أن تكون له درجة من درجات العلم حبا واستماعا أو كالا فيه . إذن نتيجة هذه السورة حوز العلوم والحكمة وارتقاء النفس بذلك وهذا غاية الدين والدنيا . وهناك (خصلتان) بعدها وهما أن هذا العبد يجد في أكل أهل منزله من زوجة وولد أكل المتقين فيكون قدوة لأهله ولأمنته أى يكون نورا للناس وظارفا بين الحق والباطل الذى هو معنى الفرقان . إذن هذه السورة لتخرج قواد يكونون أنوارا مشرقة للناس بمنعوتهم من الضلال . هذا هو نتيجة سورة الفرقان

وههنا محجب محجب . ذلك ان الناس عادة يقرؤون هذه الآيات ويمرّون على الخصلة السادسة وهي عدم الاشراك بالله وعلى الخصلة الحادية عشرة وهي انهم اذا ذكروا بآيات ربهم لم يفروا عليها صبا وعيانا فيخيل للقارئ أنها ترجعان لمعنى واحد وهذا يكون كالتكرار ولكن هذا التكرار فيه سر قد كشفه الزمان وأظهره ما أحاط بنا من الحداث بل ان سر هذا المقام قد ظهر في انحطاط أكثر أم الاسلام واستئبان أعما تبيان . ولما وصلت الى هذا المقام حضر الصلاة الذى اعتاد أن يحاورني في الامور العلمية في هذا التفسير واطلع على هذا الموضوع فقال ما لي أراك تذكر ذكر السر في القرآن كأن مثل هذا لم يعرفه الناس قبلك . يا محبا لك أين السر هنا . (جلتان) جاءت في هذه الآيات جلة تقيدهم عدم الاشراك بالله وجلة تقيدهم عدم النطفة عن آياته عند التذكير بها وينتج فرق في المعنى . قلت له ولكن لم قدم عدم الاشراك بالله الذى لا يتم إلا اذا لم يعرض الانسان عن آيات ربه وكيف تقدم النتيجة على المقامة . هنا نظر في آيات وتوحيد لله وثانيهما نتيجة لأولهما فلم قدم عليه ؟ فقال إذن ما تقول في الجواب . قلت إذن أجيبك . اعلم أن الأمم الاسلامية بعد القرون الأولى في أكثر الأحوال وأهمها اكتفوا من دين الاسلام بأمثال الخصال العشر المتقدمة على قوله - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم - ومنها عدم الاشراك بالله . فاذا رأى المسلم انه آمن بالله ولم يشرك فانه قد ينسب بذلك ويقول كفى كفى . فلذا ضم الى الإيمان الأخلاق الفاضلة كالسكينة والتباعد عن الكذب وشهادة الزور والقتل الخ فانه يمتدحها . هذا هو الذى سار عليه المسلمون في أقطار الاسلام . فأهم أمور الدين التوحيد والأعمال الصالحة ووقف أكثرهم عند هذا الحد وأخذوا يرددون كفى الإيمان والصالح وفرحوا بما عندهم من العلم - وحق بهم ما كانوا به يستهزئون - . فقال وما الذى به يستهزئون . قلت هي الخصلة الحادية عشرة وهي - اذا ذكروا بآيات ربهم لم يفروا عليها صبا وعيانا - . فقال والله إن هذا ليجب أنا لم أسمع من مؤمن بالله يعرض عن آياته أو يكون كالأصم أو كالأعمى وإنما ذلك في الكفار . فقلت اذا كان كذلك فتكون هذه الجملة ملغلة لا عمل لها . قال فأين الصمم والعمى عن آيات الله . قلت جبل في أقطار الاسلام وغلط كثيرا من العلماء والجهلاء وقل لهم ماذا تقولون في علم الفلك والطبيعة والنبات والحيوان والانسان

والتشريح وجع العلم الكونية فانك لاتسمع منهم إلا ان هذه العلوم فروض كفايلت ويسكتون عن ذلك وعند الوعظ والارشاد والخطب على المنابر والتعليم لا يقرؤون هذه الجباب ولا يشقرون الناس لهم ولا يفرحونهم به وليس من المقول أن يحب الانسان صانعا ويرف حكمته إلا بفهم صنعه . قال إنك تقول هذا القول في قوم ماتوا قبل هذا العصر أما أهل هذا العصر فقد عرفوا كل شيء . قلت له أكثر أهل الدين لا يزالون غافلين فهم اذا سمعوا عجائب التشريح والفلك صموا آذانهم وأغمضوا أعينهم لا يفتشوا في آيات الله ولكن أعراضا عن الآيات لذاتها فلما علمنا منهم انها لاتفيد قريبا لله إما لأنها كفر ولما لأنها لا فائدة منها وسبب ذلك الاقتداء بمن علموهم من علماء الدين الذين قبلهم . فهذه الجلبة جاءت لترفع الغشاوة عن أعيننا في هذا الزمان وقد ظهر أثرها في هذا التفسير الآن . فلتوجه أيها الذكرى نظر أهل زمانك الى أن هذه الجلبة مذكورة لنا بجميع العلوم وأن الايمان والتوحيد لا يكفيان لرقى المؤمن وسعادة أمته

تقدم أن هذه الآيات كأنها ملخص المقصود من السورة والسورة مبتدأة بأن الله تعالى تكاثر خبره وتزايد على كل شيء وتعالى عنه في الصفات وأنه له ملك السموات والأرض وأنه خلق كل شيء وقدره تقديرًا بحساب متقن منظم . ولا جرم أن كل شيء أعم من السموات والأرض والعالم المخلوق هو الخير الكثير الذي يفيد معنى . تبارك . ثم انه أعاد هذه الجلبة هنا قليل هذه الآيات فقال . تبارك الذي جعل في السماء رجوا . والبروج هي الاثنا عشر المعامدة أو هي نفس الكواكب العظام وهي بعض ما خلق الله وقدره تقديرًا . ولما شرح بعض خالق الله الذي من خبره الكثير أردفه بذكر عباد الرحمن وصفاتهم وجعل نتيجة الصفات كلها العلم والحكمة والعلم والحكمة يرجعان الى هذا العالم الذي نعيش فيه الذي ذكر في قوله تعالى . الذي جعل في السماء رجوا . الخ فانظر كيف أعاد الجلبة التي في أول السورة هنا ليعتقها بصفات المؤمن الذي يفهم هذا الخير الكثير الذي تضمنه . تبارك الذي نزل الفرقان . فلخص السورة استخراج علماء في الاسلام يقرؤون نظام السموات والأرض ويكونون حكماء هادين لقرىاتهم وزوجاتهم وأمتهم . فلولا ذكر التوحيد قبل التذكير بآيات الله وعدم الاعراض عنها ماتيسر لنا فهم هذه المعاني . إن هذه المعاني استخرجت من تأخير وتقديم وكأن هذا كبرياء ومغناطيس بهما أشرق النور وبهر الفرقان . فلهذا يذكر في أول السورة ملكه وخلقته وتقديره للعالم كلها ثم يعيد ذلك بهيئة جلبة في ذكر البروج والكواكب وذلك كله داخل في آيات الله التي اذا عرض عنها المسلمون أعرضت عنهم الدنيا والآخرة كما هو حاصل الآن في أكثر بلاد الاسلام . فياطوب لمن ذكر بآيات ربه . وياطوب لمن تذكر وتدبر وقرأ

يا الله إلى أحديك . هاأنذا قد ذكرت بآياتك بارشادك والمهامك مع اني أقر وأعترف بالضعف والهجز حقًا وصدقًا . فاجعل اللهم هذا التفسير ذكرى وألمم الأمم الاسلامية ان ينسجوا على منواله ولا يخروا عن الآيات صامعيان

فقال صاحبي هذا حسن ولكن يظهر لي أن المقام مقام تصيد للمعاني بحيث تأخذ ما يلزم ونذر الذي لا يلزم قصدك ويكون هناك ترجيح بلامرجح وهذا معيب يجعل القارئ في حيرة ويشكك في قوله ويقول إن القرآن لم قصد منه هذه المعاني ولو انها كانت مقصودة لكانت على وتيرة واحدة . فقلت ماذا قصدت ؟ قال ان قوله تعالى . تبارك الذي . قد ذكر (ثلاث مرات) فذكرت أنت اثنتين منها . أما الثالثة . فقوله تعالى خطابا لربه ﷻ . تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا . وهي واقعة في غضون السورة بين الآيتين فهل لهذه الحكمة . قلت نعم وأي حكمة أجل منها . فقال وماهي . قلت ان النظر للسموات والأرض الذي جاء ذكره في المقامين الأول والثالث هو هو عينه المذكور في الخصلة الحادية عشر من خصال عباد الرحمن وهو عينه الذي في قوله تعالى . ويجعل لك قصورا .

الآزرى رعاك الله أن الجنة على (قسمين) جنة حسبة وجنة معنوية وهى العلم والمعرفة والعلم والمعرفة مقتسمتان للنظر الى وجه الله فاستكشاف الحقائق غذاء للنفس وسعادتها للحكمة فى الدنيا والآخرة . واذا كان الحكماء بهذه المثابة فما بالك بالأنبياء والصديقين فهل تظن أن رسول الله ﷺ فى الآخرة يقبضه الحور والولدان ويستغنى عن النظر لوجه الله الذى لا يكون إلا بسد تمام العلم والحكمة كما لا يجالس الملوك والأمراء إلا أهل الجبا والعقول . فاذا كان الله وعده بجنت تجري من تحتها الأنهار ووعد بصور فليس معنى ذلك أنه قاصر على ذلك بل هو رزق الى انكشاف الحقائق ومعرفة العلوم . ومن عكف فى قصره على المحسوسات فهو قاصر جهول (اقرأ هذا المقام فى سورة البقرة عند قوله تعالى - وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات - الخ) فستجد هناك العبارة المنقولة من كلام السلف الصالح (أن الجنة الحسية للجهلاء وجنة العلم للحكماء أفلا ترى سيد الرسل فى أعلى جنة العلماء) فرجعت هذه الآية الى أختها وظهر أن الدنيا لا يرقى فيها الناس إلا بالعلم والآخرة لا يستعدون فيها إلا بالعلم وأن قوله - والذين اذا ذكروا بالآيات ربه لم يخزوا عليها صما وعميانا - هى نهاية العلم والحكمة وفيها ملخص علوم هذه الدنيا ومقاصد هذه السورة وانها الخصلة التى بها تكون الجنة والحكمة ويكون صاحبها قطبا تدور عليه رضى الأمة وبه يقتدون وعليه يعولون

(بلاغة القرآن)

فانظر الى أمر التقديم والتأخير فى جنتين كيف أثارا موضوعا يتعلق بحياة أمتنا الاسلامية وبين عيوبها وعنازيرها ويقض سر تأخرها وينير السبل لتقديمتها وارتقاها . إن هذا المقام هو الذى ألق له الامام الغزالي كتاب الإحياء فقد قل فيه (إن هذا الكتاب قد صنفته لإحياء ما اندرس من علوم الاسلام) وبين ذلك بأنه اوضح صفات القلوب والعلوم الأخلاقية والاخلاص ثم المعارف العامة فى السموات والأرض ثم إن هذا التفسير قد جاء لمثل ما جاء له الاحياء . كل ذلك أثره فى هذا المقام تقديم وتأخير . بمثل هذا تدرف بلاغة القرآن لابلغة اللغزية التى يفرح بها صغار العلماء ويقولون نحن قرأ الفتح للسكاكى وكتاب سعد الدين النفاذانى وكتاب عبد القاهر الجرجاني وغيرها نعرف بلاغة القرآن فقول لهم وهل عند هذا نقفون أو نكسبون على الأعقاب . إن الذى يمتحنون عنه انما هو أن القرآن مجز ونتيجة ذلك أن يكون المرء به مؤمنا وقديما أن خصلة الإيمان وحدها لا ترقى المسلم بل رقيه انما يكون بمعرفة هذه الكائنات فلم يخرج البلاغة فى أمة الاسلام عن كونهم أشبه بالبديوى القح فى البادية وعن أنهم اذا وقفوا على ذلك قد دخلوا فى حوز الموحدين المذكورين فى الخصلة السادسة فى هذه الآيات وهم عن آيات ربهم خرواصا وعميانا ، اللهم ان أمة الاسلام طال عليها الأمد وقست القلوب وكثير منهم فاسقون . لقد اعترى العمى والصمم كثيرا من أهل العلم فى أقطار الاسلام جمالة وغرورا وقد آن انقشاع هذه الفشارة والجد لله رب العالمين . كتب هذا المقال بعد عصر يوم الجمعة أول يوم من شهر رمضان سنة ١٣٤٥ هجرية

(ياقوتة فى معنى قوله تعالى فى هذه الآيات - والذين اذا ذكروا بالآيات ربهم لم يخزوا - الخ) بعد أن كتبت ما تقدم أردت أن أبين بعض انواع التذكير التى ذكرنا الله بها معاشر المسلمين ليكون ذلك تسكئة للجوهره السابقة وتبصيرا للأذكياء . التذكير إما بالقول أو بالفعل . أما بالقول

(١) فهناك هذا القرآن يدرس صلحا ومساء وصيفا وشتاء ليلًا ونهارا يدرسه المسلمون ويقرؤهم قراؤهم وفيه سور كثيرة ليس فيها حكم شرعى وانما هى ذكرى الأمم السالفة وذكري آيات الله فى السموات والأرض وهذه الأخيرة كما تقدم مرارا (٧٥٠) آية كما ان نظيرها فى العدد أيضا تقريبا جاء فى اصلاح الأخلاق

(٢) وهناك العبادات كما تقدم فى (سورة البقرة) فى تفسير آية الكسرى فقد ذكرت هناك أن هناك آيات قد جعلها العباد والصالحون بذورا يفرورها للمسلمين ليربهم تربة يكونون بها صالحين فهو لأ نراهم اختاروا

الآيات الدالة على أفعال الله العجيبة كآية الكرسي ونحو - الم • الله لا إله إلا هو الحي القيوم - الخ ونحو - شهد الله أنه لا إله إلا هو - الخ وأول سورة الحديد وهكذا - فهذه الآيات هي دروسات لطبات تفتح الصلحون بألفاظها فت قلبهم فذكروا ربهم وهي مسعدة للفكرين والحكماء والصديقين ليدرسوا نظام ربهم ويخمنوا بكوا كبه وبشجره ويصاره وينظمه العجيبة التي ذكر منها في هذه السورة أي سورة الفرقان التي نحن بسدد الكلام عليها

(١) نظام الظلال

(٢) ونظام الليل والنهار ، فالأول لباس يستر الناس وفيه النوم للراحة ، والثاني ينشر الناس فيه لطلب المعاش

(٣) ونظام السحب والأمطار والماء الطهور

(٤) ونظم سقى الناس والأنعام وحياة كل حي فرق الأرض

(٥) ونظام البحرين الطيب والملح

(٦) ونظام الكواكب والبروج وعجائبها

(٧) ونظام الشمس

(٨) ونظام القمر ، وأن كلام الليل والنهار يخلف الآخر

هذه مجامع ما ذكر الله به في هذه السورة فضلا عن بقية سور القرآن ونظم ذلك بقوله - لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - فهذه الهجاء جميعها وأمثالها تكون ذكرى للذاكرين وشكرا للشاكرين فانظر كيف يقول - اذا ذكروا بآيات ربهم لم يغفروا عليها صاعيا - بعد أن ذكر هذه الآيات في نفس السورة وجعلها ذكرى وشكرا للفريقين المذكورين فاذا ذكر الله بالقرآن كله وذكرنا بالآيات التي اختارها العباد والآيات التي في هذه السورة فان الاعراض عن التنكرفي معناها ودراسة علومها لكل قادر من المسلمين يعتبر كفرا بالعمة وكان الانسان أصم أحمى • لقد تكرر الذكروا والتذكير في القرآن • ناهيك ما رى في سورة - اقتربت الساعة وانشق القمر - فهناك - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - وقد كررها مرارا بعد كل حادثة وقصة ، هكذا في آيات كثيرة كقوله - وذكرهم بأيام الله - الخ وقوله - إن في ذلك لآيات لقوم يذكرون - وقوله - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وقوله - أفلم يدبروا القول الخ - وآيات كثيرة • هذا هو التذكير القوي • أما التذكير القوي فهو ما أحاط بالأمم الاسلامية اليوم من القوى القانئة والأمم القوية الطاللة وفكرهم بهم فهذا تذكير لانوع الانساني فعلى • فاذا نام المسلمون عن هذا التذكير بنوعيه فلا يولمونه إلا أنفسهم والعقاب الأكبر على كل مفكر عرف أمثال ما كتبناه في هذا التفسير ثم ترك النشر والتعليم • انتهى تفسير (سورة الفرقان) يوم الاثنين التاسع من شهر فبراير سنة ١٩٢٥ م والحمد لله رب العالمين

{ تذكرة }

قد يستعين الناظر للصور السابغة المذكورة قريبا بمسطرة طولها ثلاثة أمتار يضعها على النجوم للملازمة لتوصل الى النجوم المجهولة على مقتضى التعليلات للتقمنة • انتهى

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثاني عشر من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن الكريم

ويليه الجزء الثالث عشر • وأوله تفسير سورة الشعراء)

(الخطأ والصواب)

غلبننا التصحيح فئاتنا سقما وأعياء أخرى يدركها القارىء بلا تمييز وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

| صواب | خطأ | صفحة | سطر | صواب | خطأ | صفحة | سطر |
|-----------------|--------------------|------|-----|---------------|---------------|------|-----|
| و قتل منهم كثير | و قتلوا منهم كثيرا | ١٧٥ | ٣ | باباحة | باباحة | ١٤ | ٢ |
| فلاح به | فلاح له | ١٧٥ | ١٠ | المنزوحين | المنزوحين | ١٤ | ٢٠ |
| ويقولون | يقولون | ١٧٦ | ٥ | مقاربان فلذلك | مقاربان | ١٥ | ٣ |
| السماء وجههم | السماء والعالم | ١٧٦ | ٢٦ | عدا في الاجال | عدا في الاجال | | |
| الحمة | الحمة | ١٧٧ | ٢ | وجها واحدا | وجها واحدا | | |
| وذكر | قد جاء | ١٧٧ | ٦ | وانظر | وانظر | ٢٣ | ٢٥ |
| لبنان | ولبنان | ١٩٦ | ١٦ | الواقية | الواقية | ٣٣ | ٣٢ |
| خلاصها | فلاصها | ٢٠١ | ٢١ | صورتهما | صورتهما | ٤٠ | ١٨ |
| واذ | فاذا | ٢٠٥ | ١٣ | ظهر | ظهر | ٤٣ | ١٤ |
| الكربون | الادروجين | ٢٠٧ | ٣ | معدنى | معدنى | ٦٩ | ٤ |
| والقرآن | والانجيل | ٢٠٧ | ٢١ | الحويان | والحيوان | ٧٣ | ٦ |
| وغير | رغير | ٢٠٧ | ٣٣ | الثلاث | الثلاثة | ٧٥ | ٣٢ |
| فان (٢٨٤) | فان عدد (٢٢٠) | ٢١٠ | ٣٢ | أن نزول | أن يزول | ٩٢ | ١٣ |
| وكذلك (٢٢٠) | وكذلك (٢٨٤) | ٢١٠ | ٣٣ | هود | يونس | ٩٢ | ٢٢ |
| يساوى مضارب | يساوى مضارب | | | محرفة | محرفة | ٩٤ | ٣٠ |
| (٢٨٤) | (٢٢٠) | | | كتبهه هم | كتبهه | ٩٧ | ٩ |
| | من المرجان | ٢١٦ | ٣ | يرقون | يرقون | ٩٧ | ١٢ |
| وأعدها صوراً | وأعدها صور | ٢٢١ | ١٢ | أقرّ | أقرّه | ١١٠ | ١٨ |
| مختلفة وأشكالا | مختلفة وأشكال | | | ينظر | ينظر | ١٢٢ | ٢٦ |
| وأوضاعا | وأوضاع | | | واقدت | واقدت | ١٢٣ | ١٩ |
| أنيقليس | أنيقليس | ٢٢٥ | ١٩ | البرّ | البرية | ١٢٦ | ٢٧ |
| ألفوها | ألفوها | ٢٢٧ | ٨ | سلموم | سلموم | ١٣٤ | ٥ |
| بل كان عندهم | بل كان عند | ٢٢٩ | ١ | لا تصل | لا تكون | ١٣٦ | ٨ |
| ٣٦ درجة | وه من ٣٦ | ٢٣٤ | ٢٧ | ترك | ترك | ١٤٤ | ٣٣ |
| العباد (بتشديد | العباد | ٢٤٦ | ١٥ | واد | واد | ١٤٥ | ٤ |
| الباء) | | | | واد | واد | ١٤٥ | ٤ |
| | | | | العائر | القابر | ١٤٨ | ١٨ |
| | | | | فتعرفوا | فتعرفون | ١٦٩ | ٤ |
| | | | | المسرات | المسرات | ١٧٣ | ٩ |

فهرست

الجزء الثاني عشر

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

محتبة

- ٢ تقسيم سورة النور الى (ثلاثة أقسام) وكتابة القسم الأول منها بالحروف الكبيرة
- ٤ التفسير اللفظي لهذا القسم . حكم الزنا . فصل في حكم القذف وفي حكم قذف الرجل زوجته وفي الملاعة
- ٥ فصل في قصة الإفك وحصل القصة
- ٧ (أربع لطائف * الطيفة الأولى) - ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم - لاتقبل شهادة القاذف أبدا عند شرح . متى حذرت شهادته عند أصحاب الرأي . لايسقط الحد بالتوبة إلا أن يصفو عنه المقذوف فيسقط عند قوم الخ
- ٨ (الطيفة الثانية) - فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله - الى آخر الآيات
- (الطيفة الثالثة) في قوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحته ما زكا منكم من أحد أبدا -
- (الطيفة الرابعة) في قوله تعالى - الخيئات للخيئين - الخ
- ٩ حكاية العابد والفارة المسوقة الى أن الأشكال تحن الى أشكالها بمناسبة الآية
- (القسم الثاني) أوله - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الى قوله تعالى - ومرحطة لثنتين - مكتوبا بالحرف الكبير مشكلا
- ١٠ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١١ بعض أحكام النكاح من التذب والجواز وهكذا . فصل في الكتابة ووجوبها وندها
- ١٣ فصل في عدم إكراه الإمام على الزنا (الطيفة الأولى) في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الخ وبيان أن الاستئذان ثلاث وأنه لثلاثة أمور
- ١٤ (الطيفة الثانية) وفيها قوله ﷺ « تزوجوا الولود الودود الخ »
- ١٥ عناية أمة الألمان باكثر النسل وتصور المصورين حال ذوي القرية والذين لا ذرية لهم وتأثير ذلك في الشعب
- (القسم الثالث) - الله نور السموات والأرض - الى آخر السورة قد كتب بالحرف الكبير مشكلا
- ١٧ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٩ تفسير - ألم تر أن الله يرحم سبحانه - والآيات قبلها وبعدها
- ٢٠ فصل في علم الحيوان وذكر ما يناسل منه بالانقسام وما يناسل بالبيض وما يناسل (بالتبرعم) وبيان الحيوانات الفقرية وأما خمسة أقسام والحيوانات الحلقية وأما خمسة أيضا والحيوانات القشرية وأنه ليس لها عظام ولادم ولا حلقات والحيوانات الشعاعية . كل ذلك تفسير لقوله تعالى - والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على سنة - الخ

٢١ بيان أن الخنافس وحدها (٨٠٠.٠٠٠) صنف والحشرات المعروفة (٢٠٠.٠٠٠) صنف ويتوقعون أن تكون مليوناً

٢٢ ﴿ أربع طباق • الطبقة الأولى ﴾ في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره - الخ وبيان أن قوله تعالى - مثل نوره - راجع لنبينا ﷺ أولسبدا إبراهيم عليه السلام أولكل إنسان الخ ثم تبيان الحق من هذه الأقوال وأن هذا التمثيل مثل نظيره العلماء جسم الإنسان بصفة أودار أولوح الخ ثم بيان الوجوه السبعة السابقة

٢٤ عجائب القرآن في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض -

٢٥ ابضاح الكلام على القنديل والمشكاة في المسجد وبيان العقل بالقوة والعقل بالفعل والعقل المستفاد والعقل الفعال وضرب مثل لدرجات العقل المذكورة بدرجات الفنى ودرجات الملك لشاين أحدهما تاجر والآخر ابن ملك وقياس درجات العقل على درجتهما في الفنى والملك بالقوة والفعل والاستفادة وهكذا وبيان أن العقل الفعال نسبة إلى عقولنا كنسبة الشمس إلى أبصارنا فهي تضيء لأعيننا وهو يضيء على عقولنا

٢٧ للصورة والمادة والمعاني والعقول وأن عقولنا تعقل أنفسها فهي عاقل ومعقول وهذه العقول أنفسها على منوال العقل الفعال فهو الذى طبعت الصور القائمة به في المادة لحدث الأكوان ، فما نراه نحن الآن من الصور هو الذى كان مرسوماً في ذلك العقل العام فلما رأيناه فيها فرنا به ورسمناه في عقولنا كما كان في ذلك العقل قبل وجود الصور في المادة . قطرة ماء في تفسير قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - وبيان أن العلامة (هنشو) الأمريكى يقول « ان قطرة الماء اذا كبرت حتى صارت أكبر من فلك الأرض حول الشمس فان الأكسوجين والادروجين وهما العنصران اللذان ركب منهما الماء يرجعان إلى نقطة ضوئية ترسم خطوطاً نورية وهمية بحيث تدور نقطة ضوء كهربائى سالب حول قطرة ضوء كهربائى موجب ستة آلاف مليون مليون دورة في الثانية وهذه النقط الضوئية باختلافها كما وكيف تختلف العناصر التي ليست شيئاً سوى هذه النقط ومع ذلك هذه القطرة المائية لوجعت الجواهر المائية التي فيها لم تملأ إلا أجزاء من (مائة ألف ألف ألف جزء من النقطة المائية ، فالمسافات بين الجواهر المائية فيها كالمسافات بين الكواكب والشمس الخ وعدد الجواهر الفردة المائية فيها (٥) على يمينها (٢٠) صفراً ، وهنا بيان المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة المباركة من نفس القطرة المائية

٣٠ النور قديماً وحديثاً في أرضنا كالمشاعل ومصاييح الزيت الخ ﴿ الطبقة الثالثة ﴾ - والطبر صافات -

﴿ الجوهرة الأولى ﴾ في تسبيح الطبر ، هل الجاد يعقل والأشجار تتعاشق ؟ هكذا يقول بعض الصوفية ولكن عقولنا لم تعرف إلا الثاني أما الأول فلا . ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في الطيور الرحلة (مترجم عن الانجليزية) وأن الخطاف يصرف زمن الشتاء عند بحيرة (تسادو) في أواسط إفريقيا ويربى أولاده في بلاد الانجليز زمن الربيع . وبيان سبب تلك الرحلة . جورنان مرسومتان للخطاف الوارد بعد المهاجرة بيان أسرع الخفوقات الحية وهي حشرة تجرى (١٤) ميلاً في الدقيقة وجناحها يدوران بضع آلاف مرة في الثانية ، وأسرع طيارة لا يدور دولاها الأمامى أكثر من (٢٠٠٠) مرة في الدقيقة

٣٣ مقاييس السرعة مثل أعظم سرعة للإنسان الرأى وأعظم سرعة للطيارة ، أسرع طيارة في العالم لانجاح لها ولا مراح (الفائدة الثانية) جاء في الأنباء البرقية أن طياراً حول الوصول إلى القارة المجهولة في الأقطار القطبية التي تنحجر الطيور إليها ولم يصل لها الإنسان ولكنه لم يتمكن

٣٤ ﴿ الطبقة الرابعة ﴾ في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال - الخ وبيان أقوال علماء الاسلام في

القرون المتأخرة في معنى هذه الآية

٣٥ نص السؤال المرفوع الى الشيخ ابن المبارك تلميذ الشيخ عبد العزيز البغوي في الثلج والبرد والبلق وهكذا من الحوادث الجوية السائدة قديما بصل الآثار العلوية وبيان انه قرأ كتب علماء الاسلام جميعها فلم يجدهم موافقين للموضوع حتى فرجع الى شيخه البغوي فشرح له الثلج كما في العلم الحديث وهكذا البرد وأوضح المقام حتى الايضاح وذكر الصاعقة وأبان أن السماء ليس فيها جبال من برد بل فيها جبال الثلج التي يخلق فيها بعض البرد ، وهذا الذي قاله ذلك الشيخ منذ مائتي سنة قد رسم في صفحة (٣٧) بالطيارة وهذه مجهزة قرآنية دللتنا على أن القرآن خير مفسر له العلم الحديث

٣٨ (شكل ٤) سورة هضبة (موت بلانك) من جبال الالب وما اتصل بها والثلج الدائم المغطى لها

موازنة لكلام الشيخ البغوي المذكور بذهاب الفريجة الآن في البرد وكيفية ظهوره

٣٩ (شكل ٥) صورة الطرف الأدنى من الجرف الثلجي في (الزون) بجاني فركا

٤٠ (شكل ٦ و ٧) صورتان للبرد الجبلي البلوري الشفاف الذي سقط على الأرض في ٩ يوليوسنة ١٨٦٩ م وهما هندسيتان جيلتان سداسيتان مشتملتان على أشكال كثيرة هندسية

٤١ (شكل ٨) و (شكل ٩) أولها صورة الرسم الهندسي الذي أبان قطعة من للبرد الصخري الذي سقط في بلاد فرنسا سنة ١٨١٩ م (وثانيهما) صورة البرد الصخري ذي الطبقات المتعددة المركز للركبات من جليد أزرق صاف وأبيض غير شفاف . بهجة العلم في البرد الصخري تفسير آية - ألم تر أن الله يزيي سبحا - بالرسم (شكل ١٠) صورة السحاب المتجمع (شكل ١١) صورة السحاب المركوم (شكل ١٢) صورة السحاب الذي يخرج الدوق من خلاله (الجمهرة الأولى) في قوله تعالى - ويترى من السماء من جبال فيها من برد - (الجمهرة الثانية) فيها تهب من هذه الدنيا ونظامها في الماء وبخره وبرده وتلجج الخ

٤٤ أتمام الجبال في هذا المقال وذو كيفية تكون الشواطئ الشمالية القصوى من آسيا وأوروبا وأمريكا وانما تاج حول القطب الشمالي ، وذكر الذين حاولوا كشفه مثل (دافيس) ومن بعده الى الدكتور (هيس) الذي مات ورجع أصحابه وبيان أن الثلج هناك قد يكون جبالا يخافونها ومضائقها الخ أوسهولا واسعة وانه قد يرتفع مائة متر وأن الخفي في الماء قد يكون ثلاثة أمثال ما فوقه ، وبيان أن حلقى السمع والبصر هناك تطفان وتظهر هناك حالات وشموس وأقمار كذابت وشفق شمالي ، وأن الانسان يسمع سقوط الجبر كصوت المدفع وأن صوت الانسان يسمع على مسافة ألف متر وأن الشمس تلمر حول الأفق ولا تقيب ونور القمر يظهر الاشخاص على مسافة كيلومتر وأهل تلك الأقطار يحتفلون بظهور الشمس ويقومون الأعياد ، وبيان رحلات القطب الجنوبي كرحلات ثلاثة فرنسيين وكوك ، وبيان انهم كشفوا هناك أرضين وانهم وصلوا الى (٧٨) درجة ، ويقولون إن هناك جبالا وبراكين وقرة جنوبية ومناجم للشمع الجبلي

٤٦ بهجة العلم وظهور سر من أسرار القرآن في قوله تعالى - ألم تر أن الله يزيي سبحا - الخ ولينتاح ٢٥٠ علما أوروبا من علماء الجمعية الجغرافية وقرارهم بأن هذه الآية منطبقة على نهر النيل وأن الطريقة التي صنعها بمصر بحسبة مصطنع بك منبر مقتسة وانهم وضعوها بحيث قضى عليها الشمس ، وذكر مساحة بحيرة (فكتوريا نيانزا) وهكذا الجبال وارتفاعها ونحو ذلك

٤٨ رسم الخريطة المقدسة وهي خريطة النيل

٤٩ مقال عام في هذه الآية - الله نور السموات والأرض - الى قوله تعالى - يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - . ويان أن هذه الآية هي ملخص ديانات الأمم القديمة لاسيا دين قدماء المصريين ، وذكروا أن الهنود الجرمانية عندهم الله هو النور والشمس والنور عندهم (ديف) ومنها اشتق نحو (١٣) لفظا بمعنى الله وكلها راجعت للنور مثل (ديفاس) في لغة السنسكريت و (ذوبوس) عند اليونان وهكذا والسبب في ذلك انه لولا الشمس ما ظهر شيء على الأرض فشقها الناس وذكروا الله بها أو عبدوها وإلى النور ترجع عبادة الصابئين وقد اختلط الحق القديم بوحداية الله في دياناتهم بالباطل وهو عبادة الشمس ونحوها فجاء النبي العربي وقال ، يا أيها الناس الشمس والنور من صنع الله فلا تعبدوا إلا إياه

الكلام على دين قدماء المصريين وظهور أسرار هذه الآية فيه وأن الأرض راقصة بحركتها اليومية حول الشمس عليها حلها وحلاها في مشهد عرس وحولها ثريات النجوم مشرقات عليها ، ومن حلاها قوس قزح والثلوج في القطبين وفوق جبالها وهكذا الأزهار في الرياض الخ . وتبيان ان دين قدماء المصريين كان التوحيد المطلق وتوت أي الشمس يرجع الى خالق العالم في الحقيقة لا نفس الشمس وهم وان عتدوا الآلهة فقد وحدوا فعلا أيام الملك (مينا) بحيث يكون (انوم) في مدينة (عين شمس) هو نفسه (فتاح) في مدينة (منفيس) وهكذا لتكون السياسة واحدة كالدين ، وذكروا أشودتين من أناسيد قدماء المصريين مترجتين من كتب الألمان ، ويان أن حكماء الأمم مع الناس بأجسامهم وهم الآن في جنة العرفان

٥٢ بهجة العلم في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - . الجبال (نوعان) جبال ظاهري وجبال باطني وقداماء المصريين ذكروا الجبالين معا الظاهر والباطن وتعبيد الله آدابهم الى انشاء الأناسيد المتقدمة وإلى الرقص ، ويان عشق الله عند الأمم الاسلامية في (كتاب الاشارات) للرئيس ابن سينا ومعنى العشق الصفي

٥٣ بيان السماع الجائر والمحرّم ملخصا من الإحياء في كتاب السماع ، وذكروا بن يقظان تأليف ابن الطفيل
٥٤ الأنوار الظاهرة والأنوار الباطنة التي لزدان بها أرضنا ومنها (شكل ١٤) صورة مناطق النبات حول الأرض و(شكل ١٥) صورة للمناطق الخمس وحيواناتها و(شكل ١٦) نبات افريقيا و(شكل ١٧) حيوان افريقيا

٥٨ تفصيل الكلام على المناطق التي فيها اسماء النبات حول الأرض ، ويان ان الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة

٥٩ تفصيل الكلام على الأقسام الثلاثة الماشي على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع وان هذا الشرح ليس خارجا عن التفسير وقد أكثر المسلمون في الصلاة والزكاة ونحوهما تأليفا ولم يمد ذلك خروجا عن المقصود وهذه العلوم تزيد الناس مالا وعقلا وحبا لله تعالى . وهذه العلوم مفتحة أعين من منفعة الصلاة والزكاة . أقسام الحيوان خمسة من مبدا القرية الى التبانة (شكل ١٨) نبات اوروبا

٦٢ (شكل ١٩) حيوان اوروبا
٦٣ الحيوانات القرية التي فيها الأقسام الثلاثة في الآية وهذا القسم فيه (١٢) نوعا من الحيوان ذى اليدين

وهو الانسان وذى الأربعة الأيدي وهي القردة والثالث وهو آلات اللحوم والرابع وهو الحيوانات الثديية البحرية الى الحادى عشر وهو الحيوانات القيطية ، والثاني عشر وهو الحيوانات ذوات الرحين في بلاد (هولانده الجديدة) . الكلام على القسم الثاني من الحيوانات ذوات الفقرات وهي الطيور وهي ستة أنواع كالساجية مثل السجاج والطاير والبط والكفوف مثل البط والكلشائبة مثل أبي قردان

وإني منازل وكالدودية مثل الليل والعنديل وكالتسلفة وكالجراحة . الكلام على القسم الثالث من ذوات الفترات وهي الزواحف مثل السلاحف وسورل والثعابين . الكلام على القسم الرابع من ذوات الفترات وهي الضفادع . والقسم الخامس السمك وهنا (شكل ٢٠) نبات آسيا و(شكل ٢١) حيوان آسيا و(شكل ٢٢) نبات أمريكا الشمالية و(شكل ٢٣) حيوان أمريكا الشمالية و(شكل ٢٤) نبات أمريكا الجنوبية و(شكل ٢٥) حيوان أمريكا الجنوبية

٧٢ شكل نبات وحيوان أفريقيا ، و بيان الكلام على أن من الحشرات ما لا جناح له ومنها مستقيم الجناح كالصرصار أو نصفه كالبق أو غشائه كالنحل أو غمدية كخنفس القول وذو الجناحين كالبرغوث القسم الرابع الحيوانات الرخوة مثل المحار والصدف

٧٣ القسم الخامس الحيوانات النباتية أو الشعاعية . محادثة مع أربعة فضلاء من رجال المعارف مفتش وناظر مدرسة ومدرسين واعتراضهم على الاطالة في أمثال هذه الآيات ورسم خرائط الفترات وما فيها من النبات والحيوان والاجابة على ذلك بأن القرآن هو الذي قسم الذي يبنى من الحيوان الى ثلاثة أقسام من المثنى على رجلين وأربع وهكذا فيه فتح باب للتقسيم . ولا جرم أن المنطق تحليل وتعريف وتقسيم وقياس ولكل من هذه حظ من العلم والاعلم في الدنيا بخارج عن هذه الأربع ، وإذا كان الله يقول انه هو بثّ الدواب في الأرض فلا يمان لها إلا برسم نفس الدواب في كل قارة ، ولما منع من تصوير تلك الحيوانات وجعلها في الصور المتحركة

٧٥ هذا التفسير وأمثاله يرجع المسلمين الى المصور الأولى و بيان أوصاف الأسد والثعلب والذئب والجلد ونحوها ٧٦ بهجة العلم في صور هذه الحيوانات وما أعد لها من النبات في هذه الفترات وغرائرها وفي عادات الانسان التي جعلت في سبعين . بيان أن احاطة الآيات القرآنية بالحيوان والنبات معجزة أماطت اللثام عن الحقيقة وأخرجت الانسانية كلها من الحيرة إذ يقولون العلم شيء والدين شيء آخر فإسعاد الناس أن يكون دينهم هو عين فطرتهم وهذا هو القرآن وتنبأ للؤلؤ أن الناس سيكتبون هذه الآيات على أسوار حدائقهم في المستقبل

٧٧ جعل أكثر هذا النوع الانساني وغفله بالتقليد الأعمى وهو لا يحب التعب والنصب بل يسير على سبيل الآباء طلباً لراحة نفسه والحيوان يسير على مقتضى الفريضة والغريزة لا خطأ فيها ولكن الخطأ في تقليد الانسان وغفله وقد ذمّه الله على ذلك وسيتبرأ التبوعون من التابعين . الحيوان من نوع واحد وعاداته متشابهة أما الانسان فعاداته كثيرة الاختلاف فمن متزوج أمه وأخته ومن محرم ذلك ومن أكل لحماً الانسان ومن محرم لحم كل حيوان . إن الانسان ضلّ عن فطرته والحيوان لم يضلّ عن غريزته ، لذلك كان تقليد الانسان للانسان جهلاً مينا يحط الانسان عن مرتبة الحيوان . و بيان أن التقليد هو الذي يمنع منكر الدين الاسلامي أن يكتب ويقرأ هذه الآيات التي توافي كل الأمم لأنها ترجان الفطرة إذن التقليد يحط بالفطرة الانسانية ويزول الى أسفل سافلين ، ونرى الشعراء والفلاسفة في كل جيل وأى أمة محترمون بخلاف آيات الدين الموافقة لفطرة فضاءك من يمنعها وهم رجال الأديان الأخرى حرصاً على المكاسب الأرض أشبه يراقصة ترقص حول الشمس ، وفيه ذكر نظم أوله

• الأرض ترقص حول الشمس من فرح • الخ

٧٩ الذات وتقسيمها (ثلاثة أقسام) عليا ووسطى وسفلى (العلم . السلطة . شهوة البهائم) الحيوان مقسم على حواس الانسان وحاجاته فالسمك من حيوان لنتم واللبن من حيوان للذوق وهكذا

٨٠ الحيوان كتاب مفتوح فنه الحرف كالآساد والمستعبد كالنعم . هكذا الانسان اذا أهمل صار كالثاني اوانشط كان كالأول والقرآن أشار لذلك بذبح البقرة وبالوصى للنحل ، وأيضا قد أسمعت النحلة نيا وهذا شرف لها لم تله البقرة ونحوها . حفظ القوة الشهوية في الانسان حسن كما حفظها الحيوان

٨٢ يحمّد المؤلف ربه على نعمة العلم وانه في كبرسنه اليوم أقرب الى الصحة منه أيام الشباب ، ويقول المؤلف ان جهله بعلم الصحة في شبابه قرّبه من المرض وعلمه بالصحة وعمله اليوم أكسبه بناية الله الصحة وأن الناس بجهلهم شقوا ومن الجهل العام في الانسان اذاعة القول في الجرائد أن الكبراء وعظماء الأم قد شربوا في محافلهم العاتية المربطيات ، ومعلوم أن ذلك لم يكن لداعية العطش فهو غير صحي لم تقدم عليه الأنعام التي هي خير من الانسان في ذلك ، وقد شاعت عادة التدخين والخمرات وكل ذلك مما دخل في قوله تعالى - وما أصابكم من مصيبة فبا كسبت أيديكم -

٨٣ نداه الى أم الاسلام بذ كر خطبة الاستاذ (فينسر) الأمريكي الذي يقول ان الجبل (٢١) سيكون متوسط اعمارهم (١٠٠) سنة لأنهم لا يدخنون ولا يشربون الخمر الخ والناس اليوم يقتسمون اعمارهم بأمثال هذا ، ويتعجب المؤلف من أن هذه الخطبة نشرت عند كتابة موضوع الحيوان هنا الذي ليس مفرطا في طعنه وشرا به ونحوهما ، ويقول المؤلف ان المسلمين قرؤا آية الخمر وكان شعراؤهم يباهون بها أمام ملوكهم جهلا . ذكر الدود والجراد والنمل والنحل والحمام والغراب والاساد والفيلة . فالجرادة والنبابة والناموسة لا يرين ذرّتيهن والنمل والنحل يعطف الفرد على المجموع والبجاجة والحمامة لاتعرف نظام المجتمع . والغراب لها حكومة منظمة والبقرة والشاة لا يعرفن إلا أنفسهن وذريتهن . والفيلة والذئب والقرود تعرف نظام المجموع وسيقول أنبأنا في المستقبل ان الطفل والهرم كالسود والاقوياء يلدون القرية وتكون لهم جماعات فاليابان والألمان ونحوهم وصلوا الى درجة الغرban والذئب في علم الاجتماع والناس الآن في الشرق والغرب لم يزيدوا عن الغرban . هذه الأمم كلها فعلت فعل الحيوان فأما بعض المسلمين كأبناء العرب في شمال افريقيا وسوريا والعراق فانهم لم يصلوا الى درجة أعلى الحيوان كأهل الصين واليابان وعمالك أوروبا . وسيقول فلاسفة المسلمين في المستقبل (يجب على كل أمة شرقية بجمعها دين أو وطن أولفة أن تحافظ على مجموعها ثم يجب على هذه الأمم كلها في الشرق أن يعضدوا كما اتحدت الممالك المتحدة ليكونوا أرقى من الحيوان ومن الأمم الحالية شرقا وغربا . ثم يقولون نحافظ على أخلاق آباءنا ولكن لانقب عندها وأن ماخافه نبينا ﷺ علينا من فتوح البلدان قد تم ووقعتنا في مآزق الحياة مع الأمم فيجب علينا الآن أن نسي في اتحاد الأمم جميعها شرقيا وغربيا لأن الجمعية كلها كانت أكبر كانت منافعها أوفر) وهذه المسائل نطقت بها الاشتراكية والبلشفية ولكن هذه المحاولات الى الآن لم تد وقراءة علوم الحيوان وغيره مثل ما هنا تعين على هذه الفكرة وهكذا الوحي الذي أمر بذكر الله أكثر من ذكر الآباء في الحج وأمر بان يؤذن بلال وهو غير عربي في الكعبة وهناك يعممون تعليم كل ذكر وكل أنثى وينظمون المجموع الانساني كما تقدم ويشير لذلك حديث الصدقة إذ لا يجد المتصدق من يأخذ صدقته ذلك لأن الأمم كلها عاملة وكل فرد نافع للمجموع فيكون مجزئة

٨٧ ذكر انتشار الاسلام في بلاد (البرازيل) وأمريكا وقول المسر (رز) (كل دين لا يبرعم المدينة لا ينفع والاسلام هو الدين الحق الخ) فانتشار الاسلام في الشرق والغرب الآن ومعه أمثال هذا التفسير ربما يساعد على اتحاد أمم الشرق والغرب ويتم إذ ذاك حديث الصدقة وعدم اخذها الانوار على (قسمين) نور ظاهر وهو نور الشمس والاقمار والكواكب ونور باطن وهو قوى النفس وما فيها من الصور والانسان لجملة يحقر الأمرين معا الشمس والكواكب وقواء الباطنة لأنه لم يتعب في

جاء في كتاب أصول القوانين أن للدار على اسعاد المجموع وكذلك مسألة الخضر وموسى قتل التلام
لاصلاح الأسرة كلها ، فلمصلحة الخاصة للاصلاح العام لا ضرر فيها بل قتل الكفار يوم بدر نفعه أعم
وهو اسلام أبناهم وهم أم كثيرة

١١٥ (الجوهرة الثانية) في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الى قوله - ومأواهم النار ولئلا
المصير - وتفسير الآيات اللفظي

١١٦ (أربع لطائف * اللطيفة الأولى) في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات -
واخبار النبي ﷺ لعدى أن الامن يم البلاد حتى ان الطعنة لتأتى من الخبرة وتطوف بالسكبة فلا تخاف
وهذا مجزأة ، ثم اللطيفة (الثانية) في قتل عثمان وفي أن الاسلام دين علم وهمل

١١٧ فصل في وعد الله للمسلمين بالتكفين في الأرض والاستخلاف فيها . فصل في أن المسلمين ينتصمهم
أمران الاتحاد والعلم . ضرب مثل لحال المسلمين مع غيرهم . معنى الجهاد وانه لبس خاصا بضرب
العدو بالسلاح بل هو يشمل كل ما يقوى الأمة من زراعة وتجارة وصناعة لجميع الصناعات فروض
كفريات جهاد

١٢٠ (الجوهرة الثالثة) - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم - الى - ولكم نقولون -
وتفسيرها اللفظي

١٢٢ (الجوهرة الرابعة) - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله - الى آخر السورة وتفسيرها اللفظي
١٢٣ خاتمة وفيها ملخص السورة

١٢٤ الجبال والنور في سورة النور وفيها ذكر تناسب السور الثلاث (الحج والمؤمنون والنور) في ذكر خلق

الانسان وانه من نقطة ففسخة الخ في سورة الحج وفي سورة المؤمنون ، فأما في سورة النور فقد جاء
ما يحفظ حواسه ، ففي الأوليين جعل هيكل الانسان مستمدا من الأرض والهواء والماء والفضاء أى من
كل ما حوله ولذلك قيل - فتبارك الله أحسن الخالقين - الذى جعل له منافذ تطل على العوالم المحيطة
به فيستفيد الانسان بها ، ومن عجب أن اللسان يبرع عن كل ما أحسن به بحواسه الخمس من هذه العوالم
وأينا حاسة البصر تشاهد صور كل ما عرفته الحواس الأخرى من الملموسات والمشمومات الخ وتعرف
نعمة الحواس بموازنة الانسان بالدود الذى فقد أكثرها ، وأكثر الذنوب ذنوب اللسان ويصين عليه
طموح العين لمحاسن النساء . إذن اللسان خلق لمنفعة هامة فوضعه في غير موضعه ظلم . خاطب الله
عباده بهذه الحواس والجوارح فهو يقول الناس (فريقان) أصفياء وأغبياء ، فالأغبياء ينظرون
جمالى في التجوّم والنهار والأزهار فلا يفتقرون إلا ما يشتهونه كالحيوان ، ومنى سعت لهم ساحة نحو العلا
سلطت عليهم زبانية الشهوات تضر بهم بمقامع من حديد فتردهم الى أسفل شهواتهم والسنتهم عاكفة
على الأذى لقومهم كأصحاب الإفك . إن تكلفى لكم بالتبسيح والتحميد لتذكروا نعمي المحيطة بكم
فليس الجمال في الانسان وغير الانسان لمجرد التناسل . ألم تفكروا في فتوركم بعد فراغكم من تلك
اللذة . تناديكم الشمس والقمر والنجوم والأنهار والطيور المفردة أن هلموا الى العلا . ان لم تصنوا
اللسان عن فضيحة لأوقاتكم والفرج من الفاحشة والعين عن الهرم فكيف ترون انى نور السموات
والأرض ؟ انكم تحجبون عنه . الحيوان لا يسرف في لذة الوقاع فالحكم تسرفون

١٢٧ آراء الانسان الخزونة في عقله أجنحة يطير بها الى العلا . السمع والبصر والفؤاد اتم عنها مسؤولون .
هذه الجبل ملخص سورة النور

١٢٨ (سورة الفرقان) هي ثلاث مقاصد المقصد الأول ، من أول السورة الى قوله - بل هم أضل - سيللا - قد كتب مشكلا بالحرف الكبير

١٣٠ التفسير اللفظي

١٣٣ تفسير لفظي - لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني - الى قوله - وأحباب الرس -

١٣٤ تفسير لفظي لقوله تعالى - وقرونا بين ذلك كثيرا - الى آخر هذا المقصد . وهنا (١٥) لطيفة

١٣٥ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان - الى قوله - نفيرا - كلما اختلف النظام كلن الملك أسرع انحلالا ، وكلما كان العدل أتم كان الملك أدم ، وبيان الهدية التي يقال ان أرسطاطاليس أهداها الى تلميذه الاسكندر وهي دائرة ذات ثمان كلمات وكل منها تصلح مبدءا ونهاية اشارة الى أن الأمة متضامنة وفي هذه الكلمات علم السياسة كلها

١٣٧ اعتراض على المؤلف بأنه لايفتر عن ذكر الحيوان والكواكب في كل مناسبة ؟ فنحن في صفات الله فلماذا نتعذرها ؟ وجوابه اننا لانعرف دوام الملك بقولنا إلا بالوارثة فلماذا دام ملك الله ولم يهدم كملك بني آدم عرفنا أن ذلك من التقدير في قوله تعالى - فقدره تقديرا -

١٣٨ بيان الدائرة الكبرى العاقبة . بخاريها فيكون مطر بتحريك الشمس له أولا وللهمواء ثانيا وهي تلح على الحب المبذور فينمو ويتبدل الحيوان والنبات التنفس فما يخرج به الحيوان بالزفير ينفع النبات والعكس وغذاء الحيوان متوقف على السباد الذي منه يكون من فضلات الحيوان ، والانسان متوقف على النبات والحيوان والجميع على ضوء الشمس والهمواء . هذا نظام عام . فأما الخاص فكجانب النحل والفحل وقد كتب منه كثير في هذا التفسير ، ومن نظام جسم الانسان تعاون الدائرة التنفسية مع الدائرة الدموية وهكذا بقية الدوائر الثمانية المتقدمة في سورة المؤمنون . فهذه دوائر متعاونات تعد بالعضرات أوسع من دائرة (أرسطاطاليس) التي هي في سياسة الأمة وحدها وهذه في نظام العالم العام فتعجب وافرح بالحكمة . وهنا ذكر اللطيفة الثانية وفيها ذكر حكم (توت) وهو (هرمس) وأعداد المتواليات العديدة عند قدماء المصريين وذكر الياقوتات الثلاث في ترتيب الآية . وبيان أن الانسان جنين في الأرض (٣٠٠) ألف سنة وهو اليوم طفل والحقائق تظهر الآن وانتشار الاسلام في افرقيا وترقيتهم ونشره في الصين ليرجعوا له بعد احتقار الأصنام التي شرعوا في تحويرها الآن بالعلم وبيان أن مبعي الصين الآن علمهم قليل

١٤٣ ملخص هذا المقال أن الأم كلها أطفال وأن رحة الله تشمل الأم كالأفراد وأن دين الاسلام مهد لهم ليتهنأ به ، وإن التقديم والتأخير حصلا في قوله - نزل الفرقان - وقوله - الذي له ملك السموات والأرض - فانزال القرآن بجملة فعلية وملك السموات والأرض بجملة اسمية والأولى للحدث والثانية للدوام . قدم الله ذكر نزول القرآن بجملة تقتضي الحدث وآخر ذكر ملك السموات والأرض وهذه هي حال المسلمين الآن لم يعرفوا إلا ألفاظ القرآن كالصبي يرضع لبن أمه ولم يفقهوا ملك السموات والأرض مع أن هذا الملك ترتيبه الوجودي قبل نزول القرآن وهو دائم فالتأخرون من المسلمين كالأطفال الرضع ويسمى بزجون العلم بملك السموات والأرض بالقرآن ليكونوا رجالا كما يفعل الشاب بعد زمن الصبا ، وبيان أن مافعله مصطفى كمال باشا من عدم مزج العلم بالدين (طفرة) لا تؤمن عواقبها كما حصل بعد كتابة هذا الموضوع للأثير أمان الله خان الذي قلده مصطفى كمال باشا في تلك المجازفة وهذا كالأدوية المسهلة تنفع مؤقتا ولكنها تترك في الجسم داء ، وذكر أقوال الأطباء مثل (غراينشتاين) الألماني القاتل (إن

الضعف ناتج من استعمال الأدوية ولو كان المستعمل لها طبيبا ماهرا (ومثل الدكتور (كبسر) القتال
(إن البلاء والطبيب كلاهما شر من المرض في أغلب الأحوال) وهنا (٨٠) عالما قرروا أن الاقتصار
على الطبيعة كالطواء والغذاء الجيد خير من الأدوية ، فهذا تمثيل لأمر السياسة ففهمنا عن الدين أشبه
بهذه الأدوية ولا فرق بين جسم الأمة وجسم الانسان والطبيب السياسي والطبيب لجسم الانسان .
وبيان أن هذا التفسير روح بها الله في الاسلام لقرع الملوك والمصلحين من العناء وإن كانت آثاره
يتأخر زمان ظهورها ولكنها تقوم

١٤٦ وبيان أن ذلك نظير شيخ طريقة كان مجاورا لى في طولون ، وكان يظهر بعض السكرامات الصناعية

فيها به الريسوف في المعبد بمصر وهذه حال لا تغيد لأنها وقتية كالأدوية التي ذمها الأطباء

(الباقوة الثالثة) في قوله تعالى - وخلق كل شئ بقدره تقديرا - . نظرة المؤلف للعنكبوت اتخذت

لها بيوتا وضربت خيامها في آلاف الأفدنة بجوار (بلدة اللرج) قرب القاهرة وانها نساجة غازلة صائفة

مفترسة للذباب وهي أشبه بالأم الصائفة التي تفتك بالأم الزارعة لأنها أرق منها وقد عرف هذه الفكرة

السلطان سليم فانه لما فتح مصر أخذ جميع صناعاتها فبقيت البلد زراعية ليتمكن استبعادها ، وهنا يان ماني

جسم العنكبوت من الصنعين مصنع الغزل ومصنع السم لجلب المنفعة ودفع المضرة ، ومثلا في ذلك

النحل لها (مصنعان) مصنع لصناعة العسل ومصنع لاحداث السم ، فاذن جميع ما في الأرض من

مصانع النخيرة ماهي إلا تكرار لمصانع في الحيوانات كهدذين الصنعين في العنكبوت والنحل ، وهكذا

مصانع الغزل والنسج والسكر تكرار لتلك في العنكبوت والنحل ، وبيان أن العنكبوت ليست من

الحشرات كالنمل والنحل في عدد أرجلها فهي ذات ٨ أرجل والحشرات (٩) أرجل ، ومثل العنكبوت

العقرب في عدد الأرجل وكذلك أبو شيت وأكثر الحشرات غير سامة وأقلها كالنحل والزنبور سام

بخلاف الصناكب والعقارب وأبي شيت . هذه حكم المصانع من مغازل ومناسج وذخيرة للاهلاك ملأت

بيوتنا وحقولنا في الأماكن التي تركها الانسان لتكون عبرة لقلادة الأم المفكرة (شكل ٢٧) فيه

رسم جهاز الغزل في جسم العنكبوت مكبرا (شكل ٢٨) رسم ابرة النحل مكبرة جدا (شكل ٢٩)

رسم العنكبوت وله إرتان في طرف رأسه يلسع بهما وتحت إبرة مكبرة والى يمينها الغدة التي تفرز السم

(الحكمة العملية) وهي ان الأم الصائفة تستعبد الأم غير الصائفة لأن الأولى تخلفت ببعض أخلاق الله ،

انظر الى الألمان الذين صنعوا حورا من خشب القطن وخشب التوت وهو أرخص من حرير البودة وإذا

دام هذا تنقرض البودة . في الهند يزرع نبات نيلة الصباغة في مليون فدان فاستخرج الألمان مادة

الصباغة من القمم فبارت تلك الأليان . إذن هذا الانسان خلق في الأرض ليصنع كل شئ بنفسه

فلا يتسكى على حيوان ولا نبات وهذه حال أشرف للإنسانية العامة ويكون الانسان أقرب الى ربه

١٤٩ بماذا يشبه الله للناس إذ أراهم صنع أمثال العنكبوت والنحل وتقديرهما للذباب نصمة لأنه يعيل

الطوباب الى جسمه ولكن هو قسه ينقل العدوى لأمراض كثيرة ، لتلك خلق له العنكبوت يسلط

عليه . إن الام الوفرة الرزق ذليلة والأم التي تعبت في التحصيل عريضة الجانب . فالأولى كالقناب الذي

يجد الرزق في كل مكان والثانية كالعنكبوت الذي يحتاج الى شبكت يسلطها بها . هذا كله من معنى

- وخلق كل شئ بقدره تقديرا - . لتلك كله ضرب الله الأمثال وأنزلها في القرآن إذ علم أن المسلمين

سينامون أمدا طويلا فقال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - (بكسر اللام) ثم

إن هذا التقدير ليس خاصا بما فوق الأرض بل يشمل ماني البحر من السمك ومن الحيوان صاحب السيفنة

١٥٢ فبينما سمك كهرلاني (شكل ٣٠) و (٣١) يكون بالبرازيل وقتها ويقتل السمك بالكهرباء المتولدة من صفائح منشورية الشكل أشبه بخلايا التحلل كلسا طر المستسة الأضلاع . فهذه جعلت لصيده في البحر كشكة العنكبوت في البرز وهكذا (شكل ٣٢) صورة حيوان (التوتيلوس) أو صاحب السفينة بهجة العلوم المسطورة في لوح الطيبة وهي (ثلاثة فصول)

١٥٣ (الفصل الأول) في خطاب الله للأمم ، وفيه بيان أن منازل بني آدم تكون ظواهرها حيطاناً متينة ولكن الحيوان منه ما جعل كذلك كصاحب السفينة وأمثاله من كل ما جعلت له صدقات تحيط بحجمه ومنه ما لاصلاية في جسمه لا داخلا ولا خارجا كالخشرات ، ومنه ما جعلت صلابته في الداخل لا في الخارج كالإنسان وذوات الأربع والطيور أرى جميع الحيوانات الفقرية فهي تخالف بناء منزلنا ، صلبها داخل ولطيفها خارج كجلد الإنسان والحيوان بالنسبة للعظم

١٥٤ (الفصل الثاني) في خطاب الله للسجين بنفس هذه الحيوانات ، يقول هذه سجنى وهذه أهالى فسجنى ابراز جميع الصناعات كأرى سجنكم في جسم السحل والعنكبوت والسمك وصاحب السفينة

(الفصل الثالث) في خطاب الله للأمم الإسلامية للتعبيرين في خوارق العادات فلا يفرقون بين الأولياء والسكران ، وفيه بيان أن الشيوخ الذين ظهر سلاحهم وأخبروا بالغيب فرضا لا يدل ذلك على رخصة قدرهم فإن اتنويم المتناطيسى قد حدث بذلك صدقا نارة وكذبا أخرى ، وهل زاد الصادق من هؤلاء الشيوخ عن المدهد إذ أخبر سليمان بما لا يعلم ، فهل المدهد بهذا الاخبار صار أفضل من سليمان ؟ وهل خرق بعض العادات من غير الأنبياء إن صح - أيها المسلمون يزيد عما صنعت العنكبوت من المراكب الهوائية التي طارت بها في الجو ، فهل اتخذت الحيوانات البرية العنكبوت أئمة لها لما فعلت ذلك ؟ أم اتخذت حيوانات البحر السمك الطيار أئمة لها بسبب الطيران غير المعتاد عندها . أيها المسلمون وإِنَّه ما دمتم جهالا فاق أرسل اليكم هؤلاء الجهال ليصوموا دماءكم هم والمستعمرون من الأمم القوية جزاء ما كنتم تجهلون ألساء مثلا القوم الجاهلون

١٥٥ ذكر ما قاله الشيخ المبلغ من أن من فتح الله عليه بسبب العبادة ونصب نفسه لقيادة الناس وجعل ذلك بابا للرزق فهو خاسر ، وبيان قول الفيلسوف (سينسر) ان الناس قرؤا قبل أن يكتبوا فعلمنا أن نبتدي بالكلام قبل الكتابة مشاكسة لتاريخ ذلك وإِنَّه خلق العالم قبل خلق الإنسان . فليدرس المسلمون الحيوان والنبات وظواهر العالم قبل درس تشريح الإنسان . إن النبات والحيوان مخلوقان قبل الإنسان فليدرسوا قبل دراسة جسمه ليكون ذلك أسهل لهم جسم الإنسان فهذا صراط الله ونحن نقول - اهدنا الصراط المستقيم - وهذا المعرف يرجع الى المنكر

١٥٦ بيان أن الطوفان والجراد والقمل والضفادع المذكورة في القرآن انها آيات مفصلات من الأمثال التي ضربها الله للناس وما يمتثلها إلا العالمون . إذن هذه آيات مفصلات وآيات القرآن آيات مفصلات ولا تعميل لآيات هذه الحشرات والحيوانات والطوفان إلا ليعلم يشمل نوع الإنسان . وليس يعقل ذلك الآيات إلا لعلماء بنص القرآن . فالعلم الجاهل يحقر الضفدعة والقملة والجراد والهم ويقول هذه أشياء معروفة أنا أعرفها ولا يحتاج الى علم ولا فهم ولكن الله يقول كلام لا لا يمتثلها إلا لعلماء اختصوا بها والجاهل يعلم كل شيء والعالم يتوقف حتى يعلم . فالطوفان يهلك البلدان إذا لم يحترس الناس من غوائل الإنهيار كالنيل ولم يتنوا القناطر والجسور . وتري بلاد اليمن نواعية كان بها سد العرم قديما فانتصروا به واليوم لا علم في البلاد كاذبي كان في الجاهلية أيام عمالك سبأ فأفترت الجنتان . وهل يرجع المجد

للقوم إلا بالتبحر في علوم الهندسة وأ. هـ كالأم حولنا اليوم ؟ وهل يعرف المسلمون ما عرفة الناس في أيماننا من أن البراغيث تستعمل الفيغان كما تستعمل نحن الخيل فتركب متها وتهجم على الناس فتقع على الأجسام حاملات جراثيم مرض البقان والزيف ومرض الدودة الحبيطة والديدان المعوية والطاعون وأن نفس الفيغان مدرعات لما نخزنها وأن الاحتراس منها ومن البراغيث يستحيل أن يكون إلا بعد العلم بذلك الخطرومن لم يعلم لم يعمل . هذا معنى كونها آيات مفصلات . نعم البرغوث ليس مذكورا في الآية ولا الفيغان ولكن البرغوث من الحشرات كالقمل فلذلك كور في القرآن يراد به فتح باب البحث إذن هذه آيات مفصلات وليس يفصلها إلا العلم بها والمسلمون أكثرهم اليوم جاهلون بها . إذن على المسلمين جميعا أن يدرسوا هذه العلوم من باب فرض الكفاية وهي طاعة واجبة . وهذا زمان ظهور سر بعض اسرار القرآن . كل ذلك من قوله تعالى - وقدره تقديرا - لأن هذا من التقدير والنظام وهو لا يعرف إلا بالعلم

١٦١ ومن هذه الآيات المفصلات (الناموس) الذي يسبب مرض (الدنج) الذي يسمى بمصر (أبالركب) ويسمى (حجى البلع) فلهذا المرض جراثيم لم يمكن رؤيتها لدقتها وتنتشر بالناموس والناموس يتغذى من دم الانسان ، وهنا كيفية أعراضها وكيفية منع انتشارها وطرق الوقاية منها في بلاغ الحكومة المصرية إذ أمرت أن يعدم الناموس وأن تقطى الأسرة وأن لا تترك للماء راكدا لأن الناموس يعيش فيه وليعزل المريض عن الأصحاء . كل هذا ذكرته ليان قول الله تعالى في سورة أخرى في هذه الحيوانات وأمثاله أنها آيات مفصلات فهذا نوع من تفصيلها بالعلم والمسلمون إذا لم يعلموا هذا فأنه لهم بأرصاد في الدنيا بالقل وفي الآخرة بجحيم

١٦٤ ﴿اللطيفة الثالثة﴾ - ولا يعلكون موتا ولا حياة ولا نشورا - ويان أن هذه (سبع صفات) لا بد منها للالوهية وبيت التصيد منها قوله - ولا نشورا - لأن الإله الذي يخلق الخلق ثم لا يبده قد فعل فعلا عبثا فالإله كامل والكامل لا يفعل العبث يخلق أرواح في الأرض ثم لهلاكها بلا فائدة تترتب عليها . وانظر إلى عدد (١٩) الذي مر في اللطيفة السابقة فقد جعله قدماء المصريين رمزا للبعث

١٦٥ ﴿اللطيفة الرابعة﴾ - وقالوا مال هذا الرسول - الخ . الناس لا يعظمون إلا من كثر ماله وحشمه والترف عندهم علامة الشرف فكيف يأكل الرسول الطعام الخ وهذه الفكرة الجاهلية هي هي نفسها اليوم تملك قلوب كثير من أمم الاسلام إذ يقولون لو كان ديننا حقا ما دخل الفرنجة بلادنا

١٦٦ ﴿اللطيفة الخامسة﴾ - ولكن متعنتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا - يقول المصودون جوابا على سؤال الله لهم عن عابدين ان هؤلاء تنعموا فانبعوا أهواءهم فهلكوا ، وعليه يكون الأنبياء المذكورون في الآيات لو أنهم لم يعيشوا في الأسواق وكانت لهم كنوز يأكلون منها لكانوا منعمين والمنعم ضال غالبا . إذن التمتع ليس نتيجة النبوة بل نتيجة الضلال ، فالأنبياء إذن ليس من شرط نبوتهم الفنى . إن الملائكة والأرواح العالية لانكمم إلا قنوسا ترفضت عن المأذة ، فأما الشهوانية فقد احتال الناس في زماننا على محادثة منها أرواح بالمأذة والفتنجال وغيرها مما هو مشروح في كتابي (الأرواح) وأكثر الأرواح التي يكلمها الناس بالصناعات المتقدمة أرواح كاذبة ساقطة تصدق وتكذب

﴿اللطيفة السادسة والسابعة﴾ النعمة معها قنمة والمضار فيها منافع . ان في أجسامنا الحيوانات البيضاء تساعد الجراء في الدم ومحارب التفرات لتفتك بأجسامنا وفي أثناء القتال تحصل الحرارة فنسميها حي والتلقيح المعتاد يراد به ادخال حيوانات مهلكة تفرث الكرات البيضاء على الحرب فتكون ذريتها معدة لاهلاك حيوان كل طاعون أو مرض مهلك في الجسم . هذا كله سر قوله تعالى - وجعلنا بطنكم

بعض فتنة - ومن هذا منافع الأعداء ومنه قول الشاعر * عداكى لم فضل على ومنة *
 ١٦٩ ﴿الطليقة الثامنة﴾ - وقد منا الى ماعملوا من عمل - الخ نيات الانسان وآراؤه اذا تركت مبعثرة كانت
 أشبه بثرات الضوء في طبقات الجو لا تظهر لها ولكنها تجتمع على وجه الأرض فيظهر ضوؤها هكذا
 الأفكار إن لم تجتمع في نقطة في العقل ذهبت شعاعا بلا فائدة
 جوهرية في قوله تعالى - أحباب الجنة يومئذ خير مستقرا - الخ سؤال طالب من دار العلوم يقول كيف
 تصور وجود الله وعقولنا لا تفعل كيف كان هذا الوجود ، ثم كيف يعذبنا وهو المقتدر لكل شئ فأجابه
 المؤلف على السؤال الأول

(١) بأن المثلث والربيع وقضايا الحساب وغيره ثابتة في نفسها كالأعداد مثلا ، فهذه القضايا الثابتة
 بنفسها تقرب لنا وجود الله بدون خالق وإضافاتنا ولهذا أرضنا صغيرة فهي صغيرة بالنسبة للعوالم كلها بحيث
 اذا كانت الأرض جوهرافردا كانت العوالم على نسبتها ألف مليون أرض فكيف نطمع أن نفعل خالق العالم
 (٢) وأيضا نحن لا نعرف العدم ، فليت أجزاؤه باقية بعده وكانت موجودة قبله بل المادة قبل اليوم
 انها تتعدم وترجع الى أثر ولكن الأثر موجود . إذن لا عدم والوجود هو الأصل . إذن وجود الله
 أصل لا يحتاج الى تعليل وليس فيه غرابة أى فلا نقول من خلق الله ، والاجابة على مسألة القدر وهي
 الثانية بأن ندرس أجسامنا والعوالم كلها نعرف الرجة ، فلننظر طبقات العين مثلا وقد أعدت لتتظر
 الأنوار الآتية لنا بعد سبورها (١٠٠) ألف ألف سنة ، فلرجة لاحد لها قد مكنت العين من رؤية
 أجرام بعيدة جدا ، ومن الرجة اذلال العناصر للانسان بحيث أمكنه بالكهرباء أن يوسع درجات الحرارة
 بحيث صارت (١٤) ألف درجة فوق الصفر و (٤٤٩) درجة تحت الصفر بسبب القرن الكهر بائى
 فتصرف في المادة وحول الهواء (الايوزوت الذى فيه) مع الادروجين الى نوشارد وهذا دخل في سداد
 الزرع وفي الأعمال الحربية ، فنحن في يد الله يصرفنا تصرفنا للعناصر بالحرارة وهذا جعل لرقينا
 فكل ألم انما هو لمنفعتنا ، وأيضا السنة أصرت بترك الكلام في القضاء والقدر . ومن أراد الكلام
 فليذكر في أن لكل امرئ جنة ونارا في نفسه فانطوف من التعبير بالتأخر عن تفارئة وهكذا حقوق
 العار بنحو الفسوق . كل هذا يهذب به الانسان ولا يفيد ان يقول هو قضاء وقدر ، فالتاس يحسون
 بالآلام الضمير وقد انطبق عليهم قوله تعالى - بل الانسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره -
 وهكذا نرى المجتدين منشرحي الصدور بنجاحهم في النهاية . فلكل امرئ عذاب ونعيم لاحقان به في
 الحياة الدنيا ولكن هذا يصير محسبا بعد الموت . ومن ذلك الخياط (شوارد) الانجليزى الذى قتل
 زوجته ثم ندم وقتل نفسه للحكمة فقتلوه وذلك لشدة ضغط ضميره عليه . إذن لم يكتف ضميره بالقضاء
 والقدر . إذن العذاب يكون في الدنيا وفي البرزخ ويوم القيامة وذلك ظاهر في جميع قصص القرآن وفي
 حديث قليب بدر ومناداة النبي ﷺ للقتلى في القليب . ثم بيان أن عذاب الخنزى هو أشد أنواع العذاب
 ١٧٥ بيان ما يناسب هذا المقام من كلام علماء الأرواح وضرب مثل لذلك أولا . ذلك اننا في الأرض اتخذنا
 من الجبال حجارة فبنيناها ووضعنا فيها ما يناسبها . واتخذنا ما في باطن الجبال وقرار البحار من الأنهار
 الكريمة والجواهر لبطانها زينة للحسان ونحوهن ونرى رجال السياسة بناء الأمم يكتفون من الشعوب
 بطواهر التآلف ومثلهم رجال الدين . أما الحكماء فيقولون . كلا . فالعقول الصافية العالة هي المقصودة
 في عوالم الجنة وهي أشبه بالجواهر تتعلل بها الحسان والله لا يصطنعني عنده إلا هؤلاء المخلصين فهم كالجواهر
 أما الباقون فهم كحجر البناء وحجر البناء لا يصلح للزينة لعدم المناسبة وهذا معنى الحديث « أنا أحكم

بالظهور والله يتولى السرائر ، هذا هو المثل الذي ضربناه . ويقول الاستاذ (عساولي) الذي نظم
 ذكره في التفسير وهو من علماء الأرواح (إن الذين قرأوا العلوم واستغربت بنفوسهم وأحبوها هم الذين
 ترتفع منازلهم بعد الموت ، أما العلوم التي حفظت بدون تفهيمها في النفس فلا ترقى الروح بعد الموت فالتعلم
 بهذه الدنيا ونظامها على هذا الشرط يجعل النفس مع الأرواح العالية) ويقول المؤلف (إن آراء هذا
 العالم الروحي تشابه آراء الفيزيائي في كتاب الإحياء) ثم يبين أن آيات القرآن تساعد على ذلك ، ثم
 ترانته يقول تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض - الخ فلماذا جعل رزقنا من السماء بالمطر مثلا
 وأخبرنا به وجعل لنا عيوننا بخلاف حشرة (الأرض) التي لا تحتاج إلى الماء للمطر وهي مياه ، ولذلك إلا يذكرنا
 بأن ندرس هذا الوجود ، وأيضاً هو أوقف حياة الفرد على حياة المجموع لتعارف وتقدم ونستخرج
 منافع الأرض معا . ويان أن أخلاق الإنسان وأعماله يرسلها المفسنون من الملائكة مسطرة على دماغه
 وجسمه كله ويخفف في النار بعد الموت أوفى الجنة أوفى مدة إلى أن تظهر ضلاليه ثم يرسل إلى جنة أولاد
 وهذا كله يوافق الآيات القرآنية . الكلام على المقال الذي أكتبته لذلك الطالب بعد ذلك في وجود
 الله فيما سبق ، وأن هذه العوالم ترجع إلى ذرات ضوئية كهربائية وما هي إلا حركات ناشئة من عالم
 لا تدركه والعالم الذي لا ندركه وراءه موجود حقيقي هو الأصل بوجود نفوسنا التي لا تراها وإذا
 كان الوجود المجازي أو الظاهري الذي سميناه مادة رأينا لا ينضم إلى المادة ترجع إلى الأثير الخفيف فكيف
 إذن يكون الموجود الحقيقي الذي هو الأصل . إذن الوجود هو الأصل لا العدم وعلى هذا لا يرد السؤال
 بقولنا من الذي خلق الله الذي بنى على أن الأصل هو العدم . ويان هجر المؤلف وهجر العلماء قبله عن
 ادراك حقيقة عالم الأثير كما هجزوا عن ادراك ذات الله والاكتفاء بضرب مثل لله في خلقنا وذلك بهام
 الخيال عندنا فنبه ضعف خيالنا إلى عظمت هذا العالم المشاهد كنسبة ضعف نفوسنا إلى عظمت خالق العالم
 وخيالنا لبقاء له إلا بنفوسنا وإذا غفلنا عنه لحظة عديم هذا الخيال هكذا هذا العالم لو أغفله الله لحظة عديم
 فلا وجود له ، وهذا يفهمنا - لا تأخذه سنة ولا نوم - ويفهمنا - إن الله يملك السموات والأرض
 أن تزولا - وعليه لاجابة في خلق العالم إلى مادة سابقة ولا مثال ولا في عهده إلى شيء غير الإرادة وبه
 نفهم معنى - كن فيكون - وهذا أصل عجيب فتح أبوابا كانت مغلقة على أكثر نوع الإنسان والعلم
 الحديث هو الذي سهل فهمه لأنه أرانا أن المادة حركات لا غير فهي معدومة ، ثم يان أن هذا المقال
 سيتم في آخر سورة النحل وهناك ذكر موازنات بين علماء اليونان وتفصيل العالم المعروفة في القرون
 الوسطى التي استندت منها علوم الأمم الحاضرة

١٨٢ (الطبعة التاسعة) في قوله تعالى - ويوم تشرق السماء بالغيام - ويان الكشف الحديث أن ستين
 ألف كوكب ظهرت الآن وانها في حال التكوين كأنها غمام وأن الشمس وأمثالها ترجع إلى تلك الحال
 بعد خراب هذا العالم

(الطبعة العاشرة) - ويوم يحض الظلام على يديه - وفيها ذكر أنواع الصدقات وانها (أربعة أقسام)
 تأتي سريريا وتذهب سريريا أو بالعكس الخ . ضعف السياسة في الأمم الإسلامية اليوم . ويان أن
 الأمم الأوروبية قد نعت في صناعة السلاح وصناعة الخيل والميكروحي أنهم يرسلون لأمير وقائد الجيش
 في أم الإسلام رسولين وكل منهما يهرك صاحبه إلى مناواة الآخر وهناك تكون لهم هم الفائدة المرجوة
 وهذا يناسب الآية - ويوم يحض الظلام على يديه - الخ

١٨٤ (الطبعة الحادية عشرة) - وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - ويان أن

المسلمين جهلوا الحكمة في أن أول سورة نزلت جاء فيها الأمر بالقرأة ووصف الله بأنه كريم خلقة
الانسان وأكرم لأنه علمه بالقلم فرضوا بالاعتراف من نعمة الكرم ولكم لم يرضوا بقبول نعمة الأكرم
التي هي نعمة العلم خلق العذاب بنا في الدنيا قبل الآخرة

١٨٩ القرآن وتصغير المسلمين ، وكيف نسوا سرّ تقديم كون - الحمد لله - على كونه - رب العالمين - كما قدم
- اقرأ باسم ربك - الخ على ذكر الصلاة . إذن العلم أفضل من العبادة ولكن للمسلمون اكتفوا بالعبادة
ونسوا العلم . إذن هناك اتفاق بين الفاتحة وبين سورة العلق

١٨٧ القرآن كالبحر الملح ، أخذنا منه علم الفقه الذي يشبه السمك في البحر وتركنا الجواهر والمرجان فأخذتها
أم غيرنا وهي علوم هذه الكائنات

﴿ الطيبة الثانية عشرة ﴾ - الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم - الخ وفيها أن النبات رأسه أسفل
والانسان يحكه والحيوان وسط بينهما ، فالانسان نبات مقلوب ، وعلى قدر انفصال الرأس من الأرض
يكون حظها من العقل فأدرك النبات أضف وبه الحيوان فالانسان . إذن النفوس المنحلة تحشر
على وجوهها لعدم ثقلها - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل - الخ فعلى مقدار الجسد في العلم والعقل وارتقاء
الغرائز تكون السعادة والكمال

١٨٨ جوهرية في قوله تعالى - وكلا ضربناه الأمثال - الخ وشرح معنى المثل والأمثال (كناية ودمنة) وقصص
(ألف ليلة وليلة) وأمثال اليهود وأهل بابل والهند وقدماء للصيريين وهكذا وأن الأمثال إنما ألهما الله
لعباده لأن فهم للمعاني منها أبقي لها عند النفوس الانسانية لأنها لا تنظم إلا ما تعبت في تحصيله كما لم يرغب
في جبال النجوم وبهجة الأشجار كغبتها في اللباس والجواهر لأنها عزيزة عندها لتباعد عنها وغلق
نفسها ، هكذا الأمثال فهي تحتاج إلى أعمال الفكر . ونظير ذلك ما شاهدته الموقف في دار الآثار العربية
من سعادة غالبية الفن واتاء من عتيق أعانتها مرتفعة جدا وهكذا فيص ابن هرون الرشيد . فهذه
كلها لتدبرها جذبت قلوب الناس لمشاهدتها ولو كانت مبذولة لتروكها

١٩١ وهنا أن أذكر قصة العابد المفتون وهي الرواية الهندية . ذلك ان العابد (كنشو) حصد ملائكة
السما (في زعمهم) فأرسلوا له (رامنوتنا) وهي حورية من الجنة فأمنته بجمالها وأنست العبادة أياما
كبيرة ففرح بذلك حساده من الملائكة ولما امتنظ لنفسه عرف للمكيدة . فهذا مثل لعفة الانسان
عند تلك الأمم . وتليها قصة (نال ودلمان) الهندية من كتاب (مها بهارته) كتب هندي . وذلك أن
(نال) ملك مملكة (نيتلوا) الهندية أخبرته (أوزة) لما اصطادها بجمل الفتاة الفتنة (دلمان) ففلق بها
وأشربت الأوزة لما أطلقها (دلمان) بجب (نال) فهامت (دلمان) به فأخبرت أهلها (فيهم) ملك مملكة
(فيدونه) وأنهى الأمر بزواجه لها . ثم أن إله الشر (في زعمهم) أوحى إلى (بوسكار) الذي هو أخو
(نال) أن يلعب بالميسر وهو يشربه بإساعده عليه ففسر (نال) كل مملكة وعش هو وزوجته في الفل
واقترع ثم رجع معها إلى مملكة أبيها وأخذ جيشا وقصد أخاه فسلم له بالحرب ولا ضرب فأصدر (نال)
أمرا بتحريم لعب القرد على مال لأنه مضيع لال . وعلى ذلك قصة هاروت وماروت التي ضرب بها الأمم
السافكة مثلا لئلا الانسان بالشهوات فيسقط من عزه إلى أسفل سافلين . ويبين أن تلك الخرافات
المنقولة من بني اسرائيل جاء في حديث ﴿ حثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ﴾ جوازها باعتبار انها
ضرب أمثال لاستغاثي ولكن حقاقتها لا قيمة لها وديننا لا يبيع انشاء روايات على هذا الخط لأن الأمثال
لا يظلمها إلا المظلمة بها والقرآن نزل لأمة آتية فهو للمجمل والعالم فذلك من العلماء مثل هذا لأنه يوم

أنه حقيقة . وهذه الروايات كلها المفسرون باعتبار أنها أمثال وإلا لم يجوز فلا تعارض عليهم في ذلك لاجل له بعد ورود الحديث المتقدم . ولقد اعتنى أهل أوروبا بالروايات ورواها بها أهمهم كرواية (وردة) عن قدماء المصريين باللغة الألمانية فقد رقت الشعب والله مدح الحكمة من أى قائل كان . الإنسان في هذه الأرض كتاب لا يدرسه . يعقله إلا المفكرون . طعامه يكون دما وبقية فضلة خليطة وهذه ترجع فتصير زروعا فلما . فهذه كتليد سقط في سنته فأعيد ثانيا وهككذا . وهذا السم يمد الجسم ويكون منه ولد لحفظ النوع كما يفعل النهر من حتى الأرض وإيجاد أرض جديدة في البحر . الذكورة والانوثة ليست شرطا في النسل فان الممار لا يحتاج الى ذلك . إذن الذكورة والانوثة لم جعلت لارتقاء العقول بالعلم والأخلاق والصبر والنسك وما أشبه ذلك (وبعبارة أخرى) أنها تمرين على الفضائل وعلى حب الله والملا الأعلى لأن الحب (ثلاث درجات) حب الذكر والأنثى وحب الصلح وحب الله وكل حب مقسمة لما بعده . والناس لما عشقوا وكرهوا وتقاتلوا أنزلوا الله في منزلهم فاخضعوا آلهة يحاربون ويعشقون وجعلوا الله على حسب عقولهم فجاء القرآن وقال - كلا - الله لا كفؤ له حتى يحاربه ولا ولد له ولا زوجة

١٩٦ ومن أمثال القدماء فصالح (بناح حنب) وقصة (البحري الغريبي) عند المصريين الذي ركب سفينة وكسرت وغرقت السفينة فلجأ الى جزيرة وقابلته حبة وأكرمه ورجع الى بلده . ومثلها السندباد البحري وقصة حى بن يقظان وروى بنسون كروزو وألف ليلة وليلة وقوانين (جوراني) سنة ٢١٠٠ ق م (اللطيفة الرابعة عشرة) - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - الخ . الناس قد حسبوا السنين والشهور والأفلاك والكواكب والكهرباء والبخار والماء وكلوا كل مكيل ووزنوا كل موزون حتى الكهرباء والنوء وكل شئ ولكنهم الى الآن جهلوا أمر غوسهم فلوانهم حفظوا قواها ووزنوها لتفهم كما اتفقوا بحفظ الضوء ووزنه والكهرباء وهكذا

١٩٨ الإنسان اليوم أكرهه في جهالة (انظر هذا في كتابي أين الإنسان)

١٩٩ (المقصد الثاني) - ألم ترالى ربك - الى - وأرأاد شكورا - قد كتب بالحرف الكبير مشكلا ٢٠٠ تفسير هذه الآيات تفسيراً لفظياً -

٢٠٣ هنا (أربع لطائف) اللطيفة الأولى) - ألم ترالى ربك كيف مد الظل - وتقسيم الأجسام الى معتمة وشفافة ومضيئة كالأرض والهواء والشمس ومعنى الظلام والظل وما سببهما وأن الظل والظلام في العالم يقلان جدا وأن الكسوف والخسوف بسبب الظل القمري والأرضي

٢٠٤ (اللطيفة الثانية) - وأرأنا من السماء ماء طهورا - وبيان أن الماء تظهر فيه الأجرام الفلكية وليس يفتى اذا امتصه النبات أو شربه الحيوان بل هو باقى ويرجع ثانيا وهكذا والنفوس الانسانية أولى بالطهارة والصفاء حتى تقبل رسوم المعقولات لطافتها وأحقّ بالبقاء لشدة لطافتها وصفاتها . ثم ان الماء كثير التصرف فهو في الأقطار الاستوائية تظهر فيه شهب وذوات أذنان وأقواس قزح وفي القطبين تظهر فيه عجائب الألوان وبدائع تنقسم ذكرها وهكذا القرآن قد صرفه الله تصريف الماء من فخلق في الحكم والمواظ والأخبار الخ . هكذا الإنسان فهو يتخيل ويفكر ويحفظ وينظر ويسمع ويمضغ ويهضم ويطبخ السم وهكذا وكل عمل من هذه بشؤون خاص - فالنفس واحدة ولكن بالتصرف فيها كثرت أعمالها . هذه هي النفس وهذا هو القرآن وهذا هو الماء المذكورات في هذه الآيات .

٢٠٧ (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام - الخ وبيان

الحكمة في اختيار عدد (٦) مع ان العالم خلق في ملايين الستين فأى عدد ينطبق عليه . وبيان أن العدد (ثمان) زوج وفرد والأفراد إما أولية وامركبة من ضرب أعداد فردية مثل (٥) ومثل (١٥) والأزواج كلها من ضرب عدد (٢) في كل عدد بعده مثل (٣) و (٤) و (٥) و (٦) وهكذا ثم العدد إما زائد وإما ناقص وإما كامل فزائد مثل (١٢) لأن مضاربه تزيد عليه والناقص مثل (٨) لأن مضاربه تنقص عنه والكامل مثل (٦) ومثل (٢٨) لأن مضاربهما تساويهما . وبيان الجدول الذى استخرجه العلماء وفيه ظهر ان (٣٣) مليوناً ليس فيها إلا سبعة أعداد فقط كواكمل والبقية إما زائدة أو ناقصة ، فاذن عدد (٦) اختير للإشارة الى أن العالم وضع على أكمل نظام لأن الكمال قليل في العدد

٢٠٩ أقسم الله بالعدد وهو الشفع والوتر وبالشمس والقمر الخ ولم زره أقسم بغسل الميت وتكفينه ولا بالحيف واليوسع والذى أقسم به الله شريف . إذن فلماذا لا يبحث المسلمون عنه وينصرفون الى غيره وهذا عجب فقد ألفوا في غسل الميت وتكفينه وأوسعوا . أما هذا فلا حكاية الشعبى لما أوقفه عبد الملك بن مروان الى ملك الروم وسؤال الملك له عن نعم الجنة كيف لا ينفد وعن الله كيف لا يكون قبله شئ وهكذا

رؤيا منامية للمؤلف إذ رأى أقواماً يسألونه في عدد (١) زيد عليه (٢) ثم (٢) وهكذا وهو لا يزال واحداً واجابة المؤلف في النوم بأن العدد الذى لانهاية له ليس له اسم فهو عدد واحد بخلاف غيره كلماته والألف و بيان أن الشيخ حسن الطويل قال ان هذا الجواب تقريبى ثم تبيان أن علم ما وراء الطبيعة يفيد أن هذا الجواب في النام صحيح لأن الوحدة مساوية للوجود فكل موجود كثيراً أو قليلاً يقال له واحد . وبيان أن المؤلف قيل تفسير هذه الآية كانت تخطر له خواطر في الأعداد الأولية والفردية وللزوجية وأنه لما وصل الى تفسيرها عرف أن المقصود هو المبحث العدى في قوله - ستة أيام -

٢١١ (الجمهرة الأولى) في قوله تعالى - وهو الذى مرج البحرين - الخ . وبيان قول الله تعالى - يا بصرة على العباد - وذلك لاعراضهم عن آياته واستهزائهم بها مثل ما هنا من آيات البحار كالرجان واللؤلؤ وهكذا

٢١٢ تعجب المؤلف من أمة الاسلام كيف يقوم (اللورد أفبرى) الانجليزى فيصف جلال الله في هذه الطبيعة والمسلمون نائمون فأين حب الله إذن ؟ وذكر الشعر الذى في كتاب اللورد المذكور خطاباً للبحر مثل • إن في صدرك الحبيب رجالا • الحيوانات في البحار مثل الكاثلوات مثل الرور كال و يبلغ طول هذا (١٢٠) قدماً وذكر قريص البحر الذى يغطى اميالاً من سطح البحر

٢١٣ الحشرات وبعض ذوات التدى ثم الحيتان العظيمة . وطائر صوته كصوت الجار . وبيان أن جبال البرق قاصر على السطح . أما جبال البحر فهو في سطح الماء وفي وسطه وفي القاع وهناك سمك يعيش على عمق (٢٧٥٠) قامة وضوء الشمس لا يصل لأبعد من (٢٠٠) قامة

٢١٤ ومن السرطان ما يعيش قرب سطح الماء فتكون له عيون فاذا عاش في عمق (١٠٠) قامة الى (٧٠٠) قامة فقد العميون . وكلما كان السمك أبعد عما كان أجل لونا وذلك اللون والنور يكون تحت سلطانه فاذا رأى قريصة أضاه بنوره ليراها أو عدواً مفاجئاً أطفأ نوره وقديراً قد مصباحه ليرسل الضوء الى عدوه فيكاد سنا نوره يذهب بصره فيفترقه فهو يضل فعل الظربان بإطلاق رائحته على عدوه . وعفريت البحر له خيوط تضرب الى الحفرة يستعملها حبالاً للصيد فتقوم مقام نسج المنكبوت في البرق فما عليه

إلا أن يطلقها في الماء فتتفرجها السمكة لتسكنها فتنبها حشائش فتقترب منها فيخطف تلك السمكة
عليها فيقتنمها ، هذا إذا كان السمكة قريبة من السطح ، فلما في الانحسار كان تلك الحيوط تسكون
لمعة وبهذه الصفة تقترب السمكة

النباتات البحرية لا تعيش على أعماق من مائة قامة وقهر المحيط الاطلاقى يصل من (٤٠٠) إلى (٢٠٠٠) قامة
قامة وهو مؤلف من مادة طباشيرية وأعظمها أهداف مهشمة وتحتها الصلصال والطين المائل الى الحرة
ثم البركانية . كرتنا يسقط عليها كل علم مائة ألف ألف شهاب . أقصى حتى البحار يشابه أعلى الجبال
والبحر عمقه (٣٩٠٠) قامة ولم يصلوا لعمق الحقيقى وبعض البحار وصل عمقها (٥٢٧٠) قامة
الجزائر (ثلاثة أقسام) قسم يفصله عن البر قليل من الماء كجزيرة سيلان ، وقسم هو جزائر بركانية
وقسم هو جزائر مرجانية ، وهذه الأخيرة كثيرة جدا وأكثرها في المحيط الباسفيكى والهندي وهي تكون
إما مستديرة بشكل الخاتم أو الملقحة وقد يكون في وسطها حوض ضارب ملاء الى الصدرة والمخضرة معا
بمخلاف الماء المحيط به فهو مائل الى السواد لغرض العمق . والسواحل ملية يضاء غالبا وهليها تخيل
(الشكولاته) وهناك جزائر (١٠٠٠٠٠) جزيرة وجزائر اف جزيرة

٢١٥ رسم المرجان بحيث شجر ورسمه بصورة أخرى شكلا ٣٣ و ٣٤

٢١٦ ثم شكل ٣٥ فيه غور بسامة وما هي إلا تلك الحيوانات المرجانية . ثم (شكل ٣٦) وهو رسم جزيرة

بركانية حلقة . ورسم ٣٧ جزء من جزيرة بركانية . ورسم (٣٨) جزيرة مرجانية

٢١٧ زهم بنو آدم انهم أحسن عملا من كل حيوان وقائهم ان المرجان يصنع جزائر تعد بللغات سكن فيها
الحيوان وعاش فيها النبات وهم لم يقدروا . البحر الملح وحكمة ما فيه من ذلك الملح التي لولاها لأنان
مأوى بما فيه من الرم وبحث الحيوانات للثبات . وقد جعل الله من هذا الماء الملح ماء عذب استخرجه
شعاع الشمس فعلا في الجوف وحلا ثم نزل فصار أنهارا وجرى تحت الأرض يتابع بعضها يكون تحت الماء
الملح ويصله طبقة من القاع . وهكذا نجد ما يشبه ذلك وهو أن الهواء تسكون فيه أصوات الناس
والحيوان والنبات ولا اختلاط لها كما لا اختلاط للروائح الساريات في الهواء ولا الصور الأشباح الساريات
في الجوف بمحوة ضوء الشمس . وليس يلتقطها إلا آلة التصوير بعد ضبطها فترسم على القوطة ورامها في
خزائنها المظلمة عند المحصور الشمس فهذا كله يشبه قوله تعالى - وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا -

٢١٨ لطيفة في قوله تعالى - وهو الذي خلق من الماء بشرا - وقوله - ولقد صرفناه بينهم - وقوله

- تبارك الذي جعل في السماء رججا - والكلام على منظر رآه المؤلف من نور الشمس المشرق على سحب
يمتد من الغرب الى الشرق وقت الغروب كأنه جبال بينها يشب الأودية الزرقاء (١٥) من شهر نوفمبر
سنة ١٩٢٨ والناس لا يعقلون هذا المنظر . هكذا الحيوان فكأن تلك المناظر جنود مطقة تلك عظيم
النشان وقد حيل بين الناس وبين أمثال هذا الجبال ولمناظر الليل والنهار إلا صور متحركة تمثل الجبال
بأنواع من الحركات والجهور هي من هذه المناظر الجميلة فلذلك عوظم الله من هذا الجبال التي
حرموا من منظره وهو أعلمهم بالأعياد وللناس التي يفرحون بها قربها من عقولهم . أما أولو الألباب
فناظر هذه الدنيا هي الأعياد الدائمة لم تفر بهم من ربه ومعرفتهم بجمال منه . يرون الشمس تسكو
الأرض جبلا تضيها وتجتمع الزوارع والهواء والجبل والليل والسحاب يرفع خضره ويؤرقه وصفراء
أوجراء وهذان وحدهما في الزهر . ونرى أمواج البحر في خط الاستواء تهب منها هبة قوس قزح
والمرر للامعات والناس ولا يرجع الا خضر واللازورد فلذا غربت الشمس تبثت تلك النيران في جزر

السماء بأسباب التغير ويسدل الستار على الأرض وما عليها من جبل وزرع وبحر وتجه العيون الى تلك المناظر البهجة والنجوم الساحرة الطرف البديعة والنقوش الغريبة والعرائس السافرات الضاحكات المستبشرات . فهذه روايات يمثلها الليل والنهار وأكثر الناس عنها محجوبون لهذا عوضهم الله بأعيادهم كما قمتنا وبالصورت المتحركة التي اخترعها الناس في عصرنا لتصور عقولهم

٢٢٠ هذه صور السماء التي يراها الحكماء فإذا رجعوا الى أنفسهم وجدوها أبعد من تلك المناظر السماوية والأرضية فإذا رأوا ابداع النقوش الأرضية والمناظر السحرية السماوية فانهم يرون ما هو أبعد في أجسامهم من أنواع الحواس التي قسمت هذه المناظر المذكورات عليها ليلا ونهارا ومن الأعضاء المختلفة في ظاهر الجسم وباطنه . ومن تلك الخلايا المتكاثرة التي كانت خلية واحدة فاقسمت اثنتين فأربعا الخ وهكذا حتى دارت جماعات متجارات مقسمات الى أقسام كل قسم له عمل خاص وهذه الأعمال المختلفة يتم نظام مجموع الجسم الانساني (وبعبارة أخرى) انني أنا قد وجدت في جسمي أمما من الأحياء تعد بالآلاف المؤلفة وكلها مدمجات بالسلاح وهي الكرات البيضاء التي تعارب الجنود الحاجة على جسمي لتهلكه ثم ان جنودى أنا تنقض على تلك الحاجة فتهلكها وتردد بذلك قوة ومتى حصل في جسمي جرح بدخول الأجانب أسرع جنودى فترأى فيه لاهلاكهم فيكون هناك الورم فهذا الورم ما هو إلا القلعة الحصينة التي تحصن فيها جنودى فأكلت الأعداء وجندتهم كما أكلت تلك الخلايا الفاسدة التي أفسدتها تلك الجنود المحاربة . أفليست هذه المناظر عجيبة ليس يقفها الانسان لولا أنها أصبحت منظورة رأى العين . أفليست تلك الروايات الشخصيات في جسمي أعجب من الروايات الشخصيات بالليل والنهار بواسطة غروب الشمس وشروقها والليل والنهار . هكذا جسمك وأجسام جميع الناس والحيوان

٢٢١ منظر الخلية في ثانية واحدة اذ تطورت سبع مناظر (شكل ٣٨)

٢٢٢ وهذه الخلية التي تعيش في البرك مشابهة للخلية التي تعيش في دمناء وكلاهما لها حياة مستقلة . لجميع جنود أجسامنا مستقلة أفرادها استقلال هذه الخلية في البرك وهي أب كل كائن حي وقد وجدوها أنواعا شتى وهذه الخلية أو (البروتوبلازم) متى صادفت ذرة من النبات أكلتها وهضمتها فلا فرق بينها وبين الحيوان المعروف أو كلاً وهضما وحركة وهكذا . ثم إن الكرات البيضاء المشابهة لهذه العائشة في أجسامنا كانت معروفة قبل أيام (باستور) فلما ظهر هو كشف لنا (عالم المكروب) وما هو إلا كرات مثل هذه تكون أسباب الحمى والجذري وغيرها ومنها ينشأ الورم الخ (شكل ٤٠) صورة ظهرت فيها الكرات البيضاء في أجسامنا وهي تنفذ بمكروب (البفترى) ومكروب (الستر بتوكوك) ومكروب الحمى الراجعة ومكروب (الكولي بابل) ومكروب (الانتراكس)

٢٢٣ جوهره في قوله تعالى - وهو الذى خلق من الماء بشرا - وأن المصل في ركوعه وسجوده إذ يقول (خشع لك سمعى وبصرى) وإذ يقول (سجد وجهى للذى خلقه وصوره) انتقل من الحق الى الخلق إذ يسبح أولا ثم يفصل أعضائه المشتتة على هذه الجماعات من الحويصلات والجماعات من الجنود الحاميات لها . فأما الفيلسوف فانه ينتقل من الخلق الى الحق

٢٢٤ يذكر الزاكر جماعات الحواس وهكذا الساجد ثم جماعات الأعضاء المتضامنة ويمثل الأولين جماعات الحكام في الأمم وتمثل الأخرى جماعات الأمم للحكومة . الكلام على حياة الخلية الواحدة وعلى الوجود التضامنى وعلى أساس الحياة ؟ من أين تولد الخلية . الجسم والروح من كلام السير (أوليفر لودج) وأن كل روح أوتيت قوة إلهية بها كان جسمها انسانا أو قردا الى آخره وهذا عجب

٢٧٥ ان ماذكره القورد (أوليفرودج) من حيث تصرف الروح في الجسم وانها لم تصرف فيه إلا بحكمة فلم تضع صورة حيوان موضع صورة الانسان مثلا سير من الخلق الى الحق والمصل في سجوده وركوعه لاذ يذكر نعمة السمع والبصر بعد التسبيح يرجع من الحق الى الخلق ومافعله القورد (أفيري) هو مافعله حكماء اليونان فان (تاليس) اليوناني و (أنكسيمانيس) و (ديموقراطيس) و (السوفسطائية) و (فيلثورس) و (أنسيفولس) و (أنكسافورس) و (سقراط) و (أفلاطون) و (أرسطو) ساروا في مباحثهم هكذا أصل العالم (للهاء . الهواء . الجزء الذي لا يتجزأ . ليس هناك حقيقة ولا علم . أصل العالم العدد . أصل العالم الحبة والعداوة . للعالم إله ولكنه حركة وتركه . للعالم إله وهو قائم بصغره وكبره وهو منظمه) فهذه آراؤهم على الترتيب من أدنى الى أعلى والرأى الأخير اشترك فيه الثلاثة المتأخرون ، وهذه الآراء لم يخرج عن واحد منها لمعد ولا موحد في أوروبا والشرق الآن والمصل في الفاتحة والشهد سار على عكس سير الفلاسفة

٢٢٨ لطيفة في قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - الخ وشعر المعري • كأن سهيلا الخ • وشعره أيضا • سقتها الرياح الخ • خطاب الله للنجوم الجيلات ونسبة الأم لها بأسماء تناسب عقولهم مثل أهل الهند والصين والعرب وأهل اسكندنيا والاسكيو ، والكلام على غرام قسما المصريين بجمال النجوم حتى جعلوا الهرم بناءه على مقتضى كوكب الشعرى ، وانهم لتعليقهم لله ظنوا أن الرقص حول الحياكل كبير الكواكب حول الشمس وأن رقصهم يكن للخلاعة واللاهو بل كان تدبنا وهم يتكلمونه عن غيرهم وفيه احتفالهم بعيد المعودة (ديان) بمدينة بوريست ، ومقال بطريق الاستيراد في الرقص عندهم في أفراحهم وأعيادهم ، وأن القرد عند لاعبيه جاء على مقتضى الكواكب السبعة المعروفة عند الأمم قديما وهي المرموز لها بالنقطة السبعة في الوجهين المتقابلين لطبري القرد المسمين بالزهر

٢٣٢ آراء (أديسين) في جسم الانسان وانه مركب من خلايا تعقل وتدبر أكثر من الانسان وأن الحياة أتت من عالم غير عالمنا وأن والده سم الحياة لا لمرض ثم مات بعد ثلاثة أيام

٢٣٣ (هجرة السموات) كيف تعرف صور النجوم السماوية . وصف السماء . الصور السماوية . النجوم المشهورة . الاحصائيات . الكرات السماوية . كيف تصنع الكرات والخرط السماوية بحيث تجعل نجمة القطب مبدأ وترسم دائرة المعدل والدوائر الموازية لها ثم دوائر تدل على دوائر الليل . عد بطليموس (٤٨) صورة ٢١ في الشمال و (١٥) في الجنوب و (١٢) في الوسط

الكلام على النجوم المنظورة وعدد ما يرى بالعين وانه (٤١٠٠) وقد وصل العدد الى (٩٠٠٠) نجمة وبالظارات تيف و (٢٠) مليون نجمة . وبيان أن أضواء النجوم (٢٠) نجمة . وبيان أقدارها الست بالعين والخمسة عشر بالظارات (شكل ٤١) القرب الأكبر واللب الأصفر وذات الكرسي

٢٣٦ (شكل ٤٢) مربع القوس الأعظم . المرأة السلسلة . برشاوش القول (شكل ٤٣) الشعرى الشامية القلب . الشجاع . السباك الأعزل . السباك الرابع . العواء . أم الشعور . قلب الأسد . رأس التوأم الخ (شكل ٤٤) (الحمل . الثور . الجوزاء . الجبار . رجل الجبار . العسا) وهكذا (شكل ٤٥) الكلب الأصفر الخ

٢٣٨ (شكل ٤٦) السباك الرابع . العواء . الاسليل الشمالي . هذا هو الذي تعلناه قبل (٤٠) سنة ولكن علم القلق في هذه المسألة زاد أضعافا كثيرة جدا فلذلك نذكر ما جاء في عصرنا وهو ما وراء الجبرة . العوالم

الجذرية ، وذكر أن أرضنا اذا كانت جوهرًا فردا يكون العالم ألف مليون أرض . إن من السدم ما يبعد عنا مائة مليون من سني التور وهناك سدم تعد بالآلاف . ومن السدم ما يستغرق في سيره (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة واحدة
(تذكرة) في تسهيل معرفة الأشكال السابقة . ويبان أن بنات نضج معروفة عند العامة . ومنها يعرف القطب وما يحده من الصور

٢٤٣ (بهجة العلم . ابضاح مسألة النور) وأن الناس اليوم يريدون تحويل الحرارة إلى التور وأن الله فعل ذلك في شموه التي كشفت حديثا

٢٤٤ لطيفة في قوله تعالى أيضا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - الخ ويبان أن أصول الحياة من الشمس والناس غافلون . وذكر أن المصريين أمة زراعية فحسبوا سير الشمس واليهود والعرب اكتفوا بالأشهر القمرية لعدم اعتمادهم على الزرع . والكلام على يوليوس قيصر لما عدل بأمره الفلكي (سويجنس) وهذا التعديل المصري قد أصلحه بعد ذلك البابا (غريغورس) إذ رأى أن (سويجنس) جعلها أطول من حقيقتها (١١) يوما ودقائق فعدل وجرى عليه قوم وخالفه القطب بمصر ذكر تقويم المكسيكيين

٢٤٥ (المقد الثالث) - وعباد الرحمن - قد كتب مشكلا إلى آخر السورة وتفسيره اللفظي

٢٤٧ جوهره في جبال القرآن في قوله تعالى - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم - الخ ومناجاة المؤلف لله وتجيبه من أنه أقسم بمخولقاته من شمس وقرآن والقسم تشريف لحث العباد على معرفة المقسم به فمضوا وصموا وقد اختصم المسلمون وتشعبت مذاهبهم وفرحوا بقليل من العلم وجهلوا نعمه

٢٤٨ فصوص الحكم في هذه الآيات

٢٤٩ في هذه الآيات (ثمان خصال) ترجع لسكون النفس وهبوطها (وخصلتان) ترجعان للتذكير بالله فهذه مقتضات عشرة للعلم والعرفان . إن هنا سرا قد ظهر في هذا الزمان وهو تقديم آية عدم الاشتراك بالله على آية - واذا ذكروا بآيات ربهم - الخ مع أن الظاهر كان يقتضي العكس وذلك أن المسلم اذا لم يشرك بالله وفعل الصالحات يظن أنه أرضى ربه فقال الله له لا يعبدني أنا لا أرضى عنك اذا سمعت آياتي وكنت عنها أصم وآيات الله هي العلوم كلها فجرد الإيمان لا يفي عن ذلك وهذا شأن المسلمين الآن يفرّغهم التوحيد ويقولون كفانا وما يكفي بل لا بد من العلوم . ملخص السورة كلها هذه الآيات هنا . وملخص هذه السورة اظهار علما في بلاد الاسلام يقرؤون العلوم كلها

٢٥١ اللجنة (قسيان) أعلى وأدنى . فالجنة الحسية للجهلاء وجنة العلم للحكماء وهذا تقدم في سورة البقرة عن الامام الغزالي (بلاغة القرآن) . (ياقوتة) في معنى قوله تعالى في هذه الآيات - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم - الخ ويبان أن في القرآن (٧٥٠) آية للتذكير بآيات الله في السموات والأرض ومثلها عددا في علم الأخلاق ولكن آيات العبادة أقل

٢٥٢ يبان أن الآيات التي اختارها الصالحون للقراءة كآية الكرسي وما أشبهها وروضات الجنات فهي سعادة لفظية للصالحين وهي سعادة للفكرين ومنها هنا (ثمان خصال) نظام الظلال ونظام الليل والنهار ونظام السحب والأمطار والماء الطهور ثم نظام الشمس ونظام القمر الخ . هذا تذكير لفظي وهناك تذكير فطري بإزال المنعرات لهم على يد الحوادث الزمنية والله الأمر من قبل ومن بعد والحمد لله رب العالمين

صحیح البخاری

قد اتفق علماء أهل السنة في مشارق الأرض ومغاربها على أن كتاب صحيح الإمام البخاري أصبح كتب الحديث الشريف ولما كانت نسخه المتعددة الطبقات قد تفتت وأصبحت نادرة الوجود قد استخرنا الله سبحانه وتعالى وطبعناه طبعة متقنة بشكل لم يسبق له مثيل على ورق جيد وحرف جلي واضح مضبوط بالشكل الكامل لسهولة القراءة فيه

وقد صحح بنابة الاعتناء بمعرفة لجنة من العلماء معتمدين على النسخة «اليونانية» التي اقتناها المغفور له «السلطان عبد الحميد خان» وأجمع على صحتها كبار علماء الأزهر الشريف . وقسمناها الى تسعة أجزاء لسهولة التلاوة فيه فجزء لكل مسلم اقتناء هذا الأثر النبوي الشريف

ويطلب من مكتبتنا ومن جميع المكاتب الشهيرة

